قضايا ونظرات

تجديد الوعي بالعالم الإسلامي والتغيير الحضاري

تقرير ربع سنوي | العدد الثاني والعشرون | يوليو 2021

المتغيرات الإقليمية والعالمية في النصف الأول من ٢٠٢١

- لماذا التغيرات في التوازنات والتسويات الإقليمية والعالمية؟

  د. نادية مصطفى

- مصير صفقة القرن والموقف الأمريكي تجاهها مع بدايات إدارة بايدن

  دليلة بن كوسة

- «سيف القدس» تهزم «حارس الأسوار»؟

  مدحت ماهر

- الحكومة المستحيلة في لبنان

  محمد علي إسماعيل

- دلالات العودة الأمريكية إلى الاتفاقيات والمنظمات الدولية

  محمد كمال محمد

مركز الحضارة للدراسات والبحوث
Civilization Center for Studies and Researches

قضايا ونظرات

تجديد الوعي بالعالم الإسلامي والتغيير الحضاري

تقرير ربع سنوي

يصدر عن مركز الحضارة للدراسات والبحوث

العدد الثاني والعشرون - يوليو ٢٠٢١

إشراف

أ. د/ نادية مصطفى

مدير التحرير

مدحت ماهر

سكرتير التحرير

مروة يوسف

الموقع الإلكتروني: www.hadaracenter.com

المراسلات: alhadara1997@gmail.com

محتويات العدد

رؤية معرفية ٥

د. نادية مصطفى، لماذا التغيرات في التوازنات والتسويات الإقليمية والعالمية؟ إشكاليات العلاقة بين الداخلي والخارجي ٦

ملف العدد- المتغيرات الإقليمية والعالمية في النصف الأول من ٢٠٢١ ..... ١٢

أ) فلسطين.. تجدد القضية والمواقف ١٣

دليلة بن كوسة، مصير صفقة القرن والموقف الأمريكي تجاهها مع بدايات إدارة بايدن ١٤

عبد الرحمن عادل، فلسطين: من تعثر المصالحة والانتخابات إلى هبَّة القدس.... ٣٤

أحمد خلف، الدعوة لتلاقي الأديان باسم "الإبراهيمية": المضمون والأهداف ٤٤

مدحت ماهر، «سيف القدس» تهزم «حارس الأسوار»؟ الجديد والمُنتظَر بعد مواجهة فلسطين للعدو مايو ٢٠٢١ ..... ٥٩

آية محمود عنان، العدوان الرقمي الإسرائيلي على فلسطين ٦٨

ب) العرب.. أزمات وتسويات ٧٧

عمر سمير، التسوية الخليجية بين الضغوط الخارجية والممارسات البينية ٧٨

نبيل شبيب، تحركات غربية جديدة تجاه الملف السوري ٨٩

خالد خميس السحاتي، المسارُ الليبيُّ للتسوية: بين اللقاءات والاتفاقات والترتيبات والواقع على الأرض ١٠٢

نبيل علي، الأزمة اليمنية: بين الاهتمام الأمريكي والمبادرات وتطور المواقف على الأرض ١١٦

رجب السيد عز الدين، الرئيس المعطِّل: مستجدات تعثر المشهد السياسي في تونس ومآلاته ١٢٧

د. محمد زيتوني – عبير بوعكاز، تسوية الصحراء الغربية في نهاية ولاية الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب": الصفقة والثمن ١٣٧

محمد علي إسماعيل، الحكومة المستحيلة في لبنان: لماذا يتعثر تشكيل حكومة في لبنان؟ ١٤٩

ج) الإقليم والعالم.. صراعات وتسويات ١٥٧

شيماء بهاء الدين، التقارب المصري التركي: المسار والدلالات..... ١٥٨

عبد الرحمن رشدان، مسار التسوية الأفغانية والمواقف الإقليمية والدولية منها .. ١٧٥

أحمد سعيد الخليفة – محمود عاشور مؤمن، اللعبة الأمريكية-الإيرانية على أوتار الاتفاق النووي: أهداف وسياسات ١٨٦

أحمد طارق البوهي، التسوية الأذرية - الأرمينية: تنافس النفوذ الروسي - التركي . ١٩٧

محمد كمال محمد، دلالات العودة الأمريكية إلى الاتفاقيات والمنظمات الدولية مع بداية إدارة بايدن ٢٠٨

يارا عبد الجواد، المواقف الأوروبية الأمريكية من روسيا والصين منذ بدء إدارة بايدن وردود الأفعال ٢١٨

رؤية معرفية

لماذا التغيرات في التوازنات والتسويات الإقليمية والعالمية؟
إشكاليات العلاقة بين الداخلي والخارجي

د.نادية مصطفى*

مقدمة:

اعتادت الأوساط السياسية والإعلامية والفكرية عبر أرجاء العالم أن تركز الاهتمامات على مفاصل التغيرات المحتملة بعد الانتخابات الرئاسية، أو التشريعية في بعض الدول، وخاصة القوى العظمى والكبرى المهيمنة على توازنات النظام العالمي، وعلى التنافسات حول النظم الإقليمية وفي داخلها.

وهي في نفس الوقت دول تقدم بعضها ونفسها كقوى ديمقراطية يتم فيها تداول السلطة سلميًا بين أصحاب التوجهات الحزبية والسياسية والفكرية المتنوعة، كذلك هي دول تمتد آثار عمليتها الديمقراطية إلى الخارج بصورة أو بأخرى، وعلى نطاقات جغرافية تختلف باختلاف الدولة المعنية، قوة عظمى أو كبرى أو إقليمية.

وهذا الاهتمام من جانب الأوساط السياسية والإعلامية والفكرية المختلفة، وإن اختلفت الدوافع والأهداف باختلاف الأقاليم المعنية أو القضايا العالمية المعنية، **يعني أمرين أساسيين: الأول–** أن توجهات السياسات الخارجية، ولو في نظم ديمقراطية مؤسسية، تتأثر بالتغير في الرئاسات وتطبيق أدوارها الدستورية في صنع وتنفيذ السياسة الخارجية. **الثاني**– أن الاستراتيجية الخارجية لهذه الدول ذات أبعاد عالمية وإقليمية لابد أن تنعكس –بقدر ما وبصورة ما– على الأزمات والقضايا العالمية، السلمية والمسلحة على حد سواء.

ورغم أن هذين الأمرين يبدوان من البديهيات أو من المعروف بالضرورة في دراسة السياسات الخارجية المقارنة أو الدراسات النظمية الدولية **إلا أنه يظل دائمًا السؤال التالي قائمًا: ما قدر التغير الذي سيحدث وما اتجاهه وسرعته؟ والأهم هو ما علاقته بطبيعة الأطر الداخلية والإقليمية للقضايا المعنية؟**

ولذا لابد أن نستدعي للتفكير وجها آخر للعملة والذي يتلخص في المقولة التالية:

إن التغيرات في التوازنات والتسويات الإقليمية والعالمية ليس نتاجًا للتغير في قيادات القوى العظمى أو الكبرى فقط –ومن ثم التغير في توجهاتها الخارجية– ولكن يتحدّد قدر هذا التغير وحسابات المصالح حوله بتأثير قوى داخلية وإقليمية أيضًا، ومدى قدرة فواعلها على فرض توجهاتها حول كيفية تحقيق أهدافها، وحول حساباتها للمكاسب والخسائر مقارنة بنظائرها لدى القوى الكبرى.

* أستاذ العلاقات الدولية المتفرغ والرئيس الأسبق لقسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة. ومدير مركز الحضارة للدراسات والبحوث بالقاهرة.

(١)

وتلخص هذه المقولة إشكاليات التفكير في جانب من جوانب العلاقة المركبة بين الداخلي والخارجي. وهي العلاقة التي تأخذ أنماطًا مختلفة على مستويات عدة، وعلى نحو لا يعطي أولوية مطلقة لجانب من العلاقة على حساب الجانب الآخر.

ويرجع التعدد في أنماط هذه العلاقة إلى أسباب عدة، وإن اشتركت جميعها في الاهتمام الشديد بنتائج الانتخابات في الدول الكبرى من ناحية، وفي التفكير بآثارها الخارجية من ناحية أخرى.

وإذا كانت الأمثلة من هذه النماذج والأنماط قد توالت ولم تكف، عبر مراحل تطور النظام الدولي وموضع القوى العظمى والكبرى منه في كل مرحلة، إلا أن العقود الثلاثة الأخيرة منذ نهاية الحرب الباردة تقدم لنا الخبرة والدلالة الأكثر معاصرة وتذكُّرًا لها، وخاصة أن العالم العربي والإسلامي كان له حضور ظاهر في قلب هذه العقود الثلاثة؛ سواء من حيث التدخلات الخارجية في الصراعات المسلحة المعقدة والممتدة، أو في عمليات الإصلاح أو الثورات السياسية والمجتمعية؛ وهي التدخلات التي زاوجت بين الأدوات العسكرية والاقتصادية، وبين الأدوات الثقافية المجتمعية من ناحية، كما استثمرت من ناحية أخرى مصادر الصراعات التي تذخر بها تربة دول هذا العالم العربي والإسلامي.

ولقد أودعت هذه التدخلات الخارجية كافة تلك الأدوات فرديًّا أو جماعيًّا، سواء من الغرب أو الشرق أو الأمم المتحدة، تحت عنوان "الحرب العالمية على الإرهاب"؛ وهو للأسف الإرهاب الذي وصف بالإسلامي وإن تنوعت أشكاله وطبائع المتهمين به (قاعدي، داعشي، طالباني، حماسي، إخواني، حزب الله، إيراني، تركي، جهادي... إلخ).

وإذا كانت أعداد دورية قضايا ونظرات منذ تدشينها —منذ خمس سنوات– قد توالت على الاقتراب من هذه الإشكاليات في ثوبها "الجديد" خلال العقد الثاني من الألفية الثالثة[١]، وإذا كانت البدايات في هذه التقارير قد اقترنت بالأسئلة عن آثار مجيء ترامب للرئاسة في أمريكا بصفة خاصة، فإن العدد قبل السابق[٢] والعدد الحالي[٣] قد تزامنا مع الحملة الانتخابية الرئاسية الأمريكية منذ أغسطس ٢٠٢٠، وخلال الانتخابات، ثم فوز بايدن وتوليه السلطة في أول ٢٠٢١ بعد الأزمة الطاحنة التي شهدتها مؤسسات الديمقراطية الأمريكية يوم ٦ مارس قبل تنصيب بايدن مباشرة.

---

(١) انظر ملفات الأعداد التالية من فصلية قضايا ونظرات:

- دوائر العالم الإسلامي والتغيرات الإقليمية والعالمية، العدد الرابع، يناير ٢٠١٧.
- تعاضد أشكال المقاومة الحضارية، العدد الخامس، أبريل ٢٠١٧.
- النظام العالمي للهيمنة بين التكيف والتغيير: خبرات ونماذج مقاومة للدول، العدد السادس، يوليو ٢٠١٧.
- خرائط الاختراقات والتهديدات الإسرائيلية في المنطقة العربية، العدد الثامن، يناير ٢٠١٨.
- القرار الأمريكي بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة إليها ومقاومته، العدد التاسع، أبريل ٢٠١٨.
- شبكة التحالفات والتحالفات المضادة الراهنة في المنطقة العربية، العدد العاشر، يوليو ٢٠١٨.
- حال ومآل مجتمعاتنا بعد سبع سنوات من الثورات وتوابعها، العدد الحادي عشر، أكتوبر ٢٠١٨.
- المنطقة العربية في المؤتمرات الدولية، العدد الرابع عشر، يوليو ٢٠١٩.
- تطور الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي، العدد السادس عشر، أبريل ٢٠٢٠.
- مآلات عام من الشد والجذب شرقًا وغربًا، العدد العشرون، يناير ٢٠٢١.

انظر أيضًا:

- الجديد في حالة الإسلام والمسلمين في العالم (٢٠١٠–٢٠٢٠): ما بعد الإسلاموفوبيا، حولية أمتي في العالم، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٢٠٢١.

(٢) مآلات عام من الشد والجذب شرقًا وغربًا، العدد العشرون، يناير ٢٠٢١.

(٣) المتغيرات الإقليمية والعالمية في النصف الأول من ٢٠٢١، العدد الثاني والعشرون، يوليو ٢٠٢١.

ومن ثم كان لابد أن يتجدد في الذهن، خلال الشهور الستة الأولى من ٢٠٢١ والتي يغطيها ملف هذا العدد، تلك المقولة السابق طرحها عاليًا وما تفرع عنها من أسئلة.

وتقدم لنا خريطة موضوعات الملف ومضامينها عدة نماذج من التفاعلات بين هذا العامل الخارجي (التغير في توصيف السياسة الخارجية للدول العظمى) وبين استجابات وردود فعل فواعل إقليمية متعددة، على نحو قد يساعد على مناقشة هذه المقولة والإجابة عن هذه الأسئلة.

(٢)

بالنظر إلى موضوعات الملف، نجد أنه يمكن تصنيفها في ست مجموعات من نماذج الاستجابات وردود الفعل للتغير في الرئاسة الأمريكية، وجميعها –ولكن بدرجات وأشكال مختلفة– تبين أن المحصلة المبدئية لهذا التغير من أعلى النظام الدولي، ليست نتاج تأثيره المنفرد الأحادي، ولكن نتاج تفاعله مع ردود الفعل والاستجابات المختلفة لفواعل داخلية وإقليمية مؤثرة في إدارة تسويات وتوازنات حول قضايا إقليمية وعالمية طالما أثارت التساؤل حول أثر تغير الرئاسات الأمريكية عليها.

ويمكن تصنيف موضوعات الملف (دولا، قضايا، أقاليم) بين مجموعة من النماذج، وكل منها يعكس خصائص مشتركة بين حالات هذا النموذج وإن اختلفت في خصائص أخرى. والتصنيف التالي تصنيف إجرائي وصفي لا يحمل أي أبعاد قيمية تقييمية عن ما هو الصواب أو الخطأ أو لصالح من وضد من. فكل نموذج يمكن أن يتم تقييم آثاره بطرق مختلفة باختلاف المواقف السياسية والمرجعيات للفواعل المعنية بهذا التقييم.

وهذا التصنيف لحالات موضوعات الملف بين نماذج متنوعة يستهدف أمرين منهجيين: **من ناحية** التدريب على المقارنات (مقاربة أو اختلاف) بين الأطر الوطنية والإقليمية المتنوعة عبر الأمة والعالم. فرغم التنوعات المتعددة إلا أن هناك خصائص مشتركة في التحديات والاستجابات.

ومن ناحية أخرى: تجاوز تفاصيل الأحداث والمواقف والسياسات –بعد حسن فقهها– والانطلاق نحو رؤية استراتيجية كلية شاملة عن نماذج مقاومة الأمة الحضارية في مواجهة التحديات المتجددة من النظام العالمي الراهن وعلى رأسها التغير والانتقال في رئاسة قيادة هذا النظام.

وهذه النماذج هي:

(١) **نموذج تداول أدوار الهيمنة** (الولايات المتحدة الأمريكية– الصين– روسيا)، وإدارة مشكلات التحالف الأورو–أطلنطي.

ويطرح هذا النموذج الأسئلة التالية: هل يشهد النظام العالمي توجها إلى حرب باردة أم انفراجا جديدا بين الصين وروسيا وبين الولايات المتحدة؟ وهل يرتهن هذا الاحتمال المتأرجح بالرئاسة الأمريكية الجديدة مقارنة بالسابقة، وبأزمة المؤسسات الديمقراطية الأمريكية بالأساس أم يرتهن أيضًا بتوجهات الرئاسة الممتد عبر عقدين تقريبًا في كل من روسيا والصين؟ ناهيك أيضًا عن بعض التغيرات المفاجئة في بعض الأوضاع الإقليمية؟

كيف تؤثر مشكلات تداول أدوار الهيمنة المحتملة على نمط التحالف الأورو–أطلنطي؟ وألا تلعب طبيعة القيادات الأوروبية (وخاصة البريطانية) دورها أيضًا إلى جانب دور الرئاسة الأمريكية الجديدة في البيت الأبيض؟ هل يعود الأورو–أطلنطي إلى التماسك في مواجهة الصين وروسيا معًا باعتبارهما التهديدات الأخطر لأمن هذا التحالف؟

والأهم كيف ستؤثر هذه التغيرات المحتملة على توزيع الأدوار بين جميع هذه القوى الكبرى تجاه قضايا العالم العربي الإسلامي وخاصة محاولات تسوية الحروب الأهلية المندلعة في مناطق عدة، وتصاعد عدوان وتوسع الكيان الصهيوني؟

(٢) نموذج تحدٍّ متجدد ومستفز للقيادة الأمريكية وللتحالف الغربي:

يمثل هذا النموذج عدة حالات متداخلة تتسم بالصراع الصريح مع الولايات المتحدة، وتوالى على إدراتها عدة رئاسات أمريكية، إلا أن الستة أشهر الأخيرة منذ تولي بايدن الرئاسة قد شهدت تصاعد التحدي السياسي والعسكري من جانب هذه الحالات.

فالحوثيون في اليمن صعَّدوا من هجماتهم على الأراضي السعودية وفتحوا جبهات مواجهة على أرض اليمن غير آبهين بتصنيفهم كجماعة إرهابية، تنبيهًا منهم لإدارة بايدن عن خطورة وضع حليفتها السعودية، ومساندة منهم لإيران في مفاوضات الملف النووي.

وإيران تدخل معركة إعادة التفاوض على الملف النووي بأسلحة التصعيد العسكري (المناورات) والسياسي (تصريحات الصمود والاتهامات).

وفي حين تستعد الولايات المتحدة للانسحاب من أفغانستان، وفي مواجهة تردد إدارة بايدن بالإسراع فيه (إعلان تأجيله بعد مايو ٢٠٢١) تصاعدت أعمال العنف المسلح في أرجاء أفغانستان (لم يتم تحديد المسؤل عن كثير منها: طالبان أم الحكومة الأفغانية أم داعش؟)؛ سواء لتحذير الإدارة الأمريكية من مغبة الانسحاب السريع أو لتهديد الإدارة الأمريكية من عواقب عدم الانسحاب.

وأخيرًا: استعادت أذربيجان في نهاية إدارة ترامب السيطرة على إقليم ناغورنو كاراباخ بعد ما يزيد عن العقدين من سيطرة أرمينيا، وتشهد عملية إحكام السيطرة وتقنينها مناورات بين القوى الإقليمية المعنية: روسيا، إيران، تركيا، وبين الغرب حليف أرمينيا، فهل ستمتد آثار علاقة الإدارة الأمريكية الجديدة مع كل من روسيا وتركيا، وهي علاقة متأرجحة ومتوترة، على هذه القضية؟

(٣) نموذج صعود متجدد للمقاومة الفلسطينية الحضارية (المدنية–الشعبية والعسكرية) ضد الاحتلال الصهيوني:

منذ يناير ٢٠٢٠ حين صفعت إدارة ترامب العرب بما عرف بصفقة القرن، وما تلا ذلك من هرولة تطبيع بعض النظم العربية (الإمارات، البحرين، السودان، المغرب) مع الكيان الصهيوني، تعالى التساؤل من جانب المحبطين: هل انتهت القضية الفلسطينية على هذا النحو؟ ورغم أن إدارة بايدن لم تعط الأولوية في برنامجها –خلال مائة يوم– لهذه القضية إلا أن تجدد المقاومة الشاملة في القدس والضفة الغربية المحتلة وفلسطين ١٩٤٨، ومن غزة منذ ٢٧ رمضان ١٤٤٣، في مواجهة التصعيد العلني العدواني للاحتلال الصهيوني من أجل استكمال التهويد من ناحية، وحصاد "معركة سيف القدس" لمواجهة خطة "حراس الأسوار" الصهيونية من ناحية أخرى، فرض على الإدارة الأمريكية الجديدة استدعاء القضية الفلسطينية بين أولوياتها، بل إن هذه المقاومة الشاملة المتجددة تحدت بقوة كل المقولات التقليدية الانهزامية عن أثر اختلالات توازن القوى العربية–الإسرائيلية على القضية الفلسطينية والإنذار بموتها. فلقد أعلنت هذه المقاومة للعالم أنه مازال لفلسطين شعب فلسطيني يقاوم لاسترداد أرضه من الاحتلال الصهيوني، فهو الأساس والمنطلق وليس الأدوار الخارجية فقط! ولكن واجه هذا الحصادُ ومنذ وقف النار ألاعيب الالتفاف عليه لتصفيته من جديد أو لتقييد آثاره الإيجابية وتغذية ما يكون له من آثار سلبية وفق رؤية بعض النظم لمصالحها.

(٤) نموذج ما بعد الرضوخ للإملاءات والضغوط الترامبية وفق حسابات مصالح آنية

من أبرز حالات هذا النموذج تطبيع الإمارات والبحرين والسودان والمغرب مع إسرائيل في ظل إدارة ترامب؛ كلٌّ من أجل حسابات مصالح ضيقة وآنية، فهل تواجه سياساتها مأزقًا مع إدارة بايدن، وخاصة بعد صمود معركة سيف القدس؟

بالطبع لا؛ لأن إدارة بايدن ليست أقل حفاظًا على أمن إسرائيل وقوتها من إدارة ترامب، ولكن مكمن الاختلاف في الأساليب والأدوات: سريعة وجذرية وفجة تفجر الاعتراضات أم تدريجية هادئة تمتص الصدمات وتقود إلى نفس المآل ولو ببطء أكثر، ومن خلال قفازات مخملية من الخطابات الدبلوماسية المخدرِة.

(٥) نموذج التحالفات المركبة –خارجيًا وبين الداخل والخارج– حول تسوية الحروب الأهلية في (سوريا، ليبيا، اليمن) وحول أزمات التحول الديمقراطي والمدني الشعبي بعد ثورات الموجة الأولى والثانية من الربيع العربي (تونس، السودان، لبنان، الجزائر).

هل وصول إدارة بايدن، بما أعلنته عن دعم التعددية ورفض العنصرية واحترام حقوق الإنسان والقانون والتحول الديمقراطي في العالم.. هل ستدفع بتسوية هذه الحروب والأزمات وفقًا للمبادئ المعلنة؟ كم من الضغوط تستطيع ممارساتها؟ وعلى من؟ ولماذا؟ أم ستتغلب، كما يحدث دائما، حسابات المصالح الذاتية على خطابات القيم والمبادئ؟

نطرح هذه الأسئلة ونحن نرى أن أدوار القوى الكبرى الأخرى –وخاصة روسيا وأوروبا– وكذلك القوى الإقليمية حاضرة بقوة في هذه المشاهد؛ سواء سلميًا أو عسكريًّا. فهل مجريات الأمور من داخل حالات هذه النماذج تستطيع التأثير على حسابات الإدارة الأمريكية الجديدة؟ أم إن الكواليس في هذه الحالات أكثر تعقيدًا؟

أليست الأزمة في لبنان نتاجا إقليميا أيضًا حيث تتقاطع حسابات التحالف السوري الإيراني وحزب الله في مقابل حسابات جبهة المستقبل اللبنانية والسعودية والولايات المتحدة؟ وبالمثل في حالات الصراعات الأخرى سواء السلمية أو العسكرية، فإن الإدارة الأمريكية لا تنفرد بالحركة بل عليها التفاعل مع جملة معقدة ومركبة من التحالفات بين أصدقائها أو أعدائها. فمما لاشك فيه أن عدم استقرار الوضع الجديد في ليبيا –بعد اتفاق المرحلة الانتقالية– نظرًا لاستمرار تحديات جماعة خليفة حفتر، وبالمثل التأزمات السياسية المتكررة التي تهدد المسار الليبي الانتقالي برمته...إلخ، هي نتاج تدخلات خارجية إقليمية لصالح طرف أو آخر.. وهكذا. فهل انتهى عهد مساندة ترامب للنظم غير الديمقراطية أو المتأزمة ديمقراطيًا في المنطقة؟

(٦) **نموذج سياسات القوى الإقليمية المتغيرة أو المتأرجحة:**

شهدت التوجهات المصرية والتركية والقطرية والسعودية منذ تسوية أزمة حصار قطر تغيرات تجاه بعضها البعض، وعلى نحو يشير إلى عملية تصالح متبادلة جارية ولو بصعوبة. واقترنت هذه التغيرات المحتملة بأخرى واضحة في السلوك المصري مثلاً تجاه ليبيا وتجاه إسرائيل والمقاومة الفلسطينية. ناهيك عن مؤثرات العلاقات التركية الأوروبية –الأمريكية والتأرجحات فيها ما بين التصعيد والتهدئة، وجميعها أمثلة تطرح السؤال التالي: هل هذه التغيرات أو التأرجحات نتاج مناورة واستجابات محسوبة لتدعيم المصالح؟ أم هو فقدان للبوصلة والرغبة في إنقاذ ما يمكن إنقاذه؟

(٣)

تقدم أوراق الملف إجابات للعديد من تلك الأسئلة التي يطرحها كل نموذج حول الموقف من رئاسة أمريكية جديدة والرؤية عن الجديد من ورائها؟ وعلى نحو يساعد –إجمالاً ودون تفصيل– أن نستخلص ملامح رؤية كلية استراتيجية حول إشكالية العلاقة من الداخلي والخارجي في المشهد الراهن منذ تولي بايدن.

تتلخص بعض أهم ملامح هذه الرؤية في الآتي:

(١) تمتلك القوى الكبرى في الشرق والغرب على حد سواء –حلفاء للولايات المتحدة (مثل أوروبا) أو أعداء (مثل الصين– روسيا) عناصر قوة سياسية واقتصادية وعسكرية تستطيع أن تتفاوض على ضوئها مع الولايات المتحدة من موقع قوة تنافسية؛ وذلك في ظل علاقات الاعتماد المتبادل المعقدة التي تجمع بين هذه الأضلاع الأربعة للقوة العالمية، والتي لا تجعل المنافسة بينها حتى الآن صفرية؛ ولذا لا يتوافق حتى الآن منظرو النظام العالمي على وصف دقيق لهيكله منذ نهاية الحرب الباردة. ففي ظل هيمنة وقيادة أمريكية متراجعة، وصعود قوة صينية بدأب وتؤدة وصمود روسي سعيًا لدور عالمي جديد، تظهر أثواب جديدة للتحالف الأوروبي الأمريكي العتيد. في ظل هذا كله: هل ما نحن فيه نظام عالمي أحادي أم متعدد؟ صراعي وحرب باردة جديدة أم تنافسي تشاركي؟ الحفاظ على السلام الكبير وهيمنة النظام الرأسمالي في مقابل التضحية بالسلام الصغير عبر أرجاء العالم؟

وأخيرًا هل التراجع والخبو في القوة الأمريكية العالمية وفي القيادة الأمريكية للهيمنة الغربية يمكن علاجه أو إدارته "بأساليب بايدن" مقارنة بأساليب ترامب؟ أم هو توزيع أدوار بين الجمهوريين والديمقراطيين في تحقيق نفس الأهداف.

(٢) بالنظر لما يسمى الدول الصغرى ذات النظم التسلطية التي اعتادت أن تلعب أدوارًا إقليمية لصالح القوى الخارجية، فإن انشغالها بنتائج انتخابات الرئاسات في القوى العظمى والكبرى، وخاصة الديمقراطية، يكون أكبر من انشغالها بنتائج الانتخابات داخلها أو في جوارها المشابه لها، فالأخيرة نتيجتها معروفة مسبقًا؛ أما الأولى فلا، وهذا الوضع يفرض على نظم هذه الدول الصغرى إعادة حساباتها عن كيفية الانتقال من خدمة رئيس سابق (ترامب) أو التماشي معه بأقل قدر من الخسائر أو المكاسب إلى خدمة القادم الجديد في البيت الأبيض أو الكرملين أو ١٠ داونينج ستريت أو الإليزيه، وبنفس الحسابات؛ أي حفاظ هذه النظم على أنفسها قبل أي اعتبار أو تحقيق مصالح آنية.

فحالات هذا النموذج لا تريد توظيف ما تملكه من أوراق قوة، بل لعل نظمها لا ترى أنها تمتلك أوراق قوة، يمكن أن تناور بها في وجه الرئاسة الأمريكية الجديدة؛ ذلك لأن شيمتها دائمًا التكيف مع القائم، والانصياع للجديد من خلال توظيف المواقف السابقة.

خلاصة القول: انطلاقًا من المقولة الرئيسية للورقة، وعلى ضوء خريطة النماذج الشارحة المقارنة فيما بينها، وبين حالات كل نموذج يتبين أن آثار التغير في توجه الرئاسة الأمريكية ليست حتمية مطلقة، فهي تواجه استجابات وردود فعل مختلفة، تبين بوضوح أن مقاومة هيمنة التدخلات الخارجية ممكنة وفاعلة ضد تحقيق مصالحها على حساب شعوبنا.

وذلك يتطلب إعداد أدوات قوة، والأهم الاستعداد لاستخدامها، بل والتخطيط الجيد لكيفية وتوقيت استخدامها، والثقة في إمكانية تأثيرها مهما كان حجمها؛ مقارنة بقدرات الخصم أو العدو، وهذا الوضع المقاوم يرتهن بطبيعة القيادة ومرجعيتها من ناحية، واستراتيجية توظيف الفرص وتحجيم القيود من ناحية أخرى.

وفي المقابل فإن أنماطا أخرى من النظم والقيادات، وفقًا لطبيعتها ومرجعيتها ورؤيتها للعالم، تعجز عن الاقتراب من حالة المقاومة بل ترفضها من الأساس، باعتبارها شرًا ينال من "المصلحة الوطنية"، ويهدد الدولة الوطنية؛ ومن ثم لا يصبح العدو عدوًا ولا الصديق صديقًا ولا الحليف حليفًا إلا وفقًا لهذه المعايير: الحفاظ على النظم التي تفتقد شرعية وجودها من داخلها، وتبحث عنها وتلهث وراءها في الخارج حتى ولو كان هذا من عدو وعلى حساب صديق.

يجب أن تدرك الشعوب وتعي أن تغيير موازين القوة المختلة ممكنٌ ولازمٌ، من الداخل ابتداء، وأن دعوة القوى الكبرى للتدخل حماية وتحقيقا لمصالح "الدولة"، والتعويل على تغيير رئاسة بعينها...، جميعها أوهام الضعفاء بخلاف الواثقين من انفسهم والمتمسكين بحقوقهم مهما كانت التكلفة. ولننظر كيف ستختبر الأعوام الأربعة التالية تأثيرات إدارة بايدن مقارنة بإدارة ترامب، ولكن الأهم: على أية قضايا؟ وأين سيكون موقعنا نحن في العالم العربي والإسلامي من هذه الاختبارات؟

الحمد لله

القاهرة ١٥/ ٦/ ٢٠٢١

*****

ملف العدد-

المتغيرات الإقليمية والعالمية في النصف الأول من ٢٠٢١

أ) فلسطين..

تجدد القضية والمواقف

مصير صفقة القرن والموقف الأمريكي تجاهها مع بدايات إدارة بايدن

دليلة بن كوسة*

مقدمة:

وصل جو بايدن سدة حكم الولايات المتحدة الأمريكية في مناخ مشحون من الصراع على السلطة، وبتركة لا يُستهان بها من المشكلات الداخلية التي اتسمت بالانقسام المجتمعي، والتراجع الاقتصادي، وفتك جائحة كورونا، وكذا قدر كبير من التحديات الخارجية للدولة العظمى الأولى في العالم، وما تحمله من رهانات جيواستراتيجية، ووسط ملفات ثقيلة على طاولة الرئيس لا تقبل التأجيل أو الإزاحة.

وما بين أولويات الداخل في تحقيق الاستقرار الداخلي وتجاوز مخلفات الجائحة، وأولويات الخارج في حفظ المكانة الدولية، وتحت وقع "معركة سيف القدس" المنذرة ببقاء المقاومة وصمودها ضد التطهير العرقي، والاستيطان الصهيوني، والمساس بقدسية القدس، يثير ملف "صفقة القرن" والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، وملف الشرق الأوسط على وجه العموم، العديد من التساؤلات حول مصير هذه الصفقة في ظل حكم بايدن وفريق إدارته. وما بين ثوابت السياسة الخارجية الأمريكية والتزامها بأمن الكيان الصهيوني، ومتغيراتها التي تَحْتَكِم للعوامل الداخلية في فلسطين وكذا التغيرات الإقليمية والدولية، **يبرز التساؤل التالي: "ما مصير صفقة القرن؟ وفيما يتمثل الموقف الأمريكي منها في فترة حكم بايدن وفريق إدارته؟**

وعلى ضوء التغيرات الحاصلة في أوساط الكونجرس الأمريكي، وفي الحزب الديمقراطي الحاكم وضمنه التيار التقدمي، وفي داخل المجتمع الأمريكي خاصةً والغربي عامةً، وموقفه من العدوان الأخير على غزة، هل يمكن القول إن هناك تحولا في المقاربة الأمريكية فيما يخص سياستها الخارجية تجاه القضية الفلسطينية؟.

تتعدد الأسئلة وتتفرع معها الإجابات وتزداد لبسًا، غير أن الحقائق التاريخية تثبت أن الكيان الإسرائيلي يتبجح بالكشف عن مشروعه الصهيوني، وعن آلياته العدوانية والودية كلما ازداد الدعم الخارجي له خاصة الأمريكي، وعليه فإن "صفقة القرن" كخطوة جريئة رافقها تهليل وترحيب من طرف بعض الأنظمة السياسية العربية، تمثل من الناحية التاريخية شكلا من أشكال التطور في الأساليب الودية للصراع في شقها السياسي–الاقتصادي، المفصح عنه نتيجة التقارب الناجم عن علاقة نتنياهو–ترامب بصيغة اليمين الرافض للآخر، وهي بذلك تعبر عن **صفقة تصفية في شكل تسوية**، سيكون لها العديد من الآثار حتى على وجود الكيان الغاصب في حد ذاته، وعلى إثر ذلك يأتي هذا التقرير لمحاولة تقصي الإجابة عن تلك التساؤلات من خلال النقاط التالية:

- "صفقة القرن" صفقة للتصفية باسم التسوية.
- فريق إدارة بايدن وملامح سياسته الخارجية.
- تداعيات "صفقة القرن" بين مساري المقاومة والتفاوض والموقف الأمريكي منها.

أولا: "صفقة القرن" صفقة للتصفية باسم التسوية:

منذ أن برز الكيان الصهيوني إلى الوجود صاحبته الرعاية الغربية لتختص الأمريكية منها بالتكفل به فتأخذ على عاتقها حمل حفظ أمنه واستقراره، فلاقى كل العناية في سبيل بناء وبقاء دولة

* أستاذة العلوم السياسية، جامعة امحمد بوقرة – بومرداس، الجزائر.

إسرائيل حتى كُنيت بابنة أمريكا المدللة، ولكونها وليدة غير شرعية فقد حذت حذو الأوروبيين في استيطان أمريكا وبناء ولاياتها على أشلاء الهنود الحمر، فحشدت الدعم من الدول العظمى في العالم التي كانت السباقة في حركتها الاستعمارية وفي استيطان الشعوب المستضعفة والتفنن في إبادتها، كما استجدت إسرائيل التعاطف من الشعوب الغربية مع شعب الشتات بدعوى معاناته من المحرقة النازية، حتى تحقق اجتماعه على أرض الميعاد، وفق المقولة الأسطورية الكاذبة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، على الأرض التي أُخذت غصبًا وعلى أشلاء سكانها الأصليين، ليشتت الشعب الفلسطيني عبر أصقاع المعمورة بعد تقتيله وتهجيره، ليحشد ما بقي منه ويدك في مخيمات اللاجئين.

ونتيجة لما سبق أصبحت القضية الفلسطينية من أكثر القضايا الشائكة والمستعصية، وعلى إثرها أضحى العالم الإسلامي من أكثر المناطق توترًا وحروبًا في العالم، لكن في الوقت ذاته اختُزِلت أطراف الصراع في القضية، فقُزِّمَت ميادينه لتحصر في صراع حدود وحرب على المنظمات الإرهابية، بما يتجاهل كونه صراع وجود ومقاومة حضارية.

وفي إطار هذا التقزيم الفج للقضية، وفي مسار التوصل إلى حل لها في ظل الضعف والانقسام الداخلي في البيت الفلسطيني، وتشرذم وترهل عربي وإسلامي، وسط بيئة إقليمية أنهكتها الصراعات والنزاعات العرقية، والطائفية، والحدودية، وفي بيئة عالمية اتسمت بالتوترات والأزمات الصحية والاقتصادية، تأتي "صفقة القرن" بعد مائة عام على وعد بلفور، معلنًا عن بنودها ضمن الإفصاح عن خطة سلام الشرق الأوسط في الثامن والعشرين من يناير ٢٠٢٠م الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب –صاحب عقلية تاجر العقارات– بعد اجتماعات ومشاورات سرية وتلميحات علنية، للتعبير عن القضية باعتبارها سلعة عُقدت بشأنها صفقة متبنيًا الطرح الإسرائيلي اليميني المتطرف للاستيلاء على كافة الأراضي الفلسطينية.

وقد دُعمت بـ"**اتفاقيات إبراهيم**" التي هرولت بعض الأنظمة السياسية العربية عبرها نحو التطبيع مع الكيان الصهيوني، في خطوة تمويهية حول السلام في المنطقة ضد الخطر الإيراني والحركات الجهادية فيها، وبمقايضات بخسة لا تفي قدسية فلسطين حقها.

١– صفقة جديدة لمشروع صهيوني قديم

قبيل اعتلاء الرئيس الأمريكي دونالد ترامب سدة الحكم صاحبته عملية إشهار واسعة في العالم مفادها أنه جالب السلام والخير للمنطقة العربية، بالرغم من تصريحاته العنصرية ورفضه كل آخر وانحيازه التام للجانب الإسرائيلي، فمنذ إعلانه في نوفمبر من العام ٢٠١٦م، أن لديه "صفقة" لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي[1]، تتابعت النشاطات الأمريكية على الجبهات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية في هذا الإطار، فأفصحت الأيام عن الاجتماعات السرية التي أجراها صهره ومستشاره جاريد كوشنر وبنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي في المنطقة، والتلميحات التي أُفضِي بها دون الإعلان رسميا عن "نص رسمي" لبنود هذا المشروع، فقد أُعلِن في البداية عن بعض البنود، ليتم الإعلان عنها ضمن مبادرة خطة السلام في الشرق الأوسط، وقد يظن البعض أن الصفقة هي مشروع جديد غير أن بدايتها كفكرة بأسلوبها المالي–السياسي والسعي وراء تحقيقها يتوغلان في القدم قدم المشروع الصهيوني ذاته، وأسبق من المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقده الصحفي "تيودور هرتزل" المؤسس الأول والأب الروحي للدعوة الصهيونية وصاحب كتاب "دولة اليهود" في مدينة بازل السويسرية العام ١٨٩٧م.

(1) Monica Langley, Gerard Baker, Donald Trump In Exclusive Interview, Tells WSJ He Is Willing to Keep Parts of Obama Heealth Law, The Wall Street Journal, 11 November 2016, Accessed : 23 April 2021, 14 :15: https://2u.pw/arDqK

تعود بداية المحاولة الفعلية للمشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين باسم المال والاقتصاد حين عرض اللورد اليهودي "آشلي" في أكتوبر ١٨٣٨م مذكرة على مجموعة من المسؤولين في لندن منهم قريبه "بالمرستون" الذي كان وزيرًا للخارجية آنذاك قبل أن يتولى رئاسة الحكومة البريطانية، ومما جاء في تلك المذكرة أنه عندما تصبح فلسطين المكان المميز والطبيعي لتجمع اليهود الجديد، يمكن استخدامها كمستعمرة للاقتصاد البريطاني الطامح للتوسع، في محاولة منه لربط مصالح بريطانيا الاقتصادية بمصير اليهود في فلسطين، وقد كان يعمل بالتنسيق الكامل مع المليونير "موسى حاييم مونتيفيور" الذي كان بدوره صهرًا للمليونير اليهودي البريطاني "ليونيل روتشيلد" صاحب بنك لندن(٢).

وهو الأسلوب المالي الاستغلالي نفسه الذي استخدمه المليونير "موسى حاييم مونتيفور" في يوم ١٣ يوليو ١٨٣٩م إثر لقائه بـ"محمد علي باشا" والي مصر بصفته رجل أعمال، وإعرابه عن رغبته في استئجار منطقة "الجليل" لمدة خمسين سنة لتأسيس شركة استثمارية خيرية، مهمتها تشجيع دعوة اليهود الفقراء المعذبين إلى فلسطين للإقامة فيها، مقابل تسديد ضريبة تصل إلى ملايين الجنيهات من استثمار هذه الأراضي التي ستستغل لمصلحة الطرفان، غير أن إغراءاته المالية قوبلت بالرفض وبغير علم "محمد علي باشا" آنذاك أن رجل الأعمال هذا هو زعيم الأقلية اليهودية في بريطانيا(٣).

رغم ذلك لم يتوان اليهود سعيًا في تحقيق حلمهم، فاتجهوا صوب السلطان العثماني بتفويض بريطانيا للحديث في مصير فلسطين، منتهجين سياسة فرق تسد، وعبر التلويح بالمال باسم استفادة السلطان من الثروات اليهودية، غير أن وقع انسحاب مصر من الشام عام ١٨٤٠م عجل في إعطاء الحلم الصهيوني باستعمار فلسطين دفعًا قويًا، فازدادت المطالب الصهيونية تبلورًا وجرأةً سعيًا نحو إقامة دولة صهيونية في فلسطين، وبدعم بريطاني على أنقاض انهيار أمن مصر الخارجي والذي جر معه أمنها الداخلي كي تنهار على وقع الاستعمار الأوروبي باقي المناطق العربية، وما إن وطأت قدم بريطانيا فلسطين باشر المشروع الصهيوني طريقه إلى أرض الواقع(٤).

رغم الرفض الذي قوبل به اليهود عبر التاريخ الماثل في المقاومة الممتدة تاريخيًا إلا أن المخطط الصهيوني يتخذ دومًا سبلا مختلفة تمكن له التغلغل في مؤسسات الدول السياسية وغيرها، فمضوا عبر عقود من الزمن يحيكون المشاريع والخرائط، وفق رؤية مزيفة مفادها أن الازدهار الاقتصادي هو الشرارة التي ستنير شعلة السلام بالنسبة لجميع الناس في المنطقة بأسرها(٥). وهو أحد الإدعاءات التي ينتهجها الكيان الصهيوني، وذاك هو الأسلوب النفسي الذي يسبق كل عملية رسم خطة للسلام في المنطقة.

رغم كل ذلك لم تر النور مشاريع السلام الصهيونية في المنطقة، فلا مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي روج له شمعون بيريز عقب اتفاقات أوسلو ١٩٩٣م مدعيًا فيه محاولة اجتثاث جذور كافة الأعمال العدائية بفعل السلام الاقتصادي(٦)، ولا بعده مشروع الإصلاح الذي جاءت به الولايات المتحدة أوائل العام ٢٠٠٤م تحت مسمى "الشرق الأوسط الكبير" لإشاعة الديمقراطية ودعم النشاط الاقتصادي(٧) وجد طريقه للواقع، كما أن إدارة البيت الأبيض لم تغامر بتبني أطروحات سابقة قدمها إسرائيليون نظرًا لكون ظروف الإقليم لا تسمح بتحولها إلى خطة يمكن تبنيها، بل لم تكن حتى على استعداد للمغامرة بتبني خطة توافق عليها أنظمة سياسية

(٢) محمود عوض، وعليكم السلام، مصر وإسرائيل والعرب.. الجذور والمستقبل، (القاهرة: دار المعارف، د ت ن)، ص ٦١.

(٣) المرجع السابق، ص ص ٦٤-٦٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٧٠.

(٥) المشاريع التجارية الإسرائيلية العشرة الموحية بالسلام في الشرق الأوسط، وزارة الخارجية الإسرائيلية، ١٤ مارس ٢٠١٠، تاريخ الاطلاع: ١٦ مايو ٢٠٢١، الساعة ٠٦:٠٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/f8oj1

(٦) شمعون بيريز، الشرق الأوسط الجديد، ترجمة: محمد حلمي عبد الحافظ، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص ٢٢٠.

(٧) نعيم الأشهب، مازن الحسيني، مشروع الشرق الأوسط الكبير أعلى مراحل التبعية، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)، ص ص ٣٠-٣١.

عربية دون تأييد جماهيري كاف لضمان تنفيذها على المدى البعيد[٨].

وتتعدد الأطروحات الصهيونية باسم السلام، فمن أبرزها: ما اقترحه أفيغدور ليبرمان وزير الدفاع الإسرائيلي السابق في حكومة نتنياهو تحت مسمى تبادل الأراضي المأهولة، وتضم فيها معظم أراضي الضفة الغربية للكيان الصهيوني[٩]. **بالإضافة إلى دراسة مستشار الأمن القومي الإسرائيلي السابق جيورا آيلاند عام ٢٠١٠م، والتي قدّم فيها بديلين لحل الدولتين على أساس إقليمي يعتمدان في المضمون حشد أكبر قدر ممكن من التأييد العربي لهما، وهو عامل بدا مهمًا في التمهيد لصفقة القرن،** عبر إيجاد القبول لبديل إقليمي حُدِّدَت أركانه إما بدولة اتحادية تشمل الأردن والأراضي الفلسطينية، أو بتبادل لأراض بين الفلسطينيين والإسرائيليين والمصريين[١٠].

وفي الحالتين وغيرهما من البدائل المقدمة على أساس تبادل الأراضي يسفر الكيان في كل مرة عن سعيه الحثيث للاستيلاء على المزيد من أراضي الضفة الغربية وابتلاعها ضمن خطط تقليص الوجود الفلسطيني على أراضيه، ولا تزال المشاريع قيد البحث ولعل صفقة القرن هي أحد تجلياتها الراهنة.

(٨) بلال الشوبكي، صفقة ترامب لإنهاء القضية الفلسطينية فرص التطبيق في ظل المتغيرات الإقليمية، منتدى السياسات العربية– الديوان، ص ١، تاريخ الاطلاع: ١٢ مايو ٢٠٢١، الساعة ٧:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Zhwkz

(9) Sawasan Eamahi, The Land Exchange Project, Middle East Monitor, Obtober 2011, Accessed: 12 May 2021, 8:00, https://2u.pw/pKAeh

(10) Maj. Gen. (res.) Giora Eiland, Regional Alternatives to the Two-State Solution, The Begin-Sadat Center For Strategic Stadies, January 2010, p 35. Accessed: 21 April 2021, 8 :00, https://2u.pw/ySepy

٢– أبرز معالم الصفقة ومضامينها الظاهرة والخفية

يُعد رأس المال التعبير المادي الملموس لسيطرة اليهود على العالم، ويبدو هذا جليًا عند الحديث عن روح الطروحات الاقتصادية على المستوى العالمي، والتي تكشف عن الاستعمار عند تفسير ظاهرها، فالاستعمار كالرأسمالية وما بعدها هما بعض النشاط العالمي لليهود، والذي يستخدم فيه جل الوسائل الرامية إلى التطلعات البعيدة للشعب المختار، وعلى إثر ذلك النشاط تنزل دول وترفع أخرى وفق الوصية الشهيرة "فرق تسد"، وهو شعار يُجسد حقيقة اليهود وخطتهم المستمرة عبر المسار اليهودي، حيث العمل بصورة مستمرة إلى تحريك القوى الدنيا ضد العليا داخليًا[١١]، ويضرب بين القوى الموحدة فيشتتها بينيًا، ويربطها بقوى أخرى خارجيًا فيجعلها خاضعة له.

وفي نفس المسعى المستمر تاريخيًا في سياسته، تمضي الصفقة ضمنيا لمحاولة محو عدة عقود من تاريخ الكفاح الفلسطيني، وتحويل الصراع لمسألة إنسانية إغاثية، بما يعني إمكانية حلها من خلال طمس البعد السياسي لها على المستوى العربي، واستدعاء الحلول الاقتصادية لضمان إنجاحها إذ تعتمد هذه الحلول بالدرجة الأولى على المال العربي الخليجي[١٢].

وتقوم الصفقة على خمسة أركان أساسية جاءت استجابة لمطلب المشروع الصهيوني، وتجاوزًا للتحديات التي يفرضها الواقع في سبيل تحقيق دولة إسرائيل الكبرى، تتكشف من خلالها الأطر والوسائل التي يجري فيها وبها الصراع في محاولة لجمع أطراف متضادة متكاملة، وتطويعها لخدمة المشروع الصهيوني، عبر منح حكم ذاتي للفلسطينيين، والسلام الاقتصادي، القدس عاصمة للكيان

(١١) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي: المسألة اليهودية، (الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع، ج ٢، ٢٠١٣)، ص ص ٨١–٨٢.

(١٢) بلال الشوبكي، صفقة ترامب لإنهاء القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٢.

الصهيوني، التطبيع قبل التسوية، إنشاء تحالف إقليمي أمني[١٣]. وفيما يلي تفصيل تلك الأركان:

– الإطار الرسمي المؤسساتي الماثل في الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو حكم يجعل الفلسطينيين تحت سطوة الكيان الصهيوني بأن تتبع سيادة أراضيهم وشعبهم له، مع اشتراط عدم وجود جيش أو قوة فلسطينية بغية تجريدهم من أي محاولة مقاومة تسعى لتحقيق التحرر، وهو ركن يلغي حل الدولتين ويقوض إمكانية بناء الدولة الفلسطينية، وبالتالي عدم تحقق بناء قوة إقليمية محاذية لإسرائيل ضمانًا لاستمراريتها وبسطًا لهيمنتها، وهو ما يجعل من الفلسطينيين مسخًا تابعًا، يفقد فيه الفلسطيني هويته، فلا هو فلسطيني عربي كامل الحقوق، ولا هو إسرائيلي متهود حاصلا على الحقوق، ويتعقد الأمر أكثر بالنظر إلى ما يقره قانون "القومية اليهودية"[١٤] الصادر عن الكنيست والذي ينسجم مع الطبيعة العنصرية للكيان الاستيطاني الصهيوني.

– فكرة السلام الاقتصادي، التي عبر عنها شمعون بيريز في كتابه "الشرق الأوسط الجديد"، والذي تلاه مشروع الشرق الأوسط الكبير، وكانت محور مؤتمر المنامة الذي عُقد بالعاصمة البحرينية في بداية ديسمبر ٢٠٢٠م، وهو مشروع للهيمنة الاقتصادية في المنطقة باسم خلق مصلحة للعرب مع الكيان الصهيوني تحقق العملية الاندماجية للطرفان، فتعزز قوة الكيان الاقتصادية الإقليمية لتجعل منه المركز ومن باقي الدول العربية جائلة في فلكه، عبر تنشيط وسائل الدعم والإعانة التي تعد أدوات ضغط في يد إسرائيل.

وبالدخول في عملية السلام على هذا الوضع، تحولت فيها أطراف الصراع من العدو إلى الحليف، فنقلت فيها المجابهة إلى داخل الصفوف العربية، فحققت أحد أهدافها في فصل القادة عن شعوبهم، وربط مصالحهم بالمصالح الخارجية، وهي مصالح أقلية حاكمة لا تعكس التوجهات الأساسية والمصالح الجوهرية للأمة.

– أن تكون القدس عاصمة للكيان الصهيوني، وتجلى ذلك عمليًا في القرار الذي أعلنه الرئيس الأمريكي السابق ترامب نقله السفارة الأمريكية من تل الربيع إلى القدس[١٥]، وهي عملية محورها إيديولوجية يواصل فيها الكيان توظيف اليهودية كعقيدة واقعيًا، وكتاريخ وضعي للشعب اليهودي تعتمد فيه على الأكذوبة، ويتم عمليًا مواصلة سياسة بناء المستوطنات في الضفة الغربية أخذا بالاعتبار أهمية البعد الجغرافي. وبالموازاة تجري تصفية كل قضايا الحل النهائي بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني بشطب حق العودة، وهو ركن يسفر عن عمليات الفصل العنصري والتطهير العرقي، والتهويد والاستيطان التي ينتهجها الكيان في القدس وغيرها من المناطق كالجولان، بقوة السلاح والمجازر من جهة، وبالتهجير والتشريعات القاهرة من جهة أخرى، أمام تحدي العامل الديموغرافي الذي يفرضه تفوق تعداد النمو السكاني للفلسطينيين. ومع إلغاء جائر لحق عودة اللاجئين في المقابل محاولة لترجيح كفة تعداد العنصر اليهودي بجلبهم من كل حدبٍ وصوب.

– فكرة التطبيع قبل التسوية، وهي الآلية القديمة والراهنة التي ينتهجها الكيان الصهيوني في عملية الصراع، عبر إدخال الدول العربية بعلاقات سياسية إدماجية معه قبل أن يتم تسوية القضية الفلسطينية، فمن ناحية يتم خلق البيئة المواتية لتقبل إسرائيل ومشاريعها الاقتصادية في المنطقة، بانتهاج عملية كاسحة لشيطنة الفلسطينيين بتشويه هويتهم مقابل تجميل هوية اليهود اعتمادًا على الجماعات الوظيفية العربية المتصهينة.

(١٣) محسن محمد صالح، وائل أحمد سعد (محررون)، التقدير الاستراتيجي (١١٠): الآفاق المستقبلية لـ"صفقة القرن" الأمريكية، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، فبراير ٢٠١٩)، ص ٢، تاريخ الاطلاع: ٢٠ مايو ٢٠٢١، الساعة: ١٦:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/s1vU2

(14) Raoul Wootliff, Final text of Jewish nation-state law, approved by the Kenesset early on July 19, The Times of Israel, 18 July 2018, Accessed : 11 April 2021, 12 :00, https://2u.pw/SpyEO

(١٥) محسن محمد صالح، وائل أحمد سعد، (محررون)، التقدير الاستراتيجي (١١٠)، مرجع سابق، ص ٣.

وللمجالات الثقافية وسائلها الفاعلة والفعالة في هذا النطاق، وما مسلسل "مخرج ٧" ومسلسل "أم هارون" إلا نماذج لعمليتي التشويه والتجميل المكثفة التي تحاول عابثة اكتساح مخيال الأمة، وفي المسار نفسه جاءت "اتفاقيات إبراهيم" في ١٥ من سبتمبر المنصرم بين إسرائيل والإمارات والبحرين، لتلتحق بعدها السودان بالركب، كي تقر الأطراف المطبعة بالأصل الإبراهيمي الموحد لأبناء العمومة الذين آن لهم المضي في السلام الثقافي، والتنسيق الأمني بإشراف أمريكي(١٦).

ومثل هذه الاتفاقات استُلت منها الدول المطبعة من كونها طرفًا في الصراع ضد إسرائيل إلى طرف في الصراع مع الكيان الصهيوني بل متآزرا معه ضد القضية المركزية للأمة، فالتطبيع على هذا النحو يؤدي إلى انشقاقات حادة داخليًا وبينيًا في المجتمعات العربية تخلف على المستوى المتوسط والبعيد الانشقاق داخل الأمة إن لم يتم تحصينها.

– إنشاء تحالف إقليمي يجمع الدول العربية والكيان الصهيوني لمحاربة ما يُسمى "الإرهاب"، للقيام من خلاله بمحاربة حركات التحرر والنهضة، واستنزاف طاقات الأمة ومحاولة توجيه الصراع باتجاه حروب طائفية وعرقية، وحدودية بعيدًا عن المشروع الصهيوني، وفي الوقت ذاته القضاء على فاعلية المؤسسات العربية، والمبادئ القومية العربية من قبيل المصير العربي المشترك، والعمل العربي المشترك، والأهم الدفاع العربي المشترك، فبعد أن فشل ترامب في إنشاء "تحالف الشرق الأوسط الإستراتيجي" أو ما أطلق عليه مشروع "الناتو العربي" عام ٢٠١٧م.

هذا في محاولة لترك بعض حلقات صراعات الشرق الأوسط للقوى العربية الحليفة(١٧)، وتحقيق بنية إقليمية للأمن الجماعي تخدم أهداف الولايات المتحدة في المنطقة، والتي تقلص من وجودها الإقليمي، وفي الوقت ذاته تستهدف إيران دون السماح للصين أو لروسيا باستغلال الفراغ وحصد النفوذ(١٨). وتأتي محاولة مشروع التحالف العسكري من خلال تأكيد وزير دفاع الكيان الصهيوني بيني جانتس في بداية شهر مارس ٢٠٢١ أن إسرائيل تعمل على إنشاء تحالف أمني إقليمي مع دول الخليج التي لها علاقات معها وتشاركها المخاوف بشأن إيران، بإقامة علاقات دفاعية مع كل دولة مطبعة وفق ترتيب أمني خاص(١٩)، وتبرز إيران هنا في زي العدو المشترك الذي يستجدي من إسرائيل استدعاء الحيثية المذهبية في العقل العربي تأجيجًا للصراع السني–الشيعي من ناحية، ومن ناحية أخرى تفعيل الحيثية العرقية المحيية للنعرة العرقية طرفاها العرب والفرس، دون إغفال حقيقة أن إيران قوة إقليمية طامحة ومالكة لبرنامج نووي ستكون خطرًا على إسرائيل، وبالتالي تشكل خطرًا على حلفائها في المنطقة، فرُبط عدم الاستقرار في المنطقة بالدور الإيراني، وليس بانعكاسات الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية.

ومن أهم التغيرات الحاصلة على سلم الأولويات التي نتجت عما سبق ذكره التحول نحو أولوية تزايد التنسيق العربي الصهيوني والأمريكي ضد إيران على حساب التنسيق الإقليمي العربي ضد الكيان الصهيوني، وعلى أساس ذلك برزت أولوية التطبيع العربي مع إسرائيل على حساب التسوية السياسية للقضية الفلسطينية، وأولوية

(١٦) ديفيد ماكوفسكي، كيف تتطلع "اتفاقات أبراهام" إلى السير إلى الأمام وليس إلى الوراء، معهد واشنطن، ١٦ سبتمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٤ أبريل ٢٠٢١، الساعة ١٧:٢٥، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/ox61h

(١٧) محمد المنشاوي، مشروع "الناتو العربي" .. ماذا ينتظره في ٢٠١٩؟، الجزيرة، ٢٠ يناير ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ١٦ أبريل ٢٠٢١، الساعة: ١١:٢٧، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/frqZH

(١٨) ياسمين فاروق، الطريق الطويل نحو تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي، مركز مالكوم كير–كارنيجي للشرق الأوسط، ٢٥ مارس ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ١٦ أبريل ٢٠٢١، الساعة: ١١:٤٥، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/C2gi2

(١٩) إسرائيل تؤكد أنها تعمل على إنشاء تحالف أمني إقليمي مع دول الخليج، i24NEW، ٢ مارس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٤ مارس ٢٠٢١، الساعة : ٢٠:١٥، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/nGk0G

البعد التجاري المالي على البعد السياسي في العلاقات مع الدول العربية[٢٠]. وتتبدى تلك التحولات في قبول التطبيع والتنازل عن الحق والأرض مقابل حفنة من المال وأراض غير الأرض المحتلة، تحت مسمى التنمية والازدهار في مقابل السلام، في صفقة غامضة تقدم حلولا مجحفة باعتبارها حلولا نهائية لقضايا مصيرية شائكة، تمثلت في القدس، الحدود، المستوطنات، حق عودة اللاجئين، والمياه، بتوظيف المال السياسي.

في هذا الإطار تجدر الإشارة إلى ما أسماه المسيري "الجماعة الوظيفية"، وتكون إما مجموعات مستجلبة من خارجه أو مجندة من داخله، والتي تناط بوظائف شتى إما وظائف مشينة أو مميزة، أو ذات حساسية خاصة وذات طابع أمني[٢١]، وهي المجموعات التي تطغى على الواقع السياسي والاقتصادي والثقافي للدول المطبعة التي قبلت صفقة القرن التي قدمها ترامب، وقد رحل ليعتلي الرئيس الجديد بايدن سدة الحكم، لتثار مسألة مصير هذه الصفقة في ظل الفريق الجديد.

ثانيا: فريق إدارة بايدن وملامح سياسته الخارجية:

إن أمريكا التي تقلدها الرئيس الحالي تختلف عن سابقتها، سواء في اقتصادها ووحدتها الداخلية، أو في مكانتها الإستراتيجية الخارجية، فقد مثل الرئيس السابق دونالد ترامب لدى بعض المحللين السياسيين نموذجا للفوضى وانعدام الرشادة السياسية التي خلخلت أسس الولايات المتحدة المجتمعية داخليًا وهزت مكانتها دوليًا، وتبين ذلك داخليًا حين استخدم نعرة التفوق العرقي تجاه السود والمهاجرين، مسببا حالة ارتداد للعلاقات الإثنية للمجتمع الأمريكي إلى عهد الستينات، وحين قدم استمرارية نمو الاقتصاد الأمريكي على العناية بحياة وصحة المواطن الأمريكي في التصدي لجائحة كورونا، وتجلى في الخارج حين أعلى الأسوار في وجه المهاجرين من المسلمين واللاتينيين، والخروج من اتفاقية باريس للمناخ، مكرسًا عزلة أمريكية غير مسبوقة، وهو ما أضر بأطروحة أمريكا الليبرالية حارسة حقوق الإنسان وزعيمة العالم الحر، والأمر نفسه في سياسته الخارجية تجاه الأنظمة العربية التي سامها ابتزاز دول الخليج بدفع المال مقابل الحماية، وبإعلانه عن صفقة القرن متجاهلا الطرف الفلسطيني والعربي فيها ومنح القدس عاصمة لإسرائيل، كي يضيف عليها هضبة الجولان عطاءً سخاءً من عنده، وتمضي دبلوماسيته في تحالف مع رئيس وزراء الكيان الصهيوني نتنياهو لتلم المطبعين الذين جمعهم باسم الأسرة الإبراهيمية وفق "اتفاقات إبراهيم"، **كل ذلك جعل بايدن يتخذ عبارتي "استعادة روح أمريكا" و"أمريكا عادت" شعار حملته الانتخابية وظفره بالرئاسة، فقد تعهد أنه سيتبع دبلوماسية أمريكية تتعارض مع تلك التي انتهجها ترامب.**

وبمجرد تسلمه السلطة أنهى أربع سنوات من الأحادية القسرية، فأعلن البيت الأبيض عودة أمريكا إلى المنظمات متعددة الأطراف مثل اتفاقية باريس للمناخ، ومنظمة الصحة العالمية، وقد حدد بايدن منذ أول خطبة له أسس الدبلوماسية الأمريكية المتبعة بخطاب أكثر صرامة ضد روسيا، ورغبة في العودة إلى الاتفاق النووي الإيراني، وإظهار المودة نحو الحلفاء، وهي أسس يعمل مع فريقه لتحقيقها فلا يخفى على أحد أن المؤسسات المركزية في الدولة يسيرها الأفراد فيكون لهم الدور في اختيار البدائل الإستراتيجية للسياسة المتبعة. وعلى هذا الأساس سيتم التطرق لتشكيلة فريق إدارة بايدن ومواقفهم من القضية الفلسطينية حتى تتبدى معالم السياسة الخارجية تجاه الشرق الأوسط عمومًا، وتجاه القضية الفلسطينية خصوصًا ومصير الصفقة فيها.

١- تشكيلة فريق إدارة بايدن، ومواقف أعضائه من القضية الفلسطينية

يتغلغل العنصر اليهودي في مؤسسات الدولة الأمريكية، كما تتوغل الإيديولوجية الصهيونية في بعض أفرادها، مما جعل للوبي الصهيوني كلمته في السياسة الأمريكية إما عن طريق الأعضاء مباشرة أو عبر التأثير فيهم أو الضغط عليهم، وهو ما يبدو في فريق الإدارة الجديد، **فالرئيس جوزيف بايدن** يتمتع بسجل طويل من

(٢٠) محسن محمد صالح، وائل أحمد سعد (محررون)، مرجع سابق، ص ٦.

(٢١) عبد الوهاب المسيري، الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيري جديد، (القاهرة: دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٢)، ص ١٦.

الدعم لإسرائيل يتجلى ذلك في حياته المهنية كسيناتور وكنائب الرئيس أثناء حكم باراك أوباما، ولا يستغرب أحد تصريحاته المؤيدة والداعمة إذا ما علم أن له علاقات مع المجتمع اليهودي، فابنه بيو كان متزوجًا من يهودية وكذلك ابنته آشلي هي الأخرى، كانت متزوجة من يهودي(٢٢).

بالإضافة إلى ذلك، بايدن له خبرة سياسية طويلة، قضى ٣٦ عامًا منها في مجلس الشيوخ، متقلدًا العديد من الأدوار الرئيسية بما في ذلك رئيس لجنة الشؤون الخارجية، وهو ما يؤهله لإحياء عناصر الثقافة السياسية القديمة، متخطيًا مرحلة شهدت نظامًا سياسيًا أكثر تصادمية واستقطابًا(٢٣).

وبالنظر إلى فريق إدارته، **فنائبته كاميلا هاريس** ذات الأصول الأفرو-أسيوية زوجة المحامي دوجلاس إمهوف يهودي الديانة، ما فتك الإعلام يشير لتأييده القوي لإسرائيل(٢٤)، كما أنها تعد إحدى المقربات جدًا من جماعات الضغط اليهودية خاصةً لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (أيباك)، وبالتالي فمن الطبيعي تأييدها استمرار الدعم العسكري والسياسي للكيان الصهيوني، وضرورة استمرار الحملة ضد مناهضي السامية، فقد كانت أحد أعضاء مجلس الشيوخ الذين رفضوا قرار الرئيس السابق أوباما بالامتناع عن استخدام الفيتو ضد قرار صدر في مجلس الأمن الدولي يدين ضم إسرائيل للضفة الغربية، وفي الوقت الذي تعرب فيه عن رفضها بناء المستوطنات وتطالب إسرائيل باحترام حقوق الإنسان، فهي تؤيد حل الدولتين شريطة أن يتم عبر التفاوض بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني، دون تدخل من أي جهة لفرض الحل على أي منهما، وتساند العمل ضد التنظيمات التي لا تعترف بالكيان الصهيوني وبحقه في الوجود والأمن، كما ترفض التجاوب مع حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات(٢٥).

أما **وزير الخارجية أنتوني بلينكين**، فهو يهودي الأصل والديانة، شغل منصب مستشار الأمن القومي بين عامي ٢٠١٣م و٢٠١٥م، ونائبًا لوزير الخارجية الأمريكية بين ٢٠١٥م و٢٠١٧م، وخلال الحملة الانتخابية عمل على فتح قنوات التواصل بين جماعات الضغط اليهودية وفريقه السياسي(٢٦)، كما يؤكد أهمية مساندة الولايات المتحدة للكيان الصهيوني، ويساند تنشيط دور الأمم المتحدة في مختلف القضايا إلا في الشرق الأوسط. وهو أبرز دعاة عدم ربط المساعدات الموجهة للكيان الصهيوني بأي شروط سياسية، غير أنه يعارض سياسة نتنياهو رئيس الوزراء السابق في توسيع المستوطنات دون اقتراح أي سياسة لمواجهة العملية، كما يميل لإبقاء الخلافات مع الكيان الصهيوني بعيدة عن الأضواء. كما لا يطالب **بلينكين** بعودة السفارة الأمريكية إلى تل الربيع، ومن مؤيدي حل الدولتين، ومن مناهضي نشاطات حركة بي دي أس، يحبذ التفاوض مع إيران، ويستبعد انتهاج سياسات المواجهة العسكرية معها(٢٧).

(22) Views on Israel of U.S. Presidential Candidates 2020: Joe Biden, Jewish Virtual Library, Accessed : 11 April 2021, 22 :00, https://2u.pw/TqGqY

(٢٣) وليد عبد الحي، القضية الفلسطينية وفريق السياسة الخارجية الأمريكي الجديد، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، فبراير ٢٠٢١)، ص٤، تاريخ الاطلاع: ٢٠ مايو ٢٠٢١، الساعة: ١٦:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/jdZWL

(24) Manuel Roig-Franzia, Doug Emholff, Kmala Harris's husband, is making history as America's first male vice-presidential spouse, The Washington Post, 11 January 2021, Accessed: 25 April 2021, 17 :15, https://2u.pw/TT4bx

(25) View on Israel Of U.S Presidential Candidates 2020: Kmala Harris, jewish virtual library, Accessed : 11 April 2021, 23 :00, https://2u.pw/hGS56

(26) Gabe Friedman, Where Blinken Stands on Jwish Isses, from immigration to Israel, the Times of Israel, 24 November 2020, Accessed 24 April 2021, 14 :55, https://2u.pw/nbuzC

(27) Antony «Tony» Blinken, Jewish Virtual Library, Accessed: 24 April 2021, 22 :00, https://2u.pw/FlJDd

أما **مستشار الأمن القومي جاكوب سوليفان**، فهو يهتم ببناء التحالفات الدولية وعدم التفرد الأمريكي باتخاذ القرارات الدولية، ساهم في ترتيب وقف إطلاق النار في المواجهة بين الكيان الصهيوني والمقاومة في غزة عام ٢٠١٢، وتبدي بعض الأوساط الصهيونية توجسًا من مواقفه تجاه الفلسطينيين خاصة رؤيته للمشكلة الفلسطينية على أنها سبب عدم الاستقرار في الشرق الأوسط، كما شارك في التفاوض السري مع الإيرانيين بخصوص البرنامج النووي سنة ٢٠١٢ في سلطنة عمان(٢٨).

ويعد **وزير الدفاع لويد أوستن** أول رجل أسود يتولى وزارة الدفاع، فرغم طول خبرته العسكرية لم يسبق له تولي أي منصب سياسي، فقد كان قائد قوات الأمريكية في الحرب على العراق، كذلك عمل قائدًا للقيادة المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط الكبير، الذي ينظر له أنه منطقة يغلب على واقعها الفوضى والمفاجآت، وينتشر فيها التفتت المذهبي على حساب الهويات القومية، والاستقرار بالنسبة له يجب أن يوكل إلى سكان المنطقة، فالتدخلات العسكرية الأمريكية لم تعط النتائج المرجوة، لذا يجب إعطاء الأولوية للعمل الدبلوماسي، وله علاقات صداقة وثيقة مع وزير الدفاع الصهيوني بني جانتس، كما أعرب أوستن عن تحذيراته العديدة من علاقات حماس وحزب الله خاصةً مع إيران، وهو يرى في ذلك أمرًا يهدد أمن الكيان الصهيوني(٢٩).

أما **مدير جهاز المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي أي) وليم بيرنز**، فقد كان سفيرًا في عدة دول عربية، إلى جانب أنه عمل مع خمسة رؤساء وعشرة وزراء خارجية أمريكيين، أحد أبرز نقاد السياسة الخارجية لترامب، يؤكد أن الأحادية القطبية مرحلة عابرة في التاريخ الأمريكي، فلابد لأمريكا أن تضع تراجعها بعين الاعتبار فلا تفرط في الاعتماد على قوتها الخشنة في علاقاتها الدولية، كما عليها أن تتواضع في ثقتها في إنجاز التحولات عميقة في الشرق الأوسط كونها لم تعد الفاعل المهيمن الوحيد، كما أنه أصبح أقل أهمية لها، فهي تواجه تحديات جيو-سياسية في الشرق الآسيوي، وهذا لا ينفي مصالحها في المنطقة كحرية الملاحة، والاستحواذ على مصادر الطاقة، وضمان أمن أصدقائها من تهديدات قوى خارجية أو إقليمية، والحيلولة دون ظهور وانتشار الجماعات الإرهابية ذات قدرة تتجاوز حدود المنطقة، وكذا منع انتشار أسلحة الدمار الشامل في المنطقة، كما أنه ميال لدبلوماسية الظل ويعد من المدافعين بقوة عن الاتفاق النووي مع إيران، حيث يرى أن إسرائيل أكثر أمنًا بهذا الاتفاق، وأن إقامة دولة واحدة لها يؤدي حتمًا إلى زعزعة المنطقة، وأن الحل الأفضل هو العودة لحل الدولتين(٣٠).

وبرزت خبرات منسق شؤون الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في مجلس الأمن القومي **بريت ماكغورك مبعوث بايدن للشرق الأوسط** في مجال بناء التحالفات ضد داعش، وفي الشأن العراقي، حيث عمل مستشارًا للسفير الأمريكي في بغداد، وشغل عدة مناصب ذات العلاقة بالمنطقة في إدارتي الرئيسين أوباما وبوش، وهو من الشخصيات الأكثر تشددًا تجاه المقاومة الفلسطينية المسلحة، وخصوصًا حركتي حماس والجهاد الإسلامي، ومن الأكثر دعمًا لتوسيع دائرة التطبيع، وهو من أنصار فكرة التواجد العسكري في سوريا، كما أنه يؤيد تخفيف التوتر مع إيران إذا ما تبنت سياسة إقليمية أقل معاداةً للسياسة الأمريكية في المنطقة(٣١).

(28) Herb Keinon, Irael Can Sleep easy with Biden's Top Foreigne Policy Picks- annalysis, The Jerusalemm Poste, 24 November 2020, Accessed: 25 April 2021, 09 :15, https://2u.pw/jLuyQ

(٢٩) وليد عبد الحي، القضية الفلسطينية وفريق السياسة الخارجية الأمريكي الجديد، مرجع سابق، ص ٥.

(30) Matthew Lee, Biden Taps Veteran Diplomat William Burns to head CIA, The Times of Israel, 11 January 2021, Accessed : 24 April 2021, 23 :00, https://2u.pw/nmUFx

(31) Ali Harb, Ragip Soylu, Biden Appoints Staunch Turkey Critic Brett McGurk to National Security Council, Middle East Eye, 8 January 2021, Accessed : 26 April 2021, 18 :00, https://2u.pw/Tg9Ix

يمكن القول إن الرئيس بايدن المنتمي للحزب الديمقراطي، وفريق إدارته يعملون وفقًا لأولويات الولايات المتحدة عالميًا، تجاوزًا لتحديات ورهانات الداخل والخارج، لذلك فمن المرجح أن تتبنى الإدارة الجديدة عمليًا إطارًا مشابهًا لفترة حكم باراك أوباما، وموقفًا وسطًا بين نهج الانعزال ونهج التدخل المباشر في كل شيء، وهو ما يدفع بها للتدخل وفق ما تقتضيه مصلحتها وإمكاناتها وحسب تحالفاتها وتحت غطاء الشرعية الدولية، دون التورط في الأحادية المكلفة حتى لا يؤثر في استقرار النمو الاقتصادي الذي يعد أساس عظمة قوتها العسكرية ونفوذها الدولي[٣٢]، **فالموقف الوسط مع تحقيق التوفيق بين مقتضيات الداخل والخارج يشكل تحديًا جوهريًا للفريق الجديد وسياسته الخارجية.**

٢- أبرز ملامح السياسة الخارجية للفريق الجديد تجاه الشرق الأوسط

رغم تدخلها الطويل في المنطقة العربية الإسلامية ووجود من يعرف بـ"المستعربين" في وزارة خارجيتها، لم تتبن الولايات المتحدة يومًا "سياسة عربية" رسمية قائمة بذاتها، بل اعتمدت في الواقع الإستراتيجية الإمبريالية الكلاسيكية والمعروفة تاريخيًا بالوصية اليهودية "فرق تسد" بالتعاون مع حلفاء إقليميين، بل سعت إلى المحافظة على ثبات أهدافها مقدمة مصالحها الاقتصادية وبصورة ملحوظة، فانتهجت العمل على مجموعة من المصالح الجوهرية في المنطقة وهي: مكافحة الإرهاب، وقف انتشار الأسلحة النووية، ضمان حرية حركة التجارة، ضمان أمن المنطقة بالذود عن أمن إسرائيل مع السعي لسلام عربي-إسرائيلي.

فكان تدخل الولايات المتحدة باسم بسط الاستقرار على حساب تحقيق الديمقراطية، وهو ما يبرز تعارضًا في سياستها بين إستراتيجيتها فعلا والمتمثلة في تدبير الانقلابات على قادة وطنيين منتخبين، ودعم أنظمة قمعية ومساندة الاحتلال العسكري، وشن حروب سرية وعمليات عسكرية سرية غير شرعية في المنطقة، ودبلوماسيتها قولا التي روجت لها علانية كالدفاع عن حقوق الإنسان، التحرر، السلام والحرية[٣٣]. وهو الأسلوب الأمريكي البادي تاريخيًا والثابت والمتكامل بين الأفعال والأقوال الدبلوماسية المنتهجة في سياستها الخارجية تجاه العالم الإسلامي عمومًا والقضية الفلسطينية خصوصًا.

فلم تكن الدعوة إلى الديمقراطية التي كانت تروجها كدبلوماسية عامة إلا لتعزيز القوة الناعمة لها، بالموازاة مع استخدام "القوة الصلبة" باسم شن الحروب في سبيل القضاء على الإرهاب وبدعوى إقامة الديمقراطية الأمريكية[٣٤].

وحاليًا حتى تحافظ أمريكا على صورتها ومكانتها وفعاليتها السابقة، تفرض تداعيات الداخل الأمريكي على الرئيس أن ينتهج التصالح والتوافق مع الداخل وما يحتويه من جمهوريين، وفئات المتطرفين العنصريين والمتطرفين الدينيين. فمن المرجح أن يولي الاهتمام بالوضع الداخلي، وما تفرضه تداعيات جائحة كورونا، وأولوية تخفيف التوتر العنصري والتجاذب الإعلامي، وضرورة إعادة دورة الإنعاش الاقتصادي، دون إغفال تداعيات محاكمة ترامب في مجلس الشيوخ الأمريكي[٣٥]، كما قد يدعم نسبيا وزن الحزب الديمقراطي في الكونجرس قدرة بايدن على اتخاذ القرارات الإستراتيجية الداخلية والخارجية، إلى جانب نزعته التصالحية مع قطاع من الجمهوريين[٣٦].

أما مع الخارج على المستويين الإقليمي والدولي، فيتحتم عليه أن يكون أقل ميلا للنزعة العسكرتارية، وهو ما يدفع به إلى العمل

(٣٢) أسامة أبو الرشيد، تعقيب على دراسة مروان بشارة، أهداف الولايات المتحدة واستراتيجياتها في العالم العربي، (في): أحمد سعيد نوفل وآخرون، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فبراير ٢٠١٤)، ص١٧٦.

(٣٣) مروان بشارة، أهداف الولايات المتحدة واستراتيجياتها في العالم العربي، (في): أحمد سعيد نوفل وآخرون، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، مرجع سابق، ص ص ١٠٩- ١١٠.

(٣٤) المرجع السابق، ص ١١١.

(٣٥) وليد عبد الحي، القضية الفلسطينية وفريق السياسة الخارجية الأمريكي الجديد، مرجع سابق.

(٣٦) المرجع السابق، ص ٦.

تدريجيًا على تخفيف التوترات، وتفهم مطالب حلفائه في قوات حلف الأطلسي، لاسيما في مجال الإنفاق الدفاعي، وعليه قد يميل للاستجابة بقدر معين، دون مبالغة في ذلك، لكل دولة أو جهة توجد لديه انطباعًا بأنها ستكون له مبعث قدر أكبر من الاضطراب[٣٧]، وما يدل على ما سبق ممارساتيًا عودته لمنظمة الصحة العالمية وغيرها من الهيئات الدولية، واتفاقية المناخ، ووقف بناء الجدار مع المكسيك، وإلغاء قيود السفر لدول معينة، وتمديد عمل اتفاقية ستارت ٣ لمدة خمس سنوات حتى عام ٢٠٢٦[٣٨]، مع روسيا التي حثته عشية تنصيبه على انتهاج مقاربة أكثر بنائية في حواره معها[٣٩].

وعسكريًا بداية سحبه للقوات الأمريكية في العراق وأفغانستان بهدف إعادة تحديد أولويات وزارة الدفاع، ومن ناحية أخرى صرح القائد المركزي الأمريكي الجنرال فرانك ماكنزي أن الولايات المتحدة منخرطة في مفاوضات بشأن القواعد لاستخدامها في مهام مكافحة الإرهاب بعد مغادرة القوات الأمريكية، وأكد اعتزام مواصلة القدرة على ملاحقة القاعدة وداعش من مواقع أخرى بالعمل مع الأصدقاء في المنطقة لتأسيس تلك القدرة[٤٠]، وهنا يبرز الدور الذي تلعبه الجماعات الوظيفية الظاهرة والخفية في المنطقة والتي تضمن بقاء النفوذ الأمريكي رغم خروج قواته.

(٣٧) المرجع السابق، ص ٥.

(38) Paul Sonne, United States Extends Nuclear Treaty with Russia for Five Years, The Washington Post, 3 Febraury٢٠٢١ , Accessed: 11 may 2021, 23:00, https://2u.pw/PfMpv

(39) AFP, Russia Urges Biden to Be 'More Constructive' Over Arms Treaty, The Moscow Times, 20 January 2021, Accessed: 20 january 2021, 07 :00, https://2u.pw/GwEok

(40) Amanda Macia, U.S Forces are Halfway through their Withdrawal from Afghanistan, CNBN, 08 June 2021, Accessed: 09 June 2021, 14 :52, https://2u.pw/N48Z5

كما باشر البنتجون في تخفيض كبير للأنظمة المضادة للصواريخ في العراق، والكويت، والأردن وأفغانستان[٤١]، ويأتي ذلك في إطار مراجعة الفريق للوضع العسكري وتركيزه على استخدام الدبلوماسية أكثر من القدرات العسكرية، وهذا لا يعني أن إيران ليست تهديدًا، بل لتقدير الفريق أنه لن تندلع حرب مع إيران على ضوء التقدم الحادث في المفاوضات، وهو ما افترضه جيمس فارويل مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق لشؤون الدعم الإستراتيجي[٤٢].

وحاول بايدن ترميم العلاقات مع حلفائه في قمة مجموعة السبعة، وكذا اجتماع قمة الناتو وأجندة الحلف بحلول العام ٢٠٣٠م، التي أقرتها حتمية مواجهة التحديات التي تفرضها القوة الصاعدة المتمثلة في الصين والقوة المتمردة التي تشكلها روسيا، واتفاقه مع قادة الحلف على إطلاق مشروع دفاعي جديد مبتكر، مفاده العمل مع الشركات الناشئة والجامعات[٤٣]، علمًا أنه قد استقبلت القمة في يومها الأول بخروج آلاف المتظاهرين في لندن مطالبين من مجموعة السبع مساندة القضية الفلسطينية[٤٤].

(41) Gordon Lubold, Nancy A. Youcef, Micheal R. Gordon, U.S Military to Withdraw Hundreds of Troops, Aircraft, Antimissile Batteries From Middle East, The Wall Street Journal, 18 june 2021, Accessed: 19 June 2021, 04 :20, https://2u.pw/8M6Gq

(٤٢) البنتاغون يعلن بدء خفض أنظمته المضادة للصواريخ في دول بالشرق الأوسط، الجزيرة، ١٩ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ يونيو ٢٠٢١، الساعة: ١٢:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/qJ9eK

(43) NORTH ATLANTIC TREATY TREATY ORGANISATION? On the Agenda, Brussels Summit-Nato, 14 June 2021: Accessed: 15 June 2021, 05 :15, https://2u.pw/VQJxT

(44) Toi Staff, Agencies, Thousands March in London Urging G7 Support for Palestinian Cause, The Times of Israel, 13 june 2021, Accessed: 14 june 2021, 12 :00, https://2u.pw/y9xHi

ووسط تلك التطورات تعد العلاقة الأمريكية مع الكيان الصهيوني علاقة مقدسة فمن الصعب حصر عدد المرات التي أكد فيها الرؤساء الأمريكيون التزامهم أمنه وتفوقه، وهو ما أصر عليه بايدن منذ وصوله إلى الحكم خاصة أثناء "معركة سيف القدس"، حين صرح عشية وقف إطلاق النار قائلا إن لا تغيير في الالتزام بأمن إسرائيل واستقرارها وقوتها[٤٥]، وحقها في الدفاع عن نفسها، مؤكدًا أنها تمثل حجر الزاوية في السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة، بل من ثوابتها السياسية والإستراتيجية منذ أن ورثت الهيمنة على المنطقة بعد انسحاب الاستعمار البريطاني منها[٤٦]. لذلك يحصل الكيان الصهيوني على دعم أمريكا العسكري والاقتصادي، فخلال السنة المالية ٢٠١٨م وصل مبلغ الإعانة ٢٣٦ مليار دولار، وعدل وفقًا للتضخم في العام ٢٠٢٠م، ليصل لـ 146مليار دولار من التمويل العسكري والاقتصادي والدفاعي الصاروخي، ما يجعل الكيان الصهيوني أكبر متلق تراكمي للمساعدات الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية[٤٧].

في السنة المالية ٢٠٢١، بعد مطالبة إدارة الرئيس السابق دونالد ترامب بـ٣,٣ مليار دولار من التمويل العسكري الأجنبي لإسرائيل، أي ما يعادل ٥٩٪ من الميزانية العالمية، سمح الكونجرس بذلك، تزامنا مع فرض شروطا على دول أخرى، ففي ميزانية السنة المالية ٢٠٢١م، تم حجب ٢٢٥ مليون دولار من أصل ١,٣ مليار دولار من صندوق التمويل الصغير المخصص لمصر، حتى تؤكد وزارة الخارجية أن مصر تتخذ خطوات مستدامة وفعالة لتعزيز حقوق الإنسان[٤٨]، ومع ذلك، عندما يتعلق الأمر بالكيان الصهيوني لا تنطبق شروط إضافية، ولا يتم الالتزام بقوانين حقوق الإنسان[٤٩].

ويُروج للإعانة لإسرائيل على أنها استثمار في تعزيز قيم أمريكا ومصالحها العالمية، وتعتبر المساعدة الأمنية لها استثمار محدد في السلام والازدهار في المنطقة بأكملها، بما يجعلها أكثر أمانا ويعزز الجهود الدبلوماسية الرامية إلى تحقيق حل الدولتين المتفاوض عليه[٥٠]، وينظر الإسرائيليون على أن هذه الإعانة هي جراء المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة، وهي ضئيلة مقارنةً بما تسدده سنويًا جراء التزاماتها اتجاه الحلف الأطلسي[٥١].

وتخلق تلك السياسات لإدارة بايدن مفارقة في إستراتيجيته، فبينما تدعو إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي إلى الدفاع عن حقوق الإنسان وحمايتها في سياستها الخارجية، وأن تقود في استعادة التعددية والقواعد في النظام الدولي، تتعهد في الوقت ذاته الحفاظ على التزام صارم بالمساعدة العسكرية للكيان الصهيوني، على الرغم من التناقض الواضح مع أهداف السياسة الأمريكية المعلنة، المتمثلة في حل الدولتين للقضية الإسرائيلية الفلسطينية، واستمرار الضم الفعلي للضفة الغربية وهدم المنازل والإخلاء وتدمير أحياء فلسطينية بأكملها[٥٢].

---

(45) Deirdre Shesgreen, U.S aid to Israel was always a given. Will growing support for Palestinians change that?, US Today News, 02 June 2021, Accessed: 03 June 2021, 11 :35, https://2u.pw/RpsBy

(٤٦) محسن صالح، الأهداف والمصالح الإسرائيلية في النظام العربي، مرجع سابق، ص٤٧٠.

(47) Josh Ruebner, Salih Booker, Zaha Hassan, Bringing Assistance To Israel in Line With Rights and U.S Laws, Carnegie Endowment for International Peace, 12 May 2021, Accessed: 14 May 2021, 20 :00, https://2u.pw/hAkef

(48) Ibid.

(49) Deirdre Shesgreen, U.S aid to Israel was always a given. Will growing support for Palestinians change that?, Op. cit.

(50) Letter Shows Overwhelming Bipartisan Support in House For Aid to Israel, Jewish Virtual Library, 22 April 2021, Accessed: April 22, 2021, 11 :00, https://2u.pw/3Y4rA

(٥١) عبد الوهاب المسيري، أسرار العقل الصهيوني، (القاهرة: دار حسام، ١٩٩٦)، ص ١٢٦.

(52) Josh Ruebner, Salih Booker, Zaha Hassan, Bringing Assistance To Israel in Line With Rights and U.S Laws, Op. cit.

وبالمقارنة بين إستراتيجيات السياسة الخارجية قولا وعملا يتضح أن الطرف الأمريكي الداعم لإسرائيل ما هو إلا طرف من الأطراف المغذية والداعمة للصراع، وهو ما يؤثر بكيفيات عدة على القضية الفلسطينية ومسار صفقة القرن، فثمة العديد من العوامل المؤثرة في الملفات ذات الصلة بها، **وبالرغم من الانحياز الأمريكي التقليدي لإسرائيل، وتبني الولايات المتحدة الرؤية اليمينية الإسرائيلية الخاصة برئيس الوزراء السابق نتنياهو الناجم عن التقارب في العلاقة بينه وبين الرئيس السابق ترامب، إلا أن المتغيرات تثبت تحولات بادية ومؤثرة على السياسة الخارجية الأمريكية وهو ما بدا جليًا تحت وقع معركة "سيف القدس".**

ثالثا: تداعيات "صفقة القرن" بين مساري المقاومة والتسوية والموقف الأمريكي منها:

تمثل الحرب في الصراع العربي–الصهيوني ظاهرة دائمة وليست مؤقتة باعتبار أن العدوان مستمر دون توقف، كما تعد المجابهة الملتوية أحد الأساليب الصهيونية العدوانية، تتجسد عن طريق توظيف الاختلافات والانشقاقات العربية–العربية داخل الصراع الجوهري العربي– الصهيوني، من خلال صناعة الثورة التي لا تتطلب إلا تداول فكرة شريطة التمسك ببنائها، والعمل على توفير الشروط المادية والنفسية لهذه الثورة كي تتفجر، وذلك يعني حيازة الوسائل المادية والإيديولوجية، وهو أمر يستدعي التحكم في الجوانب الحياتية بالإمساك بزمام المال والاقتصاد، ويعد شح المواد الغذائية، والغلاء في الأسعار، والتي تجعل الحياة معقدة في كل صعيد حتى من الوجهة الإدارية، أسس الإعداد الجيد لصنع ثورة(٥٣)، وتلك هي المعادلة التاريخية في التحكم بالوسائل المادية والإيديولوجية التي تربط الدول المتقدمة بالمتخلفة، بفعل قابلية هذه الأخيرة للتحكم وفقدانها للإرادة الحضارية رغم حيازتها للإمكانات الحضارية، وهو ما مكن اللوبي الصهيوني من الضغط وتمرير أهدافه، ومن خلق حالات عدم الاستقرار والفوضى.

(٥٣) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي: المسألة اليهودية، مرجع سابق، ص ص ٦٩–٧٠.

وتتبدى مظاهر الصراع الداخلي في تفشي الثنائيات الحدية الاستقطابية القاتلة، فقد مثلت المقاومة العسكرية والتسوية السياسية ثنائية حدية استقطابية خلقت انقسامًا داخل البيت الفلسطيني، شتت جهوده الرامية لنصرة القضية، وكرست الانقسام حتى تحول مسار الصراع إلى مواجهة بين فصائل فلسطينية متناحرة في سبيل تحقيق مصالحها، وهو صراع أضر بالقضية وبدرجة الالتفاف الشعبي حولها.

كما أسهمت حالة الوهن العام للأمة على المستوى الدولي على تقديم الصفقة بالوجه الذي جاءت عليه، غير أن العدوان على القدس وتهجير سكانه العرب واستيطان المنطقة بغية تهويدها، واقتحام الأقصى والاعتداء على حرمته، بالإضافة إلى الحصار المفروض على غزة والعدوان عليها بدعوى حراسة الأسوار المغتصبة، كانت كافية لخوض المقاومة لمعركة "سيف القدس" تلبيةً لحماية الأقصى، وذودًا عن المضطهدين في القدس، وردًا قاطعًا لإفشال صفقة القرن، رغم محاولة الكيان الصهيوني تهيئة البيئة العربية الإسلامية عبر النشاط الذي عنيت به الجماعات الوظيفية في الأنظمة المطبعة، والتي تسعى جاهدة لخلق سبل تسوية تضمن للصفقة مسارها على الواقع.

١– معركة "سيف القدس" التأثير الخارجي في الداخل الأمريكي

إن تحولات الواقع في فلسطين خاصةً والعالم الإسلامي عامةً بالرغم من الهيمنة والسيطرة والتبعية والانحطاط الحضاري، يعسر توقعها لدى الكيان، الذي يظن أنه يحكم زمام المستعمَر، فبالرغم من القابلية للاستعمار يوجد في الأمة نبض ينبئ عن استمراريتها تخطه المقاومة الحضارية ضد الاضطهاد والعدوان، ولعل معركة "سيف القدس" التي كانت إثر جور الكيان الصهيوني واستصغاره للمكون الفلسطيني في المنطقة، ومحاولة فرضه لصفقة القرن بشتى الطرق والوسائل، وإقصائه لحق اللاجئين في العودة، وما لحقها من محاولات الإبادة والتهجير والاستيطان والتهويد، وعمليات اقتحام

المسجد الأقصى، وجهًا من أوجه الصمود حفاظًا على الدين والأرض والعرض وعلى ماء وجه الأمة.

وفي خضم المعركة برزت فاعلية حركات المقاومة الفلسطينية على رأسها منظمة حماس ككيان سياسي فاعل في المنطقة من غير الدول، وأثبتت تطورًا وتغيرًا في هيكلتها الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكذا الأنشطة التي تمارسها، استجابةً منها لهيكليات الفرص التي أوجدتها ظروف العنف وعدم الاستقرار على الصعيدين المحلي والإقليمي(٥٤)، فالمعركة على الرغم من نتائجها المروعة على قطاع غزة إلا أنها أعادت حماس إلى الواجهة داخليًا كي تكسبها مزيدًا من الاعتراف والشرعية والتوسع بالنظر إلى ما تقوم به من أنشطة متعددة الوجوه خاصة العسكرية، ما يمنحها مزيدًا من التجذر في بيئتها الخاصة لتمكنها من أنشطة هي من اختصاص الدولة الفاعلة، فولجت إلى المشهد السياسي لمضاهاة ومنافسة الفاعلين/اللاعبين من الدولة التقليدية. ولا شك أن لهذه الشرعية المتنامية دور في إكسابها بعدًا دوليًا في العلاقات الدولية باعتبارها منظمة فاعلة غير رسمية تنشط في مضاهاة أو منافسة الفاعلين الرسميين من الدول في البيئة الدولية(٥٥).

أدركت المقاومة عن معرفة تاريخية وواقعية حقيقة الكيان الصهيوني وادعاءاته المتهاوية كمزاعم قبته الحديدية، واعتماده على الإرباك النفسي وصناعة عظمته ومهابته في العقل العربي على خلاف ما يحويه الواقع، فنظرت له متجاوزة إدعاءاته، فكانت الهزيمة التي عددها الخبير العسكري رون بن يشاي فشملت فشل إسرائيل في تدمير منصات إطلاق الصواريخ في غزة، وقدرة المقاومة على الرد، وفي منع المستوطنين المتطرفين من اقتحام المسجد الأقصى، ودفعهم للانسحاب نحو الملاجئ، والعجز عن حماية مستوطنات غلاف غزة، وفي تزعزع الجبهة الداخلية، والإخفاق في الدعاية وحرب الإعلام والوعي على شبكات التواصل الاجتماعي بين الإسرائيليين أنفسهم، في مقابل توحد الفلسطينيين، وفي التراجع داخل الإدارة الأمريكية رغم الموقف الداعم الذي أبداه بايدن، فالاختلافات داخل إدارته قد تجعل إسرائيل تعاني لاحقا، وكذا ضعف الرد الهجومي على صواريخ ورشقات المقاومة، كما أن تبعات فشل الدعاية الحربية الوخيمة بدأت تظهر آثارها للعلن في موجات التعاطف الواسعة مع فلسطين وشعبها(٥٦).

فمن تداعيات المعركة أن كان لوقعها تأثيرًا شعبيًا وعالميًا لم تعرفه القضية من قبل، حتى بلغ الأمر إلى الداخل الأمريكي، سبقه تقرير منظمة مراقبة حقوق الإنسان حول الأوضاع في الكيان الصهيوني، فأجريت مقارنة علمية بإسقاط مؤشرات القانون الدولي لتصنيف الدول في أنها دول فصل عنصري على الحالة الإسرائيلية، ليخلص التقرير إلى أن الكيان الصهيوني تجاوز المعايير الأساسية لحقوق الإنسان بشأن الشعب الفلسطيني، من خلال دعم هيمنة المجموعة العرقية اليهودية على العرب الفلسطينيين، والاضطهاد الممنهج لهم، والقيام بأفعال لا إنسانية بحقهم، وعدم وجود النية لإنهاء الاحتلال، لذلك فهو قانونيًا وموضوعيًا دولة فصل عنصري، تمامًا على غرار النظام الجنوب إفريقي المنقرض(٥٧)، فخلف التقرير وقعا على مختلف الأصعدة والمستويات، وزاد من تأكيد صحته العدوان الصهيوني الأخير.

---

(٥٤) جولي سي. هيريك، الفاعلون/ اللاعبون غير الدول: تحليل مقارن للتغير والتطور داخل حماس وحزب الله، (في): بهجت قرني (محرر)، الشرق الأوسط المتغير نظرة جديدة إلى الديناميكيات العربية،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أكتوبر ٢٠١١)، ص ٣٠٩.

(٥٥) محمد محارب، إسرائيل والتغيرات الجيوستراتيجية في الوطن العربي، (في): أحمد سعيد نوفل وآخرون (محررون)، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، مرجع سابق، ص ٥٠٧.

(٥٦) وديع عواودة، إسرائيل في حالة إرباك وانتقادات ذاتية واسعة بعد المفاجأة وخسارة المعركة على الوعي في بدايتها، القدس العربي، ١٢ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٣ مايو ٢٠٢١، الساعة: ٠٩:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/jQqkX

(57) Human Rights Watch, A Thresshold Crossed, Israeli Authorities and The Crimes of Apartheid and Persecution, 27 April 2021, Accessed: 28 April 2021, 13 :41, https://2u.pw/Dx7r4

وفقًا للتجربة التاريخية لا يأبه الكيان الصهيوني لهذه التقارير، فكل من ينتقده يتهمه بأنه معادٍ للسامية، معتمدًا على الصورة المسوقة له من قبل الحليف الأمريكي، على أنه دولة ديمقراطية تتبنى القيم السياسية والحقوقية الغربية، فكل ما يهمه معادلته الوجودية الجوهرية الماثلة في شرط بقائه وقوته المرتبط بضعف من حوله، لذلك يلتقي مشروعه الصهيوني مع المشروع الإمبريالي الغربي في إبقاء المنطقة ضعيفة، مفككة، منقسمة، ومتخلفة ماديًا، ومعنويًا وحضاريًا[٥٨].

ومن تداعيات المعركة في الداخل الأمريكي، رغم الدعم المطلق وغير المشروط للإدارات الأمريكية المتعاقبة، وكذا الحزبين الديمقراطي والجمهوري لإسرائيل، وفي أوساط الرأي العام الأمريكي، لأول مرة برز بعض التصدع في التحالف الأمريكي–الصهيوني، فقد مثل العدوان على غزة الاختبار الأول لبايدن في الساحة الفلسطينية، الذي في أوج المواجهة منع عدة مرات صدور بيان من مجلس الأمن يدعو إلى وقف إطلاق النار الفوري، غير أن شدة العدوان وبشاعة الانتهاكات دفعت بالكثير من الأمريكيين إلى تساؤل عن جدوى هذا التحالف والإنفاق العسكري المفرط على حساب قيم الحرية والديمقراطية الأمريكية.

كما أسهم التنوع الذي يشهده الكونجرس الأمريكي في بروز تعدد في الموقف الأمريكي تجاه إسرائيل، فقد بلغت نسبة السود واللاتينيين والآسيويين والأمريكيين الأصليين في غرفتي الكونجرس ٢٣ في المائة، وخلق ذلك تنوعًا في وجهات النظر وتفتتًا للقوى[٥٩]، فقد تصاعدت أصوات التيار التقدمي داخل الحزب الديمقراطي في ذروة القتال بإصدار بيان يدعو إلى وقف إطلاق النار، وخلال المعركة قدم ممثلو الجناح اليساري في الحزب قرارًا بمنع صفقة سلاح قيمتها ٧٣٥ مليون دولار للكيان الصهيوني، غير أن الإدارة الأمريكية أتمت الصفقة. أيضًا قام ٥٠٠ شاب من أعضاء حملة بايدن الانتخابية بتوجيه رسالة إليه تطالبه بالضغط على إسرائيل وحماية الفلسطينيين بإدانة أعمال قتل المدنيين، وإنهاء الاحتلال والحصار والتوسع الاستيطاني[٦٠]، وهو ما قد يُبدي أن حماية الكيان الصهيوني لم تعد تمثل موضوع إجماع يتخطى الأحزاب.

لم يكن تكثيف الضغوط لوقف إطلاق النار بمعزل عن الرأي العام العالمي في الشارع خاصة الأمريكي الذي أبرز تغيرًا كبيرًا في الرأي العام الجمعي، الذي شكل فيه اليسار وحركة السود مهمة، وحركة الأقليات، دورًا فاعلا في حشد المظاهرات وتأسيس وعي جديد بالقضية لم يُعرف له مثيل، دعمته الحملات المختلفة في وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، المناصرة للقضية في ظل تراجع سيطرة الإعلام الأمريكي التقليدي، في أوساط السود والأقليات الذين يمثلون أغلبية مصوتي الحزب الديمقراطي، فقد أحيت ممارسات الكيان العنصرية في القدس وعدوانه على غزة حادثة مقتل جورج فلويد التي جسدت صرخة في وجه استعلاء الرجل الأبيض. فلا يخفى تأثير مقتله في التوجه العام للأمريكيين السود والمتضامنين معهم من الأقليات نحو القضية الفلسطينية إذا عُلِم أن القائم ببرنامج تدريب قوات الشرطة المدنية الأمريكية خبراء إسرائيليون، حذرت من عنفويتهم مرارًا منظمة صوت اليهودي من أجل السلام Jewish Voice for Peace[٦١].

إن التحول التاريخي للحزب الديمقراطي وموقفه من الكيان الصهيوني، وفي أوساط الشعوب عبر العالم، سببه انتشار فكرة أن إسرائيل دولة احتلال وفصل عنصري، على خلاف الفكرة التي

---

(٥٨) محسن صالح، الأهداف والمصالح الإسرائيلية في النظام العربي، مرجع سابق، ص ٤٥٥.

(٥٩) أنتوني زورتشر، الصراع الإسرائيلي الفلسطيني: تحول "مزلزل" في سياسات الحزب الديمقراطي الأمريكي تجاه القضية الفلسطينية، بي بي سي عربي، ٢٢ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣٠ مايو ٢٠٢١، الساعة: ٠٩:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/3m8xJ

(٦٠) أعضاء بالمئات في حملة بايدن الانتخابية يدعونه لمحاسبة إسرائيل وحماية الفلسطينيين، الجزيرة مباشر، ٢٤ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣٠ مايو ٢٠٢١، الساعة: ١٣:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/IY9Ip

(61) Sheren Khalel, US police Departments under Pressure to end Training Programmes with Israel, Middele East Eye, 22 June 2021, Accessed: 22 June 2021, 11 :24: https://2u.pw/Q9vLn

هيمنت تاريخيًا من أن إسرائيل ضحية في أذهان جمهور واسع من الشباب، وهو ما دفع إلى التساؤل عن بداية انهيار دعم الكيان الصهيوني. وفي هذا الإطار يبرز تياران في الداخل الأمريكي، تيار تقليدي إلغائي للآخر يتغذى على النعرة العرقية، داعمًا لطموح أمريكا القوة العسكرية العظمى في العالم، له اعتقاد راسخ بالتحالف الاستراتيجي مع إسرائيل، وتيار تقدمي استيعابي للآخر يرى أن الكيان الصهيوني حالة مضادة لطموح أمريكا القوة العظمى في العالم معتمدًا على النهج الدبلوماسي، يجد في التفاوض والتسوية أداة فعالة لتحقيق السلام في المنطقة، وحسب هذا التيار يعد النهج العدواني للكيان عائقًا في وجه تقدم أمريكا وبقاء استفرادها بالمكانة العالمية وتحقيق قيمها الديمقراطية، وهو ما يبرر الدعوة إلى إعادة مسار التفاوض والبحث عن تسوية للمضي قدمًا في استكمال اتفاقيات التطبيع التي شهدت تباطؤً ملحوظًا.

٢- صفقة القرن بين مساري التطبيع والتسوية

في جو من الصخب والصراع تشكلت حكومة الائتلاف الجديدة في إسرائيل بزعامة نفتالي بينيت، ضمن توليفة ضمت ثمانية أحزاب من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ومنها القائمة العربية الموحدة التي تعد أول حزب عربي (فلسطيني) ينضم لائتلاف حكومي منذ تأسيس الكيان الصهيوني، لينبئ عن تحالف هش يعج بالتناقضات لتيارات متناحرة على السلطة، تعجز عن لم الشرخ السياسي والاجتماعي على المستويين الداخلي والخارجي الذي أحدثه رئيس الوزراء السابق نتنياهو، المتابع في قضايا فساد، والذي اختزل علاقة الولايات بالكيان الصهيوني في علاقته مع الرئيس السابق ترامب ملغيًا بذلك العلاقة المؤسسية والتحالف العضوي بينهما، وهو ما دفع بوزيرة الخارجية السابقة تسيبي ليفني للقول إن ذلك سيشكل خطرًا على مستقبل العلاقة بين الجانبين[٦٢].

في هذا الإطار كان التوجس من انهيار اتفاق وقف إطلاق النار، وتخوف من وحدة الصف الفلسطيني، وتحسس لتأثيرات المعركة في المنطقة ومدى إفشالها للصفقة، ومساسها باتفاقيات التطبيع، رغم أن تاريخ الكيان الصهيوني يُظهر أنه لا يحدث تحولا جوهريًا في سياسته تجاه مشروعه الاستيطاني، غير أن المتغيرات الداخلية والخارجية رغم بشاعة جرائم الإبادة والاضطهاد، وعمليات تهيئة البيئة الإقليمية والدولية ومحاولات الاحتواء، لا يمكن ضمان ديمومتها على حالها، خاصةً بعد ما شهدته فلسطين من انبعاث للانتفاضة، لذلك من المرجح أن تعتمد الحكومة الجديدة دبلوماسية غير صدامية مع السلطة الفلسطينية، على غرار النهج المتبع مع إدارة بايدن[٦٣].

وهو ما يدفع بالكيان الصهيوني إلى إدراج ذلك في إستراتيجياته الخاصة بالحفاظ على علاقاته التحالفية مع أمريكا من جهة، وعلى ثبات ميزان القوى بتعزيز قوته وقدرته في المنطقة مقابل تدعيم ضعف الأنظمة العربية والإسلامية من جهة أخرى، ويستدعي ذلك صيانة المكاسب التي حصلتها حكومته السابقة من الرئيس السابق ترامب، بل ومواصلة إتمامها مع الإدارة الجديدة، بتكييف الصفقة عن طريق إقحام الأطراف المطبعة في مباشرتها، وفرضها على الطرف الفلسطيني وفق مسار التسوية، باستخدام طرقه الملتوية عبر دبلوماسية الإنابة التي حولت مصر وقطر من طرف في الصراع إلى وسيط فيه. هذا فضلا عن استخدام ورقة الإعانات إما منحًا أو منعًا، كأداة لتمرير أهدافه لتحقيق بيئة مواتية للصفقة، فيجعل من الوضع الإنساني في غزة، وترهل السلطة الفلسطينية مدخلا للمساومات البخسة، بربط إدخال المساعدات بشروط إسرائيلية تشمل أنماط المساعدات المالية وغير المالية، وقوائم المواد المسموح إدخالها وتوقيتاتها، والجهات التي تقدمها، مع العمل على عرقلة المساعدات من قطر، وإيران وتركيا، كما سيجعل

(62) Tzipi Livni, Opinion: Why Israel's Annexation of Parts of the West Bank would be a Historic Mistake, The Washington poste, 03 Febraury 2021, Accessed : 03 May 2021, 16 :05, https://2u.pw/fAIBg

(٦٣) محمد وتد، حكومة جديدة بإسرائيل.. رهينة للتناقضات واستمرارها منوط بنتنياهو، الجزيرة، ١٣ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٣ يونيو ٢٠٢١، الساعة: ٢٢:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/oQ4C2

موضوع الجنود الإسرائيليين الأسرى أو جثث قتلاهم، عند المقاومة في غزة جزءً من تلك المساومات في مرحلة ما بعد وقف القتال[٦٤]، معتمدًا في ذلك على تحالفه مع الولايات المتحدة في ناحية، وعلى الدول المطبعة في ناحية أخرى، محاولا تكريس بعض بنود الصفقة رغم ضعف أهمية طرحها أمام رفض الجانب الفلسطيني الكامل لها حتى دون الحاجة للنظر في تفاصيلها.

واقعيًا دحضت "معركة سيف القدس" مزاعم التطبيع ومراوغاته ومساعي التسوية وتلفيقاتها، والشكوك التي أثارتها حول الآفاق المستقبلية لمزيد من اتفاقيات التطبيع في ظل غياب تقدم ملموس في معالجة القضية الفلسطينية، بما يبديها أنها اتفاقيات أجريت بمعزل عن شعوب المنطقة ولحساب مصالح ضيقة. فقد صرح وزير الخارجية الأمريكي السابق مايك بومبيو أن صفقة الولايات المتحدة لبيع طائرات مقاتلة من طراز "أف-٣٥" إلى الإمارات العربية المتحدة كانت جزءً لا يتجزأ من "اتفاقيات إبراهيم"[٦٥]، كما جاء إعلان الرئيس السابق ترامب عن تطبيع العلاقات بين المغرب والكيان الصهيوني مقرونًا باعترافه بمغربية الصحراء، وبإقراره فتح قنصلية في مدينة الداخلة تقوم بمهام اقتصادية، من أجل تشجيع الاستثمارات الأمريكية.

ويضاف السودان إلى قائمة المطبعين نظير شطب الإدارة الأمريكية السابقة اسمه من قائمة الدول الراعية للإرهاب، وموافقة الكونجرس على قانون الحصانة السيادية له بإيعاز من اللوبي الصهيوني، وهو الذي يحصنه من أي دعاوى قضائية تخص الإرهاب، باستثناء تلك المتعلقة بهجمات الحادي عشر من سبتمبر، لتتجه أنظار السودانيين إلى مستقبل ملف التطبيع والتجاذبات حوله في الإدارة الأمريكية الجديدة. ومنذ ذلك الحين إلى غاية كتابة هذه الأسطر خاب أمل السودان من نتائج اتفاق التطبيع مع الكيان الصهيوني وسط استثمارات أمريكية غير كافية، فالإدارة الجديدة لم تف بوعد سابقتها بالاستثمار في مشروعات الزراعة والتكنولوجيا كون الاستثمارات المالية الكبيرة التي روجت لها كانت ستساعد في تسويق الاتفاقية للشعب السوداني[٦٦].

وتبقى خلفيات ودوافع تطبيع البحرين في الوقت الراهن غامضة لا تخرج من احتمال شراء التقنيات الإسرائيلية المتقدمة، بما في ذلك العسكرية، والتعاون في الجوانب الاقتصادية، والصحية، والسياحية وغيرها، وسواء رضي المطبعون أم لم يرضوا يواصل الكيان الصهيوني مساعي إنجاح التطبيع وإكسابه المصداقية في محاولة لتحقيقه على أرض الواقع رغم الرفض الشعبي القاطع له، وفي هذا المسعى يطلق كوشنر مستشار ترامب السابق وعراب صفقة القرن، معهدًا موسومًا بـ"إتفاقيات إبراهيم للسلام" تعزيزًا للتجارة والسياحة والتواصل بين إسرائيل والدول العربية[٦٧]، في محاولة لإيجاد واقع عملي للصفقة.

وعلى الرغم من دعم إدارة بايدن لعملية التطبيع، إلا أنها لم تقدم أي حوافز لها كالتي استخدمتها إدارة ترامب لإقناع المطبعين بالتوقيع، ولكون أن العلاقات الفلسطينية-الإسرائيلية قضية خلافية في الساحة العالمية، فليس هناك حافز كبير لدول

---

(٦٤) وليد عبد الحي، تقدير موقف: الآفاق المستقبلية لمعركة "سيف القدس"، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، مايو ٢٠٢١)، تاريخ الاطلاع: ٣١ مايو ٢٠٢١، الساعة: ١٨:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/nikay

(٦٥) إمي سبيرو، بومبيو: بيع مقاتلات إف-٣٥ للإمارات كان "بالغ الأهمية" لاتفاقيات إبراهيم، تاميز أوف إسرائيل العربية، ١٠ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١١ يونيو ٢٠٢١، الساعة: ١٣:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/DH1po

(٦٦) السودان تشعر بخيبة أمل من نتائج التطبيع مع إسرائيل- تقرير، تاميز أوف إسرائيل العربية، ١٦ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٧ يونيو ٢٠٢١، الساعة: ٤:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/q8EuT

(67) Ron Kampeas, Jared Kushner lanches Peace Institue to Advance Abraham Accords, The Times of Israel, 05 May 2021, Accessed: 06 May 2021, 2 ٣:05, https://2u.pw/5KU61

عربية إضافية للقيام بهذه الخطوة في الوقت الراهن[٦٨]، وعلى غرار ما طالبت به كل الإدارات السابقة لإدارة ترامب، ستسعى الإدارة الحالية في وقت لاحق بالعودة لإحياء مفاوضات تنادي فيها بحل الدولتين، غير أنها تمتنع حاليًا عن الإعلان عن أي مبادرات للسلام مخافة أن يمس ذلك باستقرار الحكومة الجديدة، وهو ما يُرجح تجمد ملف عملية السلام في ظل عدم وجود أي حاجة أو ضغط من الجانب العربي، وانشغال بايدن بملفات يراها أكثر خطورة على مصالح أمريكا[٦٩].

وتجدر الإشارة أنه في الوقت الذي أصر فيه بايدن على أمن إسرائيل واستقرارها على رفاة الشهداء في غزة، وقف على المنصة أمام العالم بأسره في حلف الناتو مؤكدًا وضع أوكرانيا في موضع يمكنها من الاستمرار في مقاومة العدوان الروسي، مبشرًا بإعداد أموال طوارئ في حالة حدوث توغل آخر، دعمًا لسيادة أوكرانيا وسلامة أراضيها[٧٠]. خطابان يتجلى خلالهما الفرق الشاسع بين الدبلوماسية والإستراتيجية في الاحتكام إلى المصالح، فحين تعلق الأمر بفلسطين والمنطقة، نادى بايدن بالمساواة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وتطرح هذه المساواة العديد من الأسئلة أكثر مما تجيب عنها، وسواء توفرت فرصة للضغط من أجل تغيير فعال، من خلال الابتعاد عن الشعارات الفارغة حول عملية سلام غير موجودة، وحل الدولتين غير المحتمل، إلى إتباع نهج قائم على القيم يركز على الحقوق والمساواة قد يقدم معيارًا يمكن من خلاله قياس المبادرات المستقبلية، غير أن الرؤية تساعد في تحريف النقاش السياسي حول جوهر القضية[٧١].

فمن المرجح أن تواصل إدارة بايدن تشجيع مزيد من الدول العربية على تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني، دون ممارسة ضغوط قوية أو ابتزاز الأنظمة العربية بهدف التقدم في هذا المسار، نظرًا للتراجع الملحوظ للتطبيع خاصة بعد المعركة الأخيرة، وقد لا تعتبر القدس عاصمة لدولة فلسطين المقترحة، كما لا تلتزم بإعادة السفارة الأمريكية إلى تل الربيع[٧٢].

وهذا ما يترك المبادرة في يد الكيان الصهيوني الذي سيجد طرقًا جديدة للتعامل مع الفلسطينيين وإثبات أن الصراع المستمر منذ عقود في طريقه إلى الحل عبر التسوية، وذلك بجعل الهدنة دائمة مع اتخاذ إجراءات لخلق انطباع بأنه لم يتراجع عن مصادرة منازل الشيخ جراح، وانتهاك الأقصى، في ظل تغييب دور الأمم المتحدة كمنظمة دولية في الإشراف على عملية التسوية وإيكالها إلى الطرف الأمريكي ودور مصري في التواصل مع المقاومة، وهو ما يُفتت أطراف الصراع العربية ويحصرها في الطرف الفلسطيني في ناحية، والطرف الإسرائيلي الآخر في الصراع المدعوم بالحليف التقليدي الأمريكي الطرف الخفي في معادلة الصراع من ناحية مقابلة.

خاتمة:

لقد مثلت الصفقة واتفاقات التطبيع انعكاسًا للحالة الحضارية الخطيرة للأمة التي شابها الوهن والتراجع والتفتت، واستبداد الأنظمة، وتبعيتها للخارج، في ظل انعدام مشروعها الحضاري الذي يخط لها مستقبلها، وفي الوقت الذي يحاول فيه الكيان الصهيوني

(68) Yoel Guzansky, Gerald M. Feierstein, The first test if the Abraham Accords, The Middele East Institue, 01 June 2021, Accessed: 2 June 2021, 09 :51, https://2u.pw/Y3zxw

(٦٩) محمد المنشاوي، مصير صفقة القرن بعد هزيمة ترامب، الشروق، ١٠ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ١٩ ماي ٢٠٢١، الساعة: ١٠:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/N17y8

(70) Statement Press Secretary Jen Psaki on Ukraine Security Assistance, The white House, 18 June 2021, Accessed: 19 June 2021, 5 :00, https://2u.pw/AAovv

(71) The middele east institue, Up for Debate: The Biden administration's approach to Israel/Palestine, The Middele East Institue, 21 June 2021, Accessed :21 June 2021, 10 :00, https://2u.pw/z94ko

(72) Blinken 'non-committal' on East Jerusalem as Palestinian capital, Aljazeera, 11 Febraury 2021, Accessed: 11 May 2021, 07 :30, https://2u.pw/sBHzD

تأكيد رسو مشروعه الصهيوني في المنطقة، فجاءت الصفقة كي تكرس العدوان الصهيوني بحماية أمريكية وسط تراجع عربي وإسلامي، وتغييب للدور الدولي لهيئة الأمم المتحدة، وغياب للمنظمات العربية والإسلامية، مع تهاو لمبادئ القومية العربية على المستوى الرسمي، وبتعاون من أنظمة عربية أسهمت في مسار التطبيع وتكريس "اتفاقات إبراهيم"، ما أبدى أن كل السبل مهيأة في وجه حلم إسرائيل الكبرى، وعزم الكيان على إلغاء العرب من ذاكرة تاريخ فلسطين، فيحاول تهويد القدس ويعلنها عاصمة له، ويُلغي حق عودة اللاجئين، ويضع يده على ما بقي من الأراضي ومنابع المياه، فلا أحد على المستوى الرسمي يجرؤ على محاسبته في ظل الوهن، ويتعزز دعمه بحليفه الإستراتيجي الأمريكي الذي بارك الصفقة واتفاقات التطبيع مع العزم على تكريسها، مؤكدًا مرارًا على لسان رئيسه الجديد وفريق إدارته أن لا مساس بأمن إسرائيل واستقرارها.

وبعد انسياق بعض الأنظمة العربية المهرولة نحو اتفاقات التطبيع سرًا وجهرًا، تتباطأ مساراتها في ظل رفض شعبي لها وانعدام الإيفاء بالوعود من قبل الكيان الصهيوني، وسكوت عن تقديم الامتيازات من طرف الفريق الجديد، فقد كان لمعركة "سيف القدس" وتأكيد المقاومة لفاعليتها وشرعيتها داخليًا وخارجيًا، وقعًا على مسار التسوية واتفاقات التطبيع، فزعزعت مصداقية الصفقة التي أراد الكيان الصهيوني أن تكون مسرى للتطبيع مع الفلسطينيين، وإلغاء وجودهم وحقوقهم باسم تحقيق الازدهار الاقتصادي، لذلك يحاول مواراة هزيمته بدعوى أن "اتفاقات إبراهيم" اجتازت اختبار المعركة بسلام، كونها جاء في إطار مساومات ووعود ينتظر المطبعون تجسيدها على أرض الواقع.

وتتراجع الأنظمة المطبعة أثناء معركة "سيف القدس" ووقعها على المستوى العربي- الإسلامي، التي نفخت في روح الأمة للتطلع نحو حلم تحرير فلسطين واسترجاعها من جديد بعدما ظن الأغلبية أنها قد خبت، وكذا على المستوى العالمي، عبر حجم التعاطف الشعبي الذي حصده الفلسطينيون جراء بشاعة العدوان، وتقديم الصورة الحقيقية للقضية إلى الرأي العام العالمي، وفتح مسارات جديدة في سبيل كسب معركة الوعي العالمي، كل تلك التحولات أربكت خطوات الكيان الصهيوني فسيرت صفقته صفقة مشلولة في الوقت الراهن، تبحث لها عن مبررات في الواقع، وسندًا من الرئيس الجديد وفريق إدارته، وعونًا من الدول المطبعة، ولعل الوضع الراهن للولايات المتحدة يوجه الأدارة الجديدة نحو أولويات الداخل على الخارج، وأولوية تحالفه في مجابهة الصين وروسيا على انشغاله بتوترات الشرق الأوسط.

إن مجرد تغيير اللهجة لا يرتق إلى إحداث منعطف في السياسة الخارجية الأمريكية ومقارباتها، كما أنه ليس من شأنه التأثير فعلا في القرار السياسي الأمريكي على المدى المنظور، لكن الجدير بالملاحظة أن الوضع القائم قد حرك سواكن الدعم المطلق لإسرائيل في السياسة الأمريكية، كما زعزع الوعي العام العالمي الذي صنعه الكيان الصهيوني بترسانته الإعلامية العابرة للحدود، كي يُنبئ عن بداية وعي جديد بالقضية، فالتحولات الحاصلة في الكيان الصهيوني وائتلافه الحكومي الهش، وفي المنطقة، وفي الداخل الأمريكي، **وجل المؤشرات تبعث على القول بفشل الصفقة في الوقت الراهن، فلطالما لفظت البيئة العربية والإسلامية الكثير من مشاريع الاستيطان وصفقاته حتى وإن هُيئت لها كل الظروف**، من قبيل محاولات طمس الهوية واجتثاث الأصول، ذلك أن الكيان الصهيوني وإن أضر بالجوانب المادية والنفسية للأمة، تبقى الجوانب الروحية والقيمية تحفظ شيئًا من قداستها، وهي البارزة في الرباط بالمسجد الأقصى وما يمثله من بعد ديني عميق في قلب الأمة، كونه جوهر القضية وعنصر التفاف الأمة، فمن الضرورة تقدير أهمية المعركة فيه، والارتقاء بها إلى مستوى المواجهة، باعتبارها المسار المركزي لتصفية القضية على مستوى الهوية، ودحض أي محاولة لإعادة تسويق مشاريع إسرائيل داخليًا، وبينيًا وخارجيًا.

إن السبيل نحو فك الترابط التاريخي بين إسرائيل والولايات المتحدة الممجدة لمصلحتها هو جعلها عبئا عليها، ومجابهة المشاريع الخارجية الدخيلة بمشاريع داخلية أصيلة ومضادة، وذلك لا يتم إلا بالوحدة في صفوف الأمة والالتفاف حول ضرورة بعثها الحضاري وفق مشروع حضاري يرسم لها مكانتها بين الأمم، وذلك يستدعي الوعي بالكثير من الأوليات والضرورات تستوجب قبل كل شيء بناء أفراد ومجتمعات وقيادات الأمة وكوادرها حضاريًا.

*****

فلسطين: من تعثر المصالحة والانتخابات إلى هبَّة القدس

عبد الرحمن عادل*

مقدمة:

كان الرئيس الفلسطيني محمود عباس، قد أصدر في ١٥ يناير من العام الجاري، مرسومًا رئاسيًا حدد فيه مواعيد إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية والمجلس الوطني على ثلاث مراحل، لتكون المرة الأولى منذ ١٥ عامًا، التي تُنظم فيها مثل هذه الانتخابات، وحدد يوم ٢٢ مايو من العام نفسه لإجراء الانتخابات التشريعية، ويوم ٣١ يوليو للانتخابات الرئاسية، على أن تعتبر نتائج انتخابات المجلس التشريعي المرحلة الأولى في تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني، وأن يتم استكمال انتخابات المجلس الوطني في ٣١ أغسطس لعام٢٠٢١[١].

جاء إصدار مرسوم الانتخابات نتيجة حوارات مطولة جرت بين ممثلي حركتي "فتح" و"حماس" في إسطنبول، والتي عُقدت على خلفية مخطط إسرائيل لضم مناطق من الضفة الغربية وردًّا على اتفاقات التطبيع التي توصلت إليها مع عدد من الدول العربية برعاية الولايات المتحدة. وقد أسفرت حوارات إسطنبول عن إعلان الحركتين، في ٢٤ سبتمبر٢٠٢٠، عن "رؤية مشتركة" تستند إلى المسارات التي توصل إليها مؤتمر الأمناء العامين للفصائل الفلسطينية الذي انعقد مطلع سبتمبر٢٠٢٠، في كل من بيروت ورام الله؛ حيث كان التوافق على إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية وانتخابات المجلس الوطني، أحد هذه التوافقات وقد جاءت هذه الخطوة بعد مرور أكثر من ١٣ عاما على الانقسام السياسي والجغرافي بين أطراف النظام السياسي الفلسطيني ومؤسساته، وبين الضفة الغربية وقطاع غزة، وبعد أن أخفق الطرفان في تطبيق اتفاقيات إنهاء الانقسام واستعادة الوحدة الوطنية بدءًا من إعلان مكة ٢٠٠٧، وانتهاءً باتفاق القاهرة ٢٠١٧[٢].

ثم عاد الرئيس الفلسطيني عباس بنهاية شهر أبريل من العام الجاري (٢٠٢١)، ليعلن تأجيل الانتخابات التشريعية، بذريعة أن إسرائيل لم توافق على إجراء الانتخابات في القدس الشرقية. غير أن هذا المبرر واجه رفضًا عارمًا في الداخل الفلسطيني ولم يبدُ مقنعًا لكثيرٍ من الفلسطينيين. وقد أعلنت إسرائيل أنها لم تبلِغ السلطة الفلسطينية بقرار رفضها لإجراء الانتخابات في القدس، وأن السلطة الفلسطينية لم تتسلم كتابًا خطيًا رسميًا من إسرائيل بهذا الرفض، كما أن الاتحاد الأوروبي ذاته الذي توسط بين الجانبين أعلن أنه لم ينقل رفضًا إسرائيليًا واضحًا وصريحًا بإجراء الانتخابات في القدس، بعكس ما تحدث به عباس خلال خطابه الأخير. وعلى الصعيد الإجرائي، ذكر مسؤول في لجنة الانتخابات المركزية الفلسطينية أن "جملة خيارات وبدائل توفرت لإجراء الانتخابات في شرقي القدس، أولها وضع محطات اقتراع في منشآت للأمم المتحدة بالقدس، وثانيها الحصول على موافقات من السفارات الأوروبية في القدس كي تكون مراكز اقتراع للفلسطينيين، وثالثها تسهيل التصويت الإلكتروني للناخبين المقدسيين، لكن السلطة الفلسطينية رفضت كل هذه العروض"[٣].

---

* معيد بقسم العلوم السياسية– جامعة حلوان.

(١) صالح النعامي، الانتخابات الفلسطينية ٢٠٢١: السياق والتوقعات، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٩ يناير ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ مايو ٢٠٢١، ص٢، متاح على الرابط التالي: https://studies.aljazeera.net/ar/article/4902 .

(٢) عزام شعث، اتفاق إسطنبول بين حركتي فتح وحماس .. دوافعه وآفاقه، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية، ٨ أكتوبر٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٠ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط: https://2u.pw/gudXR.

(٣) عدنان أبوعامر، تأجيل الانتخابات الفلسطينية: الأسباب والتداعيات، مركز كارنيغي، ٧مايو٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٥مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://carnegieendowment.org/sada/84493.

ثم كانت الأحداث التي اشتعلت في فلسطين في غضون تلك الفترة، والتي سميت بـ"هبَّة القدس"، والتي شغلت الساحة الفلسطينية الداخلية، ولفتت الأنظار لفترة عن مسألة الانتخابات والمصالحة، وقد ترتب على هذه الهبَّة تغيرات عديدة على المستوى الداخلي الفلسطيني. نركز في هذه الورقة على تناولها في ضوء عملية المصالحة والانتخابات التي تم تأجيلها.

أولًا– المصالحة والانتخابات الفلسطينية:

(أ) دوافع ومسار المصالحة الفلسطينية

عقب جولات عديدة من المفاوضات بين طرفيْ الصراع الفلسطيني (فتح وحماس)، كان آخرها جولة اسطنبول التي انتهت ٢٤ سبتمبر ٢٠٢٠، وافقت حركة حماس أخيرًا على الذهاب إلى انتخابات تشريعية ورئاسية وللمجلس الوطني بالتوالي والترابط، ودون شرط التزامن. وقد جاءت هذه الموافقة، لتعيد إحياء جهود المصالحة، التي توقفت في النصف الثاني من نوفمبر ٢٠٢٠ عقب إعلان وزير الهيئة العامة للشؤون المدنية الفلسطينية حسين الشيخ، عودة التنسيق الأمني بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل.

وقد جاءت هذه "المصالحة" أو الرؤية المشتركة التي تم التوصل إليها، مدفوعة بعدة **أسباب** فرضتها الظروف المحيطة بالسلطة الفلسطينية وتطورات الأوضاع الدولية والإقليمية بشكل عام، ومن هذه الأسباب(٤):

١- إدراك الحركتين للضغوط والمخاطر الخارجية التي تتعرض لها القضية الفلسطينية، والتي بدأت مع الإعلان عن صفقة القرن التي أعدّها وأعلن عنها الرئيس الأمريكي السابق "دونالد ترمب" في ٢٨ يناير ٢٠٢٠، وما تبعها من إجراءات إسرائيلية لتصفية القضية الفلسطينية.

٢- الأزمة التي تعصف بالسلطة الفلسطينية في الناحيتين السياسية والمالية بعد أن تعثرت عملية التسوية السياسية مع إسرائيل منذ عام ٢٠١٤، وما تلاها من إعلان الرئيس الفلسطيني في ١٩ مايو ٢٠٢٠ "تحلل السلطة الفلسطينية من جميع الاتفاقيات والتفاهمات مع الولايات المتحدة وإسرائيل –بما فيها الأمنية– ردًا على قرار ضم أجزاء من الضفة الغربية"، بالإضافة إلى ما تعانيه السلطة الفلسطينية من أزمة مالية خانقة على خلفية رفضها استلام أموال المقاصة التي تجبيها إسرائيل بالنيابة عنها، وعدم قدرتها على الوفاء بدفع رواتب موظفيها كاملة، والإنفاق على القطاعات الخدمية فيها.

٣- الفشل في إدارة الشأن العام في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ إذ أن الحركتين اللتين تديران المنطقتين لم تقدما نموذجًا ناجحًا في إدارة الحكم، ولم تُخففا من واقع الأزمات والضغوط والتدهور الكارثي على المستويين الاقتصادي والاجتماعي لعموم الفلسطينيين في الضفة وغزة، بحيث ارتفعت معدلات الفقر والبطالة إلى نسب غير مسبوقة، لتصل معدلات الفقر إلى ١٤% في الضفة الغربية و٥٣% في قطاع غزة، ومعدلات البطالة إلى ١٤% في الضفة الغربية و٤٦% في قطاع غزة، وكان القطاع الأكثر تأثرًا جراء الانقسام الداخلي والحصار الإسرائيلي المشدد عليه منذ ما يزيد عن ١٤ عامًا.

٤- موجة التطبيع التي اجتاحت الأقطار العربية، والتي بدأت بالاتفاق الإماراتي– الإسرائيلي في ١٣ أغسطس ٢٠٢٠ تلتها البحرين ثم السودان ثم لحقتهم المغرب.

غير أن السياق الداخلي الفلسطيني والوضع السياسي الذي جاءت فيه هذه المصالحة، لم يكن يُشير إلى نجاحٍ محتمل لهذه المصالحة، وذلك للاعتبارات التالية(٥):

١- استمرار قيادة السلطة الفلسطينية في التأكيد على خطها السياسي نفسه، مما يعني تمسكها بمسار التعاون مع إسرائيل، ومن ثم استحالة فك السلطة عن الاحتلال، أو مواجهة

(٤) عزام شعث، اتفاق إسطنبول بين حركتي فتح وحماس .. دوافعه وآفاقه، مرجع سابق.

(٥) ساري عرابي، مسارات المصالحة.. جذور الأزمة وبدائل التجربة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، يناير ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٤يوليو ٢٠٢١، متاح على الرابط: https://cutt.us/XU2E7، ص ص ١٤، ١٥.

تداعيات المسار الخطيرة على القضية الوطنية من داخل المسار نفسه، فقد صرح الرئيس عباس عدة مرات، سواء في اجتماع القيادة في رام الله أو في مؤتمر الأمناء العاملين، بتمسكه بالمفاوضات، ونبذه لما سماه "الإرهاب" ودعوته لعقد مؤتمر دولي للسلام، مشخصًا المشكلة في القيادتين الأمريكية والإسرائيلية الراهنة، لا في المسار نفسه.

٢- لم تكن خطوة ضم أراضي من الضفة الغربية -الذي اتخذته إسرائيل ومثّل دافعًا للتقارب بين الحركتين- أقل خطورة من سلسلة قرارات إدارة ترامب، المتعلقة بالقدس أو المستوطنات أو اللاجئين أو الإعلان عن صفقة القرن. وبالرغم من ذلك فإن شيئًا لم يتغير في الواقع من سياسات السلطة، أو يدفع حركة فتح لتطوير أدوات مقاومة شعبية فاعلة، أو يسرّع التقارب بين الحركتين، مما يعزز الرأي القائل بأن ما أبدته حركة فتح من تقارب تجاه حماس، كان مناورة لشراء الوقت إلى حين الانتخابات الأمريكية، ثم النظر في إمكانية تجديد شرعية السلطة الفلسطينية وخطها السياسي بغطاء من حماس نفسها، ودون الوصول بالأخيرة إلى منظمة التحرير الفلسطينية.

٣- لم تأخذ السلطة خطوات جدية لتهيئة الأجواء، ولا حتى أثناء الحوارات، كوقف الاعتقالات والاستدعاءات السياسية، ودفع رواتب نواب حماس، ومخصصات بعض أسراها، ورفع الحظر عن مواقع حماس الإلكترونية، بل واجهت المطالبةَ بتهيئة الأجواء انتقاداتٌ من عزام الأحمد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح.

(ب) الانتخابات الفلسطينية: الدعوة والتأجيل

ومن ناحية أخرى جاء المشهد الانتخابي داخل فلسطين مُعبّرًا عن حالة ضعف وتشرذم عام، وخاصة داخل صفوف السلطة الفلسطينية؛ فمن جانب تعاني السلطة وحركة فتح من ثلاث أزمات رئيسة[٦]:

- أولها أزمة داخلية: تمثل أحدث مؤشراتها في قرار فصل قيادة حركة فتح لناصر القدوة عضو لجنتها المركزية منذ ٢٠٠٩، وقد جاء القرار في ٢٠٢١/٣/١١ بعد إصرار القدوة على تشكيل قائمة منفصلة عن القائمة الرسمية لفتح، باسم "الملتقى الوطني الديموقراطي"، للمشاركة في انتخابات المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية، والتي تضم شخصيات من حركة فتح نفسها وشخصيات وطنية مستقلة. حيث رأت قيادة فتح في سلوكه تمردًا عليها وتشجيعًا لتشرذمها، وإضعافًا لها في اللحظة الحرجة، إذ أن قائمة القدوة تميزت بارتفاع حظوظها في اجتياز نسبة الحسم، والحصول على عدد من المقاعد على حساب القائمة الرسمية لفتح. أما مروان البرغوثي، عضو اللجنة المركزية لفتح، والرمز الفتحاوي الكبير الذي يعاني من الأسر في سجون إسرائيل وبالحكم بخمسة مؤبدات، فقد أعلن عن توجهه النزول في انتخابات الرئاسة الفلسطينية؛ بخلاف موقف قيادة فتح التي ترشح عباس للمنصب؛ في الوقت الذي يحظى فيه البرغوثي بفرص أقوى؛ حيث تصب كافة استطلاعات الرأي طوال السنوات الماضية لصالحه في حالة نزوله انتخابات الرئاسة.
- والأزمة الثانية داخل فتح هي أزمة قيادة متمثلة في محمود عباس، الذي بلغ السادسة والثمانين من عمره، وتمكن من التحكم بجميع السلطات والصلاحيات وإضعاف أي منافسين محتملين. وبات هناك ثمة مخاوف ألا يتمكن قائد فتح الجديد من ملء الفراغ واستيعاب حركة فتح بكافة تشابكاتها وتداخلاتها. بينما يحاول محمد دحلان وبدعم إماراتي أن يعيد موضعة نفسه ليكون المرشح الأقوى لخلافة عباس. كما عكس

(٦) محسن محمد صالح، حركة فتح وأزماتها في ظلّ استحقاقات المرحلة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٣ مارس٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٤يوليو ٢٠٢١، متاح على الرابط: https://cutt.us/QEBIw.

قيام قيادات في فتح بتشكيل قوائم انتخابية خارج القائمة الرسمية جانبًا من أزمة فتح القيادية.

- والأزمة الثالثة هى أزمة المسار الاستراتيجي، التي تبرز كأزمة كبرى تواجه حركة فتح ليس فقط في خياراتها السياسية، وإنما أيضًا في صلب هويتها ورؤيتها وأهدافها؛ فقد دخلت الحركة منذ المجلس الوطني التاسع عشر في منتصف نوفمبر ١٩٨٨، ثم بشكل أكثر تحديدًا وحسمًا في اتفاقيات أوسلو ١٩٩٣، في مسار التسوية السلمية، مع تحمل أوزار التنازل عن معظم فلسطين التاريخية، وإلغاء أو تعطيل الميثاق الوطني الفلسطيني، وتقزيم منظمة التحرير الفلسطينية، لصالح تشكيل سلطة فلسطينية، فشلت في التحول إلى دولة مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، بينما تمكن العدو من تحويلها مع الزمن إلى أداة وظيفية تخدم أغراض الاحتلال ومتطلباته الأمنية، أكثر مما تخدم تطلعات الشعب الفلسطيني، كما توفر غطاءً لمشاريعه التهويدية والاستيطانية وقمع قوى المقاومة. وبالتالي قادت الشعب الفلسطيني، من خلال المنظمة والسلطة، إلى مسار مسدود لا يحمل فرص تحقيق الحد الأدنى من البرنامج، الذي دخلت على أساسه مسار التسوية. وفي الوقت نفسه، ما زالت قيادتها تُصر على مسار التسوية كمسار وحيد، وترفض خيار المقاومة المسلحة والانتفاضة. وهو ما قد يجعل فتح عرضة لأن تتجاوزها المرحلة وتتجاوزها حركة التاريخ، إن لم تقم بمراجعة حقيقية لمساراتها.

وفي المقابل، نجد أن حماس أيضا تواجه عدة مشكلات فيما يتعلق بخوضها لهذه الانتخابات، أبرزها[٧]:

١- قدرة الاحتلال على التحكم بكامل الضفة الغربية، بما في ذلك هيمنته على مجال السلطة الفلسطينية، ومن ثم وفي تكرار لتجربة ٢٠٠٦، قد يتجه الاحتلال لاعتقال جميع النواب – أو أكثرهم– الممثلين للخط السياسي لحركة حماس، مما يخلي ساحة الضفة الغربية من أى منافس لفتح.

٢- لم يتغير شيئًا منذ انتخابات ٢٠٠٦، من حيث ابتزاز المنظومتين الإقليمية والدولية لحركة حماس، لحملها على القبول بشروط دمجها في النظام السياسي الفلسطيني، أو أن يدور الانقسام مجددًا في حلقة مفرغة على أرضية أسلو.

٣- كما أن حماس ليست في أحسن أحوالها أيضًا، فجهازها التنظيمي مفكك في الضفة، وهو أمر سينعكس على قدرتها على إدارة كفء للعملية الانتخابية.

في النهاية، قدمت ست وثلاثون قائمة انتخابية أوراق ترشيحها إلى اللجنة المستقلة للانتخابات؛ حيث كانت حركة فتح "الرسمية" آخر من قدم مرشحيه في الساعة الأخيرة قبيل إغلاق باب التسجيل. وثمة أكثر من عشرين قائمة قدمت نفسها كقوائم مستقلة غير حزبية. وربما عكس ذلك جانبًا من الحيوية في البيئة السياسية الفلسطينية؛ غير أنه يعكس في الوقت نفسه حالة من عدم الثقة والإحباط لدى قطاع لا يستهان به من المستقلين تجاه الفصائل الفلسطينية وأدائها، كما يعكس حالة من "التشرذم" لدى المستقلين أنفسهم، حيث لم تنجح معظم قوائمهم في تكوين أسس صلبة، تُمكنهم على الأقل من تجاوز نسبة الحسم التي تسمح بدخول أعضاء منهم في المجلس التشريعي[٨].

وهكذا، وفي وظل هذا الوضع المأزوم في الداخل الفلسطيني، والسلطة المهترئة المتكلسة بقيادة محمود عباس، كان القرار الذي اتخذه عباس في ٢٩ ابريل ٢٠٢١ بتأجيل الانتخابات قرارًا متوقعًا، يعكس أزمة الداخل الفلسطيني وتشرذم أطرافه. كما تُظهر قراءة المشهد الداخلي الفلسطيني تهافت الادعاء الذي أعلنه عباس حول سبب تأجيل الانتخابات، والقائل بأن التأجيل جاء بسبب أن إسرائيل لم توافق على إجراء الانتخابات في القدس الشرقية. والواقع

(٧) ساري عرابي، مسارات المصالحة..جذور الأزمة وبدائل التجربة، مرجع سابق، ص ص ١٨، ١٩.

(٨) محسن محمد صالح، خريطة انتخابات المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٣ابريل ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٤يوليو ٢٠٢١، متاح على الرابط: https://cutt.us/RZr5M.

أنه كانت هناك **دوافع أخرى خلف قرار التأجيل**، يمكن استقرائها في ضوء المعطيات التالية[٩]:

١. حالة التشظي وانقسام حركة فتح إلى ثلاث قوائم؛ أولها تابعة لعباس المسماة "العاصفة"، وثانيها تابعة لمروان البرغوثي المسماة "الحرية"، وثالثها تابعة لمحمد دحلان المسماة "المستقبل"؛ فالبرغوثي ودحلان خصمان لدودان لعباس، وينتظران موعد الاستحقاق الدستوري لإجراء الانتخابات للإطاحة به.

٢. زيادة فرص حماس بتحقيق انتصار كاسح في ضوء استطلاعات الرأي التي منحتها تفوقًا واضحًا أمام قوائم فتح المنقسمة والمبعثرة، ما دفع عباس لاتخاذ قرار نهائي بالتأجيل، خشية تكرار ذات الانتكاسة التي حصلت في انتخابات ٢٠٠٦، حين فازت حماس بـ٧٦ من أصل ١٣٢ مقعدا في المجلس التشريعي، لاسيما أن حماس قامت بتحضيرات انتخابية مكثفة في الفترة السابقة على الانتخابات، سواء من خلال قائمتها الموحدة، أو من خلال اختيار مرشحيها من الكفاءات العلمية والأكاديمية المشهود لها، إضافة إلى تلميحها لإمكانية إبرام تحالفات انتخابية مع قوائم أخرى.

٣. إضافة للأسباب الفلسطينية الداخلية، برزت تدخلات عربية وإقليمية ساهمت بدورها في تأجيل الانتخابات، فقد زار مقر الرئاسة الفلسطينية في الأشهر الماضية رئيسا جهاز المخابرات المصرية عباس كامل، والأردنية أحمد حسني، والتقيا عباس في أواسط يناير، في محاولة لثنيه عن الاستمرار بإجراء الانتخابات، خشية منهما من فوز محقق لحماس، ما سيترك تبعاته على أوضاع مصر والأردن الداخلية. ومن جهتها، أوفدت الحكومة الإسرائيلية في مارس ٢٠٢١ نداف أرغمان رئيس جهاز الأمن العام– الشاباك– للقاء عباس في رام الله، في محاولة أخيرة لإقناعه بالتراجع عن الانتخابات، في ظل المعطيات الأمنية المتوفرة لدى إسرائيل، التي تفيد بأن حماس ستحقق فوزًا كبيرًا، وأن فتح ستعود بخسارة مدوية في ظل انقساماتها المتلاحقة. إضافة إلى ذلك، هددت إسرائيل السلطة الفلسطينية أكثر من مرة بأن فوز حماس في الانتخابات القادمة سيعني مقاطعتها، ووقف تحويل الأموال إليها، وتجميد التنسيق الأمني معها، ما اعتبر رسالة تحذير إسرائيلية شديدة اللهجة للسلطة الفلسطينية، التي ترى نفسها مرتبطة بحبل سري مع إسرائيل: أمنيًا وماليًا.

وبهذا يتضح الدافع الحقيقي خلف قرار التأجيل، الذي أحدث هزة في الداخل الفلسطيني وشكك في مصداقية السلطة الفلسطينية في رغبة الوصول إلى مصالحة حقيقية وإنهاء فعلي للانقسام الفلسطيني. وقد لاقت السلطة الفلسطينية انتقادات حادة من حماس و١٥ قائمة انتخابية فلسطينية، وأكدوا جميعهم رفضهم لقرار التأجيل، واتفقوا على تشكيل لجنة قانونية للقوائم والتشاور مع المجتمع المدني والشخصيات الوطنية الفاعلة، للتمسك بإجراء الانتخابات في مواعيدها المحددة[١٠]. حتى كانت أحداث هبَّة القدس والتي شغلت الداخل الفلسطيني قليلًا عن مسألة الانتخابات.

ثانيًا– العدوان الإسرائيلي ومقاومته من منظور الداخل الفلسطيني

(أ) هَبَّة القدس: الأسباب والدوافع

شهدت فلسطين هبَّة شعبية شاملة بدأت بوادرها منتصف شهر أبريل من العام الجاري، مع وضع سلطات الاحتلال حواجز حديدية في ساحة باب العامود المؤدية إلى البلدة القديمة في القدس والمسجد الأقصى في الأيام الأولى من شهر رمضان. واشتدت مع دعوات المستوطنين المتطرفين لاقتحام المسجد الأقصى في شهر مايو، بمناسبة احتفالاتهم بذكرى احتلال القدس الشرقية، ومساعي

(٩) عدنان أبوعامر، تأجيل الانتخابات الفلسطينية: الأسباب والتداعيات، مرجع سابق.

(١٠) عنتر فرحات، "حماس" و١٥ قائمة فلسطينية ترفض تأجيل الانتخابات، المصري اليوم، ٢٨ ابريل ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3yw4KlH

سلطات الاحتلال تنفيذ مخطط لإخلاء عائلات فلسطينية قسرًا من منازلها في حي الشيخ جراح في القدس الشرقية وإحلال مستوطنين مكانهم. وتوسعت مع اقتحام جنود إسرائيليين للمسجد الأقصى والاعتداء بالضرب على المصلين فيه. ثم شهدت القدس في العشر الأواخر من شهر رمضان الماضي، مواجهات شديدة بين الفلسطينين من جهة وقوات الشرطة الإسرائيلية –وأحيانًا بمشاركة التنظيمات اليهودية المتطرفة– من جهة أخرى، وهى المواجهات التي اصطلح الفلسطينيون على تسميتها "هبَّة القدس".

وقد تفجرت هذه المواجهات إثر ثلاثة تطورات رئيسة[١١]:

- أولها: صدور قرارات قضائية إسرائيلية قضت بإخلاء ١٢ منزلًا فلسطينيًا في حي "الشيخ جراح"، الذي يعد أحد أحياء القدس الشرقية، من قاطنيها وتسليمها للسكان اليهود.
- وثانيها: إغلاق شرطة الاحتلال مدرجات حي "رأس العامود"، التي تعد من المعالم الوطنية الفلسطينية المهمة في القدس، والتي تمثل محطة يلتقي عندها الفلسطينيون المتجهون إلى الأقصى.
- وثالثها: السماح للجماعات اليهودية المتطرفة بتنظيم مسيرات استفزازية في الأحياء الفلسطينية من المدينة، واقتحام شرطة الاحتلال المسجد الأقصى.

ويأتي هذا التحرك الإسرائيلي ضد الفلسطينيين في إطار ما يُسمى بمخطط "القدس الكبرى"، وهو مخطط كانت قد وضعته الحكومة الإسرائيلية بالتعاون مع بلدية الاحتلال في المدينة في ٢٠١٨، بعد إعلان الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب اعترافه بالقدس عاصمة لإسرائيل وقراره نقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى المدينة. ويرمي مخطط "القدس الكبرى" إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة[١٢]: أولًا: توسيع السيطرة اليهودية على الحيز الجغرافي في تخوم القدس لتكريس فصل المدينة عن محيطها الفلسطيني في الضفة الغربية عبر بناء طوق من المستوطنات يلف المدينة من الشمال والشرق والجنوب. ثانيًا: الحفاظ على تفوق ديمغرافي لليهود؛ بحيث لا تقل نسبة تمثيلهم عن ٧٢% من إجمالي سكان المدينة مقابل ٢٨% للفلسطينيين. ثالثًا: تفتيت الوجود الفلسطيني في المدينة عبر إيجاد جيوب استيطانية يهودية في قلب الأحياء الفلسطينية داخل القدس الشرقية.

ويفسر السعي لتحقيق الهدف الثالث تحديدًا قرار إخلاء بيوت الفلسطينيين في حي "الشيخ جراح"، مع العلم بأن الجمعيات الاستيطانية رفعت دعاوى مماثلة للسيطرة على منازل في الأحياء الفلسطينية الأخرى في القدس الشرقية، والتي تشمل: البلدة القديمة، وسلوان، والطور، ورأس العامود، وبيت حنين. لأن تكوين جيوب استيطانية في قلب الأحياء الفلسطينية المقدسية يمكِّن إسرائيل من قطع التواصل الديمغرافي والجغرافي الفلسطيني وتفتيته؛ وهي تفترض أن استقرار هذه الجيوب سيردع الفلسطينيين عن مواصلة البقاء في هذه الأحياء؛ ما سيساعد سلطات الاحتلال على استكمال مخطط تهويد المدينة.

إن التصعيد الشعبي ضد الاحتلال الاسرائيلي ليس جديدًا، بل هو تصعيد متجدد ومستمر منذ سنين؛ حيث يمكن ملاحظة أن الأوضاع السكانية للفلسطينين في القدس أصبحت في العقدين الأخيرين تميل إلى التصعيد الشعبي على شكل هبَّات جماهيرية تحدث على فترات تتراوح ما بين سنة ونصف إلى سنتين تقريبًا بين الهبَّة والأخرى. بدأ ذلك فعليًا منذ هبة الفتى محمد أبو خضير (الذي قُتل تعذيبًا على أيدي مستوطنين) عام ٢٠١٤، لتتصاعد في انتفاضة السكاكين بالقدس عام ٢٠١٥، ثم هبَّة باب الأسباط والبوابات الإلكترونية عام ٢٠١٧، ثم هبَّة باب الرحمة عام ٢٠١٩، لتصل أخيرًا إلى هبَّة باب العامود وأحداث ٢٨ رمضان عام ٢٠٢١، وعند دراسة هذا النمط في الحراك الشعبي في القدس فإنه يلاحظ أنه بدأ فعليًا يأخذ هذا الشكل المتتالي بعد ضرب عملية "الرباط" التي كانت ترعاها عدة مؤسسات تابعة للحركة الإسلامية

(١١) مركز الجزيرة للدراسات، هبة القدس: الصراع على معادلة ردع جديد، مركز الجزيرة للدراسات، ١٢ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٢ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط: https://bit.ly/36jyYwk، ص٢.

(١٢) المرجع السابق، ص٣.

الشمالية داخل الخط الأخضر* عام ٢٠١٤، حيث تم إغلاق هذه المؤسسات؛ ما جعل المسجد مكشوفًا ونقل المسؤولية في الدفاع عنه والتعامل مع الإجراءات الإسرائيلية للأفراد والمجتمع المقدسي مباشرة(١٣).

(ب)سمات هبَّة القدس الأخيرة:

رغم أن النضال الفلطسيني في القدس مستمر من قديم، إلا أن هذه الهبَّة الأخيرة كانت مختلفة عن سابقيها، بما امتازت به من سمات مغايرة، أهمها:

أولًا: بروز المقاومة الشعبية العفوية على نضال المقدسيين بعيدًا عن العمل الحزبي والفصائلي المنظم، فبعد حراك عفوي شبابي غير منظم، أجبر المقدسيون الشرطة الإسرائيلية على إزالة الحواجز الحديدية من ساحة باب العمود في ٢٥ أبريل ٢٠٢١، بعد أسبوعين على نصبها. كما دفع نضال المقدسيين بمشاركة شباب وطلاب جامعيين من أراضي ٤٨ المحكمة العليا الإسرائيلية في مايو ٢٠٢١ على تأجيل البت في ملف طرد عائلات فلسطينية من منازلهم بحي الشيخ جراح، بعد طلب قدمه المستشار القانوني للحكومة الإسرائيلية، أفيخاي مندلبليت، جاء عقب مظاهرات يومية طالبت بإنقاذ الحي من التهجير القسري والتطهير العرقي لسكانه. كما قدم المقدسيون والمتضامنون معهم –مستفيدين من تراكم خبرة نضالية في السنوات الخمس الأخيرة– أشكالًا متنوعة من المقاومة الشعبية ضد سلطات الاحتلال؛ ففضلًا عن المظاهرات اليومية، كثفوا من استعمال وسائل التواصل الاجتماعي لإيصال صوتهم إلى العالم وتشجيع الفلسطينيين على القدوم إلى القدس، وتكثيف تفاعل عدد من المؤثرين على وسائل التواصل الاجتماعي في العالم لكتابة منشورات ونشر صور وتسجيلات مصورة عن جرائم الاحتلال في القدس. كما تعززت أشكال التضامن والتكافل الاجتماعي في القدس، بإقامة الصلوات وتناول الإفطار الجماعي في شهر رمضان، وتعزز أيضًا تفاعل المقدسيين مع حضور فلسطينيي الداخل إلى القدس، ولا سيما عندما قامت سلطات الاحتلال بمنع المصلين القادمين من الداخل من الوصول إلى القدس، وإنزالهم من حافلاتهم، فقام المقدسيون بنقلهم بسياراتهم إلى القدس(١٤).

ثانيًا: اشتراك الفلسطينين في مناطق ٤٨ (أو فلسطينيو الداخل) في هذه الهبَّة على نحو واسع، وقد أشعل العنف الذي واجه به المستوطنون تلك الاحتجاجات بدعم من الشرطة الإسرائيلية، انتفاضة شاملة في جل مدن الداخل وخاصة عقب استشهاد موسى حسونة في مدينة اللد بعد إطلاق مستوطن متطرف يهودي النار عليه في يوم ١٠ مايو، وقد انطلقت مظاهرات حاشدة في مدن وبلدات عربية داخل إسرائيل رُفِعت فيها أعلام فلسطينية نددت بالعدوان الإسرائيلي على القدس وغزة. وعلى إثر ذلك، عمدت إسرائيل سريعًا إلى محاولة إحباط تلك الانتفاضة، واتبعت في ذلك عدة وسائل، منها(١٥):

١- وسم الهبَّة بالإرهاب: حيث وسم الخطاب السياسي والإعلامي الإسرائيلي في معظمه الهبَّة الفلسطينية في الداخل بالإرهاب معتبرًا أنها جاءت بمبادرة من حركة حماس والحركة الإسلامية المحظورة.

٢- تحشيد العصابات: فخلال الهبَّة، وتحديدًا في المدن الساحلية واللد والرملة، تم تحشيد عصابات يهودية مسلحة ومنظمة أغلب أفرادها جاؤوا من مستوطنات الأراضي المحتلة منذ ١٩٦٧ وبعضهم من المدارس التوراتية المتطرفة التي استوطنت في المدن المختلطة وقامت بالاعتداء على العرب ومهاجمتهم في الشوارع وبث الرعب

* الخط الأخضر بفلسطين، هو لفظ يطلق على الخط الفاصل بين الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ والأراضي المحتلة عام ١٩٦٧. وقد حددته الأمم المتحدة بعد هدنة عام ١٩٤٩ التي أعقبت الحرب التي خاضها العرب مع إسرائيل عام ١٩٤٨.

(١٣) عبدالله معروف عمر، هبَّة المقدسيين والصراع على القدس ومآلاته، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠ مايو٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣٠ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط: https://bit.ly/3jRNdAc، ص٧.

(١٤) وحدة الدراسات السياسية، الهبّة الشعبية الفلسطينية: خلفياتها وأسبابها وسماتها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٨مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع:٣٠مايو٢٠٢١، متاح على الرابط: https://bit.ly/2TI1hSh، ص٣.

(١٥) أنطوان شلحت، الهبَّة الشعبية لفلسطينيي الداخل (٢٠٢١) في مواجهة القمع والدمج الإسرائيلي، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٣ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣٠مايو٢٠٢١، متاح على الرابط: https://bit.ly/3hmMOUV، ص ص ٥-٦.

في قلوب العرب في هذه المدن. وتُظهر الكثير من الفيديوهات تواطؤ الشرطة مع هذه العصابات وحتى حمايتها؛ حيث كان أفرادها يلقون الحجارة ويحملون السلاح تحت سمع وبصر الشرطة التي لم تفعل شيئًا لمنعهم وصدهم، بل وكانت تعتدي وتعتقل العرب الذين يدافعون عن أنفسهم منها.

٣- توسيع صلاحيات الشرطة وإدخال حرس الحدود: حيث أقرت الحكومة الإسرائيلية توسيع صلاحيات الشرطة بحيث تستطيع فرض إغلاق مداخل البلدات وفرض حظر تجول على مناطق. وبالفعل قامت الشرطة مثلًا بإغلاق بلدة "الجديدة-المكر" في الجليل بالكتل الإسمنتية ووضعت حواجز داخل البلدة علاوة على وضع حواجز في بلدات أخرى، كما منعت العرب من خارج عكا من الدخول إلى البلدة القديمة في المدينة خلال أيام عيد الفطر. علاوة على ذلك، أدخلت الحكومة وحدات حرس الحدود التي تعمل في الضفة الغربية إلى البلدات العربية لقمع المظاهرات والاحتجاجات؛ حيث تتميز هذه الوحدات بعنفها وإهانتها للناس في هذه البلدات.

٤- حملة اعتقالات غير مسبوقة: من أجل قمع الاحتجاج ومعاقبة الشباب، أقدمت الشرطة بالشراكة مع جهاز الأمن الإسرائيلي العام (الشاباك) على تنفيذ حملة اعتقالات واسعة في كل البلدات العربية، وصلت إلى أكثر من ألف معتقل. كما قدمت خلال الأسبوع الأول ٢٠٠ لائحة اتهام ضد عرب من دون تقديم أي لائحة اتهام ضد يهودي واحد. كما اعتقلت الشرطة قيادات عربية أبرزها الشيخ كمال الخطيب، نائب رئيس الحركة الإسلامية المحظورة، ومددت اعتقاله بتهمة التحريض على العنف.

إن هَبَّة فلسطينيي الداخل جاءت لتؤكد أنهم جزء من الوطنية الفلسطينية، وأن جهود الدمج والأسرلة الإسرائيلية لم تنجح في حذف هويتهم، وبقدر ما أظهروه في هذه الهبَّة من التزام عميق وقوي بقضاياهم الوطنية وأن قضية فلسطين واحدة، فإن إسرائيل ستضاعف من جهودها، بالترغيب والترهيب، وستعيد النظر في أساليبها، لإخضاع أو دمج فلسطينيي الداخل، وبالتالي لن تكون هَبَّتهم هذه هي الأخيرة، كما لم تكن الأولى.

ثالثًا: خرجت مظاهرات محدودة في الضفة الغربية منذ تصاعد وتيرة الهبّة الشعبية في ٩مايو بادر إليها شباب غير محسوب على القوى والفصائل الفلسطينية، وانضمت إليها فصائل من ضمنها حركة فتح، لكن هذه المظاهرات اتسعت وانتشرت بكثافة بعد صلاة الجمعة في ١٤ مايو، لتشمل مختلف أرجاء مدن الضفة، منها الخليل ورام الله والبيرة وبيت لحم وسلفيت وقلقيلية وطولكرم وأريحا ونابلس، سقط خلالها ١١ شهيدًا وعشرات الجرحى. وارتفع العدد إلى قرابة ٥٠ شهيدًا، وهو ما عُد تصعيدًا عسكريًا إسرائيليًا لمنع الضفة الغربية من المشاركة بكثافة في الهبّة الشعبية، مخافةَ تحولها إلى انتفاضة جديدة، كما حدث عام ٢٠٠٠. وعلى الرغم من مسارعة بعض القوى والفصائل إلى الدعوة إلى "النفير العام" في مختلف محافظات الوطن، بما فيها الضفة الغربية، ظلت استجابة جيل الشباب في الضفة الغربية تؤكد على عفويتها غير المقيدة بالأطر السياسية، ولا سيما أن شريحة كبيرة منهم تشعر بخيبة أمل من سلوك السلطة والقوى والفصائل الفلسطينية، بسبب تراكمات عدة، آخرها تأجيل الرئيس الفلسطيني محمود عباس الانتخابات الفلسطينية في ٢٩ أبريل الماضي[١٦].

(ج) العدوان الإسرائيلي على غزة ومعركة سيف القدس:

قررت حركة حماس في غزة أن تتفاعل مع ما يجري في القدس، بحيث يكون ثمة ردع فلسطيني ما ضد إجراءات الاحتلال فيها، ولا سيما أن هناك تجاهلًا دوليًا للقدس منذ نقل السفارة الأميركية إليها، وعجزًا فلسطينيًا رسميًا عن فعل أي شيء. وفي غياب إطار وطني شامل يجمع القوى الفلسطينية الرئيسة، جاء قرار حركة حماس منفردًا. وقد تفاعلت فصائل المقاومة في غزة مع هبَّة القدس بإطلاقها عملية "سيف القدس" التي أظهرت تطور قدراتها النوعية في صناعة صواريخ محلية اخترقت القبة الحديدية الإسرائيلية ووصلت إلى مناطق مختلفة داخل إسرائيل.

استغلت إسرائيل رد فعل المقاومة على انتهاكاتها في القدس، لتشن عدوانًا شنيعًا على قطاع غزة، تلاقت فيه جملة أهداف

(١٦) الهبّة الشعبية الفلسطينية: خلفياتها وأسبابها وسماتها، مرجع سابق، ص٥.

سياسية وعسكرية وحزبية إسرائيلية في آن واحد، لعل أهمها ما يلي[١٧]:

١- سعي آلة الحرب الإسرائيلية -ممثلة بالجيش- إلى تحقيق هدف مفاده تكليف حماس ثمنًا باهظًا لأنها تجرأت وقصفت في وضح النهار مدينة القدس المحتلة، ولها ما لها من رمزية لدى كافة اليهود والإسرائيليين بلا استثناء، وبث مشاعر الذعر والرعب التي عاشها المستوطنون على مرأى ومسمع من كل العالم.

٢- مثل العدوان فرصة أخيرة لنتنياهو، الذي كان يصارع الرمق الأخير للبقاء رئيسًا للوزراء (تمت الإطاحة به من السلطة عقب فوز نفتالي بينيت بتصويت الكنيست يوم الأحد ١٣ يونيه لتشكيل حكومة جديدة)؛ حيث أمل نتنياهو في استغلال الحرب على غزة لتشكيل حكومة طوارئ لمواجهة هذا التهديد، قد تمتد ستة أشهر، وبعدها يتم الدعوة لانتخابات مبكرة.

٣- برز هدف ذو طابع استراتيجي هذه المرة، يتعلق بكسر حالة الإجماع الفلسطيني خلف المقاومة، مما استرعى قلق المؤسسة الإسرائيلية، التي رأت قدرة المقاومة الفلسطينية على إنشاء محور غزة- القدس، من خلال استنفارها واستعدادها لخوض مواجهة عسكرية عنيفة من أجل المدينة المقدسة، بل إن انضمام فلسطينيي الداخل شكَّل مفاجأة من العيار الثقيل لإسرائيل، لأنها استفاقت على كابوس مفاده أن هؤلاء فلسطينيون عرب أقحاح وليسوا إسرائيليين ولن يكونوا.

وبعد معركة شديدة استمرت أحد عشر يومًا وافق الإسرائيليون يوم ٢١ مايو على وقف إطلاق النار دون أن ينجحوا في تحقيق هدف الحرب الذي أعلنوا عنه*. صحيح أن الإسرائيليين أوقعوا دمارًا هائلًا بقطاع غزة وأهله، ولكن خسائر قوى المقاومة، سواء على صعيد المنشآت أو الأفراد أو المقدرات العسكرية، كانت محدودة. وبأخذ تقديرات الاستخبارات الإسرائيلية بالاعتبار، التي تقول: إن جناح حماس العسكري دخل المواجهة وهو يملك ١٢ ألف صاروخ، فلابد أن حماس لم تستهلك حتى ثلث مخزونها من الصواريخ طوال أيام المواجهة، لأن تنظيمات المقاومة الفلسطينية ظلت قادرة على إطلاق ما بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ صاروخ يوميًا حتى نهاية المواجهة، فذلك يعني أن الإسرائيليين لم ينجحوا في تدمير أي عدد ملموس من منصات إطلاق الصواريخ[١٨].

كما دلت المواجهة في معركة سيف القدس على أن قدرة المقاومة من الناحية العسكرية تحسنت بقدر واضح وبشهادة الطرف الإسرائيلي، وإن كان ذلك لا ينفي أن ثمن المواجهة ليس هينًا، لكن متابعة الإعلام الصهيوني تدل بشكل واضح على نوع من "الإنهاك النفسي" للمجتمع الإسرائيلي الذي يشعر بأنه يعرف اشتباكًا يوميًا هنا وهناك منذ أكثر من ٥٤ عامًا. وفي مقارنة لأداء المقاومة القتالي في هذه المواجهة قياسًا بالمواجهات السابقة خصوصًا أعوام ٢٠٠٨، ٢٠١٢، ٢٠١٤، أشار المعهد القومي الإسرائيلي للدراسات الأمنية التابع لجامعة تل أبيب إلى ما يلي: ١- التحسن في المستوى التقني للصواريخ الفلسطينية في هذه الجولة. ٢- تحسن في مستوى دقة إصابة الهدف. ٣- تأثيرها في حجم الخسائر أصبح أعلى. ٤- التحسن في مستوى القيادة والسيطرة لدى التنظيمات الفلسطينية. ٥- تحسن واضح في مستوى التنسيق بين حركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي. ٦- كان عدد الصواريخ في "الرشقة الواحدة" خلال تلك المعركة أعلى منه في المرات السابقة، وذلك بهدف إرباك عمل القبة الحديدية[١٩].

(١٧) عدنان أبو عامر، قراءة إسرائيلية في معركة سيف القدس والعدوان على غزة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، يونيه ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٠ يونيه ٢٠٢١، متاح على الرابط: https://2u.pw/pfEId، ص ص ٧-١٠.

* تمثلت الأهداف التي أعلنتها إسرائيل من حربها على غزة في الآتي: وقف إطلاق الصواريخ على إسرائيل- ردع الفصائل الفلسطينية في غزة بما يحقق هدوءًا طويل الأمد- تدمير منصات إطلاق الصواريخ في غزة وخاصة الصواريخ طويلة الأمد- تقليص نفوذ حماس وقوتها السياسية في الساحة الفلسطينية- تحقيق هذه الأهداف دون الإضرار بصورة أو سمعة إسرائيل في الساحة الدولية.

(١٨) مركز الجزيرة للدراسات، حرب غزة الرابعة: فشل إسرائيلي وتصدر فلسطيني، ٢٥ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣٠ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط: https://bit.ly/3jT93U2، ص٣.

(١٩) د.وليد عبدالحي، الآفاق المستقبلية لمعركة "سيف القدس"، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١يونيه ٢٠٢١، متاح على الرابط: https://2u.pw/nikay، ص٩.

وهكذا يظهر أنه في مقابل الموقف المتخاذل للسلطة الفلسطينية التي اكتفت بالتنديد الصوتي بالعدوان الإسرائيلي، بل وشاركت في اعتقال المتظاهرين في الضفة، قدمت قوى المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، لاسيما حركة حماس، نفسها باعتبارها المدافع عن حقوق الشعب الفلسطيني كله، وليس في القطاع وحسب. كما عززت حماس من شرعيتها كقوة وطنية، تتحدث باسم عموم الشعب، وتشارك الشعب همومه، وتملك الوسائل الفعالة للدفاع عن حقوقه. وتجلى ذلك في هتافات آلاف المصلين في المسجد الأقصى بصراخهم في كل ليلة بصوت جهوري "يا قسام يا حبيب... اضرب اضرب تل أبيب"، وهم يلوحون بأعلام الحركة، وصور قادتها. والمؤكد أن هذا التطور في وضع معسكر المقاومة الفلسطيني لن يترك أثره على توازنات الساحة الفلسطينية وحسب، ولكن أيضًا على نمط تعامل القوى الإقليمية والدولية مع المقاومة.

خاتمة:

أسفرت هبَّة القدس الأخيرة وما تبعها من شن الحرب الصهيونية على قطاع غزة والتحاق فلسطينيي الداخل بإخوانهم في مواجهة الاحتلال عن عدد من الإنجازات الاستراتيجية التي ستؤثر بشكل كبير على بيئة الصراع مع الصهاينة. فقد أعادت الاعتبار للقضية الوطنية الفلسطينية وفرضتها مجددًا على بؤرة الاهتمام الإقليمي والدولي؛ كما دلت هذه الهبَّة على أن التحولات التي طرأت على علاقات بعض الدول العربية بالكيان الصهيوني من خلال مسار التطبيع لا يمكن أن تغطي على هذه القضية الأصيلة.

دلت هذه الهبَّة على دور القدس والمسجد الأقصى كموحِّد للشعب الفلسطيني والأمة بأكملها؛ فانتصارًا للقدس، هبَّت الضفة الغربية وانطلقت صواريخ غزة، والتحم فلسطينيو الداخل في معركة بطولية ضد المحتل، مع العلم أن انضمام فلسطيني الداخل إلى دائرة الصراع على هذا النحو يعد أحد أهم التحولات التي طرأت على مسار الصراع مع الاحتلال، على اعتبار أن هؤلاء الفلسطينيين يعيشون في حالة احتكاك مباشر مع الصهاينة؛ ما يجعل انخراطهم في المواجهات وصفة لإشاعة الفوضى في هذا الكيان لدرجة فقدانه السيطرة على ضبط الأمور، كما حدث في بعض مواطن المواجهة التي شملت الجليل، والمثلث، وصحراء النقب المحتل. ومن ناحية ثانية، فقد تجلى تفاعل الأمة مع هذه الهبَّة في تظاهر الأردنيين واللبنانيين على الحدود، ومحاولتهم اقتحامها وانطلاق المظاهرات في جميع أرجاء العالمَيْن العربي والإسلامي، وصياغة مبادرات التضامن على أوسع نطاق مع الشعب الفلسطيني.

كما عرَّت هبَّة القدس والحرب على غزة الأطراف الفلسطينية والعربية التي تتشبث بخيار التسويات والتطبيع مع الاحتلال؛ فعلى الصعيد الفلسطيني مسَّت هذه الهبَّة بمكانة السلطة الفلسطينية وقيادتها؛ التي باتت غير ذات صلة بما يجري، لاسيما في ظل مواصلتها التعاون الأمني مع الاحتلال، وهو ما يفسر الدعوات لإسقاط هذه السلطة وتشكيل قيادة موحدة للشعب الفلسطيني. وفي الوقت ذاته أحرجت الاعتداءات الصهيونية التي قادت إلى اندلاع هبَّة القدس وحرب غزة نظم الحكم العربية التي طبَّعت مع إسرائيل؛ حيث إن ما أقدم عليه الصهاينة تعارَض بشكل جذري مع السردية التي تبنتها هذه الأنظمة من أن التطبيع يخدم الفلسطينيين.

وأخيرًا فإنه يمكن التنبؤ وفقًا لهذا التطورات، أنه إذا أقيمت الانتخابات الفلسطينية التي تم تأجيلها، فإن حركة حماس ستفوز في الانتخابات البرلمانية، وأن المرشح الذي ستدعمه سيحقق الفوز في الانتخابات الرئاسية.

*****

الدعوة لتلاقي الأديان باسم "الإبراهيمية": المضمون والأهداف

أحمد خلف*

مقدمة

تُعَدُّ فكرة المشترك الإبراهيمي إحدى الصيحات التي تتردَّد في فضاء عدد من المجالات السياسية والدينية والسياحية والثقافية بل والاقتصادية، ولم تكن تسمية الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترمب لاتفاقيات التطبيع بين الكيان الصهيوني وعدد من الأنظمة العربية باتفاقيات إبراهيم إلا حلقة من حلقات الترويج لهذه الصيحة ومظهرًا من مظاهر استخدامها.

يبدو إسباغ وصف (الإبراهيمي) على التقاليع الدينية الجديدة والاتفاقات السياسية، مقصودًا به اعتبار نبي الله إبراهيم مرجعية للديانات الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية) ومصدر وحدتها، ومن ثم إقامة أسس التعايش بين أتباعها على وحدة الأصل المشترك بينهم.

بعد زيارة بابا الفاتيكان لدولة الإمارات في فبراير ٢٠١٩ وتوقيعه مع شيخ الأزهر وثيقة الأخوة الإنسانية تم الإعلان عن مبادرة "بيت العائلة الإبراهيمية" كإحدى المبادارت المنبثقة عن هذه الوثيقة، وهي عبارة عن مجمع ديني ثلاثي يضم جامعًا وكنيسة وكنيسًا في مكانٍ واحد. وتظهر تصاميم مشروع "بيت العائلة الإبراهيمية" بيوت العبادة الثلاثة تقابل بعضها بعضًا في حدائق مترامية الأطراف على جزيرة السعديات بالعاصمة الإماراتية، كان التصميم الفائز لـ "بيت العائلة الإبراهيمية" مُقدمًا من شركة الهندسة المعمارية Adjaye Associates في لندن وهي شركة بريطانية هندية. يقول المعماري ديفيد أدجاي صاحب التصميم الفائز: "أشعر بالفخر والإطراء لاختيار تصميمنا، ستكون هذه الساحة مفتوحة للعالم، وأملنا هو أن يتعلَّم معتنقو الأديان والناس من مختلف المجتمعات من هذه الصروح، ويشتركون في مهمة من أجل التعايش في سلام لأجيال قادمة".

وتم عرض التصميمات الخاصة ببيت العائلة الإبراهيمية في الفاتيكان على شيخ الأزهر والبابا فرنسيس في نوفمبر ٢٠١٩ عندما اجتمعا بأعضاء لجنة الأخوة الإنسانية. وهذه اللجنة تشكَّلت من أجل متابعة وتحقيق أغراض وثيقة الأخوة الإنسانية من ممثلين عن الديانات الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية) تُدْعَى اللجنة العليا للأخوة الإنسانية، وتضم في عضويتها رئيس جامعة الأزهر الدكتور محمد المحرصاوي، والقاضي محمد عبد السلام المستشار السابق لشيخ الأزهر ويشغل أيضًا أمين عام اللجنة العليا للأخوة الإنسانية، والحاخام بروس لوستيج كبير الحاخامات في المجمع العبري بواشنطن، وعضوين من الفاتيكان، والأمين العام لمجلس الكنائس العالمي، والأمين العام لمجلس حكماء المسلمين، والأمينة العامة السابقة لليونسكو إيرينا بوكوفا، والناشطة ليما جبوي الحائزة على جائزة نوبل للسلام.

لا يمكن فصل مثل هذه المبادرات والتحرُّكات عن المساعي السياسية الرامية لتغيير قواعد الصراع والعلاقات الدولية في المنطقة العربية ومحيطها، كما ذُكر بخصوص إطلاق وصف "الاتفاق الإبراهيمي" على اتفاقيات التطبيع التي جرى توقيعها بين إسرائيل والإمارات والبحرين وعدد آخر من الدول العربية[١].

* باحث بمركز الحضارة للدراسات والبحوث.

(١) للمزيد، انظر:

– «بيت العائلة الإبراهيمية».. أبوظبي تعلن بناء مجمع ديني يضم مسجدًا وكنيسة وكنيسًا، عربي بوست، ٢٥ سبتمبر ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ١١ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3hdu4XG

– Abu Dhabi unveils plans for mosque, church and synagogue on one site to promote 'human fraternity' in building project inspired by Pope's visit to UAE,

لكن كما سيتبيَّن فإن فكرة المشترك الإبراهيمي والديانة الإبراهيمية من الأفكار القديمة المطروحة على الساحة في عدد من الدوائر السياسية والأكاديمية والاقتصادية، من أجل تغيير طبيعة المنطقة العربية والشرق أوسطية وإعادة تموضع إسرائيل بشكلٍ طبيعي وبطريقة عملية على رأس قيادتها والتحكُّم فيها، وقد اتُّخذت خطوات عملية لتنفيذها كما سيتبين لاحقًا، وهو الأمر الذي اقتضى إعداد هذا التقرير لمتابعة تطورات هذا الملف ضمن المتغيرات الإقليمية والعالمية التي تجري خلال الفترة الأخيرة.

وينقسم هذا التقرير إلى ثلاثة أقسام: يستعرض القسم الأول نماذج تلحُّ على الترويج لفكرة المشترك الإبراهيمي، والاستمرار في برامج وخطط هذه الفكرة والترويج لها في الفترة الأخيرة.

أما القسم الثاني فيتم فيه استعراض ما جاء في كتاب (الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي: المخطط الاستعماري للقرن الجديد)؛ حيث يعتبر أحد المصادر العلمية المهمة إن لم يكن المصدر الوحيد الذي تنقل عنه المصادر الأخرى ما يتعلَّق بالمعلومات الخاصَّة بهذه الفكرة بشكل موسَّع ومفصَّل، ونضيف إلى هذا العرض عرضًا آخر لنشاط نموذج للمؤسسات الراعية لهذا التوجُّه.

أما القسم الثالث فيتناول ردود الأفعال والاستجابات المختلفة من أطراف متعدِّدة: مقاوِمة ومؤيدة.

القسم الأول– الترويج المتجدِّد للمشترك الإبراهيمي

هناك إلحاح على الترويج للمشترك الإبراهيمي بين الديانات الثلاث (المسيحية واليهودية والإسلام) من خلال مستويات سياسية

Daily Mail, 25 September 2019, accessed: 11 June 2021, available at: https://bit.ly/3dBVPqM

- Abrahamic Family House, The Higher Committee of Human Fraternity, accessed: 11 June 2021, available at: https://bit.ly/3ykFeQ4

- Cherine Abdel Azim, Al-Azhar grand imam, Pope Francis review designs of Abu Dhabi's Abrahamic Family House, Ahram Online, 16 November 2019, available at: https://bit.ly/2SQyxXa

وثقافية ودينية مختلفة، وهذا المشترك في حدِّ ذاته ربما لا يكون محلًّا لاعتراض أحد، إذا كان يُقصد به نشر السلام والوئام، دون تضييع للحقوق أو تمكين للظلم والفساد، ولكن الشواهد التي نستعرضها في هذا القسم لا يمكن فصلها عن مشروع أو مخطط أكبر لإحداث تغيير في المنطقة يزيد من هيمنة إسرائيل وتطبيع سيطرتها على المنطقة العربية والشرق أوسطية عمومًا.

- **بومبيو يؤكِّد على المشترك الإبراهيمي**

في ١٠ يناير ٢٠١٩ ألقى وزير الخارجية الأمريكي السابق مايك بومبيو خطابًا في الجامعة الأمريكية بالقاهرة أكَّدَ فيه على المشترك الإبراهيمي، وقال في خطابه إن رحلته هذه بالذات [إلى مصر والمنطقة العربية] لها مغزى خاص بالنسبة له كمسيحي من الكنيسة الإنجيلية، فهي تأتي بعد وقت قصير من احتفالات عيد الميلاد في الكنيسة القبطية [٧ يناير]، وأضاف: نحن جميعًا أبناء إبراهيم: مسيحيون، مسلمون، ويهود. أحتفظُ بالكتاب المقدس على مكتبي مفتوحًا ليذكرني بالله وكلمته، وبالحقيقة.

وأشار في كلمته إلى أن المنطقة تشهد تغيرًا ملحوظًا، فقد بدأت الروابط الجديدة تتجذَّر بشكل لم يكن مجرَّد تخيُّله ممكنًا حتى يومنا هذا. من كان يمكن أن يصدِّق قبل بضع سنوات أن رئيس الوزراء الإسرائيلي سيزور مسقط؟ أو أن روابط جديدة ستنشأ بين المملكة العربية السعودية والعراق؟ أو أن بابا روما الكاثوليكي سيزور هذه المدينة للقاء الأئمة المسلمين ورئيس الكنيسة القبطية؟[٢]

- **زيارة بابا الفاتيكان إلى العراق**

لم يكن تواري الرئيس ترامب عن الأنظار بعد خسارته الانتخابات الرئاسية، وهو الذي كان قد أعطى هذا الملف دفعة كبيرة خلال العام الأخير من إدارته، سببًا في توقُّف هذه الحركة التي

(٢) نص خطاب بومبيو في الجامعة الأمريكية بالقاهرة: مصر أرض الكفاح، CNN بالعربية، ١١ يناير ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cnn.it/3qPISPq

تسعى لنشر هذه الفكرة المتعلِّقة بالمشترك الإبراهيمي خلال الفترة الأخيرة.

ففي زيارته الأخيرة إلى العراق زار البابا فرنسيس "أور" بوصفها مسقط رأس نبي الله إبراهيم عليه السلام، وتحدَّث عن إبراهيم عليه السلام بوصفه أبًا روحيًّا لكلِّ الأديان السماوية، ومدخلًا للتصالح فيما بينها، وقال لممثلي الديانات الثلاث "هذا المكان المبارك يعيدنا إلى أصولنا، إلى مصادر عمل الله، إلى ولادة أديانناـ. هنا سمع إبراهيم نداء الله؛ من هنا انطلق في رحلة من شأنها أن تغير التاريخ. نحن ثمار تلك الدعوة وتلك الرحلة". هذا الخطاب الإبراهيمي الذي جلبه البابا معه إلى العراق كان استكمالًا لحديثه عن بناء "بيت العائلة الإبراهيمية" بالإمارات، والتقى المرجع الشيعي علي السيستاني، واعتبره ممثلًا عن المسلمين في العراق وراعيًا للسلام فيها. بالرغم من أن السيستاني يحتفظ بمكانته الدينية بفضل الدعم الذي يقدِّمه الحرس الثوري الإيراني، فالحشد الشعبي الشيعي "المليشيا الأبرز في العراق" لم تكن لترى النور لولا فتوى "الجهاد الكفائي" التي أطلقها السيستاني عام ٢٠١٤ وكانت تشريعًا فقهيًّا شيعيًّا لاستهداف الأنبار ذات الأغلبية السُّنية بذريعة القضاء على "داعش".

وتماشيًا مع المصالحة الشيعية الكاثوليكية، التي دشَّنها البابا بزيارة السيستاني، أصدرت جمعية علماء "قم" الإيرانية، رسالة وُصفت فيها الزيارة بـ"التاريخية"، واعتبرتها فرصة للعلماء والحوزات الشيعية لـ"اتِّباع هذا النموذج الحديث في حوار الأديان"، وفقًا لما نقلته "وكالة تقريب للأنباء"[٣].

- **مشروع التجلي الأعظم**

من المشروعات التي تنسجم مع هذا الطرح ويبدو أنها ستندرج ضمن خطط الترويج للمشترك الإبراهيمي، مشروع «التجلي الأعظم» في سانت كاترين بسيناء وتمَّ اختيار اسم «التجلي الأعظم» على مشروع التطوير بسانت كاترين، وذلك لأنها المنطقة الوحيدة في العالم التي تجلَّى فيها الله لنبيِّه موسى عليه السلام، وتضم المدينة كنوزًا أثرية دينية، أبرزها دير سانت كاترين، وجامع عمرو في الدير، ومجموعة من الكنائس والأديرة الفريدة من نوعها.

يهدف المشروع -بحسب المسؤولين- إلى إحياء المدينة الروحية، وإنشاء مزار روحاني على الجبال المحيطة بالوادى المقدس، وجذب السيَّاح من مختلف دول العالم، حيث إن المدينة شاهدة على قصص وحكايات دينية وموثقة، وتمثِّل مقصدًا للسياحة الروحانية والجبلية والاستشفائية، حيث إن الديانات السماوية الثلاثة كانت متواجدة في المدينة، فاليهودية والمسيحية والإسلام، لا زالت آثار هذه الديانات موجودة حتى الآن، بجانب توفير جميع الخدمات السياحية والترفيهية للزوار، وربط المدينة مع باقي المنطقة الساحلية الممتدَّة بين الطور وشرم الشيخ ودهب. وذلك ضمن مستهدف تنمية المنطقة الشمالية الشرقية لمصر، من خلال رؤية تضع الدولة المصرية فى قلب التحولات الاقتصادية العالمية والإقليمية[٤].

●●●

(٣) انظر:

- أحمد الفقي، الدبلوماسية الروحية والغزو الإبراهيمي، الجزيرة.نت، ١٤ مارس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3jHAZu6

- Devin Watkins, Pope urges Abrahamic religions to pursue path of peace in Iraq, Vatican News, 6 March 2021, available at: https://bit.ly/3yn22iu

(٤) انظر:

- حماده الشوادفي، تعرف على مشروع التجلي الأعظم.. ١٤ إنجازا لتطوير المدينة الروحانية، الوطن، ٧ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3jFkjDf

- أحمد حسن، مشروع "التجلى الأعظم" بمدينة سانت كاترين أحدث مشروعات الإسكان بسيناء، اليوم السابع، ٦ ديسمبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2Unl9tI

القسم الثاني– المشترك الإبراهيمي: الفكرة والمؤسسات الداعمة

أولا– كتاب «الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي»

أعدَّت الدكتورة هبة جمال الدين كتابًا عنوانه (الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي: المخطط الاستعماري للقرن الجديد)[٥]، وصدر مطلع ٢٠٢١، وفيما يلي عرض لأهم الأفكار والمعلومات الواردة فيه عن المشترك الإبراهيمي وكيفية تنفيذ مخططاته على أرض الواقع.

يبيّن الكتاب أن مخططات المشترك الإبراهيمي والديانة الإبراهيمية هي جزء مما يُسمَّى في مجال العلاقات والسياسات الدولية بالدبلوماسية الروحية، والدبلوماسية الروحية هي «مسار من مسارات التفاوض تستهدف حل النزاع أو منع حدوثه من أجل بناء سلام ديني عالمي، يتم عبر الجمع بين القادة الروحيين والساسة داخل آلية المسار الثاني للمفاوضات (Track II Diplomacy) باستخدام المدخل النفسي لدحض الأصولية في الأديان الثلاثة؛ والتباحث حول القضايا الحساسة محل النزاع بهدف التوصل إلى مشترك عبر تقارب الأديان السماوية أو الإبراهيمية للقضاء على الاختلافات والوصول إلى متفق يقبله المجتمع».

ودبلوماسية المسار الثاني هي نمط من المفاوضات لمناقشة القضايا الحساسة خارج الأطر الرسمية تسبق التفاوض الرسمي أو تتوازى معه تمهيدًا لإعلان ما تنتهي إليه لاحقًا في حال الاتفاق عليه وتمهيد الساحة للإعلان عنه رسميًّا.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض الكتابات تصف مصطلح الديانات الإبراهيمية أو الإيمان الإبراهيمي بمصطلح «التراث اليهودي المسيحي»، كوْن المفهوم يستخدم لوصف الديانة الغربية والتقاليد الأخلاقية. ويحاول أنصار هذا الطرح أن يُرجعوا جذوره للحرب العالمية الثانية، والهولوكوست والصراع العربي–الإسرائيلي الممتد؛ حيث عملت هذه الأزمات على تحريك الوازع الديني لقادة العالم والمتديّنين للعمل من أجل السلام بين الأديان الثلاثة.

ومن رواد هذا الفكر المستشرق الفرنسي الكاثوليكي لويس ماسينيون (١٨٨٣ – ١٩٦٢) الذي طرح مفهوم السلام بين الديانة المسيحية والإسلام، اعتمادًا على الإيمان بـ «الجذر الشائع في إبراهيم». وفي الفترة الممتدة من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٥ صدرت وثائق من الفاتيكان تحدَّثت عن التراث المشترك للأديان الثلاثة واستخدمت النبي إبراهيم (عليه السلام) كمصدر رئيسي لمحاولة التقارب الديني. وتجدَّد الطرح مرة أخرى بعد اعتداء ١١ سبتمبر ٢٠٠١ إذ تمَّت الدعوة إلى الوحدة والسلام عبر إيجاد أرضية مشتركة بين الأديان الثلاثة.

وقد نجح أنصار الدبلوماسية الروحية منذ مطلع الألفية في خلق اهتمام دولي للمؤسسات التمويلية بقضية السلام الديني العالمي؛ عبر دبلوماسية المسار الثاني بالتقارب بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة ووضعها على أجندتهم التمويلية؛ لأن هذا السلام سيحقق التنمية ويحارب الفقر الكوني. وجاء الجهد الدولي في إطار الاهتمام والعمل على مناقشة وتنفيذ آليات الدبلوماسية الروحية متخذًا عدَّة صور وأشكال.

وفي إطار الحديث عن المشترك الإبراهيمي يقدم أنصار الدبلوماسية الروحية منظورين خلال التعامل مع الأديان السماوية «الإبراهيمية»: الأول– الديانات الإبراهيمية والحوار الأخوي للوصول إلى مشترك عالمي: أي الحفاظ على الأديان الإبراهيمية من منطلق الاحترام والقبول المتبادل مع الاعتراف بمجالات الاتفاق والاستثمار بها والخلاف يتم تنحيته والاتفاق حول ما يضمن الحفاظ على حقوق "الشعوب الأصلية"، وسيتم وضع المشترك في ميثاق يضم القيم والطقوس والتقاليد الدينية والنصوص والتعاليم

---

(٥) هبة جمال الدين محمد العزب، الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي : المخطط الاستعماري للقرن الجديد، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٢١، نسخة إلكترونية من Kindle، متاحة عبر الرابط التالي: https://amzn.to/3jF0Fr3).

والكتاب له مختصر أو أصل عبارة عن دراسة للباحثة بعنوان: الدبلوماسية الروحية: مسار جديد ومخاطر كامنة وسياسات بديلة لصانع القرار، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد ٢٦، العدد ١١٦، يناير ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2V4WyKN

المشتركة والتعاليم الجديدة التي تمَّ الاتفاق حولها كبديل من المختلَف عليه. وعند اكتمال الميثاق الإبراهيمي الجديد سيستمد القدسية من الكتب السماوية الأخرى التي سيتم تنحيتها بعد ذلك، أي سيكون مرجعية واحدة تجمع أنصار الديانات الإبراهيمية. أي سيصل في الأساس إلى ديانة واحدة «ديانة إبراهيمية مشتركة».

والثاني– الديانة الإبراهيمية العالمية باعتبارها «ديانة موحدة»: وهو طرح مقدَّم للولاء لدين عالمي واحد يجمع القيم المشتركة بين الأديان، التي لا يوجد عليها خلاف ويدين لها المواطن ليتحول إلى مواطن عالمي يدين بدين عالمي موحد.

يعتمد مروِّجو هذا التوجُّه المتعلق بالمشترك الإبراهيمي، مثل مركز أبحاث (Community Change) في جامعة فيرجينيا، على فشل نموذج الدولة القومية: إذ يرون أن التحديات المستقبلية وبخاصة البيئية لن تُفسح المجال للحديث عن التنمية المستدامة والحفاظ على حقوق الأجيال القادمة. وذلك في إطار ضعف قدرات الدول القومية وعدم قدرتها على التصدِّي فرادى لتلك المخاطر والكوارث المستقبلية، والحل هو الاتحاد الفدرالي بين الدول القومية لتتحول إلى ولايات يكون التحكُّم في مواردها من قِبل الدول التي تمتلك قدرات تكنولوجية كبيرة ومتقدِّمة تؤهِّلها لتكون في السلطة الفدرالية. والحافز للقبول بهذا الاتحاد هو المشترك الإبراهيمي بين الدول التي تؤمن بالقيم الروحية المشتركة، التي ستدفعهم في ظل الأخوة الإبراهيمية الإنسانية بالقبول في التشارك في الموارد طواعية.

وهناك أيضًا بعض الحوافز السلبية الدافعة للقبول بالمشترك الإبراهيمي في المنطقة مثل تغيُّر المناخ، وندرة الموارد، والعنف الديني، والإرهاب المستند إلى الأديان، والصراع السني–الشيعي (الأمر الذي عدَّه تقرير مركز راند حول مستقبل الطائفية في الشرق الأوسط الصادر عام ٢٠١٧، مدخلًا لهيمنة النزعة المحلية في المقابل والمطالبة بالانفصال)؛ وهو ما يمكن أن يكون محرِّكًا لرفض الوضع وتفضيل المشترك الإبراهيمي الذي سيحقق السلام الديني العالمي؛ ومن ثمَّ الاستقرار والهدوء والأمن للجميع والتخلُّص من الوضع المتأزِّم.

- **الدعم السياسي للمشترك الإبراهيمي**

تحظى المبادرات المتعلقة بتعزيز المشترك الإبراهيمي بين أتباع الديانات الثلاث وغيرها بدعم أمريكي وأممي لهذا الفكر على الأرض وتحويله إلى مشروعات قائمة، بل إن الأمر تخطَّى حدود الدعم ليصبح مكونًا رئيسيًّا داخل أروقة وزارة الخارجية الأمريكية التي مأسست هذا الفكر بالفعل.

فقد تمَّ إنشاء فريق عمل حول الدين والسياسة الخارجية بالخارجية الأمريكية: يتكون من ستة فرق أنشأتها وزيرة الخارجية السابقة هيلاري كلينتون تحت عنوان «الحوار الاستراتيجي مع المجتمع المدني» من أجل «ضمان فرصة التشاور والتعاون المتبادلين». ويتبع الفريق الهيئة الاستشارية الفدرالية حول الحوار الإستراتيجي التي تضم نحو ١٠٠ فرد من القادة الروحيِّين، ومسؤولين في وزارة الخارجية يقدِّمون المشورة لوزير الخارجية. وقد أوصى الفريق بسلسلة إجراءات تندرج تحت أربعة عناوين:

- تعزيز القدرة الوطنية على توجيه القضايا الدبلوماسية الدينية.
- توجيه وزارة الخارجية لتطوير مواد لتحسين التعامل مع الدين.
- إنشاء آلية رسمية داخل وزارة الخارجية تأخذ في الحسبان وجهات النظر الدينية.
- إضفاء الطابع المؤسسي على فريق العمل حول الدين والسياسة الخارجية.

وعلى الرغم من تغيُّر وتعاقب وزراء الخارجية الأمريكية وتغيُّر الإدارة من الديمقراطيِّين إلى الجمهوريِّين، فإن هذه الإدارة ما زالت قائمة، وهذا يعني أن النهج مستمر ولم ينقطع. ويرى الدكتور سعد الدين إبراهيم أن هذا النهج المؤسَّسي يعود إلى جورج بوش الأب، لكن قد يكون الإعلان عنه جاء في عهد هيلاري كلينتون.

وفي عهد وزير الخارجية الأمريكي جون كيري تم إنشاء مكتب وزارة الخارجية الأول للمبادرات الدينية: الذي بدأ يدرس التعاون الدبلوماسي الديني؛ حيث يكرِّس الشراكة مع المجتمعات/المؤسسات الدينية العالمية والقادة الروحيِّين بشأن قضايا أولية مثل: «التحولات

العربية، والسلام في الشرق الأوسط، والتغيرات المناخية، وحقوق الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة».

وفي أغسطس ٢٠١٣ اعترف الوزير كيري بـ«الأرض المشتركة للديانات الإبراهيمية» وأقرَّ بتأثير الدين العالمي في مواجهة الخطر المحدق بالولايات المتحدة.

كما تمَّ تأسيس الشبكة السياسية للدين والدبلوماسية: وهي شبكة تموّلها وزارة الخارجية الأمريكية لتمارس الدور نفسه المنوط بمؤسسات الدبلوماسية الروحية حيث تقوم بجمع الدبلوماسيّين ورجال الدين الأوروبيّين والكنديّين والأمريكان وتركّز على قضية الدين وبناء السلام.

آلية الدعم الدولي – المنظمة الأممية: نظَّمت الأمم المتحدة في عام ٢٠٠٠ مؤتمر قمة السلام العالمي للألفية الذي يتألَّف من أكثر من ألف زعيم ديني من ديانات العالم، بتمويل كبير من مؤسسات خاصة، وضمَّ المؤتمر شخصيات بارزة من مؤسسات مسيحية ويهودية وإسلامية.

وقد بدأت الأمم المتحدة في الاهتمام بقضية الأديان والتقارب بين الأديان السماوية مستخدمة مصطلح **الإبراهيمية** كبديل من السماوية وبدأت في العمل على: إقامة منتديات دولية للصلوات المشتركة رافعة شعارات «السلام الديني العالمي»؛ وإدراج التقارب الإبراهيمي كمكوّن في مؤتمرات مناقشة أهداف التنمية المستدامة؛ وإصدار عدد من الوثائق التي تتعلَّق بالأديان المشتركة كمدخل للسلام الديني العالمي.

وتُعد اليونيسكو من أبرز الفاعلين على الأرض في تنفيذ برامج تدريبية، ومؤتمرات، وبروتوكولات تعاون، وتمويل مشروعات تتقاطع مع المشترك الإبراهيمي، ودعم مشروعات سياحية تعلي من شعارات التقارب الروحي والمشترك الإبراهيمي... إلخ. ومنذ مطلع الألفية تبنَّت العديد من الجهات تنظيم مؤتمرات دولية بهدف دعم المبادرة وضمان تطبيقها على الأرض. كما أطلقت العديد من الدول منحًا دولية تم ربط مشروطيَّتها بمكوّن المشترك الروحي بين الأديان الإبراهيمية خلال ما تقدِّمه من مشروعات تنموية.

وفي عام ٢٠١٦ أصدر صندوق الأمم المتحدة للسكان تقريرًا بعنوان إدراك الإيمان المقسم: الديانة والنوع الاجتماعي والسلام والأمن في أجندة ٢٠٣٠. ويؤكد التقرير أهمية الدين والحوار الإبراهيمي بين الأديان السماوية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة وأهمية العمل مع المنظمات المستندة إلى الدين والقادة الدينيين خلال تنفيذ برامج التنمية للأمم المتحدة.

- **هارفارد و«مسار إبراهيم»**

في هذا السياق يأتي طرح جامعة هارفارد لفكرة «**مسار إبراهيم**» كتجسيد لرؤية المشترك الإبراهيمي باعتباره مشتركًا روحيًّا يُسوَّق سياسيًّا وثقافيًّا وتاريخيًّا وعقائديًّا في إطار رحلة النبي إبراهيم التي شملت عشر دول تم تحديدها عبر تكامل الروايات بالأديان الثلاثة معًا، وذلك لخلق رابط مقدس بين الدول في الرحلة، فالمسيحية واليهودية تتَّفقان على الطريق الذي سلكه نبي الله حيث يبدأ من تركيا وينتهي بمصر. أما الإسلام فيمثِّل إضافة، حيث وصل نبي الله إلى مكة كإحدى المحطات المهمَّة في التاريخ الإسلامي، وأضافت «مبادرة مسار إبراهيم» إيران إلى هذا المخطط.

ومسار إبراهيم هو طريق مشترك للسير وركوب العجل والجمال، يمتدُّ في مدن بعينها عبر عشر دول يسير عليه أتباع الديانات الثلاث للتقارب كرمز للتسامح الديني وقبول الآخر. ومن ثم يعَدُّ مسار إبراهيم مشروعًا مقبولًا كرمز للتسامح الديني الذي لا يرفضه أحد وبخاصة أنه يسوَّق كمشروع للسياحة الدينية، الأمر الذي يمثِّل انتعاشًا وترويجًا للسياحة في دول المنطقة ككل في إطار تكاملي لا تنافسي، ومن ثم فهو يخلق مصدر دخل جديد، وبخاصة للجماعات المحلية العاملة بالسياحة والقاطنة على طول الطريق. فرحلة إبراهيم تستهدف زيارة المقدسات الدينية بكل دولة من الدول العشر التي تتضمَّن إسرائيل في الأساس، يتم خلالها تقديم خدمات للسياح أو الحجاج، وتمارَس خلالها أنشطة ثقافية تقدِّمها وتنظمها المجتمعات المحلية على طول المسار. وتتولَّى الجماعات المحلية مهمَّة تأمين المشّائين من الحجاج أو السيَّاح حيث تتعامل القبائل

وتنسِّق معًا على طول المسار عبر الحدود أيضًا حيث تسلِّم كل قبيلة الأخرى.

لقد استطاع روَّاد هذا الطرح ابتكار آليات جديدة لاجتذاب رأي عام مؤيِّد للفكرة بل وبناء أجيال جديدة مؤمنة ومساندة لهذا الطرح الجديد، وفي الوقت ذاته الحصول على الدعم الحكومي، وبخاصة بدول المنطقة العربية وجوارها أو ما يسمَّى دول الشرق الأوسط التي يصفها رواد الطرح بالدول المؤمنة بنظريات المؤامرة.

أجرت جامعة هارفارد دراسة أولية للوقوف على مدى جدوى المشروع وإمكانات نجاحه، وتم تكليف مجموعة من الطلبة بالجامعة عام ٢٠٠٤ لاختبار مفهوم النبي إبراهيم كشخصية توحيدية تحمل مقوِّمات كامنة يمكن التوحُّد خلفها. وفي الوقت ذاته كُلِّفَتْ مجموعة أخرى –من كلية هارفارد الطبية– لاختبار مفهوم الطرف الثالث للتوسُّط لحلِّ الصراعات الكامنة على طول دول المسار؛ وتمَّ بحث القضايا الثلاث (قضية المياه، والنساء، والجماعات الصوفية) لنشر الفكر والالتفاف حوله وإمكان نجاح المشروع إذا تمَّ استخدام هذه القضايا أو الأطراف خلال المسار.

كانت نتائج الفريقين إيجابية وتوصَّلا إلى توافر عناصر ومقومات نجاح الفكرة وإمكان استخدام نبي الله إبراهيم كرمز للتوحُّد في ظلِّ المميزات الربانية بهذه المنطقة للعالم المتمثلة بما يلي:

– تقاطع النصوص الدينية المقدسة حول النبي إبراهيم، فهو شخصية تجميعية يتَّحد خلفها أتباع الديانات الثلاثة.

– التزام السكان بالترحيب بالضيوف والأجانب كالتزام مقدَّس نحو الغرباء.

– الطريق يمكن أن يكون وسيلة للناس من مختلف أنحاء العالم ليتم احترامه ويعبر عن امتنان القروِيِّين القاطنين بالشرق الأوسط الذين حافظوا على مدار قرون على تراث النبي إبراهيم في معاملة الغرباء كضيوف مقدسين.

– يأخذ الطريق شكلًا تجميعيًّا للبشر عبر مسيرات السير المشترك، وهذا يعني القبول والتأييد لأنه لا يرفع أيَّ شعارات سياسية وإنما دينية وثقافية وسياحية.

- **تحديات مسار إبراهيم**

هناك عدَّة تحديات قد تقف حجر عثرة أمام تنفيذ الطريق يجب استيعابها وحلُّها أو تقليل خطرها. ورغم أنها حائل أمام التنفيذ لكنها في الوقت ذاته تمثِّل خطرًا مستقبليًّا على المنطقة، وتترابط في الوقت نفسه مع رؤية جامعة هارفارد لحلِّ الصراع، ومنها:

١– حاجز المعرفة: فكيف يمكن لقصة إبراهيم أن تُحدث تغيرًا تحويليًّا للجماعات بالشرق الأوسط التي مزَّقتها الصراعات وتحظر التدخُّلات الدولية في شؤونها. فقد أدرجت بالفعل في عدد من الحوارات ومبادرات المصالحة، ولا سيما في السياقات بين الأديان، إلا أن إعادة توظيفها لحلِّ الصراع لم يكن له العديد من المؤيدين.

٢– إرساء رؤية ذات صدقية للمسار: إن طرح مفهوم تأمين مسيرات الحج بهذه المنطقة التي تعج بالصراعات أمر غير موثوق به، كما أن الحديث عن أن هذا المسار ستتبعه تنمية اقتصادية بالمنطقة أمر ليس محل ثقة. بل إن توزيع العائد بشكل عادل أمر غير وارد. لذا فالحل الذي توصَّلت إليه الفِرق البحثية يكْمن في استخدام رمز النبي إبراهيم ونشر مفهوم المشترك الإبراهيمي، وهذا سيخلق بدوره حالة من الودِّ بسبب الترويج لوجود صلة قرابة تجمع أبناء المنطقة؛ الأمر الذي سيكفل تحقيق الكفاية والازدهار عبر خلق هوية شاملة للمنطقة ككل تكفل موافقة القرى المحلية بتأمين المسافر على الطريق مع الاستفادة المادية بسبب عوائد السياحة الدينية.

٣– عدم الثقة بالدوافع خلف المسار: حيث تنتشر نظريات المؤامرة في هذا الجزء من العالم، في ظلِّ عدم الثقة بالدور الأمريكي، وهو ما يزيد الشكوك حول المسار، وبخاصة إذا شاركت خلاله أية شركات تحمل العلامات التجارية الأمريكية. هنا توصَّل الفريق البحثي إلى أن خطة العمل يجب أن تتم وفق مسارين: الأول– موجَّه إلى السكَّان المحلِّيين بكل دولة، والثاني– موجَّه إلى التنسيق مع الحكومات عبر وسطاء مشتركين. ولإنجاح الفكرة نُظمت زيارات لعدد من الفاعلين بهذه الدول لخلق رأي عام دولي مؤيد للفكرة كقوى ضاغطة على أنظمة تلك الدول لكسب مزيد من الثقة على الأرض.

٤– كسر الحدود السياسية تجاه المسافرين على الطريق: وبخاصة أمام الإسرائيليّين بالمنطقة، وجاء ذلك في تقرير أعدَّته باحثة بجامعة هارفارد عام ٢٠٠٤ تسمَّى سوزان كولن، حيث عملت في غزة والضفة مع الفلسطينيين ومع الإسرائيليين داخل الأراضي المحتلة.

٥– وضع إسرائيل ورفض دول المسار التطبيع معها: فمن الصعب فرض إقامة مشروعات معيَّنة في دول الطريق كالتطبيع مع إسرائيل –وذلك في البداية فقط– لذا من الأفضل أن يتم ذلك بالتنسيق وحثِّ الدول على تبنّيها للمشروع، وليس فرضها عليها كأمر واقع. فالأمر يجب ألَّا يظهر وكأنه مرتبط بنهج طريق إبراهيم –كشرط للتنفيذ– تفاديًا لأي توتُّرات سياسية، على أن يكون التطبيع أمرًا لاحقًا، وأن يتم تدريجيًّا خلال الأنشطة المستقبلية للمسار.

٦– ملكية الطريق؛ أي من يملك الطريق ويتحكَّم فيه: هل للقدماء؟ أم لأصحاب المبادرة؟ أم لسكان الإقليم الذين لا يعلمون شيئًا عنه؟ أم لمن يسير على الطريق؟ أم لأبنائهم؟ أم للأجيال المستقبلية؟... وتوصَّل رعاة الفكرة إلى أن لقادة كل مجموعة صغيرة تسير على الطريق مكانة خاصة، علاوة على المسافرين الأوائل حيث سيكونون سفراء باسم الطريق ووجودهم مهمٌّ في تطوير الطريق والمبادرة ذاتها إلى حين مناقشة قضية ملكية أرض المسار على نحوٍ أوسع بعد اكتمال المشروع.

لمواجهة هذه التحديات وُضعت خطة تنفيذية على الأرض للتصدي لها والتعجيل بظهور المسار إلى أرض الواقع؛ بدأت بزيارات متكررة من وفود الدول على مسار الطريق شملت دول المرحلة الأولى.

ففي عام ٢٠٠٦ نُظمت زيارات لوفود من ١٠ دول حُرص خلالها على الترويج الإعلامي للزيارة. وفي الوقت عينه بدأت عملية التفاوض مع حكومات الدول لنشر المفهوم للحصول على الدعم السياسي للمسار. كما استُكشفت الجماعات المحلية والقيادات الدينية الممكن الاعتماد عليها خلال تنفيذ الطريق وتم تحديد فريق عمل بكل دولة من دول المسار. ومثَّل عام ٢٠٠٧ بداية مأسسة المسار من طريق إنشاء مؤسسة «مبادرة طريق إبراهيم» كمبادرة أهلية تحت مظلة جامعة هارفارد.

ومن المهم الإشارة إلى أن أصحاب المبادرة ذكروا في وثائقها أن الغرض من الارتباط بهارفارد هو تكوين سمعة جيدة للمبادرة بوصفها أكبر جامعة في العالم ولها وضعها واحترامها وصدقيَّتها وتحظى بالثقة، وهو ما يمثِّل مقاومة كبيرة للمخاوف الأولى التي طُرحت خلال بداية دراسة جدوى الطريق.

وفي هذا السياق، اختير الكيان كمؤسسة غير حكومية لا ترتبط بالإدارة الأمريكية إداريًّا، التي يعترض الكثير على دورها السياسي والعسكري في المنطقة نتيجة دعمها المستمر لإسرائيل وغزوها العراق وأفغانستان؛ وبخاصة أن المؤسسة تحتاج ليس إلى الدعم الحكومي فحسب، بل إلى الدعم الشعبي وتعاون المجتمعات المحلية بالأساس أيضًا، الأمر الذي يحتاج إلى الظهور بشكل محايد ومقبول أمام الدول المستهدفة.

في هذا الإطار، أعلنت المؤسسة عدم تبنّيها لأية رؤية سياسية أو انحيازها ضد أحد الأطراف في الصراعات الدائرة، وذلك لتضمن القبول المجتمعي لها وعدم التخوُّف من التعاون معها، بل ودعمها. فأعلنت هويتها كمنظمة «غير سياسية وغير طائفية مفتوحة أمام الجميع من دون تمييز، تكرِّم جميع الثقافات والأديان وتحترمها. فمهمَّتها ليست خلق مسار جديد بالمنطقة، بل مساعدة الناس على إعادة اكتشاف مسار قديم... فترفع شعار «نحن ببساطة نزيل الغبار عن خطى قديمة» لتؤكِّد أن هدفها بالأساس هو إحياء التاريخ المشترك وبناء الثقافة التاريخية المشتركة لأتباع الأديان الإبراهيمية».

وقد نجحت الجهود الأمريكية في ربط مسارات الحج المشتركة بمفهوم السلام الديني العالمي ورحلة النبي إبراهيم عليه السلام. وهذه الرحلة المذكورة تشمل دول مخطط أرض إسرائيل الكبرى وطريقها، حيث عَبَرَ إبراهيم من أور حتى مصر وفقًا لليهودية والمسيحية ووصل إلى مكة وفقًا للإسلام. وهذه المسيرة إذا تكاملت فستمتد من النيل إلى الفرات بالفعل.

- **مراكز ومؤسسات أو برامج الدبلوماسية الروحية**

مثَّل مطلع الألفية التوجُّه إلى مأسسة هذا الفكر المتعلِّق بالمشترك الإبراهيمي في هيئات ومؤسسات عاملة على الأرض، ويمكن اعتبار هذه المنظمات قائمة على الإيمان (Faith Based Organizations)، لكنها أشمل من الروحية، حيث تمثِّل الأخيرة أحد أنواعها، وتتألَّف من فاعلين من غير الدول كالمنظمات غير الحكومية، والعمال والقادة الدينيين والأفراد.

فهي مؤسسات دينية بارعة في حلِّ المشكلات التي لا يمكن للدبلوماسية العلمانية فهمها، مثل المصالحة التي تتم بواسطة معهد المصالحة في كشمير. ومثل هذا النوع من الدبلوماسية التي تمارسها هذه المؤسسات يجعل من الممكن عقد حوارات حول مفهوم البيئة الآمنة.

ومن أمثلة تلك المنظمات: المركز العالمي للدبلوماسية الروحية وهو مؤسسة أمريكية تعمل خارج أرض الولايات المتحدة في جزيرة برمودا، وشبكة أمريكا الشمالية للعقائد (North American Interfaith Network)، ومنظمة الأديان من أجل السلام بالولايات المتحدة، ومركز شارلوتسفيل المجتمعي، ومركز سانت إيثلبورغا للمصالحة والسلام في لندن وهو مركز مكرَّس لاستكشاف العلاقة بين الإيمان والصراع، ومشروع "الأرض الجديدة" وهو برنامج مشترك للتحالف اليهودي التقدُّمي ومجلس الشؤون العامة الإسلامية في لوس أنجلوس، ومبادرة الأديان المتحدة (URI) التي تأسَّست في عام ٢٠٠٠ ترفع شعارات التعاون بين الأديان وإنهاء العنف بدوافع دينية، وكلية العلاقات المسكونية والأديان بجامعة إنديانابوليس التي تقوم بتدريس مقرَّرات تدعو للفكر المطروح، ومعهد أبناء إبراهيم التابع لجامعة فيرجينيا وقد تمَّ تأسيسه في عام ٢٠٠٧، وبرنامج كامبردج للأديان بجامعة كامبردج والذي يركِّز على الهويات الأساسية لليهودية والمسيحية والإسلام في العالم المعاصر.. وتوجد مؤسات أخرى غيرها، وهي مؤسَّسات من الواضح تنوُّعها، فهناك مؤسسات أقرب إلى أن تكون دينية، وأخرى أكاديمية تتبع جامعات مرموقة، وفئة ثالثة مجتمعية.. إلخ.

ثانيا– نموذج لمؤسسات طرح المشترك الإبراهيمي

بعد استعراض أهم ما جاء في كتاب (الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي) نقدم في السطور التالية نموذجًا لإحدى المؤسسات التي تدعو إلى اتحاد المجتمعات الإبراهيمية مستعرضين ما تقدمه من أنشطة وفعاليات.

المؤسسة المتَّخذة كنموذج هي مؤسسة اتحاد تراث إبراهيم Abrahamic Reunion (وهذه هي الترجمة التي تتبنَّاها المؤسسة للمقابلة بين النصين العربي والإنجليزي لاسمها)، وقد تأسَّست في عام ٢٠٠٤ كما تقول عبر موقعها على الإنترنت، وتزعم أنها تهدف إلى التغلُّب على مشكلة التمييز والفصل العنصري في إسرائيل وفلسطين من خلال الجمع بين مجموعات صغيرة إلى كبيرة من الناس من الديانات الأربع الرئيسية –بحسب رؤية المؤسسة– وهي (الإسلام والمسيحية واليهودية والدرزية) لقضاء بعض الوقت، والعمل، والدراسة معًا وخلق جو من الثقة والتفاهم. الفرضية الأساسية هي أن الدين قد استخدم لتقسيم الناس في الأرض المقدسة ويمكن استخدامه أيضًا كقوة للجمع بين الناس مع احترام وجهات النظر والثقافات المتباينة. لم تنجح محاولة تقديم حلٍّ سياسي دون الحصول على دعم الشعب لمدة ٧٠ عامًا، وقد أزالت المؤسسة –إدراكًا لذلك– نفسها من أي موقف سياسي.

في جميع أنحاء إسرائيل وفلسطين، تقول المؤسسة إنها جلبت اليهود إلى المساجد، والمسلمين إلى المعابد، والمسيحيِّين إلى الأضرحة الدرزية، والدروز إلى الكنائس. ومنذ عام ٢٠٠٦، أقامت حفل إفطار رمضاني سنوي متعدِّد الأديان، ومنذ عام ٢٠١٨ عقدت المؤسسة ثلاث قمم سلام جمعت المئات. ومن خلال من تسمِّيهم صانعي السلام في اتحاد تراث إبراهيم، بات المعلمون اليهود يعملون الآن في المدارس العربية والعكس صحيح. كل هذه الجهود تهدم جدران الفصل التي تفصل بين أبناء إبراهيم في الأرض المقدسة وفق ادعاء المؤسسة.

تقول المؤسسة إن ميزانيتها في عام ٢٠١٨ بلغت ٢٢٠ ألف دولار أمريكي، وتدَّعِي أن لديها القدرة على التعامل مع ميزانية أكبر ١٠ مرات حال توفرها، لذا تدعو المهتمِّين إلى التبرع لها.

ويوجد للمؤسسة فروع ومكاتب في الأراضي المحتلة والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وألمانيا وكندا.

- **ما الذي تقوم به هذه المؤسسة من أنشطة؟**

تنشر المؤسسة على موقعها مقالات تتضمن رسائل بمضمون أهدافها، وكذلك صلوات مشتركة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين والدروز، وتعقد لقاءات دعوية مختلفة، وبرامج تدريبية وورش عمل للشباب، بالإضافة إلى الرحلات المشتركة بين أتباع الديانات الإبراهيمية، والاحتفالات المشتركة بالأعياد والمناسبات الدينية المختلفة لكل دين، مثل رمضان وعيد الفصح، وإقامة الصلوات المشتركة سواء يومية أو لمناسبة معينة، وهي عبارة عن أدعية ونصوص تُجمع من بنات أفكار أصحابها وتُمزج مع بعض النصوص والأذكار الدينية في الكتب المقدسة. وقد فرضت جائحة COVID-19 انتقال المؤسسة إلى الفضاء الافتراضي لممارسة أنشطتها التي كانت تقوم بها على الأرض، فصارت تقوم بعقد لقاءاتها وبرامجها وصلواتها المشتركة من خلال برامج وتطبيقات التواصل المرئي على شبكة الإنترنت، وهذه النشاطات تحرص المؤسسة على توثيقها ونشر مواد عنها بموقعها بشكل منتظم حتى وقت كتابة التقرير[٦].

عقب العدوان الإسرائيلي على غزة في مايو ٢٠٢١ كتب محمد أبو جاموس وهو المدير الفلسطيني للمؤسسة مقالًا يعبِّر فيه عن ما يشعر به من ألم جرَّاء وقوع هذه الحرب، ولكن الحرب هنا هي أمر واقع لا يوصف فيه طرف بأنه معتدٍ وآخر بأنه معتدًى عليه، ولكن هناك طرف يضم المحاربين، وطرف آخر يضم الأطفال الباكين والنساء الحاميات لهم الذين ينتظرون توقف هذه الحرب حتى تنبت الأزهار مرة أخرى في حقول السلام[٧].

ومن ثمَّ فإن الحقوق هنا ليست محلًّا للنقاش في رؤية هذه المؤسسة وأمثالها، ولكن المطلوب أن نتناسى الماضي بل والحاضر وننظر بواقعية إلى الأمام، وحيث إن هذا النظر لن يترتب عليه إلا مزيدًا من السيطرة والهيمنة الصهيونية فلا بأس من الترويج له وتمويل أنشطته والسماح له بالانتشار.

القسم الثالث– التفاعل مع الدعوة إلى المشترك الإبراهيمي

تفاوتت الاستجابات للدعوة إلى المشترك الإبراهيمي التي تصل إلى الدعوة إلى دين يسمَّى الدين الإبراهيمي، إلى اتجاهين: أحدهما مقاوم للفكرة ومعارض لها، والآخر مستجيب ومؤيِّد لها، ونستعرض كلا الاتجاهين فيما يلي:

أولا– المقاومة والمعارضة

قامت جهود متعدِّدة لمواجهة هذه الدعوة عبر كتابات مثل الكتاب الذي تمَّ عرضه في الجزء الأول من هذا التقرير، فضلًا عن مقالات في المواقع الإلكترونية والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى المقاطع المصورة على موقع YouTube وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي[٨].

(٦) انظر موقع مؤسسة اتحاد تراث إبراهيم، متاح عبر الرابط التالي: https://www.abrahamicreunion.org/about-us/

(7) Mohamad Jamous, Speaking From the Heart, The Abrahamic Reunion, 10 June 2021, available at: https://bit.ly/3jF0Sul

(٨) لنماذج مقاومة هذا الطرح، انظر:

– الديانة الإبراهيمية في ميزان الدين الإسلامي للدكتور عبد القادر الحسين، مقطع مصور على موقع Youtube، ١٠ أكتوبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/C9o65i80yOg

– المخطط إلابراهيمي والولايات المتحدة الإبراهيمية، لقاء على قناة فلسطين مع الدكتورة هبة جمال الدين على موقع Youtube، ٢ أكتوبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/qRneSp8DDlA

– الإبراهيمية دين جديد يعيد رسم خريطة الشرق الأوسط، لقاء مع د. هبة جمال الدين على قناة نعرف | Ne3raf على موقع YouTube، ٢٩ أغسطس ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/pTVuo5EPJ54

ومن النماذج المهمة لجهود مواجهة طرح الديانة الإبراهيمية: مؤتمر "موقف الأمة الإسلامية من الديانة الإبراهيمية"[٩].

نظَّمه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بالتعاون مع رابطة علماء السنة ورابطة علماء المغرب العربي مؤتمرًا افتراضيًّا عبر تطبيق ZOOM في ٩ رجب ١٤٤٢هـ/ ٢١ فبراير ٢٠٢١م، وأداره الشريف الحسن الكتاني رئيس رابطة علماء المغرب العربي، وشارك فيه مجموعة من العلماء من ١٦ دولة إسلامية؛ منهم مفتي القدس د. عكرمة صبري، ود. علي القره داغي الأمين العام للاتحاد العلمي لعلماء المسلمين، ود. محمد الحسن الددو من موريتانيا، ود. محمد العوضي من الكويت، ود. سلمان الحسيني الندوي من الهند، ود. عبد الحي يوسف من السودان، ود. عبد الوهاب إكينجي من تركيا، ود. عبد الستار الجنابي من العراق، وغيرهم من ليبيا وتونس ومصر وأستراليا وإندونيسيا والسنغال..إلخ.

وقد فنَّدَ هؤلاء العلماء في كلماتهم تلك الدعوة، واعتبارها فخًّا للسيطرة على المنطقة بطرق خبيثة، بدعوى التعايش بين الديانات الثلاث، وفي الحقيقة يُراد بذلك السيطرة على المنطقة وتمييع عقائد المسلمين وإفساد دينهم عليهم، وإهدار حقوقهم في مقدَّساتهم كما في القدس والمسجد الأقصى.

وفي البيان الختامي للمؤتمر تمَّ التأكيد على أن القرآن الكريم هو أعظم كتابٍ احتفى بإبراهيم عليه السلام، وأن علماء المسلمين مع التعاون الإنساني، والتعايش القائم على الحرية والعدل، وعدم ازدراء الأديان أو الأنبياء، ومع الحوار الإنساني لبناء المجتمعات، ولكنهم يقفون متحدين ضد تحريف الإسلام، وتشويه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما أن السعي لدعم «اتفاقيات إبراهيم» للتطبيع والتَّركيع عَبْر تسويقٍ لدينٍ جديدٍ يؤازر التطبيع السياسي هو أمر مرفوض شكلًا وموضوعًا، وأصلًا وفرعًا؛ ذلك أن الأمة المسلمة لم تقبل بالتطبيع السياسي منذ بدأ أواخر السبعينيات من القرن الميلادي الفائت، ولن تقبل اليوم من باب أَوْلَى بمشاريع التطبيع الديني، وتحريف المعتقدات[١٠].

خرجت أصوات تهاجم هذا المؤتمر من جانب شخصيات ومؤسسات تابعة للدول والجهات التي تروِّج للمشترك الإبراهيمي؛ فمن جانبه قال وسيم يوسف، وهو أردني إماراتي يتبنَّى دائمًا تأييد المواقف الإماراتية الرسمية في برنامجه "بيوت من زجاج"، إن المؤتمر يحاول "تشويه ثقافة التعايش الديني الذي تقوده دولة الإمارات العربية المتحدة". ودافع عن "البيت الإبراهيمي" الذي شيدته الإمارات ويضم مسجدًا وكنيسة وكنيسًا في مكان واحد. كما هاجم العلماء المشاركين في المؤتمر متهمًا إيَّاهم بأنهم هم من أفتوا لداعش، وأفتوا للثورات، وأفتوا بنحر الأعناق، وأفتوا بالخروج على السلطان[١١].

بدوره قام موقع قناة الحرة الأمريكية بنشر مقال لكاتب سوداني يُدعى منصور الحاج، ينعى فيه على منظِّمي المؤتمر اعتباره فكرة «الدين الإبراهيمي» فكرة باطلة، وقَرَنَ موقف العلماء المجتمعين فيه بموقف تنظيم الدولة "داعش" الذي اعتبر فيه الإبراهيمية "ديانة الكفر والإلحاد الجديدة"، وقال إن هذا التوافق بين الفريقين لم يحدث صدفة، لأن المشتركات بينهم أكبر من الاختلافات.

– وسيم يوسف | الدين الجديد | الدين الإبراهيمي، مقطع مصور للداعية عبد الله رشدي على قناته على موقع YouTube، ١ أكتوبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/iUpZlGUw1JQ

– الديانة الإبراهيمية من الألف إلى الياء، مقطع مصور على قناة على بصيرة على موقع YouTube، ٥ أكتوبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/vf-OzeJZZhE

– الإبراهيمية، الدين العالمي الجديد وإستراتيجية أمريكا للشرق الأوسط، مقطع مصور للدكتور رائف حسين على قناته "قف وفكر Raif Hussein" على موقع YouTube، ١٧ سبتمبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/FxANBsIT_Z0

(٩) مؤتمر موقف "الأمة الإسلامية من الديانة الإبراهيمية" بمشاركة علماء من عشرين دولة، تسجيل مصور للمؤتمر على موقع YouTube، ٢١ فبراير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/oevFJ41Q-QE

(١٠) البيان الختامي لمؤتمر موقف الأمة الإسلامية من الديانة الإبراهيمية، رابطة علماء أهل السنة، ٢٥ فبراير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://www.rabtasunna.com/7837

(١١) وسيم يوسف يهاجم مؤتمرا حول موقف الأمة من الديانة الإبراهيمية، عربي ٢١، ٢٠ فبراير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2TxifTk

وبعد أن قال إن "الديانة الإبراهيمية" هي ادِّعاء باطل لا وجود له، قال: ولو افترضنا جدلًا وجود دين جديد يجمع بين الإسلام والمسيحية واليهودية، فما الضير في ذلك؟ بل على العكس، فإنها لَفكرة إيجابية تستحق أن يُحتفى بها، لأنها تسعى لنشر السلام والتسامح والتعايش السلمي في العالم وتهدف إلى القضاء على التطرف الديني.

وقال: لو كانت "الديانة الإبراهيمية" دينًا، فإن من الأولى لأتباع الديانات الثلاث اعتناقها، ليس فقط لكونها تؤسِّس لمستقبل أفضل لبني البشر على كوكب الأرض، وهو أمر يسعى له العقلاء من جميع الأديان بل أيضًا لسبب برجماتي قد يستفيد منه حتى من يحرصون على النجاة في الآخرة، وهو أن معتنق الديانة الإبراهيمية يؤمن برب الإسلام ورب اليهودية ورب المسيحية؛ وبالتالي فإنه يرفع حظوظه في الخلود في النعيم إلى ثلاث مرات مقارنة بمن يؤمنون فقط بدين واحد، فهم يراهنون على فرصة واحدة فقط للنجاة[١٢]!

ثانيًا– الاستجابة والتأييد

من الشخصيات الحاضرة بقوة في مشهد المشترك الإبراهيمي يبرز اسم الشيخ عبد الله بن بيه، رئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة ورئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي؛ حيث يحرص على تأكيد أهمية أدوار أتباع أديان العائلة الإبراهيمية في نشر قيم السلم وتعزيزه في العالم. وأن أبناءَ العائلة الإبراهيمية يتشاركون في الرواية الأصيلة للقيم والفضيلة وأصول الأخلاق التي تؤسِّس للسلام والتعايش بين مختلف الشعوب، وقال إنه من هذا المنطلق فقد قام منتدى تعزيز السلم، وبالتعاون مع قيادات دينية من أنحاء العالم بوضع الأسس لصناعة تحالف أخلاقي بين ديانات العائلة الإبراهيمية الثلاث بكل فصائلها ومذاهبها، وبمشاركة محبِّي الخير من أبناء العائلة الإنسانية الكبرى ويسعى هذا الحلف، الذي اختار اسم حلف الفضول الجديد، إلى التعايش السعيد في هذا العالم الذي نعيشه اليوم، باعتباره ضرورة وواجبًا دينيًّا تدعو إليه جميع الديانات.

وأشار إلى أن "ميثاق حلف الفضول الذي أصدرته العائلة الإبراهيمية السنة الماضية (٢٠١٩) في أبوظبي يمكن أن يشكّل مرجعية قوية للانطلاقة الجديدة، فقناعتنا أن ميثاق حلف الفضول ليس مجرَّد مبادئ نظرية، لا فاعلية لها، بل تجب ترجمته وبلورته في منهج عملي وبرنامج تطبيقي"[١٣].

وكذلك كتب الدكتور رضوان السيد مؤيِّدًا الدعوة قائلًا: ما دَخَلَ المشتركُ الإبراهيمي أو العهد الإبراهيمي بين الديانات الثلاث في دبلوماسية الدول وخطابها في السياسة الخارجية حقًّا إلا في السنوات الأخيرة، من جانب دولة الإمارات العربية. وتساوقَ ذلك بالتأثير أو العمل المشترك مع دعوة الأزهر ومجلس الحكماء ومنتدى تعزيز السلم – من رفْع لواء التسامح والتعارف إلى الدخول من طريق المشترك الإبراهيمي، إلى وثيقة الأخوة الإنسانية بين شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان (٤ فبراير ٢٠١٩)، إلى ميثاق حلف الفضول الجديد من جانب منتدى تعزيز السلم، ورئيسه الشيخ عبد الله بن بيه، عام ٢٠١٩ أيضًا. وقد انطلق كلا الإعلانين من أبوظبي كما هو معروف.

وبالرغم من تصريحه بأنَّ الدبلوماسية الروحية أو الدينية (وليس الإبراهيمية) استخدمت بعد عام ٢٠٠١ بكثافة، لكنها كانت اشتراطية اعتذارية، وربما استبعادية، وليست بقصد الجمع والضمّ والاعتراف المتبادل أو التعارف، فإن الدكتور رضوان يستدرك في النهاية قائلًا: ما كان صحيحًا في الماضي، وليس صحيحًا اليوم: اعتبار المشترك الإبراهيمي خطابًا استعماريًّا لأنَّ فلانًا أو عِلانًا من الأميركيين وغيرهم ذكره أو خطب فيه أو دعا إليه. فالمسلمون عانوا، كما عانى دينهم، من الاستبعاد لعصورٍ متطاولةٍ، من جانب المسيحية المسيطرة بالذات. وزادت الطين بلّة تيارات التطرف والإرهاب. فنحن باعتبارنا بشرًا، وباعتبارنا أهل دين عالمي،

(١٢) منصور الحاج، تحالف الجهاديين ودعاة الكراهية ضد السلام والتسامح، قناة الحرة، ٢٥ مارس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://arbne.ws/3hvvN9Y

(١٣) انطلاق مؤتمر "دور العائلة الإبراهيمية في تعزيز السلام"، العين الإخبارية، ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3yfzDuk

وباعتبار ديننا جزءًا من كرامتنا وإنسانيتنا، لدينا مصلحة كبرى في هذا الاعتراف المتبادل الذي يقود الدعوة إليه وإلى إحقاقه البابا فرنسِس، وتنخرط فيه من الجانب الإسلامي مؤسسات دينية كبرى ومدنية بارزة وجهات سياسية معتبرة. وما من شيء من ذلك فيه «تقليد» للاستعمار، ولا عملٌ له. فكفانا أوهامًا وفصاميات؛ لا نريد أن نخاف من العالم، ولا أن نخيفه، بل نريد أن نكون ونبقى جزءًا في حاضره ومستقبله(١٤).

تتردَّد أصداء هذه الدعوة كذلك في مقال نشره موقع قناة العربية السعودية، إذ يقول كل من البروفيسور لورد ديفيد ألتون والدكتور وائل العجي في مقالهما: إن العائلة الإبراهيمية تتألَّف من أكثر من ثلاثة مليارات مؤمن، ترغب أغلبيتهم الساحقة في العيش بسلام وتوافق، وقد حان الوقت للشخصيات الحكيمة والعاقلة من كل الأطراف لتتلاقى، وترفع صوتها لتتحدَّى وتفكِّك خطاب التطرُّف والكراهية، وتسترجع الأديان الإبراهيمية من أيدي الأشخاص والجماعات التي تستغلها لتحقيق مكاسب وأطماع سياسية، مغذية بذلك نظريات صراع الحضارات.

ويضيفان: إن المبادرات التي ظهرت مؤخرًا في أنحاء مختلفة من العالم تدعو للتفاؤل، فمن السعودية والأردن ومصر والإمارات والعراق وإسرائيل والفاتيكان نشهد عددًا من المبادرات والأفكار التقدُّمية في هذا المجال، ومحاولات واعدة للحوار وتحقيق السلام.

وثمَّنَا على وجه الخصوص الزيارة غير المسبوقة التي قام بها رئيس رابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد بن عبد العزيز العيسى لمعسكر الاعتقال النازي في أوشفيتز في بولندا على رأس وفدٍ ضمَّ ٦٢ عالمًا مسلمًا من ٢٨ دولة إسلامية مختلفة. كما شارك وفد رسمي من اليهود الأميركان في تلك الزيارة أيضًا(١٥).

خاتمة

بعد استعراض ما سبق من معلومات عن فكرة المشترك الإبراهيمي التي يطوِّرها البعض إلى ديانة جديدة تسمَّى الديانة الإبراهيمية، فإننا يمكن أن نسجل عددًا من الملاحظات على النحو التالي:

فكرة المشترك الإبراهيمي ليست جديدة، بل تعود جذورها إلى عقود طويلة، طُرحت فيها الفكرة وباتت محلًّا للتنفيذ عندما تبنَّتها دوائر سياسية بعد اقتناع بجدواها وتهيئة الظروف المناسبة لها سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا في المنطقة العربية.

فالتربة السياية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمنطقة العربية تمَّ حرثها مرات عديدة خلال هذه الفترة بعد عددٍ من الحروب وإسقاط عددٍ من الأنظمة وإجراء تغييرات في بيوت الحكم، وخلق واقع اقتصادي جديد مرتبط أكثر من ذي قبل بالاقتصاد العالمي، وإجراء تجارب متعدِّدة في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، فيما يتعلَّق بالأسرة والتربية والتعليم والمشروعات الاقتصادية والمناخ السياسي الذي تم إضعاف القوى المدنية الفاعلة فيه، ومن ثم اضطرار السلطات الحاكمة للاعتماد على تأييد ودعم خارجي لا شعبي، ممَّا يسهِّل تمرير المخططات الرامية لتغيير الوضع في المنطقة لصالح إسرائيل وهيمنتها على المنطقة.

فقبل أن تتغيَّر خطط تسريع عملية التطبيع من منظور المشترك الإبراهيمي التي كان يعمل على الإسراع بها ترامب ونتنياهو أملًا في بقائهما مدة أخرى في السلطة، كان قد تم إنشاء «صندوق إبراهيم» بقيمة ٣ مليارات دولار لخدمة أهداف هذه الاتفاقيات مما يساعد على الاقتناع والتمسُّك بها من جانب الدوائر السياسية والاقتصادية العربية، لكن مع وصول جو بايدن للسلطة وخروج ترامب من البيت الأبيض، يبدو أن هذا الصندوق توقَّف، حيث استقال أربيه لايتستون، الذي عيَّنته إدارة ترامب لإدارة الصندوق، ولم يتم تعيين بديل. في الوقت نفسه، أثيرت تساؤلات حول شفافية الصندوق، ومقره في إسرائيل، وهل تم تسييسه أم لا؟

---

(١٤) رضوان السيد، الدبلوماسية الدينية والمشترك الإبراهيمي، الشرق الأوسط، ١٦ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2Uq7W3i

(١٥) البروفيسور لورد ديفيد ألتون والدكتور وائل العجي، الأديان الإبراهيمية: دعوة للوحدة وليس للصراع، العربية، ٢٢ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3xhMRXt

وبغض النظر عن موقف إدارة بايدن فإن الشاهد هنا مدى الاستجابة لبعض الدوائر العربية المستفيدة من عملية التطبيع، فبحسب "تايمز أوف إسرائيل" فإنه تم تقديم أكثر من ٢٥٠ طلبًا إلى الصندوق في الفترة ما بين أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٠ إلى يناير/كانون الثاني ٢٠٢١، بما في ذلك شركات خاصة ومبادرات شبه عامة في الإمارات العربية المتحدة والأردن والبحرين ومصر وأماكن أخرى في المنطقة، كان بعضها مشاريع مشتركة ثنائية. تم اختيار خمسة عشر مشروعًا في نهاية المطاف وإرسالها إلى مؤسسة تمويل التنمية الدولية الأمريكية DFC في واشنطن للموافقة عليها، وفقًا للمصادر(١٦).

وبالرغم من تراجع إدارة بايدن عن استخدام هذا المصطلح على هذا المستوى الذي استخدمه فيه ترمب، باعتبار المصطلح علامة تجارية للرئيس السابق(١٧)، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن هناك تراجعًا عن الفكرة، ولكن ربما كان ترمب متسرّعًا كعادته في حرق المراحل، أملًا في إعادة انتخابه، وفريقه لا يزال يحاول الحفاظ على مكتسبات إدارته وتهيئة الأرض في المنطقة استعدادًا لعودة محتملة بعد رحيل إدارة بايدن، إذ تعاونت اثنتان من كبار المسؤولين السابقين في إدارة ترامب هما: فيكتوريا كوتس، التي شغلت منصب نائب مستشار الأمن القومي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وإيلي كوهانيم، نائبة المبعوث الخاص السابق لوزارة الخارجية لرصد ومكافحة معاداة السامية، في إنشاء مؤسسة فكرية تتمحور حول الشرق الأوسط لمكافحة معاداة السامية المتزايدة والعمل على توسيع السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب. وذلك من أجل ضمان دعم الأعمال الأساسية التي أرستها «اتفاقيات إبراهيم» التي لعبت فيها كوتس دورًا مركزيًّا في تمهيد الطريق لإدارة ترامب للتوسُّط في اتفاق سلام تاريخي بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة والبحرين، والحفاظ على التزام أمريكا تجاه إسرائيل ومحاربة معاداة السامية العالمية(١٨).

لا يعني تراجع إدارة بايدن عن نهج ترمب تأثر هذا الطرح سلبًا، فهو طرح تقوم عليه مؤسسات متخصِّصة وله إدارات ومكاتب مختصة بأروقة الإدارة الأمريكية وبالطبع الإسرائيلية ويتم تنسيق آليات تنفيذه مع العديد من الحكومات ودوائر السياسة والمال والأعمال في المنطقة وخارجها.

بالرغم من وقوف شيخ الأزهر في وجه دعاوى الاستسلام لإسرائيل أكثر من مرة وبشكلٍ علنيٍّ وبما يخالف توجُّهات النظام المصري في كثير من الأحيان، لكنه يبدو مندرجًا داخل عملية الترويج والتفعيل للطرح الإبراهيمي، الذي يبدو بابا الفاتيكان في طليعة المروِّجين له، الأمر الذي يُظهر البابا قائدًا لهذه الحركة وشيخ الأزهر تابعًا له فيها، فهو لا يبدو داعية لها، ولكنه مشارك في جزء من فعالياتها بشكلٍ رسمي، ويوفد ممثلين ومندوبين عنه في هيئاتها، فإذا كان شيخ الأزهر يرى في نفسه مقدرة على المناورة والصمود في وجه ما لا يريد في النهاية، فإن هذا الأمر لا يبدو متَّسقًا مع إدارته لمؤسسة ستتأثر في الغالب بمثل هذه الخطوات بعد رحيله عنها في يومٍ من الأيام، حين يترك لها واقعًا تجد نفسها فيه أسيرة لأطراف دولية تساهم في تمويل مشروعاتها ومرتبطة بشبكة من العلاقات على مستوى إقليمي ودولي، ومطلوب منها أن تستمر في الوفاء بما تمليه هذه العلاقات والشراكات ورغبات (أو اشتراطات) الأطراف المموِّلة، فمن الواضح أن شيخ الأزهر لا يدير المؤسسة بطريقة مؤسسية، وضمان استمرار الأزهر على مواقف شيخه، مرتبط بوجوده الشخصي على رأس المشيخة، لكن في حال غيابه فإن الأزهر سيتكيَّف على توجُّهات شيخه الجديد، وهنا مكمن الخطورة التي يجب أن تحجز شيخ الأزهر عن الاندفاع في إقامة علاقات خارجية يظن أنه قادر على التحكم في مآلاتها، لكن قد لا يملك

(١٦) خير الدين الجابري، المشروع الخفي والمليارات تبخرت.. ما حكاية "صندوق أبراهام" الذي وعد ترامب الدول المطبعة مع إسرائيل به؟، عربي بوست، ٤ مارس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3jAvHAu

(17) Adam Kredo, State Department Shuns Term 'Abraham Accords', The Washington Free Beacon, 4 June 2021, available at: https://bit.ly/3dIjRAr

(18) Adam Kredo, Former Trump Officials Launch Mideast Think Tank, The Washington Free Beacon, 30 June 2013, available at: https://bit.ly/36fZlms

من يأتي بعده هذه المقدرة، أو ربما لا تكون لديه رغبة في مقاومة هذه المآلات.

تبيَّن مما سبق أن المخططات والبرامج المنبثقة عن فكرة المشترك الإبراهيمي، تصب في النهاية في مزيد من الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة وقيادتها لها، كما يبدو مسار إبراهيم الذي يشمل عشر دول هو فرض واقع تدريجي يتبلور في النهاية تحقيقًا لحلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

لا تبدو الصدمات التي تعرَّضت لها التيارات والمؤسسات والشخصيات ذات الحيثية الدينية بعيدةً عن التهيئة لمثل هذه الطروحات أو على أقل تقدير توفِّر بيئة خصبة لها، فالتشويه المتعمَّد للتيارات والمؤسسات والشخصيات ذات الحيثية الدينية، وكذلك الأخطاء التي يقعون فيها، ممَّا يؤدِّي إلى نفور أو خوف من التأثُّر بها والاستجابة لها، وهناك بالتوازي مع ذلك دفع نحو الإلحاد تبدو بوضوح ملامح الترويج له، وهو ممَّا يؤدِّي إلى الاستهانة بشأن الدين في النفوس، لكن هذا الوضع ممَّا لا يستقر معه الإنسان، خصوصًا في المجتمعات الشرقية، الأمر الذي قد يؤدِّي في النهاية إلى جذب فكرة المشترك الديني الإبراهيمي لهذه الشرائح المجتمعية التي باتت تنفر من الدين الذي تمَّ تشويهه بالنسبة لها، حيث تجد في تلك الفكرة ما يشعرها ببعض الراحة، حيث تنجذب إلى ما تنادي به من أفكار مجرَّدة عن السلام وخلاص من الصراعات التي غرقت فيها مجتمعاتنا عقودًا طويلة.

تبدد فكرة المشترك الإبراهيمي حقوق شعوب المنطقة في إدارة شؤونها السياسية والثقافية والاجتماعية كما تحول بينها وبين الانتفاع بثرواتها وتضعها تحت تحكم الطرف الأقوى القادر على إدارتها، وهذه القدرة لم تفقدها هذه الشعوب إلا بسبب الدعم الكبير الذي توفره القوى الكبرى للحكومات الموالية لها، لكن القدرة متوافرة حال تمتُّع هذه الشعوب بحريَّتها، أما الأنظمة الحاكمة فسوف تتراجع مكانتها وأدوارها تدريجيًّا حال تنفيذ برامج ومخططات المشترك الإبراهيمي، الذي يصل البعض به إلى اتحاد المنطقة فدراليًّا تحت اسم الولايات المتحدة الإبراهيمية.

يجب الاهتمام برفع الوعي بمثل هذه القضايا على مستويات متنوعة عليا ودنيا في دوائر المجتمع المدني، والتي يتم استغلالها في تنفيذ هذه المخططات بطريقة جزئية تتكامل مع أدوار أخرى لتحقق المطلوب دون شعور المشاركين أنهم جزء من مخطط أكبر ما كانوا ليوافقوا عليه لو طُرح بشكل كامل عليهم. ومن هذا المنطلق فإنه يجدر التنبيه إلى الاستغلال الذي يتم للتيارات الصوفية وللدوائر الاقتصادية وريادة الأعمال في مثل هذه المخططات.

تبدو الاستجابة لمثل هذا الطرح مستدعية لصراع المعسكرات المتصارعة في المنطقة؛ حيث تبدو المقاومة والمعارضة لطرح المشترك الإبراهيمي بشكل عام من نصيب التيارات الإسلامية والقومية، في حين تبدو أذرع التيارات المؤيِّدة للحكومات أكثر استجابة لمثل هذا الطرح والانتفاع منه. يعد طرح المشترك الإبراهيمي بهذه الآليات السياسية والدبلوماسية والأكاديمية التي تقف خلفه تأكيدًا على تعاظم دور الدين في هذه المجالات، خاصة المجال الدبلوماسي، فقد كان هذا التقدير للدين كطرف إيجابي أحد العوائق لدى الدبلوماسيِّين الغربيِّين، فقد كانت معظم مبادرات السياسة الخارجية خالية من السياق الديني، ومن شأن هذا النقص أن يحدَّ من نطاق الفاعلية الدبلوماسية[١٩].

*****

(١٩) انظر في ذلك: ألن كيسويتر والأسقف جون شاين، الدبلوماسية والدين: البحث عن مصالح مشتركة والانخراط في عالم من الاضطرابات والتغيُّرات الديناميكية، (الدوحة: مركز بروكنجز، أكتوبر ٢٠١٣)، ص ٧، متاح عبر الرابط التالي: https://brook.gs/3hBnpWr

«سيف القدس» تهزم «حارس الأسوار»؟ الجديد والمنتظَر بعد مواجهة فلسطين للعدو مايو ٢٠٢١

مدحت ماهر*

كثيرون لا يعرفون من أين أتت هذه الحرب والانتفاضة الأخيرة، وأكثرنا لا يعرف إلى أين ستمضي؟ وماذا بعدها. لماذا لا نعرف؟ لأن القضية أضحت مملولة وتتراجع بلا جديد منذ أوسلو ١٩٩٣، والأحداث الكبرى قد تتولد من حادث صغير لكن وراءه حالة كبرى. إن قرار محكمة صهيونية في سبتمبر ٢٠٢٠ بإخلاء أربع عائلات فلسطينية من حي الشيخ جرَّاح بالقدس (عائلات إسكافي والكرد والجاعوني والقاسم)، ثم قرار آخر في أكتوبر التالي بإخلاء ثلاث عائلات أخرى (حماد والدجاني وداوودي)، ثم تحويله لقرار نهائي في فبراير ٢٠٢١ بإخلاء المجموعة الأولى من العائلات بتاريخ ٢ مايو وإخلاء المجموعة الثانية في الأول من أغسطس المقبل[١]. لم يكن لأحد أن يتنبه إليه أو يكترث به؛ لاعتياد مئات الأحداث أمثاله، ولأن ما هو أسوأ منه يجري كل يوم.

لقد كان المراقبون والمعنيون بالقدس وفلسطين يتابعون قصة أخرى تتعلق بإجراء الانتخابات التشريعية الفلسطينية لإعادة ترتيب البيت المنقسم؛ وكانت العقبة ماثلة في كيف تُجرى في القدس، في ظل رفض الكيان الصهيوني كما أبلغ السلطة حتى الأسبوع الأخير من أبريل؛ ما حدا بالسلطة الفلسطينية إلى الإعلان عن احتمالات تأجيل الانتخابات[٢]. **فهل أججت إسرائيل قضية الإخلاء للإجهاز على فكرة انتخابات في القدس تستعيد أنها عاصمة فلسطين لا إسرائيل؟ أم كان الفلسطينيون يضغطون بهذه الورقة لحلحلة وضعية القضية المتجمدة في ظل مُضيّ تطبيع عربي متزايد عُرف بصفقة القرن؟ أم تعمدت المقاومة استغلال الموقف لفك الحصار المنصوب حولها وحول القضية لتصفيتها؟ أم هل انزلق الطرفان إلى الصراع؟** أيًا كانت الإجابة التي يسفر عنها البحث، فإن السؤال الأهم بعد ذلك هو: **كيف أدار كل من الطرفين –ومن حولهما من أطراف إقليمية ودولية– الصراع؟ وما الجديد في ذلك بالنظر على الأقل إلى صراع ٢٠١٤؟** بناء على ذلك: ماذا ننتظر في الأشهر القريبة عقب انتهاء العدوان المسلح وسكون المقاومة؟

بداية المواجهة:

من يراجع الأسبوع السابق على اندلاع المعركة يرى أنه أمام محاولة صهيونية لتنفيذ قرار باغٍ يواجهه رفض ومقاومة من الأهالي، ومع تضامن إخوانهم معهم تطورت الأحداث تطورا ذا دلالة. ففي السادس من مايو الماضي نظم فلسطينيون وقفة تضامنية مع أهالي الشيخ جراح (من أحياء القدس)، فواجهتهم قوات الصهاينة بالقمع والاعتقال. وافق اليوم التالي الجمعة الأخيرة من شهر رمضان فأدى

---

* باحث دكتوراة في العلوم السياسية، والمدير التنفيذي لمركز الحضارة للدراسات والبحوث.

(١) عهد فاضل، "الشيخ جراح".. قصة الحي الفلسطيني الذي شغل العالم، العربية.نت، نشر في: ١٠مايو ٢٠٢١: متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/hq0gl
وانظر: محمد وتد، الشيخ جرّاح.. القصة الكاملة لحي فلسطيني يحارب التهويد والاستيطان، الجزيرة، ٣١ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3yls0Tp
وانظر: تسلسل زمني.. من الاعتداء على الأقصى والشيخ جراح إلى العدوان على غزة واحتفال المقاومة بـ"النصر"، الجزيرة، ٢١ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3hyXxKR

(٢) عبير ياسين، تأجيل الانتخابات التشريعية الفلسطينية: تداعيات وتحديات، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٤ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3dMmP7b

نحو سبعين ألف فلسطيني صلاة الجمعة في المسجد الأقصى، تحت تضييقات قصوى من قوات الاحتلال (يتسع المسجد لمائتي ألف)، ووقعت مواجهات بين فلسطينيين ومن يسمون بـ(مستوطنين) صهاينة محميين من قوات الاحتلال أرادوا فض الوقفة التضامنية، ثم اقتحمت شرطة الاحتلال المسجد عِشاءً واعتدت على المصلين وأصابت فوق المائتين في المسجد وعند باب العمود وحي الشيخ جراح. يومها ذكرت شرطة الاحتلال أن سبعة عشر من جنودها أصيبوا. استمرت المواجهات يومي ٨ و٩ مايو بوتيرة أقل، وأغلق الاحتلالُ الحيّ وحال دون دخول أحد غير ساكنيه. وعقب ليلة السابع والعشرين من رمضان وفي صباح اليوم التالي ١٠ مايو اقتحم آلاف الأفراد من شرطة الاحتلال المسجد الأقصى، وأطلقوا الرصاص الحي والمطاطي وقنابل الغاز والصوت، فأحرقوا مصاحف شريفة وهشموا نوافذ وأصابوا المئات وعملوا على الحيلولة دون إسعافهم، وأغلقوا المسجد فصلى عشرات من الفلسطينيين الظُهر عند باب الأسباط في الوقت الذي توافد فيه مستوطنون يهود لاقتحام المسجد وجاء إلى الحيّ وفد من بعض أعضاء الكنيست المعروفين –حتى بين الصهاينة– بالتطرف، وتجدد الاعتداء على المتضامنين مع أهل الحي[٣]. **فماذا كانت تريد سلطة الاحتلال من هذا التصعيد؟**

هنا –وأثناء التطور الأخير الذي كان عصر ١٠ مايو– اخترقت المقاومة في غزة المشهد؛ حيث نشرت كتائب القسام قبيل الخامسة مساء بيانا **تمهل فيه الكيان الصهيوني حتى السادسة مساء (أي نحو ساعة) لسحب جنوده من المسجد الأقصى وإطلاق سراح من اعتقلهم**[٤]. سرعان ما أعلنت الحكومة الصهيونية فتح مدن وبلدات ما يعرف بغلاف غزة ملاجئها العامة تحسُّبًا لإطلاق صواريخ من غزة، وتغيير مسار رحلات جوية مدنية من مطار بن جوريون بتل أبيب. مع انتهاء المهلة التي أعلنت عنها المقاومة مباشرة أطلقت رشقة صاروخية باتجاه ما يسمى بـ(المستوطنات) الصهيونية، ثم سُمع دوي انفجارات في القدس نفسها، **لتعلن كتائب القسام عن توجيهها ضربة صاروخية للعدو في القدس المحتلة** ردًّا على جرائمه وعدوانه على المدينة المحتلة، مردفة: **(صواريخنا رسالة على العدو أن يفهمها جيدا، وإن عدتم عدنا وإن زدتم زدنا)**[٥].

ثم أعلنت سرايا القدس مسؤوليتها عن استهدافِ عربة عسكرية صهيونية شرق غزة بصاروخ موجَّه مؤكّدة إصابتها. وتوالت رشقتان أو ثلاثٌ قبل أن تخرج طائرات العدو لاستهداف قطاع غزة وقصف عدة مناطق فيه وتبدأ أخبار القتلى والمصابين الفلسطينيين (مجزرة أولى ببيت حانون سقط فيها تسعة شهداء دفعة واحدة)، على النحو المعتاد في كل عدوان. وأعلن جيش العدو استعداده لعمليات عسكرية واسعة النطاق في القطاع، ونشر المزيد من بطاريات منظومة القبة الحديدية في عدة مناطق وسط كيانه.. كل ذلك مع استمرار المواجهات بين الفلسطينيين العزَّل وقوات الاحتلال في القدس الشريف خاصة في باب العمود، والتي اتسعت في مناطق عدة بالضفة الغربية طوال هذه الليلة. وفي وقفة لافتة –وقبيل منتصف الليل– قرعت كنائس فلسطين أجراسها تأييدا لمقاومة القدس وغزة، في وقت أعلن الاحتلال منع دخول المواد الغذائية والطبيّة والوقود إلى غزة بإغلاق معبر كرم أبو سالم[٦].

إطلالة على تطورات المواجهة

لمدة عشرة أيام أخرى (١١–٢٠ مايو) وحتى وقف إطلاق النار أدار الطرفان صراعا حاميا؛ حيث بدا الأداء العسكري الأساسي الآتي: من قِبل الصهاينة غارات جوية وقصفات من البحر والبر على قطاع غزة مع تعمَّد تدمير البنية التحتية والاستهداف المعلن للمباني السكنية والمدنية ومحاولة استهداف مواقع المقاومة، والتسبب

(٣) انظر: تسلسل زمني.. من الاعتداء على الأقصى والشيخ جراح...، مرجع سابق.

(٤) "كتائب القسام" تمهل القوات الإسرائيلية حتى السادسة مساء للانسحاب من الأقصى وحي الشيخ جراح، تاريخ النشر: ١٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/PaXcM

(٥) كتائب القسام: صواريخنا رسالة على العدو أن يفهمها جيدا وإن عدتم عدنا وإن زدتم زدنا، المدينة الإخبارية، ١٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Z6jxu

(٦) كنائس فلسطين تدق أجراسها دعما لغزة ونصرة للقدس، تاريخ النشر ١٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/NLhvq

في مجازر بشرية عدة. هذا في مقابل رشقات صاروخية كثيفة ومتوالية من القطاع تجاه مدن غلاف غزة بالأساس وبعضها تجاه مدن أبعد، ومنها تل أبيب عاصمة الصهاينة، مع توالي الإعلان عن شهداء في غزة وأعداد كبيرة من المصابين في مقابل الإعلان عن إصابات قليلة في صفوف الصهاينة وخسائر لا تقارن بما يقع في غزة وبقية فلسطين.

ويمكن إجمال أهم مراحل المعركة على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: استعراض القدرات المتقابلة (العدو بقواته ومستوطنيه وفلسطين بمقاومتها وشعبها): حيث شهد اليوم الأول ١١ مايو إعلان جيش العدو إطلاقه عملية عسكرية على قطاع غزة باسم (**حارس الأسوار**)، ومع الساعات الأولى نشرت كتائب القسام بيانًا بأنّ الضربة التي وُجّهت نحو القدس نُفّذت بصواريخ تحملُ رؤوسا متفجرة بقدرة تدميرية عالية يصلُ مداها إلى ١٢٠ كم وتدخل الخدمة بشكل مُعلنٍ لأول مرة، وأطلقت على عملياتها اسم "**سيف القدس**"[٧]. وحين عاودت إسرائيل استهداف برجٍ سكني في غزّة عبر غارة جويّة ما تسبَّب في انهيارهِ بالكامل، ردَّت كتائب القسام بتوجيهِ ضربة صاروخيّة (قالت إنها الأكبر) لتل أبيب وضواحيها بـ١٣٠ صاروخًا، وأكّدت القناة ١٢ الإسرائيليّة إصابة مبنى في ضاحية هولون في تل أبيب بصاروخ أُطلق من غزة، قبل أن تُؤكّد نفس القناة مقتل امرأة إسرائيلية جراء سقوط صاروخ على مدينة ريشون لتسيون شمال تل أبيب[٨]. وفيما أقدم مسلحٌ صهيوني على قتلِ شابٍ فلسطيني من مدينة اللد داخل الخط الأخضر وأصابَ آخرين بجروح، اندلعت اشتباكاتٌ بين فلسطينيين وإسرائيليين في أم الفحم داخل مناطق ٤٨؛ في توسعة مهمة لساحة المواجهة. وقد نجحَ المعتكفون في الأقصى في أداء صلاة الفجر بعد انسحاب قوات الاحتلال عقبَ مواجهاتٍ عنيفةٍ، وفي المساء عاودت عشراتٌ من قوات الاحتلال اقتحام باحات المسجد الأقصى عقب صلاة التراويح[٩].

المرحلة الثانية: التصعيد المتبادل: اليوم الثاني ١٢ مايو يوم استهداف أركان غزة والمقاومة والضربات المتبادلة وظهور الدور الخارجي: فاستمر استهداف أبراج غزة: برج الجوهرة ثم برج الشروق، وتدمير جميع مباني مقر قيادة الشرطة، ومقتل القائد الميداني باسِم عيسى أبو عماد قائد لواء غزة وعدد من القادة جراء غارة إسرائيلية. وردت الفصائل بتوجيه ضربة تجاه تل أبيب ومحيطها ومدن أخرى بمائة صاروخ (ليصل الإجمالي لنهاية اليوم الثاني إلى نحو ١٠٥٠ صاروخًا). وفي مقابل استهداف سيارة مدنية بغزة وقتل من فيها (قيل قيادات من وزارة الصحة) ردَّت فصائل المقاومة سريعًا باستهداف مركبة عسكريّة بقذيفة كورنيت على الحدود مع القطاع وتحدثت وسائل إعلام صهيونية عن مقتل عسكري وإصابة آخرين. واستمرت المواجهات في القدس وفي حي الشيخ جراح، وفي الضفة خاصة الخليل، وفي أراضي ٤٨ في طبريا وحيفا واللد ويافا، وغيرها؛ بسبب انتشار متطرفي المستوطنين يعتدون على الفلسطينيين في كل مكان[١٠]. في هذا اليوم بدأ يظهر الموقف الخارجي؛ حين أعلن الرئيس الأمريكي جو بايدن في اتصال مع نتنياهو (**أن لإسرائيل حق الدفاع عن نفسها في وجه مئات الصواريخ التي تطلق عليها من غزة**)، مع أمله في تعجيل إنهاء الصراع! فأعلنت حماس على لسان نائب رئيسها صالح العاروري أنهم أبلغوا الوسطاء أن شرط وقف القتال هو كف يد الاحتلال عن الأقصى والشيخ جراح، وأن

(٧) المقاومة ترد على "حارس الأسوار" بـ"سيف القدس": ليدفع الاحتلال فاتورة الحساب، العربي، ١١ أيار ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/G6HqO

(٨) قتيلان وتعليق الملاحة الجوية وتعطيل الدراسة.. كتائب القسام تضرب تل أبيب وضواحيها بـ١٣٠ صاروخا، الجزيرة.نت، ١١ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/qgwu5

(٩) مدينة اللد تنتفض.. مواجهات دامية واستشهاد شاب فلسطيني برصاص مستوطن، ١١ مايو ٢٠٢١، شبكة رؤية الإخبارية، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/3qesX

(١٠) اليوم الثالث للعدوان ..طائرات الاحتلال تدمر برج الشروق في غزة: إصابة ٣ مستوطنين..وغزة تزف قيادات عسكرية، وكالة مدار الساعة الإخبارية، ١٢مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3qJPI9i

وانظر: لحظة بلحظة.. آخر التطورات في غزة والقدس، الجزيرة. نت، ١٢ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3dKAJGF

للفصائل قدرة على مواصلة القتال لشهور طويلة بزخم أكبر[١١]. واتصالا بالدور الخارجي فإن **أهم تطور في اليوم الثالث ١٣ مايو هو** إطلاق كتائب القسام صاروخ "عياش ٢٥٠"، الذي دخل الخدمة اليوم مستهدفًا مطار رامون جنوب فلسطين المحتلة"، الذي استطاع إيقاف حركة الطيران المدني نهائيا من وإلى الأرض المحتلة[١٢]. **والتطور الثاني الأهم في اليوم ذاته إطلاق ثلاثة صواريخ من الجنوب اللبناني (وأذيع أنها من داخل سوريا)** باتجاه الكيان الصهيوني، وسوف يتكرر ذلك يوم ١٧ مايو برصد الصهاينة إطلاق ستة قذائف صاروخية من داخل لبنان لكنّها سقطت جميعها داخل الأراضي اللبنانية، وأطلقت المدفعية الصهيونية نيرانها نحو مصادر النيران تزامنًا مع تحليقِ طائرات استطلاع في أجواء المنطقة الحدودية جنوبي لبنان[١٣]. ثم أعلنت كتائب القسام في ١٤ مايو أنها استهدفت مصنع كيماوياتٍ في بلدة نير عوز بطائرة "شهاب" المسيَّرة التي أعلنت عن دخولها الخدمة قبل يومٍ واحدٍ فقط[١٤].

كان **يوم ١٥ مايو يوم ملحمة بين المجازر والمثابرة:** ففي أول ساعة منه ارتكبت طائرات الاحتلال مجزرةً ثانيّة في مخيّم الشاطئ غربي غزة بقتل (١٠) مدنيين بينهم أطفال، ثم مجزرة أخرى في حي تل الهوى جنوبي غزة. ردا على هذه المجزرة قصفت كتائب القسام تل أبيب بعشرات الصواريخ ألحقت أضرارًا جسيمة وخاصّة في مدينة رمات غان، وأُعلنَ في وقتٍ لاحقٍ عن سقوط قتيلٍ صهيوني. ومن ثم استهدفت طائرات الاحتلال منزلًا ثالثا في جباليا، ورابعا غربي خان يونس (تدمَّر بالكامل)، وخامسًا في حيّ الصبرا، ثم برج الجلاء (يضمّ وكالات أخبار عالمية) بسلسلة غاراتٍ حتى انهار بالكامل، ثم برج (الأندلس) السكني، ثم محالا تجارية في حي الزيتون. واستمر استهداف بيوت لأشخاص محددين كمنزل سامر أبو دقة مسئول الطائرات المسيرة فمنزل خليل الحية القيادي في حماس إلى منزل يحيى السنوار رئيس الحركة بغزة ومنزل أخيه محمد. ردت المقاومة برشقة صواريخ على تل أبيب، وفي العاشرة مساء أعلن أبو عبيدة المتحدث باسم كتائب القسام بيانا له دلالته: **(بأمرٍ من قائد هيئة الأركان أبو خالد محمد الضيف يُرفع حظر التجول عن تل أبيب ومحيطها لمدة ساعتين من الساعة العاشرة وحتى الساعة الثانية عشرة ليلاً، وبعد ذلك يعودوا للوقوف على رجلٍ واحدة)**[١٥].

المرحلة الثالثة: تكثيف العدوان والمقاومة: في ١٧ مايو كثف العدو غاراته جدًّا على غزة بعشرات الغارات في الساعة الواحدة؛ ليشمل القصف مواقع مدنية وشوارع رئيسية ومؤسسات حكومية، على مشروع الأنفاق العملاق لحماس، وعلى تسعة منازل لقادة في حماس في أنحاء القطاع (نحو ١١٨٠ هدفًا في أنحاء القطاع مقابل ٣١٦٠ صاروخًا وقذيفة من غزة وفق الجيش الصهيوني). ووصفها جيش الاحتلال بالمرحلة الثالثة من عملية "حارس الأسوار".. في المقابل استهدفت كتائب القسام بارجة إسرائيلية قبالة شواطئ غزة بدفعةٍ من الصواريخ، واستهدفت سرايا القدس مدينة هرتسليا شمال تل أبيب بعددٍ من الصواريخ ما تسبّب في اندلاعِ حريقٍ على مقربةٍ من إحدى البنايات. أصدرت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بيانًا نعت فيه الشهيد حسام أبو هربيد قائد سرايا القدس في لواء شمال غزة. وعقب قصف وتدمير عديد من المنازل وتهديد بناية المهند السكنية في غزة لتدميرها كليًا، ذكر متحدث القسام في

(١١) نضال المغربي ودان وليامز، حماس تضرب في العمق وإسرائيل تقصفها وبايدن يتوقع نهاية الصراع قريبا، وكالة رويترز، ١٣ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://reut.rs/2SRRQzk

(١٢) كتائب القسام تكشف عن المشاهد الأولى لإطلاق صاروخ "عياش ٢٥٠"، ١٣ مايو ٢٠٢١، سبوتنيك عربي، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/IkTw1

(١٣) سقوط ٣ صواريخ أُطلقت من جنوب لبنان قبالة سواحل شمال إسرائيل، نشر في: ١٣ مايو/ أيار ٢٠٢١، سي إن إن العربية، متاح عبر الرابط التالي: https://cnn.it/2SNV1b7

(١٤) لحظة بلحظة.. تطورات المواجهة بين "سيف القدس" و"حارس الأسوار" (اليوم الثاني)، تاريخ النشر: ١٢ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/skLDJ

(١٥) القسام: رفع حظر التجوال بتل أبيب ومحيطها من ١٠ إلى ١٢ ليلاً، موقع الغد، ١٥ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/qoG82

مقطع فيديو: "**نُحذّر العدو إن لم يتوقف حالًا عن قصف البيوت الآمنة سنعاود قصف تل أبيب**". فأعلنَ المتحدث باسم الجيش الصهيوني أنه سيزيدُ وتيرة العمليات في غزة ويضرب أهدافًا جديدة(١٦).

استمر القصف برا وبحرا وجوا على غزة مع بداية يوم ١٩ مايو، وأعلن الجيش الصهيوني أنه استهدفَ ثلاثة قياديين في حماس في شقة سكنية استُخدمت مقرا للقرصنة الإلكترونية. واستمرت فصائل المقاومة الفلسطينيّة في قصفها لمواقع إسرائيلية في غلاف غزة بوابلٍ من الصواريخ وقذائف الهاون، وأعلنت كتائب القسام قُبيل منتصف الليل أنها أدخلت طائرة مسيرة من طراز الزواري نفذت طلعات رصد لأهداف ومواقع للجيش الإسرائيلي ثمّ عادت لقاعدتها(١٧).

في ١٩ مايو تقدَّم ديمقراطيون في مجلس النواب الأمريكي بمشروعٍ لوقف صفقة بيع السلاح لإسرائيل، ومع ذلك فقد أعلنَ البنتاغون أنَّ وزير الدفاع أكَّد لنظيره الإسرائيلي دعمه "لحقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها وحثَّهُ على وقف التصعيد". وكانت إدارة بايدن قد أعلنت صفقة سلاح بقيمة ٧٣٥ مليون دولار لإسرائيل، وصرحت النائبة الديمقراطية في الكونجرس الأمريكي إلهان عمر: فظيع أن تمضي إدارة بايدن قدما في صفقة سلاح بقيمة ٧٣٥ مليون دولار لإسرائيل، هذه الصفقة ستعتبر ضوءا أخضر للتصعيد وتقوض جهود وقف إطلاق النار(١٨).

المرحلة الرابعة: التهدئة فوقف إطلاق النار والدور المصري: يوم ٢٠ مايو استمر القصف الصهيوني والرشق المقاوِم حتى أخذت تنتشر أخبارٌ بعد العاشرة مساءً (بتوقيت فلسطين) تتحدثُ عن وقفٍ لإطلاق النار؛ حيثُ نقلت صحيفةُ وول ستريت جورنال عمّن قالت إنّه مسؤولٌ في المخابرات المصرية قوله إنّ هناك عدّة خيارات مطروحة لوقفِ إطلاق النار؛ أحدها هو موافقة جميع الأطراف على ذلك، بينما الخيار الآخر هو وقفٌ مؤقتٌ للقتال أثناء المفاوضات، وأنّ الخطوط العريضة لوقف إطلاق النار جرى وضعها والمفاوضون يركزون على التوقيت. ووافقَ المجلس الوزاري الأمني الصهيوني المصغر بالأغلبية على وقف إطلاق النار، في الوقت الذي أبلغَ الوسيط المصري إسماعيل هنية أن وقف إطلاق النار سيبدأ الساعة الثانية فجر ٢١ مايو. نشرت بعد ذلك الحكومة الصهيونية بيانًا تحدثت فيه عن قبول وقف إطلاق نار متبادل وبدون شروط بناءً على اقتراح مصري، كما صدر بيان رسمي مصري أكّد التوصل إلى اتفاقٍ لوقف إطلاق نار متبادل ومتزامن في غزة بدءا من الساعة الثانية فجرًا، وأنّ مصر ستُرسل وفدين أمنيين لتل أبيب والمناطق الفلسطينية لمتابعة تنفيذ الاتفاق. أصدرت حركة حماس هي الأخرى بيانًا أعلنت فيهِ أن الأشقاء في مصر أبلغوها بأنه تم التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بشكل متبادل ومتزامن .. المقاومة الفلسطينية ستلتزم بهذا الاتفاق ما التزمَ الاحتلال. وبالفعل بدأ وقف لإطلاق النار في الساعة الثانية من فجر الجمعة، وذلك بوساطة دولية تتزعمها مصر(١٩).

جديد المواقف والمآلات المتوقعة

العدو: لقد أراد الاحتلال وقام بتصعيد الصراع في القدس لأغراض عدة؛ منها تفكيك أزمته السياسية الداخلية ومحاولة نتنياهو كسب تأييد شعبي يفتقده في حسم منافسته على رئاسة الحكومة، ومنها تفويت فرصة استعادة الفلسطينيين للقدس ولو صوريا عبر إجراء الانتخابات التشريعية فيها، ولعل من الأسباب أيضًا رغبة نتنياهو في كشف موقف الإدراة الأمريكية الجديدة وأنها على المبدأ الأمريكي الثابت في تأييد الصهيونية. فماذا جنى الاحتلال؟

(١٦) مأمون أبو جراد، أذرعُ المقاومةِ الطويلةُ.. عن صواريخ "سيف القدس"، ٢٢ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/qkvPN

(١٧) قطاع غزة.. طائرة "الزواري" المسيرة تنفذ طلعات رصد واستطلاع فوق مواقع الجيش الإسرائيلي، آر تي عربي، تاريخ النشر: ١٩ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/wR8uw

(١٨) إلهان عمر تهاجم بايدن بسبب صفقة أسلحة مع تل أبيب: أمريكا تشارك بقتل الأبرياء بغزة، عربي بوست، تم النشر في: ١٨ مايو ٢٠٢١ الساعة ٠٩:٤٧ بتوقيت غرينتش، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/36dHflh

(١٩) إسرائيل وحماس توافقان على هدنة تنهي قتالا مستمرا منذ ١١ يوما، موقع swissinfo، تاريخ النشر: ٢٠ مايو ٢٠٢١ – ٢٣:٣٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/XU7bk

حصلت إسرائيل على صفقة أسلحة خاصة من الولايات المتحدة، ليس لمواجهة المقاومة الراهنة ومستقبلها وحسب، ولكن للحفاظ على عدم التوازن الاستراتيجي لصالحها في المنطقة في مواجهة إيران أولاً، ثم سياسة تركيا الحذرة لتغيير بعض المواقف الإقليمية تجاهها. فإشكالية إسرائيل الأساسية بعد المقاومة، هي مخاوفها من محاولة إيران اختراق الجدار النووي، وأن تعمل –مثل باكستان– لتفاجئ الجميع في غمضة عين بأنها قد امتلكت قنبلة نووية أو سلاحًا نوويًا يمكن استخدامه، ما يصيب استراتيجية التفوق الاستراتيجي الإقليمي لديها في مقتل. يلي ذلك ما يعانيه الكيان ذاته —وتفاقم منه المقاومة بدرجات– من شقاقات داخلية وأزمات سياسية واقتصادية واجتماعية، تحول دون تطبيع وجود الكيان مع ذاته، وفي ذاته.

حصلت إسرائيل بالفعل على تأييد غربي كبير رسمي وغير رسمي، وأعلن معظم رؤساء دول أوروبا عن وقوفهم في صف إسرائيل، ولم تستطِع منظمة الأمم المتحدة بأجهزتها وممثليها أن تخرج إدانة واحدة صريحة لحكومة إسرائيل، وكذلك مطبّعو العرب لم يخرج من أيهم إجراء عملي واحد يؤبَه له، اللهم إلا بيانات لا تسمن ولا تغني. فلم تغير دولة واحدة موقفها العملي من إسرائيل. فقط المقاومة رجّت مكانة العدو ومشروع التطبيع رجّة ننتظر آثارها!

لكن حكومة نتنياهو سقطت وسقط معها ادعاؤه بالانتصار، وجاءت حكومة نيفتالي بينيت الجديدة لتلملم آثار المعركة بدءا بإعادة تحريك عجلة التطبيع، والتدخل المباشر في مفاوضات فيينا حول الملف النووي الإيراني، مع إظهار التشدد تجاه المقاومة.

فلسطين: بالنسبة للمقاومة فقد استغلت التصعيد الصهيوني وواجهته مواجهة باسلة من أجل: إحياء قضية القدس وانتمائها الفلسطيني على خلاف مراد الكيان الصهيوني خاصة بعد الاعتراف الأمريكي بها عاصمة للصهاينة، كسر الحصار المفروض على القضية وعلى المقاومة عبر تأجيج التضامن الداخلي والربط بين غزة والضفة والقدس، إحراج المواقف الإقليمية والدولية وخاصة العربية والإسلامية ما يمثل التفافا على صفقة التطبيع الجارية ومحاولة لإعادة ترتيب المواقف. ولعل من أغراضها أيضا الرد على مماطلة السلطة في إجراء الانتخابات بالكشف عن الموقف الشعبي بين المقاومة عالية الثمن مقابل التسوية عقيمة الأثر. وكانت الإصابة بالمفاجأة من نصيب الكيان الصهيوني وتمكنت المقاومة من إصابته بها؛ مرة بالرد المباشر من القطاع على الاعتداءات في القدس، ثم إدارة الصراع بصورة صامدة وإطلاق كميات وأنواع من الصواريخ غير مسبوقة واستهداف مواقع لم تكن ضمن قدراتها من قبل مع قدرة عالية على إخفاء مواقعها وأنفاقها وقواتها وأسلحتها؛ ومن ثم إلجائها العدو إلى حالة رد الفعل وغلق معظم مواقعه الحيوية[٢٠]. هذا بينما لم يُظهِر العدو الصهيوني أي جديد عن عدوان ٢٠١٤ وكرر استراتيجية الضربات عن بعد عبر الجو والبحر والقصف المدفعي وهدم المباني وإحداث مجازر بشرية. وبينما توغل في ٢٠١٤ في القطاع وخاصة حي الشجاعية فقد ناور هذه المرة ونفذ خطة خداع عن حرب برية لكي يجر المقاومة للظهور لكنها فوتت عليه الفرصة ولم توات العدو الشجاعة للمواجهة البرية.

طورت المقاومة كثيرا من قوتها العسكرية؛ خاصة في تصنيع واستخدام السلاح (الصواريخ، الطائات المسيَّرة، حديث عن غواصة مسيرة اتجهت إلى مواقع التنقيب الصهيونية..) وفي اختراق القبة الحديدية بكثافة نيرانية كبيرة بمعدل ٤٠٠ صاروخ يوميا وبعض الرشقات وصلت إلى ١٣٠ صاروخا متزامنا على تل أبيب، أو في قواعد الاشتباك التي جمعت بين العسكري والشعبي، وبين غزة وبقية فلسطين بما فيها فلسطينيو ٤٨، وأخيرا في تمديد أقصى شمال وجنوب الأرض المحتلة، وتحريك مساندة عبر الحدود اللبنانية. ولا شك أن ذلك أوصل إلى العدو وحلفائه رسائل إنذار خطيرة، وأن الكيد للمقاومة سيكون أشد بعد هذه الجولة.

المقاومة –رغم بسالتها وتقدمها– لا تزال مأزومة بأزمات متراكبة: أزمة الذات الصغيرة، وأزمة الذات الكبيرة، وأزمة العالم المتصهين. فموقف فتح المتكلّس المستعصي على أي نوع من التحريك أو التشبيك مع المقاومة أو الاشتباك مع العدو، مع بقائها ممثلاً للدولة

(٢٠) لمطالعة ملمح من عظم جهد المقاومة انظر: أذرعُ المقاومةِ الطويلةُ.. عن صواريخ "سيف القدس"، مرجع سابق.

المعدومة والسلطة المهيضة، ومزايدتها على المصالحة وعلى إجراء انتخابات تحسن من الوضع السياسي، رغم تشابكها مع القوى المصهينة .. كل هذه العوامل تخصم من رصيد المقاومين لصالح المقاولين بالقضية.. وتنضح أزمة فتح فمنظمة التحرير على فلسطين كلها. لقد نجحت فصائل غزة في تشكيل حالة "مقاومة غزاوية"، لكنها لم تنجح حتى حينه في نقلها لتكون "حالة مقاومة فلسطينية جامعة". تأزم التصور والتطور السياسي الفلسطيني يمثل عبئًا ثقيلاً على واقع ومستقبل المقاومة. وقد كانت الانتخابات الفلسطينية، جديرة بتحريك الماء الراكد، ولكن تثاقل فيها عباس وقبيله، حتى واتته الفرصة للانخلاع منها بتأزيم حال القدس والأقصى، فالعدوان الراهن. عقب العدوان سيُحيل عباس وقبيله ملف الانتخابات وإعادة ترتيب البيت السياسي الفلسطيني إلى ترتيبات غير ديمقراطية حتى لا تنكشف الأوزان النسبية شعبيًا بين قوته وقوة الآخرين. (نعرض تشكيل حكومة وحدة وطنية وفق الشرعية الدولية وتكون مقبولة دوليًا...جهودنا لإجراء انتخابات عامة متواصلة وسنجريها عندما نتأكد من أنها ستجرى على أرضنا كلها..)، هكذا صرح عباس فعلا أثناء العدوان. هذا هو الجيل القديم من فتح والذي لا يزال يحتكر قرار فتح ومنظمة التحرير، فهل جدّ على حالته شيء مع هذا العدوان؟ إنه لا يزال يحتفظ بمسافة بينه وبين المقاومة، ويتقارب مع الصهاينة وينسِّق لهم أمنيًا، ويتقرب من الغرب مؤمنا أن الأمر كله للغرب وبأيدي الغربيين وحدهم. ثقته بذاته وشعبه وقوة المقاومة أدنى من حدودها الدنيا وتكاد تختفي إلا من خطبه الرنانة.

بدا الموقف الفلسطيني المنقسم في أداء السلطة الذي لم يعدُ المناشدات للمجتمع الدولي والأطراف المعنية لوقف العدوان، دون أي لون من الدعم للمقاومة ولو خطابيا. وكان هدف السلطة وفتح هو مجرد استغلال الفرصة للحديث عن عودة المفاوضات ومسار التسوية السلمية المجمد منذ سنوات، وأعلن محمود عباس في أتون المعركة أن الانتخابات ستؤجل إلى أجل غير مسمى وأنه سيتم تشكيل حكومة وحدة وطنية (يرضى عنها المجتمع الدولي). هذا بينما اشتعلت معظم فلسطين المحررة والمحتلة بالمواجهات مع الصهاينة شرطة ومستوطنين، ولم تسهم السلطة في أي دعم لهذا الحراك الكبير. واليوم تتأجج الضفة بصراع شعبي-سلطوي نتيجة ممارسات قوات أمن السلطة تجاه الشارع ما أسفر عن مقتل الناشط نزار بنات بعد اعتقاله وتأزم الوضع الفلسطيني الداخلي.

الأمة: الموقف العربي الرسمي اكتفى بإدانة العدوان دون أي دعم للمقاومة، لكن محور التطبيع بدا مختلفا سواء في الإعلام أو الخطابات المؤيدة للمقاومة ظاهريا. وانبرت السياسة الخارجية المصرية تتواصل مع الطرفين وتسعى في وقف إطلاق النار؛ الأمر الذي أثار دهشة الأكثرية نظرا لموقف النظام المصري المعادي لحماس من قبل معاداة مطلقة. ورغم أن الأغلبية الشعبية العربية مع المقاومة، إلا أنها لا تمارس مقاومة ولا دعما إلا رمزيًا، أو عبر وسائل التواصل التي حققت فيها المقاومة العربية والإسلامية والإنسانية نصرا نوعيا. هذا بينما يمارس المتصهينة العرب تصهينهم عمليا: فيحاصرون المقاومة، ويتاجرون مع العدو ويفتحون له البلاد والخزائن والعلاقات الاقتصادية الجديدة. العرب أنفسهم مأزومون بأزمة سياسية كبرى منذ عقد من السنين؛ بين ثورات وثورات مضادة وصلت في بعض الحالات إلى حروب أهلية-إقليمية-دولية دمرت البلاد والعباد، من ورائها أزمة حضارية ممتدة. كثير من الدول العربية أضحت خارج الميدان الفلسطيني وأزاحتها الأحداث وانعدام الإرادة عن أي تأثير في الصراع؛ العراق، سوريا، لبنان، السودان، ليبيا، اليمن، وكثير أراح نفسه من زمن من تحمل عبء لا يرغب أن يدفع فيه أية كلفة، والبعض حاضر حضورًا شرفيا وحسب..! أما عن الموقف المصري القائد دائمًا فقد تحول إلى موقف شديد التعقيد يحمل سمات التأثير السلبي والتأثير الإيجابي، وسمات عدم التأثير!!! وهذا من أعظم ما ابتليت به المقاومة عبر هذا العدوان الراهن ومن قبله. تتضاعف أزمة فلسطين -لا غزة وحدها- بأزمة أمتها العربية.

أما الأمة الإسلامية غير العربية، فلا يخرج منها إلا أصوات متناثرة وقليل من التأثير، وأكثر حكوماتها أسلمت القضية للعرب من قديم وتوارت وراء المسافات الجغرافية. إيران تتاجر بالقضية لبناء محورها الاستراتيجي الدموي وحفظ تماسك شعارها الإسلامي ظاهرا الطائفي واقعا، بينما دمشق وبيروت وصنعاء وبغداد عندها أولى من مائة قُدس تؤول إلى أهل السنة ولا يسيطر عليها الشيعة. تركيا

الباحثة عن دور إسلامي مأزومة هي الأخرى في ضعف الاستجابة لها عربيا وإسلاميا عبر عقدين من الزمان؛ لتكتفي بتكرار خطابها وتحركاتها الدبلوماسية مع كل أزمة في فلسطين.. ولكن المحصلة التركية ضعيفة وضئيلة الأثر. أزمة سياسية إسلامية كبرى تحيط بأخرى عربية، كلتاهما تضغطان على الأزمة الفلسطينية الذاتية، ومن ثم على مقاومي الصهيونية.

أما الموقف العربي والإسلامي غير الرسمي فقد برز في مشاهد عدة تأييده للمقاومة وتنديده بالعدوان، لكن أهم هذه الساحات كان الفضاء السيبراني الذي اشتعل تأييدا للمقاومة، ومقاومة لمؤيدي الصهاينة بما فيها مواقع التواصل الاجتماعي نفسها من الفيس بوك والتويتر وغيرهما. نعم، ثمة هبَّة صادقة وأمينة لمؤازرة المقاومة والحق الفلسطيني والإسلامي في القدس عبر الشوارع والبيانات من المنظمات الأهلية وعبر وسائل التواصل، وحققت دفئا معنويا لفلسطين وأهلها، وحققت إنجازات إعلامية وسياسية ضد المتصهينين والصهاينة، لكنها تظل في أطرها المعنوية والإعلامية، ورغم أهميتها، ليست ذات أثر قوي ولا فوري في مواجهة العدوان العسكري من ناحية، وهي معرّضة لكثير من التراجع والخفوت عقب هدوء الغبار من ناحية أخرى، وقد حدث. إن تنوّع روافد هذه الهبّة من الأهمية بمكان، وفيها أدلة على عدالة القضية وإنسانيتها؛ مما ينبغي التنبّه له. لكن الذي ينقص هذه الجهود بشكل واضح حتى الآن هو: تنظيمها وانتظامها، ومن ثم استمرارها.

العالم: لم تنتظر القوى الغربية حتى ينتهي العدوان لتعرب عن مواقفها، بل سارعت لإعلان ولائها ومؤازرتها الحميمة للكيان الصهيوني، وإعلان ازدرائها وبغضائها للحق الفلسطيني بأطفاله ونسائه وشيوخه، بدمائه وأمواله ومعايشه، بأمنه وحريته وكرامته.. فماذا نتوقع أسوأ من ذلك؟!! لا جديد هاهنا: فالكيان الصهيوني مسانَد معنويًا وماديًا من معظم حكومات الغرب وأقواها، والعدوان الراهن لم يغير من ذلك بل أظهر مزيدًا من فجاجته ووقاحته!! نعم، لم تكن المساندة المعلنة مما أثر سلبًا في المقاومة، لكنها دعمت من طغيان الصهاينة في فلسطين لمواصلة عدوانهم والتمادي فيه. واعتبار هذا الأثر مع ما سبق مهمٌّ جدًا؛ لأن تقدم المقاومة —كما هو رهين بإمدادات الذات وأهلها— رهين بإزاحة عقبات المناوئين وتحييدهم على أقل تقدير. ستتمادى القوى الصهيونية الغربية في محاصرة المقاومة والقضية، وستستمر في العمل على الحفاظ على وضعية تبعية العرب والأمة الإسلامية ضمن استراتيجياتها المتكاملة تجاه العالم الإسلامي.

توجد بقية في العالم غير الغربي لا تزال قابلة للعودة إلى مساندة القضية؛ إذ يلزم أكثرها الصمت والتعبير عن مواقف محايدة أو عامة مجملة، ولا تزال هذه القوى قابلة لاستعادتها إلى تأييد الحق العربي والإسلامي إذا بذل المجهود اللازم.

محاذير تتراءى في الأفق

لا يمكننا تصور التفاصيل المستقبلية القريبة، ولا ما يجب في كل تفصيلة، لكن خطوطا عريضة تراءت خلال المعركة وبعدما هدأ غبارها، وفي إطارها ومن منظورنا الحضاري يمكن استشراف عدد من المخاوف التي ينبغي الحذر منها:

كما لا يصح غمط المقاومة الباسلة وصمود الشعب الفلسطيني حقه، لا يصح المبالغة في مقولة "النصر" والتهويل منها بما يعمي عن التحديات الكبرى السابقة واللاحقة. فالمقاومة لم تتجاوز كثيرا حيز الرشقات ضعيفة التأثير، ولم تصل إلى الدرجة الكافية من إيلام العدو أو القدرة على إجباره على تغيير في نهجه العام وسياساته العدوانية اليومية تجاه الشعب والأرض. فبالرغم من وقف إطلاق النار فإن التضييقات والاعتداءات في الأقصى وما حوله من أحياء القدس لم تتوقف لحظة، بل أطلقت شرطة العدو حملة اعتقالات كبرى لا سيما في إطار عرب ٤٨ الذين أدوا دورا بطوليا ومفاجئا في هذه الجولة. وتجب المسارعة إلى تربيط القوى الشعبية المؤازرة للمقاومة في مشروع سياسي جديد.

لا يصح المبالغة في أثر هذا الانتصار المحفوف بالمخاطر على مسار صفقة العار، والادعاء بأن سيف القدس قد قطع رقبتها، فإن التدخلات العربية لم تعرب عن أي من ذلك، وما إن هدأ غبار المعركة حتى عادت دول عربية إلى إعلان تكثيف علاقاتها مع

الكيان الصهيوني وفتحت أخرى المجال للحديث عن تبادل التمثيل الدبلوماسي، بل إن بشار الأسد عقب انتخاباته الرئاسية الهزلية ألمح إلى رغبته في الولوج إلى الصفقة. هذه المعطيات لا يصح أن تكون مجالا لليأس أو الوهن بقدر ما توجب استمرار الحذر والتنبه.

موقف السلطة الفلسطينية بات أسوأ مما كان قبل المعركة؛ ما يوجب تنبها خاصا من الشعب والمقاومة. فالسلطة بقيادة محمود عباس لم تحرك أنملة أثناء المعركة، وتعمقت الهوة بين فتح وبقية الفصائل، وها هي الضفة تعاني تضييقا مزدوجا من الاحتلال ومن السلطة. وقد كشفت الأيام القليلة بعد المعركة أن هذا التضييق وتلك الهوة ينذران بمواجهة فلسطينية–فلسطينية ستكون أسوأ مما وقع في ٢٠٠٦–٢٠٠٧ عقب فوز حماس بالانتخابات التشريعية. إن إدارة ما بعد هذا الانتصار المحدود أصعب من إدارة مقاومة محضة؛ حيث يكون تقدم المقاومين دائما محفوفا بالمخاطر والمؤامرات. والأوْلى نبذ الخلافات مع المخالفين في النهج السياسي من أبناء جلدتنا؛ بما في ذلك حسن إدارة مواجهة التصهين الجديد.

إن ملف إعادة الإعمار كان دائما محل مساومة ومقاولة من الأطراف المتدخلة، ويوضع على الطاولة –عادة– الثمن في نزع سلاح المقاومة أو محاصرة نموها. والآن وقد كشفت هذه المواجهة استراتيجية التقدم التقني والتكتيكي الهادئ لدى المقاومة، وركزت الأبواق الصهيونية والمتصهينة في الغرب والشرق على "صواريخ المقاومة"، فلا شك أنها الهدف القادم. ويجب تكثيف الجهود للانتقال بهذا الانتصار المحفوف بالمخاطر إلى ساحة سياسية لكسب مساحات من التأييد وتفويت فرص العدو في تشديد الحصار والتقييد. ومن ثم يجب تنشيط دبلوماسية المقاومة بأشكال متنوعة؛ منها الدبلوماسية الرقمية التي أثبتت قدرة جيدة في تعزيز موقف المقاومة السياسي والأخلاقي، والدبلوماسية العامة والشعبية، ودبلوماسية كسب المجتمع المدني العالمي، والدبلوماسية القيمية والأخلاقية التي تؤكد أن عالما بغير أخلاق عالمية مطبقة لا يمكن العيش أو الأمن فيه، وهكذا.

إن النهج المقاصدي (القيمي الواقعي) في التفكير السياسي من واجبات الوقت وبعده. فالمبدأ السياسي المتعلق بالحركة السياسية النشطة إلى جوار المقاومة العسكرية الصلدة، وزيادة عوامل القوة الناعمة، وتمتين الصلات السياسية فيما يحيط بالعدو الاستراتيجي، وتحييد ما أمكن تحييده من العراقيل والعوامل غير المواتية.. هذا كله من الأهمية بمكان.

*****

العدوان الرقمي الإسرائيلي على فلسطين

آية محمود عنان*

مقدمة

يواصل الكيان الصهيوني المحتل تصعيد إجراءاته القمعية والتنكيلية بحق المواطنين الفلسطينيّين، كجزءٍ لا يتجزأ من الحرب الشاملة التي يشنها الاحتلال على الوجود الفلسطيني في القدس المحتلة؛ حيث انطلقت أحداث الاعتداء الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية المحتلة في مطلع شهر مايو من العام الجاري، تحديدًا في "حي الشيخ جراح" وهو الحي الواقع خارج أسوار البلدة القديمة في القدس، حيث قامت قوات الاحتلال بإخلاء سكَّان الحي زعمًا بأن المستوطنين اليهود اشتروا الأراضي بشكل قانوني من جمعيتين يهوديَّتين اشترتا الأرض منذ أكثر من ١٠٠ عام، الأمر الذي وُصف بأنه عملية تطهير عرقي تمارسها سلطات الاحتلال بهدف تهويد "حي الشيخ جراح" وغيره من أحياء المدينة المقدسة؛ حيث لا تزال إسرائيل تعمل على نقل أجزاء من سكَّانها المدنيّين اليهود إلى الضفة الغربية وفضاء غزة بصورةٍ منهجيةٍ ومنظَّمة، وهو ما يشكِّل خرقًا وانتهاكًا للقانون الدولي. ووفقًا لبيان وزارة الخارجية الفلسطينية، يقطن ما يزيد عن مليون مستوطنٍ إسرائيليٍّ في المستوطنات التي استولت عليها سلطات الاحتلال الإسرائيلية دون وجه قانوني في الضفة الغربية. ومن بين هؤلاء المستوطنين، يسكن ما يربو على ١٩٠٠٠٠ مستوطنٍ يهوديٍّ في القدس الشرقية وفي المناطق المحيطة بها، وتتمثل الغاية من المشاريع الاستيطانية التي تنفذها إسرائيل في تغيير وضع الأراضي الفلسطينية المحتلة من الناحيتين المادية والديموغرافية بهدف الحيلولة دون عودتها إلى فلسطين(١).

وعلى الرغم من وحشية الاعتداءات الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية وهمجيتها تجاه الشعب الفلسطيني، لم تستحِ إسرائيل من تبرير سلوكها العدواني تجاه الشعب والأراضي الفلسطينية أمام الرأي العام العالمي والعربي، ولاسيما أمام الشعوب العربية التي هرولت أنظمتها للتطبيع مع إسرائيل، وأظهرت علاقات قوية مع إسرائيل وأواصر تعاونية تخطَّتْ حتى حدود العلاقات الطبيعية (التطبيع) إلى علاقات وطيدة في مختلف القطاعات، على مرأى ومسمع من العالم بأسره.

تشارك التقنيات الرقمية ومواقع التواصل الاجتماعي والصفحات الإسرائيلية في عدوان رقميٍّ يساهم في خدمة وتبرير العدوان العسكري الإسرائيلي، فعلى الرغم من شراسة الهجمات الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية والتي خلَّفت خسائر مادية جسيمة، مستهدفة المنازل والمدارس والسكان والأطفال والمدنيين؛ حيث أعلن "أشرف القدرة" الناطق باسم وزارة الصحة الفلسطينية أن حصيلة ضحايا العدوان الإسرائيلي على فضاء قطاع غزة بلغت ٢٣٢ شهيدًا، منهم ٦٥ طفلًا و٣٩ سيدة و١٧ مسنًّا(٢).

إلَّا أن إسرائيل لم تتوانَ عن تبرير ذلك العدوان، فلم تكتفِ بالعدوان العسكري والهجمات الصاروخية، بل صوَّبت عدوانها الرقمي وهجماتها السيبرانية على مواقع التواصل الاجتماعي من خلال الصفحات الإسرائيلية الرسمية الموجَّهة باللغة العربية لمحاولة تشويه الواقع، والادِّعاء بأن عدوانها هو ردُّ فعل مشروع ضدَّ هجمات الفصائل الفلسطينية ولا سيما "حماس" وأن حربها ليست مع الشعب الفلسطيني بل إن حربها مع "حماس" حتى إنها غيرت

* باحثة في العلوم السياسية، جامعة القاهرة.

(١) انظر موقع وزارة الخارجية الفلسطينية، قضايا أساسية، الاستيطان، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3juGrQP

(٢) عمر علاء، حصيلة العدوان الإسرائيلي على غزة.. خسائر البشر والحجر، موقع المصري اليوم، ٢٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3x9SLdl

الهاشتاج الأكثر تداولًا أثناء الانتفاضة وهو #غزة_تحت_القصف إلى #حماس_تحت_القصف، وأنها بهذا العدوان تدافع عن الأمن القومي الإسرائيلي، وحماية المدنيين الإسرائيليين، ومن ثم سيتناول التقرير الدبلوماسية الرقمية الإسرائيلية وأهدافها، مع تحليل المحتوى الرقمي الإسرائيلي باللغة العربية خلال أحداث الانتفاضة الفلسطينية في مايو ٢٠٢١، وكيف برَّرت إسرائيل عدوانها الغاشم على فلسطين، وذلك من خلال استدعاء بعض النماذج من المنشورات الإسرائيلية باللغة العربية على صفحاتها الرسمية على مواقع التواصل الاجتماعي، أثناء اندلاع أحداث عملية "سيف القدس" والتي استمرَّت أحد عشر يومًا، وأخيرًا يخلص إلى تقييم نتائج الدبلوماسية الرقمية الإسرائيلية الموجَّهة باللغة العربية.

أولًا– الدبلوماسية الرقمية الإسرائيلية وأهدافها:

تهدف الإستراتيجية الإسرائيلية الرقمية إلى بناء واقع جديد تتعايش فيه إسرائيل مع المنطقة العربية في أجواء يسودها السلام والحب بعيدًا عن القضية الفلسطينية التي جنَّبتها إسرائيل تماما، فهي لم تعد بحاجة إلى تقديم أي تنازلات تجاهها حتى تتمتَّع بعلاقات طبيعية مع بعض الدول العربية، وأصبح شعار "السلام مقابل السلام" بديلًا عن شعار "السلام مقابل الأرض" هو الهدف الأعلى للجانب الإسرائيلي.

ولعلَّ إسرائيل قد انتبهت لهذا السلاح الدعائي الرقمي منذ فترة طويلة؛ حيث إنها من أولى الدول التي تبنَّت الدبلوماسية الرقمية وهي الدبلوماسية التي تعرف بأنها "أساليب وطرق جديدة لإجراء الدبلوماسية بمساعدة الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، حيث بدأ الدبلوماسيون والقادة السياسيون، في الآونة الأخيرة، إدراك الطرق التي يمكنهم بها استخدام شعبية التكنولوجيا في هذا العصر الرقمي لتعزيز العلاقات الدولية وفي نهاية المطاف تحقيق مصالح بلادهم"[٣].

كما عرفت أيضًا بدبلوماسية تويتر، ودبلوماسية الفيسبوك، ولعل هذه المصطلحات توضِّح أن هناك مجالات جديدة لممارسة الدبلوماسية، وأن كل دولة لا بدَّ أن تبحث عن كيفية استغلال أدوات الإنترنت مثل وسائل التواصل الاجتماعي في ممارسة الدبلوماسية.

وقد أشار تقرير الدبلوماسية الرقمية لعامي ٢٠١٦، ٢٠١٧[٤]، إلى أن إسرائيل قد احتلَّت المركز الثامن عالميًّا عام ٢٠١٦ والتاسع عالميًّا عام ٢٠١٧ من بين الدول التي تستخدم الدبلوماسية الرقمية، كما قامت وزارة الخارجية الإسرائيلية عام ٢٠١٥ بتوظيف أكثر من (٧٥) موظفًا و(٨) مستشارين في قسم الدبلوماسية الرقمية إضافة إلى (٣٠) موظف منتشرين حول العالم في مكاتب التمثيل الدبلوماسي كالسفارات والقنصليات في الدول المختلفة، كما استضافت إسرائيل في مارس ٢٠١٦ أول مؤتمر دولي حول الدبلوماسية الرقمية في جامعة تل أبيب مع مشاركين من ٢٥ دولة، تحت عنوان "التكنولوجيا في خدمة الدبلوماسية"[٥].

ومن ثم استغلَّت إسرائيل الدبلوماسية الرقمية كأحد أدوات إدارة الصراع العربي–الإسرائيلي الممتد، وأيضًا كأحد أدوات قوتها الناعمة التي تتَّخذها ستارًا لتبرير استخدام قوتها العسكرية والعدوانية تجاه الشعب الفلسطيني؛ حيث أنشأت الحكومة الإسرائيلية إدارة متخصصة في الدبلوماسية الرقمية وهي مسؤولة عن استخدام البرامج والأدوات اللازمة لنشر الرسائل على

---

(3) Digital Diplomacy, E-diplomacy, Cyber Diplomacy, Diplo, available at: https://www.diplomacy.edu/e-diplomacy

(٤) تقرير الدبلوماسية الرقمية الصادر عن مركز إسطنبول للشؤون الرقمية (أكا) لعام ٢٠١٦ وعام ٢٠١٧، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2TqdY3T

(٥) وزارة الخارجية تبادر إلى أول مؤتمر دولي عن الدبلوماسية الرقمية، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، ٣ مارس ٢٠١٦، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3dtV0jX

وسائل التواصل الاجتماعي بشكل يمكنها من التواصل مع عدد كبير من المستخدمين، كما أنشأت فريقًا للدبلوماسية الرقمية باللغة العربية في وزارة الخارجية الإسرائيلية، وذلك للتواصل مع الملايين في العالم العربي من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، في مختلف القضايا السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، ولا سيما القضية الفلسطينية، لتشكيل صورة ذهنية مختلفة حول إسرائيل في العالم العربي فيما يعرف بالتطبيع الرقمي.

وفي هذا الصدد أنشأت الحكومة الإسرائيلية عددًا من المواقع الرسمية باللغة العربية على أشهر مواقع التواصل الاجتماعي مثل "فيسبوك"، و"تويتر"، و"إنستجرام" وغيرها، وتحمل الصفحة الرسمية للحكومة الإسرائيلية اسم "إسرائيل تتكلم بالعربية"(٦)، كما أطلقت وزارة الخارجية الإسرائيلية صفحة "إسرائيل في الخليج"(٧)، فضلًا عن عدد من الصفحات الرسمية للمسؤولين الإسرائيليين على تلك المواقع باللغة العربية أشهرها صفحة المتحدث العسكري باسم الجيش الإسرائيلي "أفيخاي أدرعي"(٨)، وصفحة رئيس الوزراء الإسرائيلي باللغة العربية(٩)، وصفحة المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي للإعلام العربي "أوفير جندلمان"(١٠).

ثانيًا– نماذج من العدوان الرقمي الإسرائيلي على فلسطين

من متابعة المحتوى الرقمي للدبلوماسية الرقمية الإسرائيلية الموجَّهة باللغة العربية قبل اندلاع أحداث "حي الشيخ جراح" والتي أطلق عليها عملية "سيف القدس"، يتبيَّن أن القضية الفلسطينية لم تكن في بؤرة التركيز الإسرائيلي، بل جاء التركيز على المشترك العربي الإسرائيلي في مختلف القضايا الاجتماعية، والاقتصادية، والرياضية وغيرها، فهي تغرِّد بعيدًا عن القضية المفصلية في العلاقات العربية–الإسرائيلية، فلم تظهر القضية الفلسطينية على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي الإسرائيلي باللغة العربية إلا من خلال استعراض قوتها العسكرية وتبرير استخدامها للقوة العسكرية كحقٍّ شرعيٍّ في الدفاع عن الأمن القومي الإسرائيلي وحماية مواطنيها.

ولعل أحداث الأيام الإحدى عشر لـ"حي الشيخ جراح" والانتفاضة الفلسطينية الأخيرة في مايو ٢٠٢١، تعدُّ مختبرًا حقيقيًّا للمحتوى الرقمي الإسرائيلي، والذي انطلق بادِّعاءات لتبرير الهجمات الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية؛ وكانت البداية في ٨ مايو ٢٠٢١؛ حيث قامت صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" بنشر صورٍ من صلوات الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، لشباب فلسطينيين وهم يقومون برمي الحجارة وجاء التعليق عليها كالتالي: "شارك عشرات الألوف لكن بعد تحريض مستمر خلال الأيام الأخيرة من قبل السلطة الفلسطينية وعناصر إرهابية مثل "حماس" اندلعت أعمال شغب في الحرم القدسي، بل حتى قبل انتهاء الصلاة، مما دفع إلى دخول رجال الشرطة المكان،

(٦) صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" على موقع فيسبوك، متاح عبر الرابط التالي:
https://www.facebook.com/IsraelArabic

(٧) صفحة "إسرائيل في الخليج" على موقع فيسبوك، متاح عبر الرابط التالي:
https://m.facebook.com/IsraelintheGulf

(٨) صفحة "أفيخاي أدرعي" المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي على موقع فيسبوك، متاح عبر الرابط التالي:
https://www.facebook.com/IDFarabicAvichayAdraee

(٩) صفحة رئيس الوزراء الإسرائيلي على موقع فيسبوك، متاح عبر الرابط التالي:
https://www.facebook.com/IsraeliPM.Arabic

(١٠) صفحة "أوفير جندلمان" المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي على موقع فيسبوك، متاح عبر الرابط التالي:
https://www.facebook.com/OfirGendelmanpmo

مستخدمين وسائل تفريق المتظاهرين. نتيجة لأعمال الشغب؛ جُرح ١٧ شرطيا"[١١].

وهي بذلك تحاول تبرير اقتحام الشرطة الإسرائيلية للمسجد الأقصى، مدعيةً بأن الاقتحام جاء كرد فعل لأعمال الشغب الفلسطينية، حاز هذا المنشور على عدد (١٠٣) مشاركة، و(٧ آلاف و٦٠٠) تعليق، و(أربعة آلاف و٧٠٠) إعجاب، وجاءت معظم التعليقات سلبية من جانب الجمهور المتفاعل باللغة العربية.

وتحت عنوان "على نفسها جنت براقش" بثت صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" فيديو لانقطاع الكهرباء في غزة معلقةً عليه "هكذا تدمِّر حماس البنية التحتية للمياه والكهرباء في غزة وتخلق أزمة إنسانية خطيرة"[١٢].

كما نشر"أوفير جندلمان" المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي، سورة القدر من القرآن الكريم، في إشارة إلى أنها ليلة مباركة، وعلى الرغم من ذلك تستمر أعمال الشغب في باحة الحرم[١٣].

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد اعتياد المحتوي الرقمي الإسرائيلي الاستشهاد بآيات من القرآن والسنة،

وذلك لكسب تعاطف الشعوب العربية المسلمة، والادِّعاء بأن إسرائيل تؤمن بالتعايش الديني وتحترم جميع الأديان.

كما نشرت صفحة إسرائيل بالعربية على موقع تويتر صورًا للمسجد الأقصى، مؤكِّدة أن الأقصى كان بخير وسيظل بخير وأن إسرائيل تصون حرية العبادة لكل الأديان[١٤].

بينما على صعيد آخر نشرت صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" صورًا أيضًا من داخل المسجد الأقصى لأعمال تخريب وحجارة واصفة إياها بأن هذا التصرف "خيانة أمانة في الحفاظ على قدسية الحرم"[١٥].

كما استشهدت الصفحات الإسرائيلية برسائل تزعم أنها من قبل مواطنين عرب يدعمون فيها إسرائيل في حربها ضد ما أسموه الإرهاب[١٦].

كما استشهدت صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" بعدد من المنشورات لكتاب عرب، منها على سبيل المثال منشورات داعية إسلامي أردني إماراتي يُدعى "الدكتور وسيم يوسف"، والذي يؤيِّد التطبيع مع إسرائيل، ويهاجم "حماس"، كما

(١١) صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" على موقع فيسبوك، ٨ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3hndTWG

(١٢) فيديو "على نفسها جنت براقش"، على حساب "إسرائيل بالعربية" على موقع تويتر، ١٥ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3h41rwc

(١٣) صفحة "أوفير جندلمان" على موقع فيسبوك، ٨ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3joE9Tk

(١٤) حساب "إسرائيل بالعربية" على موقع تويتر، ٢١ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3ydK69T

(١٥) صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" على موقع فيسبوك، ١٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2UfEKME

(١٦) صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" على موقع فيسبوك، ١٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/361Q1Td

استشهدت بعدد من الفيديوهات لمواطنين عرب يتضامنون مع إسرائيل في مواجهة "حماس"(١٧).

نشرت أيضًا صفحة "إسرائيل بالعربية" على موقع تويتر منشورًا للكاتبة السورية "هدى جنات" تهاجم فيه فكرة أن إسرائيل هي المسؤولة عن مشاكل العرب من الفقر والجهل وغيرها(١٨).

كما استشهدت نفس الصفحة بكلمات للكاتبة والناقدة الإماراتية "مريم الكعبي" بأن القضية أصبحت قضية سمسرة من جانب منظمة "حماس" وأن "حماس" لم تنتصر كما تدعي ولكنها أطلقت صواريخها من أجل استدعاء هجوم إسرائيل على غزة المحاصرة(١٩).

كما نشرت تلك الصفحات صورًا لإطلاق صواريخ من فضاء قطاع غزة على المسجد الأقصى، وصورًا لألعاب نارية أطلقها الفلسطينيون فأسفرت عن إشعال نيران في باحة المسجد الأقصى، وعلقت على هذه الصور قائلةً: "أطلق إرهابيون في قطاع غزة أكثر من ٢٠٠ صاروخ باتجاه إسرائيل، ثلثها سقط داخل القطاع وتسبَّب بإصابة مدنيّين فيه. "حماس" تطلق صواريخها من المناطق المأهولة بالسكان مختبئة وراء الأطفال والنساء"، كما قامت بنشر صورٍ لحطام مدرسة في مدينة أشكلون في جنوب إسرائيل، دُمِّرَتْ نتيجة سقوط صاروخ تمَّ إطلاقه من قطاع غزة(٢٠).

كما قامت تلك المنشورات بالتأكيد على **العدو المشترك لإسرائيل والعرب** وهي إيران التي ترسل صواريخها على إسرائيل وكذلك على الدول العربية مثل السعودية.

واصفة الصراع بينها وبين إيران بالصراع بين الخير والشر، وأن إسرائيل دولة يستفيد من ابتكاراتها العالم في كل المجالات، بينما يعاني الشرق الأوسط من نشاطات "حماس" وغيرها من المليشيات التي تدعمها إيران مما أنهك شعوب العراق وسوريا ولبنان واليمن والغزيين(٢١).

وفي نفس الوقت الذي قتلت فيه الصواريخ الإسرائيلية مئات من الأطفال والمدنيين الفلسطينيين، **سلَّط المحتوى الرقمي الإسرائيلي الضوء فقط على الخسائر الإسرائيلية**، بقصد الظهور بمظهر الضحية أمام الرأي العام العربي، ولا سيما الضحايا من المدنيّين والأطفال الإسرائيليين.

(١٧) فيديوهات لمواطنين عرب يتضامنون مع إسرائيل في مواجهة "حماس"، صفحة إسرائيل تتكلم بالعربية على موقع فيسبوك، ١٥ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://fb.watch/5-P9_6sWBM

(١٨) حساب "إسرائيل بالعربية" على موقع تويتر، ٢٥ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3Ah00Sq

(١٩) حساب "إسرائيل بالعربية" على موقع تويتر، ٢٥ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2UhC5Sk

(٢٠) صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" على موقع فيسبوك، ١١ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/366mjwx

(٢١) صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" على موقع فيسبوك، ١٣ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3Ae8DgN

كذلك لم يتردَّد المحتوى الرقمي الإسرائيلي في إظهار الكيان الصهيوني بالمظهر الديمقراطي وأنها مثال للمجتمع الذي تتعايش فيه كافَّة الأديان والأعراق.

وفي أثناء الأحداث نشرت صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" على موقع تويتر صورًا لشاحنات إسرائيلية محمَّلة بالمعدَّات الطبية المتعلِّقة بفيروس كورونا، ومنتجات غذائية لقطاع غزة(٢٢).

في حين نشرت صورًا أخرى لشاحنات تحمل معدَّات طبية من الأردن لقطاع غزة، تحت عنوان "حماس تتصدى للمساعدات الإنسانية بالقذائف" حيث أطلقت "حماس" قذائف على معبر " كيرم شالوم" منعت دخول الشاحنات(٢٣).

على صعيد آخر لم تتخلَّ الإستراتيجية الإسرائيلية عن إبراز تفوُّقها العسكري والتباهي بالتكنولوجيا الإسرائيلية، وهو الأمر الذي يظهر باستمرار في منشوراتها الموجَّهة باللغة العربية.

كذلك تضمَّنت البيانات الرسمية الإسرائيلية نفس المضمون حيث أكَّد رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "بنيامين نتنياهو" على أن إسرائيل تخوض معركة صعبة وأن هذه المعركة ستطول، مؤكِّدًا على أن العدو الرئيسي لهم هو حركات "حماس" و"الجهاد الإسلامي"(٢٤).

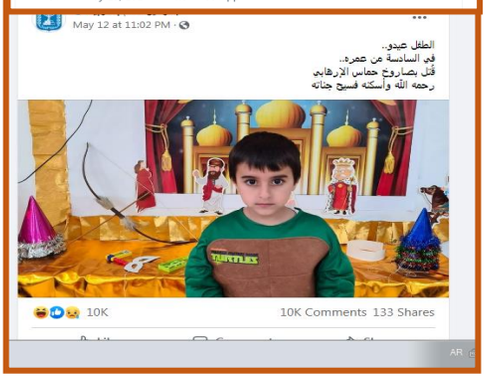

كما قال "نتنياهو" في أحد تصريحاته بعد وقف إطلاق النار أن إسرائيل قاتلت إرهابيّين يختبئون بين صفوف المدنيّين، وأنهم فعلوا جميع ما بوُسْعهم من أجل تجنُّب وقوع ضحايا، مؤكِّدًا على أخلاقية الجيش الإسرائيلي!!(٢٥)

وبعد انتهاء عملية "سيف القدس" لم تعترف إسرائيل بقوة المقاومة الفلسطينية، ولكنها أصرَّت على إبراز انتصارها وعدم تكبُّدها أية خسائر، وهو ما يتناقض مع ما نشرته خلال المعركة من إظهار نفسها في موقف الضحية؛ حيث نشرت الصفحات الإسرائيلية –فور وقف إطلاق النار– صورًا من تل أبيب لعودة الحياة الطبيعية في شوارعها في حين تلملم "حماس" جراحها جرَّاء القصف الإسرائيلي.

كما نشرت كاريكاتير لانتصار "حماس" الوهمي، عن بعد، بمعزل عن خسائر غزة المادية(٢٦).

وبعد قرار إطلاق وقف النار نشر "أوفير جندلمان" على صفحتة على موقع تويتر منشورًا تحت عنوان "تلخيص عملية

(٢٢) حساب "إسرائيل بالعربية" على موقع تويتر، ٢١ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3h3vCDA

(٢٣) حساب "إسرائيل بالعربية" على موقع تويتر، ١٩ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3w9sJpb

(٢٤) صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" على موقع فيسبوك، ١١ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3dqt3ZZ

(٢٥) حساب "إسرائيل بالعربية" على موقع تويتر ٢١ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2UT3Y3H

(٢٦) حساب "إسرائيل بالعربية" على موقع تويتر، ٢٢ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3hih7uM

حارس الأسوار ٢٠٢١" جاء فيه أن إسرائيل قد دمَّرت أكثر من ١٠٠كم من الأنفاق تحت الأرض، وأنه لو لم ترتكب حماس" حماقة قصف القدس في خدمة إيران، لما اندلعت المعركة، وسكان غزة كانوا يحتفلون بعيد الفطر، "حماس" تجاهلتهم وَسَعَتْ للحرب(٢٧).

ثالثًا– تقييم فاعلية الدبلوماسية الرقمية الإسرائيلية الموجهة باللغة العربية

بعد الاستعراض السابق لعدد من المنشورات الإسرائيلية في صفحاتها على مواقع التواصل الاجتماعي باللغة العربية أثناء الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة، يمكن القول إن الدعاية الرقمية الإسرائيلية ركَّزت على إظهار إسرائيل بمظهر الضحية، وأن هجماتها ما هي إلا رد فعل مشروع لحماية أمنها القومي ومواطنيها، وأن الفصائل الفلسطينية في غزة وخاصة "حماس" هي التي تبدأ بالعدوان بدعم من إيران وحزب الله، وأن إسرائيل هي جانب الخير الذي يهدف إلى السلام والتعايش، وقد استعانت في ذلك المحتوى بآيات من القرآن والسنة، ومنشورات داعمة لها من العرب، ورسوم الكاريكاتير؛ لجعل المحتوى أكثر جذبًا.

ومن هنا يأتي التساؤل: هل استطاعت إسرائيل الوصول إلى الشعوب العربية من خلال دبلوماسيتها الرقمية؟ وهل ستنجح في كسب التعاطف والتطبيع الشعبي بعدما طبَّعت علاقاتها مع بعض الأنظمة العربية بشكل علني؟

وللإجابة على التساؤل الأول بشأن إمكانية إسرائيل الوصول للشعوب العربية نجد أنه بالفعل استطاعت إسرائيل اختراق الشعوب العربية والوصول إليها من خلال دبلوماسيتها الرقمية عبر صفحات التواصل الاجتماعي، ولعل الدليل على ذلك هو أعداد المتابعين المتفاعلين مع تلك الصفحات؛ فعلى سبيل المثال يبلغ عدد المتابعين لصفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية" على فيسبوك ٣,٢ مليون متابع، بينما بلغت صفحة"أفيخاي أدرعي" ٢ مليون متابع، وهو ما يؤكِّد وصول الرسائل الإسرائيلية الموجَّهة باللغة العربية إلى قطاع من الشعوب العربية؛ حيث يؤكِّد في هذا السياق مدير عام بوزارة الخارجية الإسرائيلية "أنه باستخدام التكنولوجيا، تتواصل إسرائيل مع جماهير جديدة عبر الحدود التي كان من المستحيل عبورها في السابق، نحن قادرون على الوصول إلى جماهير جديدة بطريقة وعمق لم يكن من الممكن تصوره قبل عقد من الزمان فقط، لكن هذا ليس مسعى وحيدًا، لكي نكون ناجحين، نحتاج إلى تعاون دولي. لذلك، نسعى باستمرار إلى إجراء حوارات مع البلدان الأخرى، حتى نتمكن من بناء مستقبل أفضل للجميع"(٢٨).

أما فيما يتعلق بالتساؤل الثاني، نجد أنه على الرغم من وجود بعض المؤشرات العربية المؤيدة للتطبيع والمناهضة للمنظمات الفلسطينية ولا سيما "حماس"، والتي ظهرت من خلال هاشتاج #فلسطين_ليست_قضيتي، فإن الأحداث الأخيرة كانت مثارة

(٢٧) صفحة "أوفير جندلمان" على موقع تويتر، ٢١ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3yb6Ib8

(28) Yuval Rotem, Why digital diplomacy matters?, The Jerusalem Post, 16 October 2018, available at: https://bit.ly/3w7YxKY

حول الأقصى والقدس، وهو الأمر المتعلِّق بالبُعد الديني وليس السياسي!!، وهو ما يدُقُّ ناقوس الخطر حول مآلات استمرار الإستراتيجية الإسرائيلية الرقمية، **إلا أنه على الجانب الآخر ظهرت انتفاضة شعبية رقمية ربما تكون هي الأقوي عبر وسائل التواصل الاجتماعي** من خلال هاشتاج #أنقذوا_حي_الشيخ_جراح، بالإضافة إلى التعليقات المسيئة لإسرائيل عبر تعليقات المتفاعلين العرب على صفحاتهم.

لم تكن الانتفاضات الشعبية رقمية فحسب، حيث انتفضت مجموعات من الشباب العربي الأردني على الحدود الفلسطينية وطالب المتظاهرون السلطات بفتح الحدود، ويأتي تفاعل الأردنيّين مع دعوات الاحتشاد ضمن هاشتاج #يلا_على_الحدود، وحسبما أفادت وكالة "وفا" بأن المشاركين توافدوا إلى الحدود مع فلسطين، حاملين الأعلام الفلسطينية، بالإضافة إلى لافتات منددّة بالاعتداءات الإسرائيلية في القدس وغزة(٢٩).

إنه الجانب المضئ في الأحداث الأخيرة، فقد شاهدنا في الهبة الفلسطينية الأخيرة، كيف استعادة القضية الفلسطينية زخمها على مسرح الأحداث، وذلك في مقابل زخم التطبيع والاتفاقيات العربية الإسرائيلية، ولعلَّ هذه الأحداث تذكّرنا بأحداث الانتفاضات الشعبية في مصر وغيرها من الدول العربية، فنتذكَّر "موقعة السفارة الإسرائيلية" في ٩ سبتمبر ٢٠١١، عندما توافدت مجموعات كبيرة من الشباب المصري أمام مقر السفارة الإسرائيلية في الجيزة لإغلاقها(٣٠).

وهو الأمر الذي ربما يؤكّد للعالم بصفة عامة، وإسرائيل بصفة خاصة، أن القضية الفلسطينية بأبعادها الدينية والقومية والإنسانية لا تزال حيَّة داخل وجدان الشعوب العربية، هذا الأمر الذي ربما يُفزع إسرائيل، ويمثِّل المؤشِّر الأهمَّ لصعوبة تحقيق استهداف الشعوب العربية، ولذلك يجعلون هدف اختراق الشعوب العربية لبناء واقع جديد لإسرائيل، من الأهداف بعيدة المدى التي تستهدف أجيالًا قادمة، وهو ما أشار إليه "يوناثان جونين"، مدير وحدة الإعلام الرقمي باللغة العربية في وزارة الخارجية الإسرائيلية، حين قال إن فريقه يصل إلى ١٠٠ مليون شخص شهريًّا من خلال حسابات التواصل الاجتماعي وهو ما يعادل ضعف العدد المسجل قبل عام، في حين أقر المسؤولون أنه لا تزال هناك العديد من التعليقات السلبية على الصفحات الإسرائيلية، إلا أنهم يحاولون الإجابة على أكبر عدد ممكن، سواء كانوا مؤيدين أو أقل تعاطفًا، وأضاف: سيستغرق الأمر بضع سنوات، ربما ليس أجيالًا، قبل أن نرى تعليقات إيجابية أكثر من التعليقات السلبية، ومع ذلك، فإن التغيير مهم ويجب عدم الاستهانة به وأكَّدَ أنه لم يعد يُنظر إلى إسرائيل على أنها مشكلة كبيرة بالنسبة لقضاياهم المحلية. هذا تغيير كبير نراه. نأمل أن نزرع بذور المستقبل(٣١).

وعليه؛ تُعَدُّ أحداث "حي الشيخ جراح" نموذجًا للتضليل الإعلامي الإسرائيلي، باستخدام منصَّات التواصل الاجتماعي لترويج محتوًى مضلِّل، وتجميل صورة إسرائيل، والتغطية على جرائمها بحق الشعب الفلسطيني، والمقدسات الإسلامية، ولتشتيت حالة التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني، ولتمرير رسائل للشعوب العربية من أجل كسب التعاطف العربي، وغسيل العقول العربية ولا سيما من الشباب والأجيال الجديدة.

ضمَّت تلك الرسائل قضايا وسياقات مختلفة، لمحاولة دمج الكيان الصهيوني داخل المنطقة العربية، **وعلى الرغم من الهبَّة الرقمية العربية المضادَّة من قبل الشعوب العربية خلال الأحداث**

---

(٢٩) آلاف الأردنيين يحتشدون وسط محاولات لاجتياز الخط الحدودي مع فلسطين (فيديو)، روسيا اليوم، ١٤ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3x9cgm7

(٣٠) اقتحام السفارة الإسرائيلية، قناة المصري اليوم على موقع YouTube، ١٠ سبتمبر ٢٠١١، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/_eG31B68JQU

(31) Digital Diplomacy for the Arab world: Israel shares its story one post at a time, Israel ministry of Foreign Affairs,15 March 2018, available at: https://bit.ly/3dvieWD

الأخيرة، إلا أنه يجب دقُّ ناقوس الخطر من تلك الإستراتيجية الرقمية الإسرائيلية تجاه الشعوب العربية على المدى الطويل من مخاطبة أجيال جديدة عربية قادمة، نشأت على أخبار التطبيع العربي والاتفاقيات العربية الإسرائيلية، بمعزل عن القضية الأم في هذه العلاقات، وهي القضية الفلسطينية، ولا سيما في غياب إستراتيجية عربية مقاومة لهذة الحملات التضليلية...

*****

ب) العرب..

أزمات وتسويات

التسوية الخليجية بين الضغوط الخارجية والممارسات البينية

عمر سمير*

مقدمة:

شهدت قمة العُلا في الخامس من يناير ٢٠٢١ الإعلان عن تسوية الأزمة الخليجية، التي كانت قد حدثت منذ أكثر من ثلاث سنوات ونصف عندما قطعت كل من السعودية والبحرين والإمارات بالإضافة إلى مصر علاقاتها مع دولة قطر في ٥ يونيو ٢٠١٧ وفرضت حصارًا بريًا وبحريًا وجويًا عليها(١)، بعد أيام فقط من أول جولة خارجية للرئيس الأمريكي دونالد ترامب في ٢١ من مايو ٢٠١٧ وعقب تسلمه السلطة في الولايات المتحدة في يناير من العام نفسه.

لم تكن الأزمة وليدة اللحظة بل كانت ثلاث من هذه الدول هي السعودية والإمارات والبحرين سحبت سفرائها من الدوحة في مارس ٢٠١٤، على خلفية الموقف القطري مما جرى في مصر في الثالث من يوليو ٢٠١٣ وتغطية قناة الجزيرة للأحداث التالية له(٢).

شكلت الدول الأربع المقاطعة تحالفًا رباعيًا حاول فرض شروط قاسية على الدوحة التي رفضتها جميعًا طيلة أكثر من ثلاثة أعوام، وركزت الدول الأربع في شروطها الثلاثة عشر على "دعم قطر للجماعات الإرهابية"، وعلاقاتها مع إيران وتركيا وحركات الإسلام السياسي والتغطية الإعلامية لشبكة الجزيرة، وهي الاتهامات التي رفضتها الدوحة.

على هذا الأساس دخلت المنطقة في استقطاب حاد بين قطر وحلفائها من جهة والمحور الإماراتي السعودي المصري البحريني من جهةٍ أخرى، إذ تبعت الحكومات الأربع المقاطعة حكومة اليمن المقيمة بالرياض وجزر المالديف، وجزر القمر، في قطع العلاقات الدبلوماسية مع دولة قطر. وفي يوم ٦ يونيو ٢٠١٧، أعلن الأردن تخفيض التمثيل الدبلوماسي مع قطر، وإلغاء تصريح مكتب قناة الجزيرة لديه(٣)، كما أعلنت سلطات موريتانيا قطع علاقاتها الدبلوماسية رسميا مع دولة قطر(٤)، وفي ٧ يونيو أعلنت جيبوتي تخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي معها كذلك(٥).

اتجه طرفا الأزمة للتصعيد إلى حد التهديد بعمل عسكري خليجي ضد الدوحة أكثر من مرة، وتوترت العلاقات الخليجية إلى حدٍ غير مسبوق منذ تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربي في عام ١٩٨١. وقد مورست وساطات وضغوط إقليمية ودولية على طرفي الأزمة للوصول لتسوية لها على مدار سنوات، **لكن يتبقى سؤال حول كيفية التوصل لتسوية لهذه الأزمة، وهل كانت الضغوط الخارجية أم الممارسات البينية هي العامل الأكبر في التوصل لتلك التسوية؟ وما مدى إمكانية أن تعود العلاقات لما كانت عليه قبلها في ظل التغيرات التي جرت في علاقات الدول الأطراف في الأزمة بأطراف من خارج المنطقة؟**

---

* باحث في العلوم السياسية.

(١) البيان الختامي للقمة الخليجية الـ٤١: عودة للعلاقات الدبلوماسية مع قطر وتأكيد على احترام مبادئ حسن الجوار، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٠٢١/١/٦: https://bit.ly/٣vR١٣p٤

(٢)خلفيات سحب ثلاث دول خليجية سفراءها من الدوحة: ثمن البقاء خارج المحاور وأفضليته، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بتاريخ مارس ٢٠١٤: https://bit.ly/٣j٣JK١b

(٣) الأردن يقرر تخفيض التمثيل الدبلوماسي في قطر وسحب تراخيص الجزيرة، سي إن إن عربي، بتاريخ ٢٠١٧/٦/٦: https://cnn.it/٣zUTBMy

(٤) موريتانيا تعلن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع قطر، وكالة رويترز، بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٢: https://reut.rs/٣gNSiHZ

(٥) جيبوتي تخفض مستوى التمثيل الدبلوماسي مع قطر، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٠١٧/٦/٧: https://bit.ly/٣gQyrI٣

أولا: تأثيرات المقاطعة على مجلس التعاون الخليجي والمنطقة العربية:

تعد المؤسسة الخليجية قوية نوعًا ما إذا ما قورنت ببقية الأطر التنظيمية والمؤسسية في المنطقة العربية، لكن أصابت الأزمة مع قطر هذه المؤسسة بما يُشبه الشلل التام سواء في تبني مواقف موحدة في ملف العلاقة مع إيران، أو القضية الأكبر بالنسبة لدول المجلس منذ سنوات وهي اليمن، أو حتى ضبط العلاقة مع مصر التي لطالما احتفظت دول المجلس بما يشبه حق النقض الفيتو على سياستها الخارجية تجاه إيران، أو حتى ضبط التفاعلات الخليجية مع الأزمات المشتعلة في المنطقة العربية في سوريا وليبيا.

وأدى هذا الجمود إلى ضرورة البحث عن بدائل وآليات تملأ الفراغ المؤسسي الذي أوجده هذا الوضع، ومن ثم، جاء التفكير في تدشين آليات للتعاون الثنائي فيما بين الوحدات الرئيسة في المجلس، حيث تم الإعلان عن تأسيس "مجلس التنسيق السعودي– الكويتي" في ١٨ يوليو ٢٠١٨، ومن قبله "مجلس التنسيق السعودي– الإماراتي" في ٦ يونيو ٢٠١٨[٦]. مثل هذه الترتيبات الثنائية تزيد من التباعد بين الدول التي استُبعدت منها مثل عمان والبحرين لصالح علاقات أقوى بين دول الحصار.

هددت الأزمة مفهوم **الأمن الجماعي الخليجي** الذي هو أهم أسس بناء مجلس التعاون، حيث ساهمت المقاطعة في تعزيز سياسة المحاور الإقليمية وزيادة التفتت الحاصل في دول المنطقة وضعف الأدوار الجماعية في القضايا المحورية، أي أن الخلافات بدت بمجمل التصور الذي يبدو أن الرياض وأبو ظبي بدأتا في تشكيله لمنطقة الخليج خاصة، وللشرق الأوسط على وجه العموم، بما ذلك العلاقة مع إيران وتركيا والموقف من قوى الإسلام السياسي ومسألة التحول الديمقراطي، ومستقبل القضية الفلسطينية والعلاقة مع إسرائيل، بل أيضًا امتدت الأزمة لتناول الشأن القطَري الداخلي، ومن يتولى مسؤولية المؤسسات الوطنية وتحديد السياسات الإعلامية، وهو أمر اعتبرته قطر ماسًا بسيادتها الوطنية ويتخطى حدود الخلافات بين الدول ذات السيادة، وتشاركت كلا من الكويت وعمان التخوف ذاته من أن تصبح الأزمة سابقة لتهديد استقلالهما السياسي النسبي عن السعودية[٧].

ففي مقابل سعي التحالف الرباعي لتسريع وتيرة التطبيع مع إسرائيل واستقطابها ضمن محور أشد عداء لإيران تارة تحت مسمى المحور السني في مواجهة إيران وتارة تحت مسميات أخرى، فإن قطر عززت تحالفاتها مع كلا من تركيا وإيران إلى الحد الذي أصبح الحديث معه عن عودة تامة للعلاقات كما كانت سابقًا أمرًا شديد الصعوبة. فلئن عادت العلاقات على المستوى السياسي والدبلوماسي تدريجيًا في المدى المنظور، فإن التوجهات الاستراتيجية تظل متباينة وكذلك أطر التعاون العسكري والأمني والاقتصادي أصبحت أكثر تباعدًا عما كانت عليه من قبل وأكثر ارتباطًا بمحاور وقوى أخرى.

فلقد تعززت علاقات التعاون العسكري والاقتصادي بين قطر وتركيا كما لم تكن من قبل؛ إذ عقدت الدولتان عددًا كبيرًا من الاتفاقات العسكرية والاقتصادية والتجارية وضاعفتا حجم علاقاتهما في وقت قياسي وتكثفت الزيارات كما لم تكن من قبل. فقد نمت الاستثمارات القطرية بشكلٍ كبير في تركيا، لتصل إلى ٢٢ مليار دولار في عام ٢٠١٩، وتنشط أكثر من خمسمائة شركة تركية في قطر تعمل في مشاريع البنية التحتية. وفي الوقت نفسه، كانت قطر والصين الدولتين الوحيدتين اللتين أنشأتا خطوط تبادل عملات مع تركيا لمساعدة اقتصادها المتعثر، ففي مايو ٢٠٢٠، ضاعفت قطر اتفاقاتها السابقة لدعم الاقتصاد التركي ثلاث مرات، ورفعتها إلى خمسة عشر مليار دولار لدعم الاستقرار المالي والتجارة، وفي نوفمبر ٢٠٢٠ خلال زيارة أمير قطر إلى تركيا، وقع البلدان

(٦) مهاب عادل حسن، التأثيرات المحتملة لمجالس التنسيق الثنائية على مجلس التعاون الخليجي، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، بتاريخ ٤ نوفمبر ٢٠١٨: https://cutt.us/DoucR

(٧) محمد الراجحي وآخرون، حصار قطر: سياق الأزمة الخليجية وتداعياتها، مركز الجزيرة للدراسات، أكتوبر ٢٠١٧، ص ص ٢٣-٣٤: https://cutt.us/iZXZv

عشرة صفقات جديدة أي أننا نتحدث عن علاقات غير قابلة للتراجع بعد المصالحة لتعدد أوجهها ولسيرورة جانب من التوافقات الدولية والإقليمية في نفس اتجاهاتها بشكلٍ كبير(٨).

عززت الأزمة من تشتت الموقف الخليجي تجاه كلا من الأزمة السورية واليمنية التي كانت الدول الثلاث المقاطعة متوافقة إلى حدٍ بعيد فيها قبيل الأزمة، لتعود الإمارات لاستعادة علاقتها بنظام بشار الأسد واتهام قطر وتركيا بدعم الإرهاب على خلاف الموقف السابق من النظام السوري، ثم تنشئ المجلس الانتقالي الجنوبي وتدعمه في اليمن وتذهب بعيدًا عن الأهداف السعودية وربما المصرية ضمن التحالف بإقامتها مزيدًا من القواعد العسكرية في الجزر اليمنية أو في الجهة الأخرى من البحر الأحمر عبر القرن الأفريقي، لتنقل الصراع مع المحور التركي القطري لساحة أخرى وبأدوات أكثر حدة وتَّرتب مزيدًا من التناقضات في المحاور الإقليمية وتعقد التسويات للأزمات القائمة.

كما ساهمت الخلافات البينية بين دول المقاطعة في أن تظهر بيانات قمة العلا والإجراءات اللاحقة عليها كما لو كان هناك محور مصري إماراتي يغرد بعيدًا عن السعودية التي بدت أكثر تحمسًا للمصالحة من حليفتيها التين بدتا كمجبرتين. يتضح هذا سواء من ضعف مستوى التمثيل في القمة أو من تصريحات وزراء الدول الثلاث عقب انعقادها، ثم تضارب المصالح بين النظامين في أبو ظبي والقاهرة رغم استراتيجية العلاقات، وهنا فإننا إزاء محاولة إماراتية خالصة لقيادة المنطقة على حساب كلا من الدورين المصري والسعودي وليس بالتنسيق معهما.

ثانيًا: الكويت والدور الإيجابي في التسوية:

منذ اللحظة الأولى للمقاطعة بدت الكويت منزعجة منها باعتبارها تُضعف مجلس التعاون الخليجي وتهدد الأمن والاستقرار في المنطقة، ولذا كثفت الكويت مساعيها لحلحلة هذه الأزمة سواء بمبادرات منها أو بالتنسيقات مع الولايات المتحدة والفاعلين الإقليميين لإنهاء هذه الأزمة بأسرع وقت. برز دور الكويت وأميرها الراحل، الشيخ صباح الأحمد الصباح، للوساطة وإنهاء الأزمة، حيث زار الأمير الدوحة في الثامن من يونيو ٢٠١٧، بعد زيارة السعودية والإمارات، وخلال الزيارة عقد محادثات مع أمير قطر، أطلعه خلالها على مساعيه في محاولة حل الأزمة في العلاقات بين دولة قطر وكل من السعودية والإمارات والبحرين، من أجل عودة العلاقات إلى طبيعتها ووحدة صف دول مجلس التعاون الخليجي، ورحبت قطر بالوساطة الكويتية التي ابتدأها الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، مع تأكيداتها أن الحل عبر الحوار المباشر، وفي إطار مجلس التعاون الخليجي، شريطة رفع الحصار أولا(٩).

نجحت الكويت لاحقًا في تمديد المهلة التي أعطتها دول الحصار لقطر للرد عليها لمدة ٤٨ ساعة أخرى بعد انتهاء مهلة الأيام العشرة للرد على الشروط الثلاثة عشر التي وصفتها الدوحة في ردها بأنها وُضعت لترفض(١٠).

وفي ٨ سبتمبر ٢٠١٧، جرى اتصال هاتفي بين أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، وولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، وذلك بتنسيق مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، وتم خلال الاتصال بين ترامب وأمير قطر، وفق ما نشرته وكالة الأنباء القطرية (قنا)، بحث التطورات المتعلقة بالأزمة الخليجية في ظل مساعي دولة الكويت لحلها عبر الطرق الدبلوماسية وعن طريق الحوار بين جميع الأطراف لضمان أمن واستقرار المنطقة، الوكالة

(8) Meliha Benli Altunışık, The end of the Gulf rift may not signal the end of Turkey-Qatar relations, Atlantic Council, APR 5, 2021, https://bit.ly/3gYkcRt

(٩) محمد أبو رزق، قادتها الكويت.. هذه أبرز الجهود الدبلوماسية لحل أزمة الخليج، موقع الخليج أونلاين، بتاريخ ٥ يناير ٢٠٢١: http://khaleej.online/EKbQZ٢

(١٠) أحمد المصري، الدول المقاطعة لقطر توافق على طلب الكويت تمديد مهلة الدوحة ٤٨ ساعة، وكالة أنباء الأناضول، بتاريخ ٣ يوليو ٢٠١٧: https://bit.ly/٣q٠Y٥wI

أكدت أيضًا أن الاتصال بين أمير دولة قطر وولي العهد السعودي جاء بناءً على طلب من الرئيس الأمريكي[١١].

رغم الاتصال بين أمير قطر وولي العهد السعودي، أعلن أمير الكويت الراحل، الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، في اليوم نفسه، عن أن جهود بلاده الدبلوماسية أثمرت عن إيقاف تدخل عسكري ضد قطر، وخلال مؤتمر صحفي جمع حينها الشيخ صباح الأحمد مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في العاصمة واشنطن قال: "الحمد لله، المهم أوقفنا أن يكون شيء عسكري"، وهو التصريح الذي قوبل باستنكار دول الحصار التي أصدرت بيانًا مشتركًا قالت فيه إنها "تأسف على ما قاله أمير الكويت عن نجاح الوساطة بوقف التدخل العسكري"، مؤكدة أن "الخيار العسكري لم ولن يكون مطروحًا بأي حال، وأن الأزمة مع قطر ليست خلافًا خليجيًا فحسب، لكنها مع عديد من الدول العربية والإسلامية"[١٢].

لم تتوقف المساع الكويتية لحل الأزمة الخليجية، فخلال القمة الخليجية الـ٣٨ في الكويت، التي حضرها أمير قطر، في ٥ ديسمبر ٢٠١٧، وغاب عنها زعماء السعودية والإمارات والبحرين، دعا أمير الكويت الراحل إلى إنشاء آلية لفض النزاعات بين دول مجلس التعاون الخليجي[١٣]، وهو تطور جيد لضمان ألا تتكرر مثل تلك الأزمة وأن تكون هناك آليات خليجية لحلحلة نظيراتها.

على الرغم من هذه الجهود، فإن السعودية عادت مجددًا للتهديد بالحل العسكري ردًا على مساعي قطرية للحصول على منظومات روسية للدفاع الجوي، حيث إن قطر وروسيا وقعتا اتفاقًا للتعاون العسكري والفني في ٢٠١٧، ونُقل عن سفير قطر لدى روسيا قوله في يناير ٢٠١٨، إن بلاده تجري مباحثات لشراء أنظمة صواريخ روسية للدفاع الجوي من طراز إس-٤٠٠[١٤].

في النصف الثاني من العام ٢٠١٩ تكثفت الجهود الكويتية لجمع الفرقاء وظهرت بعض المؤشرات الإيجابية حول قرب التوصل إلى تفاهم خليجي، في مقدمتها حضور رئيس الوزراء القطري السابق عبد الله بن ناصر آل ثاني اجتماع دول مجلس التعاون الخليجي الطارئ في مكة، في مايو ٢٠١٩، لمناقشة المخاوف الأمنية الجماعية لدول الخليج أعقاب الهجمات على ناقلات النفط وخطوط أنابيب النفط السعودية، في زيارة هي الأولى لمسؤول قطري إلى المملكة منذ بدء الحصار، لاحقًا، تداولت صحف غربية أنباء حول زيارة سرية قام بها وزير الخارجية القطري محمد بن عبد الرحمن آل ثاني إلى السعودية في نوفمبر، كما وُجهت دعوة من المملكة لأمير قطر لحضور القمة الـ ٤٠ لمجلس التعاون إلا أنه أوفد رئيس وزرائه. وبشكل عام كانت التوقعات لا تزال مرتفعة لدى الطرف الآخر الذي ظل متمسكًا بشروطه القاسية وانهارت مؤشرات التقارب[١٥].

ظل الوضع أشبه بالمجمد إلى أن دفعت إدارة ترامب بجاريد كوشنر لزيارة طرفي الأزمة لمحاولة دعم الجهود الكويتية لإنجاز المصالحة قبل مغادرته البيت الأبيض، حيث أعلن وزير الخارجية الكويتي الشيخ أحمد الناصر الصباح، في ٤ ديسمبر ٢٠٢٠، أن الجهود التي بذلتها القيادة السياسية الكويتية لحل أزمة الخليج أدت إلى نتائج مثمرة. وأوضح الوزير الكويتي، في بيان مقتضب، أن "مباحثات مثمرة جرت خلال الفترة الماضية، بشأن جهود تحقيق المصالحة الخليجية". وأشار إلى أن "كل الأطراف التي شاركت في مباحثات المصالحة أعربت عن حرصها على الاستقرار الخليجي"،

(١١) اتصال هاتفي بين أمير قطر وولي العهد السعودي، الجزيرة نت، بتاريخ ٨ سبتمبر ٢٠١٧: https://bit.ly/٢S٠RCFu

(١٢) هل كان الخيار العسكري مطروحاً في الأزمة القطرية؟، قناة سي إن إن بالعربية، بتاريخ ٨ سبتمبر ٢٠١٧: https://cnn.it/٣cLAACw

(١٣) أمير الكويت يدعو لإيجاد آلية لفض المنازعات في مجلس التعاون الخليجي، وكالة رويترز، بتاريخ ٥ ديسمبر ٢٠١٧: https://reut.rs/٢TGsuUQ

(١٤) تقرير: السعودية تهدد برد عسكري إذا نشرت قطر أنظمة دفاع روسية، قناة دي دبليو بالعربية، بتاريخ ٢ يونيو ٢٠١٨: https://bit.ly/٣iN٩sHc

(١٥) عارف عبد البصير، مصالحة حقيقية أم سلام بارد.. ما الذي ينتظر الأزمة الخليجية في قمة الرياض؟، الجزيرة نت، بتاريخ ٣٠ ديسمبر ٢٠٢٠: https://bit.ly/٢SExY٢u

معربًا عن تقديره لجاريد كوشنر كبير مستشاري الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، وعقب البيان، رحبت قطر والسعودية وعُمان ومجلس التعاون الخليجي بالجهود التي بذلت لحل الأزمة.

كما أعلن وزير الخارجية الكويتي، الشيخ أحمد الناصر الصباح، عن اتفاق لفتح الأجواء والحدود البرية والبحرية بين السعودية وقطر، اعتبارًا من مساء الاثنين ٤ يناير ٢٠٢١، بعد أن أجرى أمير البلاد، الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، اتصالين مع أمير دولة قطر وولي العهد السعودي؛ من أجل توقيع بيان القمة الخليجية بمحافظة العُلا.

دعمت عمان وتركيا الوساطة الكويتية بشكلٍ كبير(١٦)، كما أن الإدارة الأمريكية كانت تدعم تلك الوساطة بشكلٍ أو بآخر. فهي لم تكن تريد أن تبدو منحازة لأي طرف بما يمكنها من استغلال الأزمة في الحصول على مزيد من العقود والمزايا الاقتصادية ومزيد من الضغوط على الطرفين لزيادة صادرات الأسلحة والحفاظ على تزايد التخوف من إيران.

ومع ذلك، وبرغم ترحيب غالبية دول المنطقة بالتسوية، تبقى مساراتها متباينة ورهينة قدرة السعودية على تحجيم الدور الإماراتي في المنطقة، ورهينة للتطور في العلاقات الثنائية بين الدوحة ودول الحصار.

ثالثًا: التطورات الإقليمية المؤثرة والدافعة باتجاه التسوية:

خلال سنوات المقاطعة شهدت المنطقة عدة أحداث شديدة التأثير على سياساتها ومجريات الأمور فيها، ففي نهاية العام ٢٠١٨ انطلقت الموجة الثانية من الربيع العربي في كلٍ من السودان والجزائر والعراق ولبنان، وفي كل هذه الانتفاضات كان واضحًا الهتاف ضد المحور الإماراتي السعودي المصري ورموزه بشكل أو بآخر. وكانت التغطية الإعلامية للجزيرة للأحداث سببًا في تعزيز قطر لنفوذها الإعلامي وتعاطف الشعوب معها، وهو ما اتضح بشكلٍ كبير على مواقع التواصل الاجتماعي إلى الحد الذي جعل دول الحصار تتخذ مواقف متشددة ضد مواطنيها المتعاطفين مع قطر سواء بفرض عقوبات كما هو الحال في الحالة الإماراتية أو بالتضييقات الأمنية في مصر والسعودية.

على جانب السياسات، برغم ما تقدمه الإمارات من مغريات اقتصادية للجانب العسكري في السودان مقابل تأييد مواقفها، فإنها فشلت في الحصول على ما تريد حتى الآن. وقد كان للثورة في السودان تأثير كبير على التحالف العربي في اليمن إذ سحبت سودان ما بعد البشير ١٠ ألاف جندي من إجمالي قواتها المشاركة في الحرب في اليمن ليتبقى فقط ٥ آلاف جندي، وبالتالي فقد عززت تلك الخطوات الرؤية القطرية القائلة بأن لا حل عسكري للوضع في اليمن ما أضعف موقف التحالف(١٧).

أيضًا فإن أحد أهم أوجه الخلاف بين قطر والإمارات، وهو الأزمة في ليبيا، بدت في طريقها للحل مع فشل حفتر في السيطرة على الغرب الليبي وحل الأمر عسكريًا، وبالتالي فشل المنظور المصري الإماراتي الداعم له، وإعلان أطراف الأزمة الليبيين عن وقف متبادل لإطلاق النار في أغسطس ٢٠٢٠ بسبب تداعيات أزمة كورونا، ونجاح المسار الأممي في الضغط على الأطراف الإقليمية من أجل الاعتراف باستحالة الحل العسكري ووقف الدعم للحرب.

كما حدث تباعد بين السعودية والإمارات بعد اعتماد الأخيرة مقاربة تحقيق مصالحها عبر ميليشيات موالية في اليمن بدلا من التورط بنفسها وتجنبًا لضربات مماثلة لتلك التي حدثت للمنشآت النفطية السعودية، حيث أعلنت الإمارات على نحوٍ مفاجئ في فبراير ٢٠٢٠ سحب قواتها من حرب اليمن في خطوة من الواضح أنه لم تقم بتنسيقها مع السعودية، التي كانت مضطرة في

(١٦) سلطنة عمان تعرض مساعيها لحل الأزمة الخليجية، العربي الجديد، بتاريخ ٢٠١٩/١/١٣: https://bit.ly/٣xJYrKQ
وبالنسبة للموقف التركي يمكن مطالعة صحيفة المصري اليوم، أردوغان: تركيا تدعم الوساطة الكويتية لحل أزمة قطر، بتاريخ ٢٠١٧/٩/١٩: https://bit.ly/٢UrNFKN

(١٧) عمر سمير، الإمارات وسودان ما بعد البشير: الموانئ والتطبيع والحرب، نون بوست، بتاريخ ٨ أبريل ٢٠٢٠: https://bit.ly/٣ou٥Nht

المقابل لتخفيف تعنتها وقبول الدخول في مفاوضات غير مباشرة مع الحوثيين، رغم مواصلتهم استهداف منشآت المملكة وأراضيها بالصواريخ والطائرات المسيرة، وفيما قادت سياسات الإمارات المملكة لموقف متشدد تجاه إيران فإنها ظلت محتفظة بعلاقات قوية معها[١٨].

استغلت تركيا الأزمة لتمتين علاقتها بقطر كما لم تكن من قبل، على سبيل المثال: الإسراع بتزويدها بالنواقص الأولية من السلع والمنتجات الغذائية، حيث قامت تركيا، بصفتها الحليف الإقليمي الرئيس للدوحة، بإنشاء جسر جوي لكسر الحصار الاقتصادي المفروض على قطر. وخلال الساعات الأولى من الحصار في ٦ يونيو ٢٠١٧، بدأت البضائع التركية بالتدفق إلى الدوحة عبر طائرات الشحن الجوي التابعة للخطوط الجوية التركية محملة بالمواد الغذائية، وفي غضون٤٨ ساعة، كانت البضائع التركية قد تدفقت إلى السوق القطرية، منهية بذلك أية إمكانية لخنق قطر بشكل فجائي من قبل رباعي الحصار.

وفي أقل من عشر أيام، كانت طائرات الشحن العملاقة التركية والقطرية قد أجرت ما لا يقل عن٤٠ رحلة نقلت خلالها حوالي ٢٨٠٠ طن من المواد الغذائية. بالتوازي مع ذلك قامت تركيا بإرسال أولى سفنها البحرية المحملة بـ٤ آلاف طن من الأغذية والبضائع إلى الدوحة في ٢١ يونيو٢٠١٧، وذلك لتخفيف التكاليف والحفاظ على تدفق البضائع بشكل مستمر، تم بعد ذلك تدشين خط بحري تركي–قطري مباشر من ميناء إزمير إلى ميناء حمد وذلك ضمن سلسلة من الخطوط البحرية الجديدة المباشرة التي تم افتتاحها بين الدوحة وعدد من مدن العالم في الكويت وعُمان والهند وباكستان، كما سعت تركيا للتفاهم مع إيران لتسهيل نقل البضائع والسلع برًا إلى قطر[١٩].

قامت تركيا أيضًا بالإسراع في إقامة قاعدة عسكرية في قطر وتعزيز التعاون العسكري بين البلدين لتجنب أية عملية عسكرية لدول الحصار، إذ إن قطر كانت وقعت مع تركيا عام ٢٠١٤ اتفاقية بشأن إنشاء قاعدة عسكرية تركية في الدوحة، وصادق البرلمان التركي على الاتفاقية واعتمدها في يونيو ٢٠١٧ بعد أيام من الأزمة الخليجية، وعلى أساسها أرسلت أنقرة دفعتين من القوات التركية إلى قطر في مهام تدريبية[٢٠]. كما أُعلن عن إنشاء قاعدة أخرى في نهاية عام ٢٠١٩. وإن هذا التطوير للعلاقات بين قطر وتركيا بقدر ما هو مهم بالنسبة لتركيا لتعزيز نفوذها في الخليج العربي، فإن إقرار البرلمان التركي نشر الجنود في قطر والتصريحات الرسمية الصادرة عن أنقرة أفادتا الدوحة معنويًا وسياسيًا بشكل كبير، بل وساهما في تخطي الأزمة مخاطر الانزلاق نحو تصعيد عسكري أو حلول خشنة غير مرغوبة، بعد أن كانت بعض التصريحات الأولية توحي بذلك أو تهدد به[٢١]، وهو ما عزز من جهود الكويت ودفع بعض دوائر الإدارة الأمريكية للضغط على حلفائها بتخفيض التوتر خاصةً أن القاعدة الأمريكية في قطر تعد الأكبر في الخليج، وأن توسع الوجود التركي العسكري خارج حلف الناتو يعد تطورًا تتحفظ عليه الولايات المتحدة.

كما انتهزت إيران الفرصة لتعزيز علاقتها مع الدوحة؛ سواء بفتح أجوائها أمام الطيران القطري الذي هو أحد عناصر تميز نفوذ قطر التي تملك واحدة ضمن أفضل خطوط الطيران العالمية، وبشكل أو بآخر فإن دول الحصار خسرت بعض الرسوم الخاصة بعبور الطيران القطري في أجوائها جراء هذا الحصار. على جانب آخر،

(١٨) عريب الرنتاوي، نظرة من علوٍ منخفض للعلاقات السعودية الإماراتية وأثرها على "مجلس التعاون"، موقع قناة الحرة، بتاريخ ٥ ديسمبر ٢٠٢٠: https://arbne.ws/٣vwFYjA

(١٩) علي حسن باكير، فك الخناق: الدور التركي والإيراني في إسناد قطر، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ ٢٩ مايو ٢٠١٨: https://bit.ly/٣vs٩٩nH

(٢٠) بالصور: قطر تعلن وصول دفعة تعزيزية جديدة من القوات التركية إلى قاعدة العديد، ترك برس، بتاريخ ٣٠ يونيو ٢٠١٧: https://cutt.us/A٤٢٩d

(٢١) سعيد الحاج، القاعدة العسكرية التركية بقطر.. السياق والدلالات، الجزيرة نت، بتاريخ ١٢ يونيو ٢٠١٧: https://bit.ly/٢Sv٠CTL

سارعت إيران بعرض تزويد قطر بكل ما تحتاج من سلع ومنتجات غذائية كانت تزودها بها دول الحصار، لكن قطر اختارت الانفتاح الانتقائي ذي الطبيعة الاقتصادية بالذات على إيران مع تحقيق التوازن بينها وبين تركيا، وقد دخلت إيران في اتفاق ثلاثي مع قطر وتركيا لتسهيل نقل السلع والبضائع التركية برًا إلى قطر لتخفيض وقت النقل البحري بين تركيا وقطر.

أيضا فإن إسرائيل استغلت الأزمة في الترويج لكونها حليف لدول المنطقة سواء في مواجهة إيران أو الإرهاب، بما في ذلك الحركات الإسلامية وعلى رأسها حركات المقاومة التي كانت قطر تستضيف مكاتبها والعديد من مسئوليها. علمًا أن قادة دول الحصار كانوا يستخدمون ذات المصطلحات الغربية في الحديث عن الإرهاب الإسلامي ويتبنون أقصى الخيارات في مواجهة كافة حركات الإسلام السياسي، حتى أن الشروط الثلاثة عشرة لدول الحصار تضمنت التوقف عن دعم الدوحة واحتضانها واستضافتها قادة المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حركة حماس، وهو الأمر الذي دفع قيادات إسرائيلية عديدة للترحيب بالحصار وتأييد تطوراته واستخدامها للترويج لصفقة القرن وما يمكن أن تلعبه إسرائيل من أدوار في إطار تحالف سني لمواجهة إيران(٢٢).

في هذه الأثناء عززت قطر موقفها عبر كافة الوسائل الدبلوماسية؛ إذ ضمنت تحركاتها تحالفات استراتيجية مع تركيا وتعزيزًا لعلاقاتها مع إيران والاتحاد الأوروبي، وقد صعدت الموقف في قضية اختراق موقع وكالة الأنباء القطرية وصفحات وزير الخارجية على مواقع التواصل الاجتماعي، كما صعدت في قضية القنوات الرياضية السعودية وحقوق بث مجموعة بي إن سبورت، بالإضافة للتحقيقات الإعلامية المتميزة التي قدمتها الجزيرة لقضايا الفساد داخل الإمارات، كما استغلت الدوحة القنوات الدبلوماسية الثنائية والجماعية لإدانة هذا الحصار على نطاق واسع، وهو ما شكل أدوات ضغط إقليمية ودولية جيدة على دول الحصار على نحوٍ ساهم في تفكيك الموقف وحلحلة الأزمة دون استجابة قطرية لمشروطيات دول الحصار.

رابعًا: الجهود الأمريكية: أية سياقات لنجاح الضغوط؟:

منذ بداية الأزمة الخليجية لم تتوقف أيضًا الجهود الأمريكية لإنهائها، ففي بداية الأزمة طلبت واشنطن من دول الحصار إعلان الشكاوى والشروط التي تطلبها من قطر، وبعد تأخر دام حوالي ثلاثة أسابيع، أعلنت الدول الأربعة ١٣ شرطًا قالت إنها مطالب لا تخضع للتفاوض وينبغي على قطر أن تستجيب لها بشكل كامل خلال عشرة أيام (على نحو ما ذُكر).

كانت الدوحة تدرك أن وجود القاعدة العسكرية الأمريكية على أراضيها هو الضامن الأكبر لعدم التصعيد وصولا لعمل عسكري، فيما كانت تراهن الرياض وأبو ظبي على موقف ترامب وشعاراته في مكافحة الإرهاب، وصفقاتهما الكبيرة مع الإدارة الأمريكية من أجل التصعيد لأقصى مدى والذي بدا واضحا في الشروط التعجيزية التي سلمتها دول الحصار لواشنطن، فيما سلمت قطر ردها عليها للكويت وذلك ترسيخًا لمبدأ الحلول الخليجية للمشكلات الخليجية، وجاءت تصريحات وزير خارجيتها عن عدم قدرتها على التجاوب مع المطالب لأنها غير حقيقية وتجرد الدوحة من حقوقها السيادية وأدوات سياستها الخارجية وتدمغها فعلا بتهمة دعم الإرهاب، ومن ثم كان التصعيد ثم تجميد الأزمة لمدة زمنية هو الخيار الأكثر منطقية في بداية الأمر(٢٣).

في الأيام الأولى للأزمة لوحظت الفجوة بين مؤسسات صنع السياسة الخارجية الأمريكية؛ إذ بدا تضارب واضح بين وزارتي الدفاع والخارجية من جهة والرئاسة من جهةٍ أخرى. الأمر الذي اتضح في تصريحات الرئيس ترامب، الذي قرّر أن يصبّ الزيت على نار الأزمة، إذ أطلق سلسلة من التغريدات بعد يوم واحد من قطع العلاقات مع قطر تبدو تبنيًا للموقف السعودي الإماراتي، إلى الحد

(٢٢) عدنان أبو عامر، الموقف الإسرائيلي من الأزمة الخليجية، الجزيرة نت، بتاريخ ٧ يونيو ٢٠١٧: https://bit.ly/٣gvuPLn

(٢٣) سعيد الحاج، الأزمة الخليجية وسيناريوهات المستقبل، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، بتاريخ ٣٠ يونيو ٢٠٢٠: https://bit.ly/٣iMj٣On

الذي فُسرت به الأزمة كثمرة من ثمار زيارته للسعودية وتنسيقه مع كلٍ من ولي عهد الإمارات محمد بن زايد وولي عهد السعودية محمد بن سلمان.

وفي المقابل، فإن وزارتي الخارجية والدفاع خاضتا مسيرة مكوكية لتجاوز التأثير السلبي لتصريحات ترامب. فقد أعادت السفيرة الأمريكية لدى الدوحة التأكيد على الشراكة بين البلدين، ودعا وزير الخارجية ريكس تيلرسون ووزير الدفاع جيم ماتيس، إلى ضبط النفس والحوار، وأعربا عن ثقتهما بأن قرار قطع العلاقات مع قطر لن يقوّض العمليات العسكرية ضد تنظيم الدولة الإسلامية، وكان من الطبيعي أن يشكّل هذا الأمر مصدر قلق لهما، باعتبار أن قاعدة العُديد الجوية في قطر هي مركز العمليات العسكرية الجوية الأمريكية في الشرق الأوسط. كما عقد كلٌّ منهما على حدة سلسلة من اللقاءات في واشنطن مع وزيرَي الخارجية السعودي والإماراتي، ووزير الدفاع القطري، ومستشار الأمير القطري، وبديا مُصمّمَين على الإشارة إلى أن العلاقات مع الدوحة لم تتضرّر.

وفي ١٢ يونيو٢٠١٧، قال ماتيس في كلمة أمام الكونجرس إن قطر "تسير على الدرب الصحيح" في الجهود التي تبذلها لكبح جماح تمويل الإرهاب. وبعد يومين، وقّعت قطر والولايات المتحدة صفقة بقيمة ١٢ مليار دولار تقضي ببيع قطر ٣٦ طائرة مقاتلة من طراز بوينغ F-١٥، كما باشر الطرفان تدريبات بحرية مشتركة كانت مقرّرة مسبقًا ودامت ثلاثة أيام[٢٤].

في ٢٢ أكتوبر ٢٠١٧ استقبل أمير قطر، الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، في الدوحة، وزير الخارجية الأمريكي، ريكس تيلرسون، حيث جرى بحث آخر مستجدات الأزمة الخليجية، واستعراض المساعي الأمريكية والدولية الداعمة لوساطة دولة الكويت لحل الأزمة، وتداعياتها الإقليمية والدولية، أي أن الولايات المتحدة كانت أقرب إلى التسليم بضرورة حل الأزمة خليجيًا عبر الوسيط الكويتي وفي إطار مجلس التعاون الخليجي.

وقد واصلت الولايات المتحدة تحركاتها لحل الأزمة الخليجية، إذ التقى وزير الخارجية الأمريكي، مايك بومبيو في ٢٩ أبريل ٢٠١٨، العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز، وولي عهده محمد بن سلمان، وأجرى معهما مباحثات، حول سبل حل الأزمة الخليجية.

واستمرت الأزمة قرابة العام تراوح مكانها بعد توتر العلاقات بين واشنطن والرياض بسبب مقتل خاشقجي، لم يتخلله سوى لقاء بومبيو بنظيره القطري في ١٣ يناير ٢٠١٩ ثم بولي العهد السعودي في اليوم التالي. ورغم التوتر في العلاقات بين واشنطن والرياض بسبب قضية مقتل خاشقجي إلا أن إدارة ترامب وتحديدًا وزارة الخارجية كانت تدفع باتجاه إقناع السعودية وقطر بتجاوز الأزمة بينهما، بهدف التركيز على الهدف الأهم لواشنطن في المنطقة وهو التصدي للنفوذ الإيراني، لكن تعنت دول الحصار أفشل هذه المحاولات. إذ سبق هذا اللقاء بأيام استقالة أنتوني زيني المبعوث الأمريكي للوساطة بين قطر وبعض جيرانها، وكبير المفاوضين لتشكيل التحالف الاستراتيجي للشرق الأوسط أو ما يُسمى التحالف السني، والذي كان سيُلزم الحكومات السنية في السعودية والكويت والإمارات وقطر وعمان والبحرين ومصر والأردن بمعاهدة أمنية وسياسية واقتصادية بقيادة الولايات المتحدة للتصدي لإيران[٢٥].

عادت الولايات المتحدة للوساطة لحل الأزمة الخليجية بعد ما يزيد عن العام من جمود الموقف الأمريكي، فقد حث الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد على اتخاذ خطوات لحل الأزمة الخليجية، وخلال اتصال هاتفي بين الجانبين، ٢٣ أبريل ٢٠٢٠، أكد ترامب أهمية حل الأزمة الخليجية والتعاون

(٢٤) بيري كاماك، هل السياسة الخارجية الأميركية قائمة على تجاهل ما يقوله دونالد ترامب؟، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، بتاريخ ٢٠يونيو ٢٠١٧: https://cutt.us/٠XPcA

(٢٥) بومبيو من قطر: سنطلب من ولي العهد السعودي "محاسبة" المسؤولين عن مقتل خاشقجي، قناة فرانس ٢٤، بتاريخ ١٣ يناير ٢٠١٩: https://bit.ly/٣xnLCWv

للتغلب على فيروس كورونا، والتخفيف من تداعياته الاقتصادية، والتركيز على القضايا الإقليمية الحساسة، وظلت الأزمة الخليجية رهينة خطابات المرشحين للانتخابات الأمريكية طيلة هذا العام وعولت أطرافها على مرشحين مختلفين للفوز بهذه الانتخابات.

وبرغم من كثافة جهود الولايات المتحدة الأمريكية لحلحلة الأزمة في عهد ترامب إلا أنها كانت مستفيدة من استمرارها إلى حدٍ كبير، فالإدارة الأمريكية استطاعت استغلال الأزمة في عقد صفقات كبرى مع دول الخليج العربي فرادى تارة وجماعات تارة؛ بدعوى ضرورة أن تدفع للولايات المتحدة كلفة حمايتها لها من إيران أو من الإرهاب وكلفة الحرب عليه في المنطقة، فقد مارست إدارة ترامب ابتزازات غير مسبوقة على السعودية وتخلّى عن كل واجب للتحفظ أمام تجمع انتخابي في ولاية فرجينيا الغربية، عندما طلب ترامب مالا أكبر من الرياض نظير ما يقدمه لها من دعم عسكري: "قُلت للملك سلمان لديك تريليونات من الدولارات ومن دوننا الله أعلم ماذا سيحدث.. السعودية معنا في أمانٍ تام، لكننا لا نحصل في المقابل على ما يجب". واستطرد قائلا: "نحن ندعم جيوشهم لذلك دعوني أسأل: لماذا ندعم جيوش هذه الدول الغنية؟ أمر مختلف أن نقدم الدعم لدول تعيش وضعًا صعبًا وخطيرًا مع فظائع قد تؤدي إلى مقتل الملايين، لكن عندما تكون لديك دول غنية كالسعودية واليابان وكوريا الجنوبية، فلماذا إذن ندعم جيوشها؟ لأنهم سيدفعون، المشكلة أن لا أحد طالب بذلك من قبل"(٢٦).

ورغم أن إدارة ترامب وقعت أكبر صفقاتها مع دول الخليج قبيل الأزمة بأقل من شهر أثناء القمة الإسلامية الأمريكية بالرياض في ٢١ مايو ٢٠١٧، والتي قُدرت بـ ٤٠٠ مليار دولار، في إطار التوافق السعودي الأمريكي على التصعيد ضد إيران وعزلها واحتوائها، إذ صرح ترامب خلال القمة "أن النظام الإيراني هو الممول الأساسي للإرهاب الدولي"، وأنه "يغذي الكراهية" في منطقة الشرق الأوسط كلها، ولا سيما في سوريا، وأن كلا من "حماس" و"داعش" و"حزب الله" و"القاعدة" تمثل أشكالا مختلفة للإرهاب، داعيا الدول ذات الأغلبية المسلمة إلى أن تتزعم الجهود العالمية لمحاربة الإرهاب، "من الضروري ألا تنتظر دول الشرق الأوسط من الولايات المتحدة أن تحارب الإرهاب نيابةً عنها"، وفي تطابق تام مع موقف الرئيس الأمريكي، قال الملك سلمان، الذي انطلقت بخطابه أعمال القمة العربية الإسلامية الأمريكية، إن "النظام الإيراني يشكل رأس حربة الإرهاب العالمي منذ ثورة الخميني وحتى اليوم"(٢٧).

لكن الإدارة الأمريكية وفقًا لبعض التحليلات كانت منقسمة بين رؤية البيت الأبيض المتشددة تجاه قطر وإيران، ورؤية وزارة الدفاع ووزارة الخارجية الأمريكية التي كانت تقوم على ضرورة منع تدهور الأوضاع إلى حد الحرب على قطر (كما سبقت الإشارة)، مع ضرورة الدفع باتجاه تسوية سياسية للأزمة حتى لو مورست ضغوط على قطر من أجل الاستجابة لبعض الشروط المطروحة من الجانب الآخر(٢٨)، وربما كان هذا التفاوت في المواقف سببًا جيدًا في الدفع باتجاه التهدئة ومحاولة الحلحلة قبيل الانتخابات الأمريكية نهاية ولاية ترامب، خاصةً عقب الإحراج الذي طاله بالاستقالات المتتالية للعديد من مسئولي البيت الأبيض والبنتاجون ومن ضمنهم وزير الدفاع جيم ماتيس وجون كيلي كبير موظفي البيت الأبيض السابق وبريت مكجورك المبعوث السابق للتحالف الدولي للتصدي لتنظيم الدولة الإسلامية.

كما كان تزايد الانتقادات الداخلية للانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي الإيراني في ٢٠١٨، وفرضه عقوبات مضاعفة عليها واتباع سياسة حافة الهاوية معها كأحد أوجه الاستجابة

(٢٦) انظر قناة مجلة تايم على اليوتيوب بتاريخ ٢٠١٨/١٠/٣: https://bit.ly/٢TByzBW

(٢٧) اختتام القمة الإسلامية الأمريكية.. ترامب يدعو إلى عزل إيران والملك سلمان يصفها برأس حربة الإرهاب، موقع قناة روسيا اليوم، بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢١: https://bit.ly/٣zwT٤k٦

(28) MARWAN KABALAN, The Gulf Crisis: the U.S. factor, Insight Turkey, Vol. 20, No. 2, (Spring 2018), pp. 33-50, accessed: 16 June 2021, https://www.jstor.org/stable/26390306

الأمريكية لتوجهات دول الحصار التي كانت تتبنى أقصى ضغوط ممكنة على طهران وخصوصًا بعد الصفقات الاقتصادية الضخمة مع تلك البلدان.

علمًا أن هذه التطورات أدت إلى نتائج عكسية فيما يتصل باستمرار التصعيد في المنطقة والانقسام بين الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين، كما أن الولايات المتحدة لم تتخذ أي فعل دفاعي عن حلفائها، الذين لم يسهم تحالفهم معها فعليًّا في حمايتهم عندما تعرضت منشآت النفط في السعودية مثلًا لهجوم صاروخي من قبل الحوثيين في سبتمبر ٢٠١٩، وكانت تعتقد الإدارة الأميركية أن إيران تقف خلفه، لكنها لم تقم بأي رد عسكري، بل على العكس استغلت تصاعد تلك التهديدات للضغط على دول الخليج لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل بذريعة مقاومة الخطر الإيراني، ونجحت في ذلك مع الإمارات العربية والبحرين. وهو ما يؤكد أن إدارة ترامب استغلت الأزمة الخليجية ولم تتراجع عن التوجهات السابقة التي تقول بالانسحاب من المنطقة، والتركيز على احتواء الخطر الصيني في المحيط الهادئ الأمر الذي جعل الشركاء في الخليج وبالذات السعودية تحاول إعادة حساباتها للتعامل مع التوجهات الأمريكية الجديدة لإدارة بايدن التي كانت تعلن أنها بصدد العودة للاتفاق النووي مع إيران[٢٩].

على جانب آخر، وضعت التقارير الأممية حول الأوضاع في اليمن، الولايات المتحدة وحلفاءها الأوروبيين في موضع حرج إزاء الدعم العسكري الكبير للتحالف العربي في اليمن بقيادة السعودية والإمارات، مع ذلك كانت الدولتان تعولان على نجاح ترامب في الانتخابات الأمريكية فيما كان التفكير الأمريكي في أن دول الخليج لا تزال قادرة على دفع مزيد من المال لإدارته من أجل حل المشكلات الاقتصادية الداخلية وتعزيز فرص ترامب في الفوز في الانتخابات القادمة حينذاك. **ولكن مع استمرار الأزمة الخليجية رأت واشنطن أنها أثرت عليها سلبياً في مجالات متعددة منها العسكري والمالي والأمني، إذ قادت لتقوية تحالفات إيران مع كلا من قطر وتركيا وروسيا بشكلٍ ملحوظ.**

إزاء هذه النجاحات غير المكلفة لإيران في اختراق المنطقة أكثر، فإن الإدارة الأمريكية كانت تأمل في تكثيف التعاون والاستمرار في حلفٍ يواجه تحديات كبيرة، يضم جبهة معادية لإيران تجمع السعودية والإمارات والسعودية وإسرائيل والولايات المتحدة، ويحاول إبعاد السعودية عن أهداف تنويع علاقاتها العسكرية ويضمن حصرها في الدوائر الغربية الحليفة لواشنطن سواء كانت المملكة المتحدة أو فرنسا أو ألمانيا[٣٠]. هذا التحالف الذي عُرف لاحقًا بالتحالف السني في مواجهة إيران، الأمر الذي وضع السعودية في موقف حرج أكثر مع الشعوب العربية إذ أصبح هذا التحالف موضع سخرية كبرى على مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية.

في الوقت نفسه كانت واشنطن تضغط باتجاه عدم تعزيز قطر علاقاتها أكثر مع إيران وتركيا، حيث كانت قطر قد انسحبت من التحالف العربي في اليمن بعد المقاطعة بأيام، وهو الموقف الذي برره وزير خارجيتها باختلاف الأهداف عما كانت عليه الحملة في بدايتها وانتقالها من الدفع باتجاه تسوية سلمية للأزمة إلى حرب ممتدة تمارس فيها القوة التي تدمر البنى التحتية وتنتهك حقوق اليمنيين وتسيء لسمعة التحالف، بالإضافة إلى التباعد في أهداف المتدخلين وتحديدًا الانقسام بين الموقفين السعودي والإماراتي في هذه الحرب ما أدى لابتعادها عن تحقيق أهدافها[٣١].

خاتمة:

برغم وجود جهود أمريكية وعمانية وبعض الجهود الأوروبية الأخرى للتسوية الخليجية، فقد كانت الجهود الكويتية هي الأنجح

(٢٩) محمد ياغي، مراجعات الشركاء: موقع دول الخليج في توجهات بايدن الخارجية، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ ٨ مارس ٢٠٢١، https://bit.ly/٣cK٨NCg

(٣٠) يريد مالاً أكثر.. كيف ستتعامل السعودية مع "ابتزازات" ترامب؟، قناة دي دبليو عربية، بتاريخ ٢٠١٨/١٠/١: https://bit.ly/٣xodg٥D

(٣١) بعد الكشف عن سبب الانسحاب من تحالف اليمن... قطر توجه تحذيرا جديدا، وكالة سبوتنيك، بتاريخ ٢٠١٨/٨/٦: https://bit.ly/٣qnosgD

في هذا المسار من أجل التسوية. وقد وظفت الجهود الأخرى بشكل ناجح على الرغم من وفاة أمير الكويت قبل إتمام المصالحة، فإن أميرها الجديد استأنف جهود سلفه للتأكيد على الدور الكويتي الحكيم في حلحلة الأزمات الخليجية داخل البيت الخليجي.

على الرغم من ذلك، قادت التطورات الإقليمية بشكلٍ مباشر وتفاعلاتها مع التغير في الإدارة الأمريكية إلى تسهيل هذا الدور الكويتي لحلحلة الأزمة الخليجية، لكن هذه العلاقات الخليجية لن تعود لسابقتها بسهولة إما لتعزيز أطرافها لتحالفاتهما بعيدًا عن المحور الخليجي نفسه أو لاستغلال القوى الإقليمية من خارج المنطقة العربية لهذه الأزمة في تعزيز نفوذها وعلاقاتها بأحد أطراف الأزمة، أو لاتجاه أطرافها لبناء علاقات ثنائية وكذلك لأن قمة العلا تركت تطوير العلاقات لمسارات ثنائية.

كانت النتائج التي أدت إليها الأزمة الخليجية في عكس اتجاه وتقديرات دول الحصار، فلقد أصبحت قطر أكثر اقترابًا من إيران وتركيا اللتين ساهمتا في إفشال مفاعيل الحصار بريًا وبحريًا وجويًا وأثبتتا نجاعة التحالفات معهما، بل إن سلوكهما خلال الأزمة يعد نموذجًا قد يشجع أطراف أخرى بالمنطقة على إنشاء وتطوير علاقات أقوى معهما، وربما كان هذا واضحًا لحكومة الوفاق الوطني الليبية وقد يصبح كذلك بالنسبة لتونس أو الجزائر أو حتى دولا أخرى في المنطقة العربية وخارجها.

في هذه الأزمة قدمت قطر نموذجًا فريدًا يدرس في التعامل مع الأزمة واستبدال تحالفات تقليدية وتعزيز توازن بين حلفائها الجدد، كما قدمت تركيا نموذجًا لعلاقات استراتيجية في وجه تحديات إقليمية ودولية جمة، ومن ثم فإن هذا النموذج قد يجري الترويج له لتعزيز سياسة المحاور الإقليمية التي رسختها الأزمة والتي هي أكبر من أن تُحل بمجرد توافقات ثنائية جماعية تكتيكية للحل.

ومن ثم على المنطقة العربية أن تعزز أطرها الجماعية للتعامل مع المشروعين التركي والإيراني بما يحد من الصراعات، ويعزز المصالح المشتركة، ويقدم نماذج للممارسات البينية التعاونية في حل الأزمات.

يمكن للمنطقة البناء على الأدوار الكويتية والعمانية البناءة في إدارة حوار حقيقي حول الخلافات في التوجهات الاستراتيجية للتعامل مع قضايا المنطقة الرئيسية، وأهمها: موجات الربيع العربي التي لا تزال قائمة وقابلة للتجدد في أي وقت، وكذلك تطوير آلية للتعامل مع تيارات الإسلام السياسي المعتدلة كمكون وطني بديلا عن شيطنته، بل واستخدامه في عزل التيارات العنيفة وترويضها بدلا من استدعاء حلفاء من خارج المنطقة بتكلفة مرتفعة تخصم من استقلالها وتنميتها.

أثبتت الأزمة والتطورات اللاحقة لها أن لا يمكن الركون للولايات المتحدة كحليف دائم في مواجهة التحديات الأمنية والسياسية التي تحدق بالمنطقة، ومن ثم على دولها البحث عن آليات وتحالفات أكثر توازنًا والبحث عن تواصل مباشر مع إيران أقل كلفة من سياسات حافة الهاوية التي أُتبعت أمريكيًا وتم تشجيعها سعوديًا وإماراتيًا، مع تطوير آليات دفاع وتعاون مشترك بين دول المنطقة باتفاقات استراتيجية تكون رادعًا لأية مشروعات توسعية.

*****

تحركات غربية جديدة تجاه الملف السوري

نبيل شبيب*

مقدمة:

يعتمد هذا البحث على مختارات مما نُشر من دراسات وتقارير وتحليلات خلال الشهور الأولى من عام ٢٠٢١م، وبعض ما له علاقة بالموضوع من كتابات استشرافية قبل تلك الفترة. وينطلق من استبقاء السؤال مفتوحا عمّا يمكن رصده ثم اعتباره "تغييرا" في المواقف والتحركات الغربية، وينتهي إلى السؤال عن اتجاه تأثير المتغيرات المحتملة على الملف السوري –وهذا وصف تصنيفي يضعه بين "ملفات" مطروحة عالميًّا– إنما يراعي البحث قدر الإمكان مسار القضية من منظور الثورة الشعبية التي انطلقت عام ٢٠١١م، ورصد بعض المعالم أو المعطيات الآنية لتجديد العمل من أجل توجيه مسارها المستقبلي.

يبدأ الحديث حول "تحركات غربية جديدة" تجاه الملف السوري بالنظر في مفعول انتقال السلطة بين رئيس أمريكي وآخر، انطلاقا من الاعتقاد المنتشر عموما بأن أي تحرك غربي جديد يبدأ في الولايات المتحدة الأمريكية، وغالبا ما يواكب انتقال السلطة من رئيس أمريكي إلى آخر، وهذا ما وجد أثناء انتخابات ٢٠٢٠م تأكيدا مضاعفا مع مواكبة النقلة بين دونالد ترامب الأكثر من مجرد "يميني جمهوري" بالمعايير الأمريكية، وبين جو بايدن، وهو من حزب الديمقراطيين، وسياسي مخضرم من عهد باراك أوباما.

ومن المنظور السوري نشر الكثير من الدراسات والتقارير الاستشرافية والتحليلات الإعلامية في الشهور الأولى من عام ٢٠٢١م، وتعددت فيها الرؤى والتوقعات سلبا وإيجابا، ومن ذلك ما تأثر بتزامن تبدل السلطة في الرئاسة الأمريكية، مع وصول مسار أحداث قضية سورية في نهاية العام العاشر من الثورة، إلى إحكام سيطرة قبضة التدويل على الملف السوري؛ بمعنى طغيان العنصر الدولي عموما والإقليمي جزئيا على القليل الباقي من عناصر التأثير الذاتية السورية للإسهام في صناعة القرار، ناهيك عن غلبة عنصر الممارسة التنفيذية على الممارسة الفاعلة والمؤثرة على أرض الواقع.

ليس مجهولا أن مفعول التبدل في منصب الرئاسة لا يلغي عنصر الثوابت في "الاستراتيجيات الأمريكية" أو بتعبير السياسي والكاتب العراقي/الكردي محمد عثمان: (لا تحدث تغييرات جذرية على صعيد السياسات الخارجية الأمريكية باختلاف الرؤساء والأحزاب، فالإدارات الأمريكية على تنوعها تخضع لاستراتيجيات موحدة بعيدة المدى... مع ذلك يبقى للرئيس وإدارته هوامش كثيرة تسمح بحيز واسع من التغييرات في الداخل والخارج)[١]. ومن هنا السؤال:

ما هو حجم المتغير وحجم الثابت في السياسة الأمريكية تجاه الملف السوري، ما بين عهد أوباما ثم ترامب وعهد بايدن؟

تتجنب الفقرات التالية الاستغراق في التفاصيل، ولكن السؤال عن التحركات الغربية في التعامل مع الملف السوري انطلاقا من المتغيرات بالفاعلية الأمريكية من ورائها، وبكلياتها الكبرى، لا يقلل من أهمية جوانب من الدرجة الثانية، يتعرض لها النص لِماما، ومنها:

١– الموقع الأوروبي من المتغيرات الغربية، مع تجنب التكرار بالحديث عن مفعول قضية "اللجوء" في هذا الإطار، وقد كانت موضع اهتمام ومتابعة مستفيضة بما فيه الكفاية، كذلك مع تجنب التحليلات التي تراعي غياب الوحدة الأوروبية في الميادين السياسية،

---

* كاتب ومفكر.

(١) محمود عثمان، ملامح استراتيجية جو بايدن في سوريا (تحليل)، موقع وكالة الأناضول، بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/34NXc0I

الخارجية والأمنية، وهو ما كان دومًا من أسباب الحدِّ من تأثير منابع قوة الاتحاد الأوروبي الاقتصادية والمالية عالميًّا.

٢- موقع التحركات الغربية الجديدة المحتملة من متغيرات أوسع وأشمل في سياسات التعامل الغربي مع قوى دولية أخرى، لا سيما الاتحاد الروسي والصين، وكذلك مع بعض الدول الناهضة مثل السعودية وتركيا، فضلا عن تأثير التطورات الجارية في التعامل الغربي مع إيران وملفها النووي.

٣- تموضع المسار الثوري السوري في مجموع مشهد التقلبات الجارية في ربيع الثورات الشعبية الأخرى، وإشارات الاستفهام المطروحة حول مستقبل مسارات اليمن وليبيا وتونس ومصر، فضلا عن الحراك في الجزائر والسودان والعراق ولبنان.

٤- التأثير المحتمل لما استجد على المنطقة من تطورات مفاجئة نسبيا في مسار قضية فلسطين خلال شهر مايو ٢٠٢١م.

وتُخصص خاتمة البحث لمحاولة استخلاص بعض المعالم الكبرى لما وصل إليه التعامل الدولي والذاتي مع مسار قضية سورية، وما يمكن البناء عليه من تلك المعالم كمنطلق لمساع متجددة أو مبادرات راهنة لتوجيه هذا المسار مستقبليا بما يتوافق مع تحرير الإرادة الشعبية، باعتبار ذلك هو المحور الحاسم في انطلاق الثورة الشعبية عام ٢٠١١م.

أولًا- رئاسة أمريكية جديدة:

في عهد دونالد ترامب رئيسا أمريكيا، على امتداد أربع سنوات (٢٠١٦-٢٠٢٠م) تعرّض معظم ميادين العلاقات الدولية والقضايا المحلية والإقليمية لشظايا سياساته وممارساته، بمشاركة من تبنى مساره أو شارك في دعمه من داخل المؤسسات وخارجها في الدولة الأمريكية؛ وشمل ذلك الملفَ السوري، ومن ذلك عناوين:

١- التبجح بالسيطرة على الثروة النفطية شمال شرق سورية.

٢- التقلب الغامض بشأن الانسحاب عسكريا من سورية.

٣- شن هجمات عسكرية مباشرة، ولكن غير حاسمة حتى في نطاق أهدافها المعلنة.

٤- التأرجح بين التفاهم والاختلاف مع تركيا دون التخلي عن دعم ميلشيات "قوات سورية الديمقراطية" رغم نزاعها المسلح مع تركيا.

٥- تجنب تصعيد الخلاف مع روسيا مقابل التصعيد مع إيران مع أنهما دولتان متكاملتان من حيث دعم استبقاء النظام في سورية، إلى درجة وصفهما بدولتي احتلال.

في حصيلة هذا الذي نسميه "شظايا" ما أوصل إلى نتائج انعكست على أرض الواقع بما يخدم روسيا وإيران والنظام السوري في نهاية المطاف، وذلك على غرار ما كان من نتائج انتشار "الشظايا" في حقبة أوباما أيضًا، وإن كانت من نوعية مختلفة وأحيانا متناقضة جزئيا مع ما ظهر لاحقا في عهد ترامب، وكان من ذلك:

١- أسلوب التعامل مع جريمة استخدام السلاح الكيمياوي؛ ولا علاقة لذلك بقانون دولي أو نهج سلمي، إنما هو نتيجة إرادة سياسية، وهذا ما نستخلصه مما يقوله أوباما نفسه بصيغة "الإخفاق في سورية"، وما يقوله عدد من مستشاريه المقربين حوله بما في ذلك عدم الأخذ بما يتوافقون عليه ويطالبون به[٢].

٢- عقد اتفاق "الملف النووي الإيراني" مع ما انطوى عليه من توفير التمويل لمزيد من التدخل العنيف في مسار قضية سورية.

٣- الضغوط الأمريكية إقليميا للحيلولة دون وصول أسلحة دفاعية فاعلة ورادعة للفصائل المقاتلة ضد النظام الأسدي وحلفائه.

---

(٢) انظر الآتي:

- "أوباما يروي كيف فشل بسياسته في سورية: المأساة تؤلمني"، موقع عنب بلدي، ١٨ نوفمبر ٢٠٢٠، متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/3ghNwCf
- " مستشار سابق لأوباما: الرئيس لم يكن لديه رغبة حقيقية بإسقاط الأسد"، موقع عنب بلدي، ٢٩ أكتوبر ٢٠١٥، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3vk9t87

٤- الدعم الأمريكي لميليشيات "مشبوهة" شمال شرق سورية وربط ذلك بخطر "داعش"، واستمرار دعمها بعد تقلص ذلك الخطر.

٥- عقد تفاهمات ثنائية مع الطرف الروسي حول "سورية" مقابل التصعيد في توتر العلاقات مع تركيا.

العناوين السابقة كأمثلة من سياسات رئيسين أمريكيين متعاقبين، ديمقراطي وجمهوري، تعزز القول إن التعامل الأمريكي مع الملف السوري انطلق من مقتضيات "ثوابت استراتيجية" وكان القرار من البداية تجنب العمل على دعم ثورة "إسقاط النظام"، وهذا ما أُعلنت صياغته "السياسية" رسميا، ولكن في مرحلة متأخرة من عهد أوباما (سنة ٢٠١٨م)، على لسان مبعوثه الرسمي جيمس جيفري؛ إذ قال: (واشنطن "لا تسعى لأي شكل من أشكال تغيير النظام"، بل تستهدف "تغيير سلوك هذا النظام إزاء شعبه بالدرجة الأولى، ثم تجاه جيرانه")[٣].

من هنا -وبغضِّ النظر عن التعليلات "سياسيا وإعلاميا" بمتطلبات مكافحة "داعش"- يصبح الأقرب إلى تحديد الإطار العام في هذا البحث عن المتغيرات الغربية الجديدة، هو:

لم يشهد التعامل الأمريكي مع "الملف السوري" نتيجة ثورة ٢٠١١م جديدًا في جوهر السياسات والممارسات وإنما في أسلوب الطرح والتعليل.

مع ثبوت انتقال السلطة إلى جو بايدن وقبيل استلامها رسميًّا، استقرأ مركز "جسور للدراسات" مستقبل السياسات الأمريكية تجاه سورية في تقرير بصيغة "تقدير موقف"، فأوجز فيه محددات هذه السياسة في خمسة بنود، كما استعرض عناصر توصيف المعالم الكبرى لسياسات أوباما وترامب قبل بايدن ليخلص إلى القول: (رغم تأكيد ترامب منذ توليه الرئاسة على اختلاف سياسته الخارجية عن سياسة سلفه أوباما، إلا أنه تلاقى معه في أن محصلة سياسته تجاه سورية كانت تصبّ لصالح إيران وروسيا)[٤]. أما البنود الخمسة التي يصنفها التقرير لمحددات السياسة الأمريكية تجاه الملف السوري، فهي:

(١) إرث السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط

(٢) السياسة الأمريكية تجاه إيران

(٣)مكافحة الإرهاب ومبررات الوجود العسكري الأمريكي

(٤)العلاقة مع تركيا

(٥) العلاقة مع روسيا.

هذا مما يعطي المنطلق المطروح في موضوع هذا البحث صياغة أدقّ بالقول:

ما دام المضمون السياسي في التعامل مع الملف السوري لم يتبدل جوهريا نتيجة انتقال السلطة من أوباما (وبايدن) الديمقراطيين إلى ترامب الجمهوري، فهل يُتوقع أن يتبدل ذلك المضمون جوهريا عبر انتقال السلطة من ترامب إلى بايدن؟

حول التوقعات من جو بايدن تجاه الملف السوري، جاء في خلاصة التقرير المذكور:

(من المرجح أن يتميز الرئيس بايدن عن أوباما بكونه أكثر حسما في اتخاذ القرارات تجاه الملف السوري، وعن ترامب بكونه أكثر اهتماما بالملف. كما يرجح أن يعمد إلى استخدام الأدوات الدبلوماسية والاقتصادية للضغط على النظام وروسيا من أجل التوصل إلى حل سياسي متوازن)[٥].

من الناحية الفعلية لم يتحقق خلال الشهور الأولى بعد استلام منصب الرئاسة شيء يلفت النظر بصدد أسلوب الحسم ولا

(٣) "المبعوث الأمريكي إلى سورية: هدفنا ليس تغيير النظام، بل تغيير سلوكه"، موقع روسيا اليوم، ٢٣ نوفمبر ٢٠١٨، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/sCQ3M

(٤) "السياسات الأمريكية تجاه سورية في عهد بايدن"، تقدير موقف، موقع مركز جسور للدراسات، ٢٢ ديسمبر ٢٠٢٠م، إسطنبول/تركيا ، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3cfbBr2

(٥) المرجع السابق.

بصدد الضغوط، باستثناء ما يتعلق ببعض جوانب "**الإغاثة الإنسانية**"، كما سيرد لاحقا في مطلع فقرة "رابعا- أين المتغيرات؟".

لقد توارى الملف السوري في أولويات بايدن خلف اهتمامات أخرى عديدة؛ أبرزها بعد القضايا الداخلية الشائكة:

١- ترميم ما اهترأ من المكانة الأمريكية دوليا في ميادين المناخ والبيئة والحد من التسلح وغيرها، وقد بدأ العمل لذلك بخطوات عملية؛ وجميع ذلك بعيد عن التأثير على الملف السوري، أما المكانة الأمريكية بشأن الدفاع عن حقوق الإنسان والقيم الديمقراطية، فلم تشهد مبدئيا خطوة عملية -لا سيما ما يتعلق بالملف السوري- لتأكيد مصداقية الحديث عنها من جانب بايدن.

٢- إعادة الثقة في التحالف الأمريكي الأوروبي؛ وهو هدف يحتاج لجهود مضاعفة، ويشهد على ذلك الاضطرار إلى حد أدنى من التوافق على عدة قضايا؛ منها: المناخ العالمي، وعدم التوافق على بعضها مثل تحديد تاريخ نهائي وملزم للتخلي عن وقود الفحم الحجري؛ أما احتمال التوافق على توحيد التعامل الغربي مع الملف السوري، فيبقى تحقيقه بعيد المنال؛ لاختلاف المعطيات المصلحية و"الجيوسياسية" على هذا الصعيد بين الطرفين: الأمريكي (ثلاثية سورية / إيران / قضية فلسطين) والأوروبي (اللجوء في الدرجة الأولى / الرهاب من الإسلام / غلبة العامل الاقتصادي على ما سواه في صناعة القرار).

٣- السعي لوضع حدٍّ لتنامي الدور الصيني على ساحة العلاقات الدولية؛ ومن ذلك توسيع نطاق الوجود العسكري والاقتصادي والسياسي للولايات المتحدة الأمريكية في المناطق الإقليمية والدولية، البحرية والبرية، حول الصين؛ إنما الأرجح انعدام تأثير ذلك مباشرة على مسار الحدث السوري، أو اقتصار موضع التأثير على إحدى أوراق المساومات السياسية والاقتصادية.

٤- السعي لوضع حدٍّ لتنامي الدور الروسي على ساحة العلاقات الدولية؛ ومن ذلك التحرك المباشر في أزمة أوكرانيا مع روسيا، والتوجه لتدشين ما يشبه التحالف الغربي -ويستبعد أن يكون متينا وراسخا- ضد روسيا (والصين)، وقد بدأ السعي لذلك على مستوى قمة السبعة (١١-١٣ / ٦ / ٢٠٢١م) وقمة حلف شمال الأطلسي (١٤ / ٦ / ٢٠٢١م)؛ وقد يأخذ هذا "التحركُ" في وقتٍ (متأخرٍ) صياغات جديدة للمعادلات الثنائية مع موسكو فيما يتعلق بالملف السوري، على غرار ما حدث أكثر من مرة خلال عشرة سنوات مضت على اندلاع الثورة الشعبية.

٥- التعامل بشكل سريع نسبيا مع الملف النووي الإيراني مع وجود عنصر مضادّ ينطلق من استراتيجية أمريكية اندماجية مع المشروع الصهيوني إقليميا، هذا بغضِّ النظر هنا عما بدأ يطرأ من خلل جزئي في معادلات هذه الاستراتيجية الاندماجية؛ ورغم أن المتغيرات الطارئة هنا كانت نتيجة أحداث غزة ٢٠٢١م وليس من منطلق تغييرٍ ما في التعامل مع الملف السوري، فلا يستبعد أن تؤثر عليه في وقت لاحق.

هنا ينبغي طرح سؤال إضافي في هذا البحث:

هل يصحُّ بمنظور ثورة ٢٠١١م في سورية التسليم بربط مستقبل الحدث السوري بما "يحتمل" أن يجده من اهتمام أمريكي، ناهيك عن غربي مشترك، في نطاق قضايا وملفات أخرى، وهو اهتمام ما زال مجهول المضمون والحجم والاتجاه؟

ثانيًا- تقلب الاهتمامات الدولية:

على ضوء ما سبق نرصد تحول الاهتمام الأكبر، الأمريكي والغربي عموما، نحو "الشرق الأقصى" كما يسمّى، وإن تبدلت أساليب التعامل مع الأحداث والتطورات هناك بالمقارنة مع ما كان في الماضي. أما في "الشرق الأوسط" (كما يُسمى أمريكيا.. بينما يسمى "الأدنى" أوروبيا نتيجة اختلاف "اصطلاحي جيوسياسي" بين الطرفين)، فالاهتمام الدولي الأكبر من نصيب التعامل مع إيران، انطلاقا من حرص جميع القوى الدولية الأساسية على الحيلولة دون تسلح إيران نوويا، في إطار سياسات توافقية على "احتكار"

هذا التسلح ضمن ما يسمى النادي النووي، وما ينسجم مع معادلاته العسكرية.

كذلك نرصد ازدياد الاهتمام بقضية أوكرانيا، حيث تبلغ درجة التصعيد الغربي – الروسي ما يجعل كثيرا من المحللين يتنبأ بعودة ما يشبه "الحرب الباردة" بل حتى اندلاع مواجهات "ساخنة"، أما العلاقات مع الصين فتكاد المنافسة تتخذ صيغة "حرب" اقتصادية مع استفزازات عسكرية. إنما يبقى قدر كبير من العلاقات الدولية الجامعة بين المشتركات وفق مصالح حيوية متبادلة، مع وجود خلافات مصلحية أيضا.

عند البحث من وراء هذا المشهد الدولي عن موقع ما للملف السوري، يسري في وصف الشهور الأولى من عام ٢٠٢١م على خلفية سياسة بايدن، ما يقول به الكاتب الصحفي السوري محمد شيخ يوسف، بعد استشهاده بكلام أحد الدبلوماسيين الأمريكيين: (أميركا لديها مقاربة مختلفة تماما، وهي غير مستعجلة على عكس السوريين أنفسهم، ودول المنطقة والإقليم... بايدن الذي لم تظهر لديه أي سياسة واضحة حيال سوريا... ربما يترك موضوع الحل السوري أو أي مقاربة لسنوات حكمه الثالثة أو الرابعة)[٦].

إنما بدأ يظهر ما يمكن أن يمس الملف السوري مباشرة أثناء مفاوضات تجديد "اتفاق الملف النووي" الإيراني، بل بدأ ذلك بالفعل من خلال رفع بعض ما يوصف بالعقوبات، وهو ما يجدد قدرة إيران التمويلية لأدوارها الإقليمية لا سيما في سورية، كما بدأ انعكاس ذلك –كرد فعل غير مقصود– عبر دعم ما يوصف بالتيار المتشدد في انتخابات الرئاسة الإيرانية ٢٠٢١م، مما يعزز التوجه إلى مزيد من التصعيد في فرض الوجود الإيراني المهيمن في الواقع السوري الداخلي: اجتماعيا و"ديموغرافيا"، واقتصاديا، وأمنيا. ولا يُنتظر أن تختلف الصورة باتجاه إيجابي ما، عندما تظهر آثار أخرى أبعد مدى مما يُطرح علنا في سياق تجديد "اتفاق الملف النووي" الإيراني.

وقد أثار التحرك الأمريكي السريع في الملف الإيراني، فور استلام بايدن للسلطة، شكوكا عميقة في أوساط السوريين عموما؛ توجّسا من تفاهمات أمريكية – إيرانية وراء ستار، ومن حلول وسطية في ميادين لا تشملها النصوص الرسمية للاتفاق نفسه، ولكن لم ينقطع طرحها في عهد بايدن وعهد سلفه، وأبرزها –إلى جانب الصواريخ البعيدة المدى،– أنشطة الميليشيات المرتبطة بإيران توجيها وتسليحا وتمويلا؛ وهي ذات علاقة مباشرة بالوضع في سورية، بالإضافة إلى تأثيرها على الساحة العربية عموما عبر العراق ولبنان واليمن.

بعض المنظمات التي تمثل قطاعا مهما من ذوي الأصل السوري في الولايات المتحدة الأمريكية تعبر عن تلك الشكوك أو المخاوف، كما جاء في بيان وجهته ١٢ منظمة إلى الرئاسة الأمريكية بعدة مطالب أساسية كان أولها تحت عنوان: "عدم بيع سورية لإيران"، وفق ما ذكره بسام بربندي، الدبلوماسي السوري سابقا ومحرر مقالات عامود "من زاوية أخرى" في موقع قناة الحرة[٧].

ثالثًا– تناقضات السياسة والممارسة:

نُشرت تحليلات ورؤى استشرافية عديدة بأقلام بعض السوريين حول التعامل الغربي عموما والأمريكي تخصيصا مع الملف السوري، ومنها ما ينتظر متغيرات إيجابية جديدة وكبيرة، وقد يصح القول بأن فيها قسطا من التفاؤل تحت تأثير صياغة بعض التصريحات الرسمية، واتخاذ بعض الخطوات الحقوقية / الجنائية خلال الأشهر الأولى من عام ٢٠٢١م. ولكن مدلول كثير من المواقف

(٦) محمد شيخ يوسف، "الحل في سورية وفق الجدول الزمني الأمريكي"، موقع قناة "تلفزيون سورية" الفضائية – ٢٤ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2Sb3LYB

(٧) الدبلوماسي السوري السابق – بسام بربندي للحدث: حول تقديم ١٢ منظمة سورية في أميركا رسالة لإدارة بايدن، موقع youtube، يوم ٢٨ مارس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/kCFkl

الرسمية الغربية يضمحل نتيجة التناقض مع مدلول خطوات عملية؛ ومن ذلك على سبيل المثال:

١- الضوء الأخضر الأمريكي أو الغربي، أو غياب الاعتراض الجادّ على الأقل، تجاه خطوات جديدة نحو الانفتاح رسميا من جانب دول عربية عديدة، على النظام الأسدي في سورية، وهو ما ظهر للعيان أثناء جولة وزير الخارجية الروسي أندريه لافروف في المنطقة العربية في آذار / مارس ٢٠٢١م[٨].

٢- المشاركة الغربية والعربية في صدور "قرار بالإجماع" مطلع يونيو ٢٠٢١م، مكّن من وصول النظام السوري إلى عضوية المجلس التنفيذي، أعلى الأجهزة التنفيذية في منظمة الصحة العالمية، وهذا رغم ما كان على امتداد سنوات عديدة من إدانات كلامية من دول ومنظمات غربية لاستهداف المستشفيات والمراكز الصحية والعاملين في القطاع الصحي بالقصف، واستمرار ذلك القصف وإدانته كلاميا إلى ما بعد صدور القرار المذكور. وفي هذا المثال يتضاعف حجم التناقض بين الأقوال الرسمية والخطوات العملية في حقيقة أن هذه العضوية يمثلها "حسن الغباش"، وزير الصحة في النظام الأسدي، والوارد اسمه في قوائم "عقوبات" الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة منذ عام ٢٠٢٠م، وقد أدى ذلك إلى تعبير كثير من الناشطين لصالح الثورة عن ردود فعل غاضبة عبر وسائل التواصل الاجتماعي[٩].

٣- يسري التناقض أيضا على ما يتعلق بجولة أخرى مما يسمّى "انتخابات الرئاسة" في سورية أواخر أيار / مايو ٢٠٢١م، فقد استبقتها مجموعة الدول الغربية -الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والمملكة المتحدة- ببيان وزاري مشترك يدعو إلى (مقاطعة) تلك الانتخابات التي (لن تؤدي إلى أي تطبيع دولي للنظام السوري)؛ ذلك أن (أي مسار سياسي يتطلّب مشاركة كل السوريين، ولا سيما... في الشتات والنازحون، لضمان إسماع كل الأصوات)؛ ولكن مكّنت فرنسا سفارة النظام في باريس من المشاركة في إجراء التصويت، وهذا رغم توقيعها على البيان المذكور ورغم تصريح سفيرها لدى الأمم المتحدة، نيقولا دي ريفيير، بأن بلاده (لن تعترف بأي مشروعية للانتخابات التي يعتزم النظام إقامتها نهاية أيار/ مايو) وأنه (من دون إدراج السوريين في الخارج، فإنّ الانتخابات "ستنظّم تحت رقابة النظام فقط، من دون إشراف دولي" على النحو المنصوص عليه في القرار ٢٢٥٤، الذي تم اعتماده بالإجماع في مجلس الأمن الدولي في عام ٢٠١٥م[١٠]، وشبيه ذلك ما صنعته عدة دول عربية مثل عُمان والإمارات.

٤- ولئن شهد بعض الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي تحرك أجهزة قضائية فيها للنظر في قضايا المشاركة في ارتكاب جرائم حربية وجرائم ضد الإنسانية في سورية، مثل ألمانيا وهولندا[١١]،

---

(٨) ٦ دول تنادي بعودة النظام إلى الجامعة العربية، موقع "عنب بلدي"، بتاريخ٣٠ مارس ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/35kLRFz

(٩) انظر الآتي:

- "انتخاب سوريا لعضوية المجلس التنفيذي لمنظمة الصحة العالمية"، موقع قناة "العالم" الفضائية، بتاريخ ٢٨ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/3v2Gp4Y
- ومن الأمثلة على ردود الأفعال: "منظمة الصحة العالميّة تكافئ النظام السوري على جرائمه"، موقع "Syriauntold"، بتاريخ ٢ يونيو٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/3im5l4I

(١٠) لمزيد من التفاصيل في:

- "رفض غربي في مجلس الأمن للانتخابات الرئاسية السورية"، موقع "دويتشه فيلي" ، بتاريخ٢٠ مايو ٢٠٢١م، متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/3vVvxXK
- "على ماذا استندت ألمانيا في منع تصويت السوريين في سفارة بلادهم؟" موقع "دويتشه فيلي"، ٢٠ مايو٢٠٢١م، متاح على الرابط التالي: https://bit.ly/34N9kiJ

(١١) انظر:

-تقرير منظمة العفو الدولية عن سورية ٢٠٢٠م، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/S8vkI

-بلقيس جراح، "الخطوة الهولندية بوجه سوريا: مسار جديد للعدالة"، موقع لمنظمة هيومان رايتس واتش، بتاريخ ٢٢ سبتمبر٢٠٢٠م، متاح على الرابط التالي: https://cutt.us/nImW1

-وسام سليم، "كندا وهولندا تعلنان عن خطوات مشتركة لمحاسبة النظام السوري"، موقع العربي الجديد، بتاريخ ١٣ مارس ٢٠٢١م، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/pFdQE

فيقابل ذلك تحرك دول أخرى كالدانمارك في اتجاه مضادّ، عبر ترحيل "لاجئين سوريين" عنها بدعوى أن دمشق وما حولها أصبحت "منطقة آمنة" ويمكن العودة إليها[١٢].

رابعًا– أين "المتغيرات"؟

١– ضغوط على الدور التركي في الملف السوري:

من المتغيرات أن بايدن تابع سياسات ترامب وأوباما من قبل وزاد عليها، على صعيد زيادة الضغوط على تركيا التي أصبحت شبه منفردة دوليا وإقليميا في حمل أعباء دعم المسار الثوري في سورية وإغاثة المشردين. وقد ظهرت سياسة بايدن هذه رمزيا في الموقف من الأحداث مع الأرمن في أواخر الحقبة العثمانية أو ما سمي "الرجل المريض" آنذاك، كما ظهرت بصورة عملية أبعد تأثيرا عبر مضاعفة الدعم العلني سياسيا وبالأسلحة لميليشيات "قوات سورية الديمقراطية"، أو الجناح العسكري لوحدات حماية الشعب، التي يرجح ارتباطها بحزب العمال الكردستاني، ومن المعروف أنها طرف في نزاع عسكري مع تركيا وقوات "الجيش الحر السوري" المتعاون مع تركيا في الشمال السوري. وقد برز حجم الاهتمام الفوري من جانب بايدن بدعم تلك الميليشيات وزيادته، من خلال مستوى الوفود التي أرسل بها لسلسلة اجتماعات مع قائد تلك القوات "مظلوم عبدي"، وكان من قيادات تلك الوفود مساعد وزير الخارجية الأمريكي جوي هود، ومديرة مجلس الأمن القومي لسورية والعراق في البيت الأبيض، زهرة بي، وقائد القوات الأمريكية المركزية في المنطقة الجنرال كينيث ماكينزي[١٣].

أما الملف السوري عموما فهو في "قلب المحادثات" بين بايدن وإردوجان حسب محطة التلفزة التركية شبه الرسمية، تي آر تي – بالعربية يوم ١٤ / ٦ / ٢٠٢١م، ولكن تفصل المقالة المنشور بهذا الصدد حول القضايا الشائكة الأخرى (صفقة الصواريخ إس – ٤٠٠ وطائرات إف – ٣٥، ومشكلة الميليشيات) ولا تجد ما تنشره بشأن الملف السوري[١٤].

ليس منتظرا ساعة كتابة هذه السطور (١٤ / ٦ / ٢٠٢١م) التوصل إلى نتائج واضحة حول الشأن السوري بهذه القمة أو قمة بايدن مع بوتين، فلو كان الشأن السوري مطروحا بصورة جادة، لتطلب زمنا أطول من فترة الإعدادات التي سبقت القمتين. ويبقى التكهن بأن بعض النقاط المتعلقة بالمسار السوري مطروحة في الوقت الحاضر من باب جسّ النبض بشكل متبادل، ودون مستوى التوافق على صيغة مشتركة.

يسري هذا أيضا على محاولة تجديد التواصل التركي الأمريكي بشأن "منطقة آمنة" في شريط أرضي على الحدود السورية مع تركيا، وهو إن تحقق افتراضا لا يزيل الخلافات الأخرى الراهنة، إنما يتوافق مع سياسة الضغوط الأمريكية الجديدة تجاه روسيا، وينطوي على إضعاف مسارات إستانا وسوتشي بمشاركة روسيا وتركيا، كما يشير التحليل المبدئي للاتصال الهاتفي بين وزيري الدفاع التركي والأمريكي يوم ١١ / ٦ / ٢٠٢١م[١٥].

– "الحرب في سوريا: القضاء الألماني يدين ضابطا سابقا في المخابرات السورية في جرائم ضد الإنسانية"، موقع بي بي سي بالعربية، بتاريخ ٢٤ فبراير ٢٠٢١م، متاح عبر الرابط التالي:
https://bbc.in/3ckUP9Y

(١٢) أدريان موراي، "اللاجئون السوريون على مفترق طرق في الدانمارك"، موقع بي بي سي بالعربية، بتاريخ ٢٠ مايو ٢٠٢١م، متاح عبر الرابط التالي:
https://bbc.in/3gcehqv

(١٣) "وفود سياسية وعسكرية أمريكية إلى شرق سورية.. ما وراءها؟، " موقع "السورية نت" ، ٢٣ مايو ٢٠٢١م، متاح عبر الرابط التالي:
https://bit.ly/3wWgLzV

(١٤) "ما الخطوط العريضة في لقاء أردوغان وبايدن المرتقب"، محطة تي – آر – تي – عربي، بتاريخ ١٤ يونيو٢٠٢١م ، متاح عبر الرابط التالي:
https://bit.ly/3wpP3vw

(١٥) "وحدة التحليل والتفكير في مركز جسور للدراسات"، تحت المجهر: تركيا تبحث فكرة المنطقة الآمنة مع الولايات المتحدة مجددا، بتاريخ ١٣ يونيو٢٠٢١م ، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3zqOUKa

٢- "نافذة" الإغاثة الإنسانية:

"الملف السوري" مطروح ولكن هامشيا في قمة بايدن مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أيضا، فالصدارة مخصصة لملفات أخرى وفق ما نوهت إليه التحضيرات المسبقة، أما الملف السوري فيأخذ مكانه المعلن مرارا عبر تركيز المسؤولين الأمريكيين على جانب "الإغاثة الإنسانية". ولا يستهان بأهميتها ولكن دون تقديم "تنازلات" ثمنا لها، بينما هي واجبة من فوق كل خلاف، وفق ما ينص عليه القانون الإنساني الدولي. لقد أصبحت "الإغاثة الإنسانية" في تعامل واشنطون مع الملف السوري، بل أصبح مجرد التمكين من فتح معابر خاصة بمساعدات أممية.. (النافذة التي تطل منها إدارة بايدن على المسرح السوري) وفق تعبير الكاتب الصحفي إبراهيم حميدي، وذلك من بين أربعة مجالات حددها للسياسة الأمريكية [١٦].

٣- تجميد إجراءات سابقة:

لم تظهر تحركات غربية فاعلة تتجاوز حدود تصريحات رسمية كلامية، بصدد قرارات دولية أساسية، مثل القرار رقم ٢٢٥٤ الصادر عن مجلس الأمن الدولي، وهو الوحيد المتبقي بشأن الانتقال بالملف السوري من الوضع الراهن نحو تغيير سياسي حقيقي أقرب -ولو بدرجة محدودة- إلى أهداف الثورة الشعبية.

على النقيض من ذلك قدمت واشنطون "ثمن" تليين الموقف الروسي بشأن فتح المعابر، تسهيلات عديدة تجاه "النظام" في سورية، علاوة على ما يتجاوز قطاع الإغاثة مثل عدم متابعة تقنين مزيد من "العقوبات" اعتمادا على ما عرف بقانون قيصر[١٧].

لا يقتصر الأمر هنا على مجرد "تأجيل" تحرك فاعل، فلو توافرت الإرادة السياسية لكان الإقدام على مبادرات جديدة ممكنا في مواكبة عدة مناسبات موضوعية كان يمكن أن تؤخذ منطلقا للتحرك، منها:

١- مرور عشرة أعوام على اندلاع الثورة الشعبية، وما صدر من تقارير سياسية وإعلامية (مرعبة) حول أوضاع المعتقلين والمشردين وأعداد الضحايا وما وقع من جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

٢- ما سمي انتخابات الرئاسة وتواتر المواقف الدولية، السياسية والإعلامية، بشأن رفض مشروعيتها ورفض التفاعل مع نتائجها.

٣- تجميد عمل ما يعرف باللجنة الدستورية وتعطيل ربطها بنقلة تغييرية سياسية.

واقعيا لا يوجد تحرك إيجابي جديد بصيغة أمريكية منفردة أوغربية مشتركة، لطرح مبادرات شاملة وواضحة، أو ممارسة ضغوط هادفة وفاعلة بما يعطي المسار السوري حقه بميزان تحرر الإرادة الشعبية التي أطلقت الثورة عام ٢٠١١م.

خامسًا- الملف السوري والتأثير عليه:

تتطلب إجابة السؤال عن التأثير الدولي والإقليمي على الملف السوري توصيف "العنوان" الذي يستهدفه هذا التأثير أي طرفي "الصراع" في هذا الملف. ونرصد بهذا الصدد في النصف الأول من عام ٢٠٢١م :

(١٦) العناصر الأربعة الواضحة في سياسة إدارة بايدن حسب رؤية الكاتب إبراهيم حميدي هي: البقاء العسكري في شرق الفرات، واستمرار الضغط في ملف السلاح الكيماوي، ودعم خطابي لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤، ومساعٍ دبلوماسية لمنع «التطبيع» مع حكومة الأسد. ولكن لملف المساعدات الإنسانية الأولوية. انظر:

- إبراهيم حميدي، "قمة بوتين . بايدن... وإغاثة السوريين"، جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ ٤ يونيو ٢٠٢١م، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3uOeaqf

(١٧) المصدر نفسه.

١- ثورة شعبية على نار هادئة دون جناح سياسي

يعتبر الوضع الراهن وضع "انعدام الوزن" الذي وصلت إليه تشكيلات تنظيمية كانت قد نشأت بعد انطلاق الثورة الشعبية في سورية، وسبق تبديلها وتحجيمها، كما ساهمت هي ذاتيًا بذلك، حتى توارت الأسماء الكبيرة كالمجلس الوطني والائتلاف السوري لقوى الثورة والمعارضة، وراء تشكيل لجان وهيئات ووفود تفاوضية بديلة عنها واقعيًا، لمسارات جنيف وآستانه وغيرهما، ثم اختزال تلك التشكيلات من حيث التسمية والوظيفة، حتى اقتصرت مؤخرا على "اللجنة الدستورية".

وارتبطت التشكيلات المعنية بإرادة قوى دولية وإقليمية، من البداية أو لاحقا، فشهدت توجيها مباشرا وغير مباشر أفقدها مؤهلات موضوعية ضرورية لتوصف بجناح سياسي للثورة الشعبية، كما كان من المفروض أن تكون.

إن هذا الطرف "الثوري" لا يملك في الوقت الحاضر القدرة على طرح رؤى استراتيجية شاملة أو أهداف مرحلية قريبة، إلا في حدود ما يتلقاه من القوى التي ارتبط بها ارتباطا وظيفيا، أو ما تسمح به، ولا يوجد ما يشير إلى تغيير هذا الوضع في المستقبل المنظور.

رغم ذلك لا مخرج باتجاه أوضاع أفضل لمستقبل سورية، سوى اعتماد ما يوجد على ضعفه، أو إيجاد بديل قادر على التعامل مع القوى الإقليمية والدولية، ولكن مع انطلاقه من "الإرادة الشعبية" ومن "مشروعية ثورتها"، ومن العمل لتحريرها من الربط القهري لمسار القضية بإرادة تلك القوى الإقليمية والدولية نفسها.

٢- "نظام" فقد مؤهلاته ودوره الوظيفي

بالمقابل أصبحت كلمة "النظام" عنوانا لطرف نرصد تلاشي وزن وجوده الذاتي والوظيفي على السواء، ضمن واقع خضوعه شبه المطلق للسياسات الروسية والإيرانية، مع ملاحظة أن العلاقة الإقليمية لنظام الأسد مع إيران علاقة متجذرة وقديمة، واتخذت منحى تصاعديا بدأ في السنة الأولى من عمر الثورة الإيرانية، حتى أصبحت علاقة اندماجية في المشروع الإيراني، تحت عنوان تصدير الثورة ثم ممارسة الهيمنة إقليميا.

ويمكن القول إن التخلي الروسي عن النظام الأسدي يضعفه إلى حد كبير، أما التخلي الإيراني عنه فيمكن أن يقضي على البقية الباقية منه.

باستثناء هذه العلاقة الاندماجية يظهر أيضا تلاشي قيمة الدور الوظيفي الذي كان يؤديه "النظام" لصالح المشروع الصهيوني إقليميا، منذ ١٩٧٠م على الأقل، ومن محطاته مذبحة تل الزعتر سنة ١٩٧٦م، ثم المشاركة في إخراج المقاومة الفلسطينية من لبنان، ولا يغيب ما يمكن وصفه بالتعدد الوظيفي بالإشارة إلى دعم وجود منظمة حزب الله فيه، كطرف يمثل مشروعا إيرانيا منافسا للمشروع الصهيوني.

وكان مما كشفت عنه أحداث "سيف القدس" وتداعياتها في مايو ٢٠٢١م أن أطرافا آخرين في المنطقة أصبحوا أقدر من بقايا "النظام السوري" على أداء دور مباشر للتأثير على المسار الفلسطيني، بغض النظر هنا عن تقويم هذا الدور بمعايير مصلحة قضية فلسطين نفسها.

كما أصبح ثمن الاعتماد على خدمات النظام الأسدي كالخدمة الاستخباراتية، أفدح من قيمة ما يتم تحصيله، بعد ما ارتكبه خلال عشرة أعوام مرت على الثورة الشعبية.

مما يشير إلى اهتراء "دور النظام" انتشار تعبير "تعويم النظام" الذي يعني واقعيا أنه "غارق"، هذا رغم أن محاولات التعويم لم تنقطع وتضاعفت في الأشهر الأولى من عام ٢٠٢١م، فأصبح التواصل يجري علنا وسرا، عبر الإعلام وعبر تحركات رسمية، ومن ذلك كمثال الانفتاح السعودي على النظام، رغم ما وُصف بتوضيحات أعلنت على لسان عبد الله المعلمي، السفير السعودي لدى الأمم المتحدة، وكانت بصيغة "اشتراط" خطوات مسبقة من جانب النظام

الأسدي؛ أي الاستعداد لإعادة العلاقات دون تغيير النظام نفسه، كما كان يقال في السنوات الماضية[١٨].

والتواصل المعلن يشير إلى التمهيد لخطوات "قريبة" وقد شمل تبادل الزيارات على مستوى مسؤولين أمنيين وسياسيين، على خلفية تجدد محاولات التفاهم مع إيران، وهو ما تجاوز في هذه الأثناء مرحلة "الشكليات والتسريبات"[١٩].

وتعلل ذلك الكاتبة والمحللة السياسية، روان الرجولة، بقولها إن سورية (إحدى الدول التي تقع تحت تأثير إيران إلى حد كبير مباشر وغير مباشر، وما تحاول فعله الرياض الآن هو إعادة سوريا إلى جامعة الدول العربية، وفتح قنوات مباشرة مع دمشق كخطوة حقيقية لمحاربة تأثير إيران في سوريا، من خلال حزمات دعم اقتصادي وسياسي ورعاية التوصل إلى حل سياسي)[٢٠].

لا تزال العقدة مستعصية في الملف السوري أو هو في حالة "جمود دبلوماسي" على حد تعبير الكاتب السوري محمد شيخ يوسف[٢١]. ويجري التأثير الخارجي على الملف السوري في نطاق عملية معقدة، تجمع العناصر الإقليمية والدولية، وعناصر تلاقي المصالح وتضاربها، وإن ظهرت فيه أطراف تتحرك أكثر من سواها كما هو الحال مع إيران وروسيا، وأخرى تتفاعل أو تنتظر ما قد يتحقق عبر تواصل الضغوط السياسية والاقتصادية السابقة، كما هو الحال مع معظم الدول الغربية.

يؤكد ذلك ما طرحه قبيل "الانتخابات" الباحث الجامعي والمدير التنفيذي للمركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية رضوان زيادة بقوله (ربما ستستغل موسكو انتصار الأسد الحتمي في الانتخابات... وتحاول تسويقه عربيا ودوليا، ومدى نجاح ذلك يعتمد بشكل رئيسي على تماسك الموقف الأوروبي والأميركي ضد الأسد)[٢٢].

وبعد إجراء هذه الانتخابات سجل "المرصد الاستراتيجي" في لندن بإشراف د. بشير زين العابدين بعض المواقف منها، فقال إن جريدة "جاردیان" رأت أن الفائز في الانتخابات –المحسومة سلفا– مجرد "رئيس عصابة"، فيما اعتبرت صحيفة "ديلي تلغراف" الانتخابات مزورة، وأضاف تقرير صدر عن المرصد:

(ما لم يتم إعلانه للملأ هو أن بشار الأسد كان قد أبدى استعداده لتأجيل الانتخابات شريطة توفر النية الجادة لدى جيرانه في تسريع وتيرة إعادة تأهيله، إلا أن روسيا ضغطت على دمشق لإجراء الانتخابات في موعدها، وأصرت على عدم ربطها بمخرجات اللجنة الدستورية أو القر ار ٢٢٥٤، وبات من الواضح أن خطاب بشار المأزوم كان موجهاً بالدرجة الأولى إلى حلفائه، وأن الهدف منه هو التأكيد على تمسكه بتلابيب السلطة التي وعدت موسكو بإمكانية التنازل عن بعضها في مرحلة ما بعد الانتخابات)[٢٣].

---

(١٨) السعودية وقطر تؤكدان أن لا مجال للتطبيع مع الأسد، موقع الخليج أون لاين، بتاريخ يوم ٩ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3vhAgBO

(١٩) "لقاء أمني سعودي . سوري في دمشق.. هل يمهد لتطبيع العلاقات؟"، موقع قناة "العربي" الفضائية،بتاريخ ٦ مايو ٢٠٢١م ، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3wX07An

(٢٠) انظر الآتي:

- "يمان نعمة"، بعد تصريحات الرياض الأخيرة حول الملف السوري.. ماذا تغير؟ موقع عربي٢١، ٥ أبريل ٢٠٢١م ، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3giA3u8
- ولمزيد من التفاصيل انظر أيضا:
- "Matthew Ayton"،"'Times have changed': Saudi Arabia-Syria in rapprochement talks " في موقع قناة الجزيرة" بالإنجليزية، ٨ يونيو ٢٠٢١م – https://bit.ly/3vg8MfU

(٢١) محمد شيخ يوسف، جمود دبلوماسي في الملف السوري، قناة "تلفزيون سوريا" الفضائية، بتاريخ ٩ مايو ٢٠٢١م، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3v4Xr2o

(٢٢) رضوان زيادة، "انتخابات الأسد والموقف الدولي"، موقع قناة تلفزيون سوريا الفضائية، بتاريخ ٢٨ مايو ٢٠٢١م، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3clCAB2

(٢٣) الحل على الطريقة الروسية: هل هنالك مبادرة دولية حول سوريا؟ موقع المرصد الاستراتيجي، بتاريخ ٨ يونيو ٢٠٢١م، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3w51Rax

والأرجح أن روسيا أرادت الحصول على ورقة يمكن توظيفها لانتزاع نتائج سياسية من الأطراف الغربية، لم تحصل عليها حتى الآن ثمنا لتدخلها العسكري في سورية، المكلّف ماليا وأخلاقيا، ودفعها الإخفاق المبدئي إلى العودة للمساومات بصيغة "قابلية إجراء انتخابات مبكرة" بعد التوصل إلى صياغة دستورية جديدة(٢٤).

ولا يخرج هذا عن نطاق ما تراه موسكو مخرجا من العقدة المستعصية الحالية بتوسيع "جبهة الأطراف الإقليمية المستعدة للتعامل مع النظام، وهو ما تشير إليه مبادرة بعنوان "مبادرة العمق العربي"، وتشمل: الحوار حول إجراءات بناء الثقة كإطلاق سراح معتقلين وإعادة نازحين، وحول فصل السلطات لضمان استقلال القضاء، وصياغة مشروع متطور للإدارة المحلية، وغير ذلك من الإجراءات التي تنطلق من الوضع الحاضر(٢٥).

ويتصل بذلك بطبيعة الحال التعامل التركي – الأمريكي مع ملف ميليشيات "قوات سورية الديمقراطية"، وقد يؤدي التشبث الأمريكي بورقة هذه الميليشيات إلى مزيد من الخلافات والتوتر مع تركيا، واقتران ذلك بمزيد من التقارب التركي والروسي، مع تأثير سلبي على الملف السوري، كذلك لا يستبعد توظيف تصعيد القصف الروسي في منطقة إدلب كورقة ضغط على الفصائل التابعة للجيش السوري الحر، وعلى تركيا، وعلى الاتحاد الأوروبي عبر التلويح بمخاطر التهجير والتشريد.

خاتمة:

يبقى مسار التطورات في الملف السوري مسارا انسيابيا رغم سيطرة لغة العنف عليه، ويمكن أن يتبدل مع تبدل المعطيات المحيطة به إقليميا ودوليا، ولكن لا يوجد عند استشراف مستقبل تلك المعطيات مؤشرات على قابلية الخروج من عنق زجاجة "التدويل"، ما دامت الأطروحات الدولية غائبة أو منحرفة كلية عن الهدف الذاتي، كذلك لا توجد مؤشرات على إحداث تغيير ذاتي عاجل للخروج من عنق زجاجة "انعدام الوزن الذاتي" بعد مرور عشرة أعوام على انطلاق الثورة في سورية.

إن جواب السؤال المطروح في هذا البحث بشأن الدفع الغربي باتجاه "تسوية" على خلفية وصول بايدن للسلطة في واشنطون، هو غياب المؤشرات على أية مبادرة تعمل لها القوى الدولية لا سيما الغربية، ناهيك أن تكون مبادرة لتسوية مقبولة بمعايير ثورة الإرادة الشعبية في سورية ضد النظام الأسدي، وضد شبكة علاقاته الوظيفية إقليميا ودوليا.

كذلك لا يمكن القول بوجود مؤشرات كافية لمبادرة ذاتية تجدد معطيات مسار تغييري إيجابي في الملف السوري، فما يتم رصده من "محاولات" سورية عديدة (لاسيما في العامين الفائتين من عمر الثورة) يفتقر – في حدود ما يتابعه كاتب هذه السطور – إلى رؤية مستقبلية قابلة لجمع شمل القوى المتبقية في مسار الثورة على نهج مشترك، يعوض غياب جناح سياسي قوي، ذي تأثير محلي وإقليمي ودولي فاعل.

رغم ذلك توجد رؤى تحليلية واستشرافية تطرح "عناصر" يمكن الانطلاق منها أو من بعضها للبناء عليه بخطوة مبدئية:

---

(٢٤) انظر الآتي:

- "موسكو: إجراء انتخابات مبكرة في سورية أمر محتمل"، موقع "روسيا اليوم"، بتاريخ ٣ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3uW5huP
- "روسيا: يمكن إجراء انتخابات مبكرة في سوريا وفقا لدستور جديد"، في وكالة الأناضول، بتاريخ ٣ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3z131FY

(٢٥) مصدر سابق: المرصد الاستراتيجي.

(١) لتحديد ما استجد دوليا وإقليميا في النصف الأول من عام ٢٠٢١م.

(٢) والعمل دون شروط متبادلة لكسر حالة الجمود المستعصية عبر التلاقي على قواسم مشتركة بين أصحاب العلاقة بالثورة الشعبية في سورية.

هذه خطوة مرحلية مطلوبة، وفي حال وجدت من يسعى للقيام بها، يرتبط نجاحها بمراعاة "العناصر" أو المعالم الرئيسية للوضع الراهن منتصف ٢٠٢١م، ومن ذلك ثلاثة ركائز أساسية:

١- تحديد نوعي للخسارة أوسع نطاقا من تكرار الحديث التعميمي عن سقوط النظام أو هزيمة الثورة

يساعد على ذلك على سبيل المثال ما طرحه سايمون تاسدال، الكاتب الصحفي البريطاني المخضرم، وأعطاه عنوان "عشرة دروس قاتمة تعلمها العالم بعد عقد من الحرب في سوريا"، ويتحدث عنها تحت عناوين جانبية: معاناة المدنيين – اللاجئون – الإفلات من العقاب – الأسلحة الكيميائية – تنظيم الدولة الإسلامية – الربيع العربي – تركيا – إسرائيل في مواجهة إيران – فشل الأمم المتحدة. وينوّه ضمن مقاله إلى **خسارة** "الديمقراطية العالمية" نتيجة تراجع الغرب عن دعم "الربيع العربي"، وإلى فقدان مصداقية مجلس الأمن الدولي، ويقول إن هذا (الإرث هو الأكثر عاراً للحرب السورية) [٢٦].

وليست المسألة مسألة "وصمة عار"، بل ينبغي القول إنه مؤشر لأهمية البحث عن المخرج دون تكرار أخطاء سابقة، من بينها الاعتقاد أن "التغيير يصنعه الارتباط بقوى دولية، وهي لا تريد ذلك التغيير" بل قاومته؛ وهذه عقدة تفرض لحلها مضاعفة العمل والإعداد الذاتي إلى درجة لا تستهدف التماشي مع القوى المعنية ومصالحها، بل تبين أن مصالحها ستكون في خطر يتفاقم بقدر استمرارها على دعم من يصادرون الحريات ويقمعون الإرادة الشعبية.

٢- استشراف نوعية التسوية المحتملة

يرى المرصد الاستراتيجي بإشراف الباحث د. بشير زين العابدين، أن (معالجة الأزمة السورية لن تأتي كحل منفرد على النمط الذي تتبناه الوساطة الأممية، بل من خلال حزمة اتفاقيات بين إيران والدول الخاضعة لنفوذها... مع دول مجلس التعاون ومصر، وذلك بهدف التوصل إلى صفقة إقليمية، يمكن للمنصة الثلاثية "موسكو – أنقرة – الدوحة" التي تم إبرامها في الدوحة ١١ مارس ٢٠٢١ أن تقوم فيها بدور الوسيط)[٢٧]. وتقتضي مراعاة ذلك عدم ربط السعي للمخرج المطلوب برؤية ذاتية واحدة، لا سيما إذا كانت ترتبط برؤية إقليمية أو دولية بعينها، فأي جناح سياسي للثورة يحتاج للاستقلالية والسيادة عبر تعدد مسالك علاقاته بالقوى الأخرى دون أن يفقد ارتباطه "الوظيفي الأصيل" أنه يحمل رسالة الإرادة الشعبية الثورية للقوى الخارجية، وليس العكس.

٣- بين بايدن والمعارضة السورية

تحت عنوان "واشنطون والقدرات الذاتية للمعارضة السورية" تركّز نبراس إبراهيم، الباحثة والكاتبة في موقع قناة تلفزيون سورية، على ما أثير من توقعات عبر تبدل الرئاسة الأمريكية وتستخلص أحد طريقين / شرطين لنوعية تعامل المعارضة السورية مع الرئيس الأمريكي جو بايدن ليخرج من عزوفه عن العمل لإسقاط النظام

(٢٦) ١٠ دروس قاتمة تعلمها العالم بعد عقد من الحرب في سوريا، موقع الجزيرة، بتاريخ ٨ مارس ٢٠٢١م ، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3xmICK5

(٢٧) مصدر سابق: المرصد الاستراتيجي.

الأسدي أو تغييره مستقبلا: أحدهما طريق الانضواء في المخططات الأمريكية (بما يُشبه التبعية)، والطريق الثاني أن يصبح وضع المعارضة مقنعا للإدارة الأمريكية بأن مصالحها لا تتحقق ما لم تعترف بها (وبحق الشعب السوري في اختيار حكامه) ثم تتساءل: (ليس بايدن فاعل خير. ولن يحصل السوريون على ما يستحقون كشعب ضحّى وصمد، دون توفر قدرة ذاتية تستطيع انتزاع حقّهم بوسائل أخرى... فهل يبادرون لبناء هذه القدرات، قبل فوات الأوان؟)[٢٨].

هذا التساؤل يغني عن الشرح بصدد العمل الذاتي الواجب، ومتابعة المتغيرات لدى "الآخرين" من القوى الدولية والإقليمية العديدة من هذه الزاوية المصلحية الذاتية، وليس من زاوية "التلاؤم" معها ولو كان على حساب هدف التغيير الواجب.

*****

(٢٨) نبراس إبراهيم، "واشنطون والقدرات الذاتية للمعارضة السورية"، موقع قناة تلفزيون سورية، بتاريخ ٢٩ مايو ٢٠٢١م، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2TpivDi

المسارُ الليبيُّ للتسوية: بين اللقاءات والاتفاقات والترتيبات والواقع على الأرض

خالد خميس السَّحاتي*

مُقدِّمة

تتوالى فُصُولُ الأزمة الليبيَّة بلا توقُّفٍ مُنذُ عقدٍ من الزَّمن، في ظلِّ تعدُّد أبعادها، وتشعُّب مساراتها، وتعقُّد التَّوصُّل إلى حلٍّ فعليٍّ لها، والإخفاق في الانتهاء من المراحل الانتقاليَّة المتعاقبة التي طال أمدُها.. مع تنافُس الفاعلين الدَّوليين والإقليميين –باختلاف مصالحهم وتوجُّهاتهم– على المشاركة في الملف الليبيّ، ومسارات التَّسوية المختلفة لهذه الأزمة..

وعلى أرض الواقع ما تزالُ أزمات المواطن قائمةً، تبدأُ من نقص السُّيُولة النَّقديَّة في البنوك، إلى مُشكلة انقطاع التيَّار الكهربائيّ، وضعف الخدمات الصِّحِّيَّة، وانتشار السِّلاح، وتعثُّر مشرُوع المصالحة الوطنيَّة والعدالة الانتقاليَّة، وتعقُّد مسألة "المسار الدُّستُوريّ للدَّولة"، والإخفاق في إقرار دُستُورٍ ديمُقراطيٍّ توافُقيٍّ دائمٍ للبلاد حتَّى الآن[١]. "ويُمْكِنُ إيجازُ هذا الوضع الليبيّ المستمرّ مُنذُ عدَّة أعوامٍ، بأنَّهُ مشهدُ "فراغ القُوَّة وازدواج السُّلطة"؛ إذْ لا تُوجدُ سُلطةٌ سياسيَّةٌ واحدةٌ مُتَّفقٌ عليها، تَحْظَى بِشَرْعِيَّةٍ طوعيَّةٍ كاملةٍ، ولا قُوَّةً قاهرةً تملكُ بسطوتها إجبار القوى الأُخرى على الانصياع لها"[٢].

وفي هذه المقالة سوف نتناولُ: "المسار الليبيّ للتسوية: بين اللقاءات والاتفاقات والترتيبات والواقع على الأرض"، وذلك من خلال التركيز على الجوانب الرئيسية التالية: أوَّلًا: جولاتُ الحوار السِّياسيّ الليبيّ: (٢٠٢٠–٢٠٢١). ثانيًا: الفاعلُون الدَّوليُّون في الأزمة الليبيَّة: تعدُّدُ المواقف واختلافُ المصالح. ثالثًا: إجراءاتُ منح الثقة لحُكُومة الوحدة الوطنيَّة. رابعًا: إقرارُ مشرُوع الميزانيَّة العامة للدولة ومُشكلة المناصب السِّياديَّة.

أوَّلًا– جولاتُ الحوار السِّياسيّ الليبيّ (٢٠٢٠–٢٠٢١):

تُوصفُ الأزمةُ الليبيَّةُ بأنَّها: "أزمةٌ مُعقَّدةٌ، ومُتعدِّدةُ الأبعاد"؛ حيثُ أنَّها تُمثلُ نمطًا لصراعٍ مُمتدٍّ رأسيًّا في البُنى المجتمعيَّة[٣]، وذُو أبعادٍ إقليميَّةٍ ودوليَّةٍ[٤]. وقد شهدت هذه الأزمةُ العديد من المبادرات والجُهُود المهمَّة التي توصَّلتْ إلى مجمُوعةٍ من التَّفاهُمات والأُسُس التي يُمكنُ البناءُ عليها للتَّوصُّل إلى تسويةٍ سلميَّةٍ، ومنها: "مُؤتمر برلين"، الذي انعقد في ١٩ يناير ٢٠٢٠ بمُشاركة ١١ دولة

---

* مُحاضرٌ بكلية الاقتصاد والعلوم السِّياسيَّة–جامعة بنغازي/ليبيا.

(١) انظر: خالد خميس السحاتي، "الأزمة الليبية هل من أفق للتسوية؟"، قضايا ونظرات، القاهرة، مركز الحضارة للدراسات السياسية، العدد: الأول، مارس٢٠١٦، ص ص ١٠٢–١٢١. وكذلك: الهادي علي بوحمرة، المسار الدستوري الليبي: (٢٠١٤–٢٠١٨)، الإجراءات–التصورات–النتائج، (طرابلس: دار الرواد، ٢٠١٩)، ص ص٣–٤.

(٢) سامح راشد، "مآلات الأزمة الليبية بين الحرب والسياسة"، موقع: مجلة شؤون عربية، بتاريخ: ١١/يونيو/٢٠١٩م، متاح على الرابط التالي:
https://cutt.us/XafIV
وانظر: حسنين توفيق إبراهيم، "ثقافة العنف السياسي في الوطن العربي: البنية والمصادر وسبل التفكيك"، كراسات استراتيجية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد: ٢٥٨، المجلد: ٢٤، نوفمبر ٢٠١٥.

(٣) للمزيد انظر: خالد حنفي علي، "أبعاد وجهود تسوية الصراع الليبي من منظور حساسية النزاعات"، في: مجمُوعة باحثين، مسارات مُتشابكة: إدارة الصراعات الداخلية المعقدة في الشرق الأوسط، القاهرة: المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، (لندن: مجموعة أكسفورد للأبحاث (Oxford Research Group)، ٢٠١٥م)، ص٦٢. وكذلك: خالد خميس السحاتي، "الأزمة الليبية: أسبابُ الاستعصاء وآفاقُ التَّسوية"، مجلة: آراء حول الخليج، جدة، مركز الخليج للأبحاث، العدد: ١٤٤، ديسمبر ٢٠١٩، ص ص٩١–٩٥.

(٤) محمد عصام لعروسي، النزاعات المسلحة: وديناميات التحولات الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، (القاهرة: مجموعة النيل العربية، ٢٠١٩م)، ص ص١١٦–١١٩.

معنيَّة بالأزمة الليبيَّة، ومثَّلت مُخرجاتُهُ نقلةً في اتِّجاه التَّسوية، على خلاف ما سبقهُ من لقاءاتٍ واجتماعاتٍ (دوليَّةٍ أو إقليميَّةٍ). كما أنَّهُ تبنَّى منْظُورًا يتَّسمُ بدرجةٍ عاليةٍ من الشُّمُوليَّة في الاقتراب إلى التَّسوية السِّياسيَّة، إذْ راعى ضرُورة مُعالجة كُلِّ الملفَّات العالقة[٥]، ومن الجُهُود المهمَّة أيضًا في هذا الصَّدد: "إعلانُ القاهرة"، الذي دعا إلى وقف القتال، ورسم خارطة طريقٍ لحلٍّ سياسيٍّ شاملٍ لكُلِّ القوى والمكوِّنات الليبيَّة. والتأكيد على وحدة وسلامة الأراضي الليبية، واحترام كافة الجهود والمبادرات الدولية وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة، وبناء علية التزام كافة الأطراف بوقف إطلاق النار اعتبارا من يوم: ٨ يونيو ٢٠٢٠م. كما ارتكزت المبادرة بالأساس على مُخرجات "قمَّة برلين"، والتي نتج عنها حلٌّ سياسيٌّ شاملٌ يتضمَّنُ خُطواتٍ تنفيذيَّةٍ واضحة المسارات السِّياسيَّة والأمنيَّة والاقتصاديَّة، واحترام حُقُوق الإنسان والقانُون الإنسانيّ الدَّوليّ، استثمارًا لما انبثق عن "مُؤتمر برلين" منْ توافُقات بين زُعماء الدُّول المعنيَّة بالأزمة الليبيَّة.

وكذلك: استكمالُ أعمال مسار اللجنة العسكريَّة ٥+٥ بجنيف برعاية الأمم المتحدة، وبما يترتبُ عليه إنجاحُ باقي المسارات أخذًا في الاعتبار أهمِّيَّة قيام الأُمم المتحدة والمجتمع الدَّوليّ بإلزام كُلِّ الجهات الأجنبيَّة بإخراج المرتزقة الأجانب منْ كافَّة الأراضي الليبيَّة، وتفكيك المليشيات وتسليم أسلحتها حتَّى تتمكَّن القُوَّاتُ المسلَّحةُ (الجيشُ الوطنيُّ) بالتَّعاوُن مع الأجهزة الأمنيَّة من الاضطلاع بمسئُوليَّاتها ومهامِّها العسكريَّة والأمنيَّة في البلاد[٦].

وبعد عددٍ من المبعُوثين الأمميين[٧] إلى ليبيا[٨]، وتبايُن الآراء حول جُهُودهم في تسوية الأزمة[٩]، تولَّت هذه المهمَّة الأمريكيَّة ستيفاني ويليامز، (رئاسة البعثة بالإنابة)، في مارس ٢٠٢٠، فراحت تعملُ على إكمال المسارات الثلاثة التي انتهى إليها «مُؤتمر برلين» في ١٩ يناير ٢٠٢٠، وهي المساراتُ: العسكري (٥+٥)، والاقتصادي، والسياسي. ويوم ٩ نوفمبر ٢٠٢٠ احتضنت تونس أولى جلسات الحوار بين الفُرقاء الليبيين بإشراف الأمم المتحدة، في مسعى للتَّوصُّل إلى تفاهُمات لإنهاء النِّزاع، والتَّرتيب لوضع مُؤسَّسات الحُكم الدَّائمة.

وبدأت البعثةُ منْ خلال قائمةٍ ضمَّت: ٧٥ اسمًا، من مُختلف مُدُن ومناطق ليبيا، يُمثِّلُون التَّوجُّهات السِّياسيَّة والاجتماعيَّة كافَّة،

---

(٥) محمد خلفان الصوافي، "الأزمة في ليبيا: خارطة الصراع وتطوراته ومساراته المستقبلية"، موقع: (trends)، بتاريخ: ٢٤/يونيو/٢٠٢٠م، متاح على الرابط التالي: https://cutt.us/XCKFG

وانظر كذلك: "الصِّرَاعُ الليبيُّ"، في: مجمُوعة باحثين، التقرير الاستراتيجي العربي: ٢٠٢٠، (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٢١م)، ص ص١٧٩-١٨٥.

(٦) محمد سامي، "نص "إعلان القاهرة" بشأن مبادرة حل الأزمة الليبية"، موقع: مصراوي، بتاريخ: ٦/يونيو/٢٠٢٠م، على الرابط التالي: https://cutt.us/5QSWM

(٧) أسست الأمم المتحدة بعثة سياسية للدعم في ليبيا بقرار من مجلس الأمن الدولي رقم: (٢٠٠٩)، سبتمبر ٢٠٠١م، بناء على طلب من السلطات الليبية، في أعقاب ستة أشهر من النزاع المسلح؛ وذلك لدعم جهود السلطات الانتقالية الجديدة للبلاد في مرحلة ما بعد النزاع، وقيادة جميع أنشطة الأمم المتحدة من أجل الشعب الليبي. وقد تم تكليف هذه البعثة، تحت رئاسة ممثل خاص للأمين العام للأمم المتحدة، بفترة أولية لمدة ثلاثة أشهر، وتم تمديدها إلى ثلاثة أشهر أخرى، ثم تم التمديد لهذه البعثة لعدة مرات. للمزيد أنظر: جمعة سعيد سرير ومحمد حمد العسبلي، وسائل التسوية السلمية للمنازعات الدولية، ط١، (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠١٧م)، ص ١٠١.

(٨) انظر: "أداء مبعوثي الأمم المتحدة في الأزمات السورية والليبية واليمنية: رؤية مقارنة"، في: مجموعة باحثين، التقرير الاستراتيجي العربي: ٢٠١٨، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠١٩م، ص ص٦٣-٦٨. وكذلك: خالد حنفي علي، "مُعضلاتُ الوساطة الأمميَّة في الصراع الليبي"، مجلة: السياسة الدولية، القاهرة، مُؤسسة الأهرام، العدد: 203 :المجلد:51، يناير،٢٠١٦، ص١٥٥. و:غادة عبد العزيز، "أدوارُ المبعُوثين الدَّوليين في مناطق الصِّراعات: دراسة حالتي ليبيا واليمن"، مجلة: السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد: ٢٢٤، أبريل ٢٠٢١م، ص ص٤٨-٦٠.

(٩) للمزيد انظُر: مجمُوعة باحثين، أعمال ندوة المسار الديمقراطي الليبي: وخطة بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، (تونس،١٨/أكتوبر/٢٠١٧م)، ط٢، طرابلس/ ليبيا: مُجمع ليبيا للدراسات المتقدمة، ٢٠٢٠م. وكذلك: زاهي بشير المغيربي، كلمات في محراب الوطن: تحديات المخاض الديمقراطي، بنغازي/ طرابلس: مجموعة الوسط للإعلام، ٢٠٢٠م، ص ص١٠٦-١٠٩. و: يوسف محمد الصواني، "بناء الدولة فى ليبيا وتحديات الصراع ما بعد القذافي"، موقع: جريدة الشروق، بتاريخ: ٢٣/نوفمبر/٢٠٢٠م، متاح على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/xMkDU

العمل على اختيار السُّلطة التَّنفيذيَّة المؤقَّتة[١٠]. وحول حالة الجدل التي صاحبت هذه القائمة، أكَّدت بعثة الأمم المتحدة في ليبيا على لسان المتحدث باسمها (جان العلم): أنه "تم الحرص على أن يكون المشاركون في الحوار ممثلين لجميع أطياف المجتمع الليبيّ، بناءً على مبدأ الشُّمُوليَّة والتَّمثيل الجُغرافيّ والسِّياسيّ والقبليّ والاجتماعيّ العادل، لذا فالمهمُّ هُو "النَّتائجُ"، وليس المشَارِكُ"[١١].

وقد جاءت اجتماعاتُ تونس عقب توقيع "اتفاق وقف إطلاق النار" من قبل الممثلين الليبيين للجنة العسكريَّة المشتركة (٥+٥) في جنيف في ٢٣/أكتوبر/٢٠٢٠م. والذي اعتبر خُطوةً مُهمَّةً لتضمُّنه تدابير أُخرى، مثل: عمليَّة شاملة لنزع السِّلاح، وانسحاب جميع المقاتلين والمرتزقة الأجانب على الفور خلال تسعين يومًا"[١٢]. وفي نوفمبر منْ ذات العام، توصَّلت لجنة (٥+٥) إلى اتِّفاقٍ مُهمٍّ بشأن تبادُل الأسرى بين الطرفين، تزامُنًا مع انعقاد الاجتماع التَّشاوُريّ لمجلس النواب الليبي في مدينة طنجة المغربيَّة[١٣].

وقد كانت هذه الخُطوات المهمَّة هي بمثابة أولى الخُطوات الاستراتيجيَّة لتسوية الأزمة الليبيَّة؛ باعتبار أنَّ المسار العسكريَّ يُعدُّ مسارًا حيويًّا، ساهم بشكلٍ واضحٍ في نجاح الخُطوات التَّالية، المتعلقة ببقيَّة المسارات، وبناء الثقة بين أطراف النِّزاع الليبيّ.

(١٠)مُلحقُ الأسبُوع، "محطَّاتُ تسوية الأزمة الليبيَّة... من الصخيرات إلى جنيف"، موقع: جريدة الشرق الأوسط، لندن، بتاريخ: ١٣/فبراير/٢٠٢١م، رقم العدد: ١٥٤١٨، على الرابط المختصر التالي: *https://cutt.us/s8vMU*

(١١) "هل يحملُ الوطنُ لمنْ عذَّبُوهُ المغفرة وهل يسُدُّ الاتِّفاقُ جُوعه للسَّلام؟"، جريدة: أخبار بنغازي، العدد: ٣٦٢٦، السنة: ٢٥، بتاريخ: ٢٩/أكتوبر/٢٠٢٠م، ص١.

(١٢) "بوزنيقة غدت مُتَّكئًا لاتِّفاق جنيف"، جريدة: أخبار بنغازي، العدد: ٣٦٢٥، السنة: ٢٥، بتاريخ: ٢٧/أكتوبر/٢٠٢٠م، ص١.

(١٣) "اتفاقُ «العسكريَّة الليبيَّة المشتركة» على تبادُل الأسرى"، موقع: الشرق الأوسط، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠٢٠م، العدد: ١٥٣٣٨، متاح على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/aYkwO

• المُحاصصة الإقليميَّة وآفاقُ التَّسوية في عام ٢٠٢١:

أعلن وفدي مجلس النواب والمجلس الأعلى للدولة، يوم ٢٣ يناير ٢٠٢١، في ختام مُحادثاتهم في بوزنيقة المغربية، الاتفاق على توزيع المناصب السِّياديَّة بين الأقاليم الثلاثة (طرابلس، برقة، فزَّان).

ويقضي الاتفاقُ الذي تمَّ التَّوصُّل إليه، بتولِّي إقليم برقة منصبي مصرف ليبيا المركزي وهيئة الرقابة الإدارية، ولإقليم طرابلس منصب ديوان المحاسبة والنائب العام والمفوَّضيَّة الوطنيَّة العُليا للانتخابات، ويتولَّى إقليمُ فزَّان منصبي هيئة مُكافحة الفساد والمحكمة العُليا.

ولاقى الاتِّفاقُ الذي تمَّ التَّوصُّلُ إِلَيْهِ، رُدُودَ فِعْلٍ مُتَبَايِنَةٍ، بَيْنَ قَبُولٍ ورَفْضٍ، حَيْثُ استهجن المجلسُ الأعلى للقضاء في بيانٍ له، ما وصفهُ بـ"منطق المحاصصة المناطقيَّة" في توزيع المناصب السِّياديَّة. كما أعلن عددٌ من أعضاء مجلس النُّوَّاب، رفضهُم لترسيخ مبدأ المحاصصة في توزيع المناصب السِّياديَّة، في حين اعتبر ٤٠ عُضوًا من المجلس الأعلى للدَّولة، أنَّ اتِّفاق توزيع المناصب السِّياديَّة الذي تمَّ التَّوصُّل إليه في بوزنيقة المغربيَّة، يُعتبرُ مُنعدمًا ما لمْ يُصوِّت عليه مجلسي النُّوَّاب والأعلى للدَّولة [١٤]. وأوضح عُضو مجلس النواب علي العيساوي أنَّ الاتِّفاق: يُعدُّ "مُخالفةً صريحة للمادة ١٥ من الاتفاق السِّياسيّ الموقَّع بالصخيرات في ديسمبر ٢٠١٥"، وهي المادة ذاتُها التي أسست عليها لجنتا الحوار اتفاقهُما، والتي جرى "تحريفها" على حد قوله، حيث لا تنص على توزيع المناصب على أساس جهوي، بل إنه لا يوجد بين نصوص الاتفاق السياسي كافة ما يشير إلى ذلك[١٥]. ورغم الانتقادات الموجَّهة لفكرة المحاصصة فإنَّهُ يُلاحظُ أنَّ بعثة الأمم المتحدة للدَّعم في ليبيا، مضت في العمل بتلك الآليَّة، وبالعودة إلى اجتماع جنيف، (١٣-

(١٤) "تقريرٌ: مُحاصصة المناصب السِّياديَّة: بين قبُولٍ ورفضٍ"، موقع: عين ليبيا، بتاريخ: ١/يناير/٢٠٢١م، مُتاحٌ على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/2c3D8

(١٥) الحبيب الأسود، "القضاء الليبي يرفض مبدأ محاصصة الأقاليم في اتفاق بوزنيقة"، جريدة: العرب اللندنية، العدد: ١١٩٥٣، بتاريخ: ٢٧/١/٢٠٢١م، متاح على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/uOTw6

١٦/يناير/٢٠٢١م)، سوف نجدُ أنَّ ستيفاني ويليامز الممثلة الخاصَّة للأمين العام للأمم المتحدة بليبيا، في مُحاولةٍ لبناء الإجماع على آليَّة للتصويت، عقدت اجتماعًا لمجمُوعةٍ أصغر من الموفدين تتكوَّنُ منْ ثمانية عشر شخصًا، سُمِّيت "اللجنة الاستشاريَّة"، في جنيف، وأوضحت ويليامز أنها ترى أن: "دور الأمم المتحدة يتمثل في إنشاء آلية، وليس المساعدة في اختيار قادة بعينهم". وفي اليوم الثالث من هذا الاجتماع، قبلت اللجنة الاستشارية ترتيبًا اقترحته الأمم المتحدة للتصويت يجمعُ مُقترحين مُنفصلين؛ أي آليَّة قائمة على المناطق وأُخرى قائمةً على قوائم موضُوعة مُسبقًا. ووصفت السَّيِّدة وليامز هذه المقاربة بأنَّها: "أفضلُ تسويةٍ يُمْكنُ التَّوصُّل إليها؛ لأنَّ هذا المقترح يحترمُ البُعد المناطقيَّ في ليبيا، ويُشجِّعُ النَّاس فِعْلًا على تجاوُز انقساماتهم ومناطقهم منْ أجل تعزيز التَّفاهُم وبناء الوحدة في البلاد". نقلت اللجنة الاستشاريَّة المقترح إلى المجمُوعة الكاملة المكوَّنة منْ: ٧٥ مُوفدًا، وتمَّ الاتِّفاقُ على أنَّ المقترح سيُعدُّ مقبُولًا إذا قبلهُ ٦٣% منْ أفراد المنتدى المقترعين. رغم أنَّ بعض أعضاء المنتدى رفض الصِّيغة، إلاَّ أنَّ المقترح مرَّ في تصويتٍ أُجْرِيَ في يومي: ١٨ و١٩ يناير ٢٠٢١م"[١٦].

وتنُصُّ الآليَّةُ المقترحةُ على تقسيم أعضاء المنتدى الخمسة وسبعين إلى ثلاث مُكوِّناتٍ انتخابيَّةٍ استنادًا إلى أقاليم ليبيا التاريخيَّة الثلاثة (طرابلس، وبرقة، وفزان)، وتنتخبُ كُلُّ مجمُوعةٍ مُمثل إقليمها في المجلس الرئاسيِّ. وللفوز بمقعدٍ في المجلس، ينبغي أن يحصُل المرشَّحُ على مُصادقة ما لا يقل عن ٧٠% من أصوات المجموعة الفرعية الإقليمية. وعلى نحو منفصل، ينتخب أعضاء المنتدى الخمسة والسبعون رئيس الوزراء، الذي ينبغي أن يحصل على ما لا يقل عن ٧٠% منْ أصواتهم في جلسةٍ مُوسَّعةٍ. وهذه المعاييرُ تعني -باختصارٍ- أنَّهُ يُمكنُ تقديمُ أربع قوائم كحدٍّ أقصى للاقتراع النِّهائيِّ. وإذا فازت إحدى القوائم بـ٦٠ بالمئة منْ إجماليِّ الأصوات في الجولة الأولى، يتمُّ تشكيلُ سُلطةٍ تنفيذيَّةٍ جديدةٍ على ذلك الأساس. وإذا لمْ تتمكَّنْ أيُّ قائمةٍ من تجاوُز تلك العقبة، فإنَّ القائمتين اللَّتَيْنِ فازتا بأكبر عَدَدٍ من الأصوات تَدْخُلانِ جَوْلَةَ إعَادَةٍ، تفُوزُ فيها القائمةُ التي تحصُلُ على أكثر من ٥٠% من الأصوات.[١٧]

وفي صباح يوم الجمعة (٢٠٢١/٢/٥م) أدلى أعضاءُ مُلتقى الحوار السِّياسي الليبيِّ بأصواتهم على القوائم الأربعة لمرشَّحي المجلس الرِّئاسيِّ المكوَّن منْ: ثلاثة أعضاء ومنصب رئيس الحُكُومة، والتي قُدِّمت، واستوفت عدد التزكيات المطلُوبة المنصُوص عليها في "آليَّة الاختيار".

ونصَّت "آليَّةُ الاختيار" على وُجُوب حُصُول قائمة المرشحين على ٦٠ بالمائة من الأصوات الصحيحة كي تُعتبر فائزة في الجولة الأولى. وبما أنَّ أيًّا من القوائم لمْ تصل إلى هذا الحدِّ في الجولة الأولى، فعُقدت في هذا اليوم جولة ثانية للتصويت على القائمتين اللتين حصلتا على أكبر عدد من الأصوات في الجولة الأولى. والحد الأدنى للجولة الثانية هو ٥٠ بالمائة+١ من الأصوات الصحيحة. ووفقا لما صرحت به وليامز: "كانت هناك ٧٣ بطاقة اقتراع، امتنع شخص واحد عن التصويت، ولم تكن هناك أية أوراق اقتراع غير صحيحة أو فاسدة. وحصدت القائمة الفائزة ٣٩ صوتا من أصل ٧٣ صوتا. أما القائمة الوصيفة، فحصلت على ٣٤ صوتا". وتتألف القائمة الفائزة من: محمد يونس المنفي، رئيس المجلس الرئاسي، موسى الكوني، عضو المجلس الرئاسي، عبد الله حسين اللافي، عضو في المجلس الرئاسي، وعبد الحميد محمد دبيبة، رئيس الحُكُومة.[١٨]

(16) See: "Crisis Group Libya Update #3", Website: International Crisis Group, 21 JANUARY2021,https://www.crisisgroup.org/middle-east-north-africa/north-africa/libya/crisis-group-libya-update-3

(١٧) عبد الرحمن أميني، "مخاوف من خروقات تسبق التصويت على اختيار المرشحين لمهام السلطة التنفيذية الجديدة في ليبيا"، بوابة: الوسط، بتاريخ: ٣١/يناير/٢٠٢١م، http://alwasat.ly/news/libya/309577

(١٨) للمزيد انظر: "ليبيا: إعلان الفائزين في انتخابات المجلس الرئاسي ورئاسة الحكومة"، موقع: الأمم المتحدة، بتاريخ: ٢٠٢٠/٢/٥م، متاح على الرابط التالي: https://news.un.org/ar/story/2021/02/1070432 وكذلك: خالد خميس السحاتي، "بوادر التسوية وملامح الانفراج: قراءة في تشكيل الحكومة

ثانيًا– الفاعلُون الدَّوليُّون في الأزمة الليبيَّة: تعدُّدُ المواقف واختلافُ المصالح:

بسبب الأهمية الاستراتيجية لليبيا، فإنها أصبحت بعد سقوط نظام القذافي، مسرحا لصراع المصالح والنفوذ، في ظل التنافس الإقليمي والدولي على المساهمة في تسوية الأزمة الليبية. فمن الناحية الاقتصادية تشير التوقعات أن البلد لازالت تحوي احتياطي ثروة نفطية تقدر بأكثر من تريليون دولار حتى سنة ٢٠٥٠م. (مُقدَّرة بالأسعار المتوقَّعة حاليًّا)[١٩].

كل تلك المعطيات ساهمت في مزيد من الانخراط الإقليمي والدولي في الأزمة الليبية، ولوحظ تضارب مواقف القوى الخارجية ومقاربة كل طرف لهذه الأزمة من منظور مصالحه وأمنه.[٢٠] المفارقة تبدو واضحة في تناقض مواقف تلك القوى، فمن جهة تدعو لحل سياسي للأزمة الليبية وتؤيد الحوار السياسي، وتدعم جهود البعثة الأممية بهدف تحقيق مقاربة واقعية لجمع الفرقاء الليبيين وتذويب الأزمة القائمة، وفي الوقت نفسه، كان سلوكها يتسم بالتغيير والتناقض بما يحقق مصالحها، خصوصا إذا ما شعرت بأن هذا المسار لا يخدم مصالحها[٢١].

وقد شهد النِّصفُ الثاني من ٢٠١٩ حالة من الشد والجذب بين الولايات المتحدة وروسيا فيما يتعلق بالأزمة الليبية، حيث اتهمت الإدارة الأمريكية موسكو–أكثر من مرَّةٍ– بانخراطها في تلك الأزمة إلى جانب الجيش الليبيّ، عبر إرسال بعض المقاتلين الرُّوس، مُعتبرةً أنَّ ذلك منْ شأنه تأجيج الصِّراع، وتهديد حالة الاستقرار في ليبيا، وهُو ما تنفيه موسكو بشكلٍ قاطعٍ. وكانت الدَّولتان قدْ أكَّدتا موقفهُما الدَّاعي لأولويَّة الحُلُول السِّلميَّة عقب إعلان المشير حفتر في ١٢/ديسمبر/٢٠١٩م بدء حسم معركة "طُوفان الكرامة"، ودُخُول قُوَّاته إلى العاصمة طرابلس[٢٢].

- **الدَّورُ الأمريكيُّ في الأزمة الليبية:**

يُرجِّحُ بعضُ الباحثين أنَّ: غياب الدور الأمريكي الفاعل بعد الثورة بصورة مباشرة، يعُودُ رُبَّما لحساسيَّة الموقف الشَّعبيّ من كُلِّ ما هُو أمريكيّ، خصوصا بعد سقوط نظام القذافي، وتصفية السفير الأمريكي، بعدها تركت الولايات المتحدة الباب الليبي على مصراعيه لفواعل تعبث بالمشهد الليبي، غير أن الحضور الروسي الفاعل كان يؤرق الأمريكان ويزعجهم[٢٣].

وإذا ما كان قرار الابتعاد عن ليبيا قد صدر عن إدارة الرئيس أوباما، فإن الرئيس ترامب، وبحُكم تمسُّكه بسياسة سحب بلاده من حُرُوب الآخرين في العالم، وفق وعوده الانتخابية، لمْ يُبْدِ هُو الآخرُ اهتمامًا لافتًا بالشأن الليبيّ، وبقي موقفُ واشنطن وسطيا، من خلال التواصل مع كافة أطراف الصراع في هذا البلد[٢٤]. ويبدو أن إدارة السياسة الأمريكية تجاه ليبيا صارت خاضعة لتأثير العسكريين بالنظر إلى تحركات توماس وولد هاوس، قائد القوات الأمريكية في أفريقيا "أفريكوم"، التي تركز أكثر على مكافحة جماعات الإرهاب

الليبية الجديدة"، مجلة الديمقراطية، القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد: ٨٢، أبريل ٢٠٢١م، ص ص ٢١٢–٢١٧.

(١٩) محمد أحمد، "تقرير: سباق التسلح في المنطقة وموقع ليبيا من ناحية اقتصادية"، جريدة: الصباح، طرابلس، الهيئة العامة للصحافة، العدد: ٣٥٨، السنة: الثالثة، بتاريخ: ١٨/مايو/٢٠٢١م، ص٥.

(٢٠) للمزيد حول دور العامل الخارجي في الأزمة الليبية أنظر: يوسف محمد الصواني، ليبيا: الثورة وتحديات بناء الدولة، ط١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م)، ص ص٢١٧–٢٢٣.

(٢١) محمد عبدالحفيظ الشيخ، "تطورات الوضع الليبي سياسيًا وعسكريًا وانعكاساته إقليميًا على ضفتي المتوسط"، موقع: مجلة شؤون عربية، بتاريخ: ١٤/مارس/٢٠٢٠م، على الرابط التالي: https://cutt.us/KJuHv

(٢٢) أحمد عبد العليم حسن، "حدود الدور الأمريكي والروسي تجاه ليبيا"، مجلة: رُؤى مصريَّة، العدد: ٦٢، مارس ٢٠٢٠م، ص١٥.

(٢٣) عبدالحي علي قاسم صالح، "خيار التسوية السياسية الليبية في ضوء معطيات المساعي الدولية الراهنة"، في: مجموعة باحثين، أبعاد الصراع الإقليمي والدولي وتداعياته على أمن واستقرار ليبيا، وقائع المؤتمر الدولي الافتراضي، (١٥–١٦/نوفمبر/٢٠٢٠م)، برلين: المركز الديمقراطي العربي، ليبيا: جامعة الجفرة، ٢٠٢٠م، ص ص١٢–١٣.

(٢٤) محمد قواص، "الصراع الأمريكي الروسي الجديد حول ليبيا: الديناميات والتداعيات"، موقع: مركز الإمارات للسياسات، بتاريخ: ٢٠٢٠/٦/٧م، على الرابط التالي: https://cutt.us/4Ud1H

في الساحل والصحراء[٢٥]. حيث كثفت قوات تابعة للأفريكوم من ضرباتها الجوية ضد مواقع للإرهابيين في ليبيا، ففي أواخر ٢٠١٩ نفذت أربع هجمات متتالية أسفرت عن مقتل ٣٣ إرهابيا، من تنظيم داعش في جنوب ليبيا[٢٦].

التطور الأبرز الذي شهده الموقف الأمريكي هو المبادرة التي طرحتها أمريكا لحل الأزمة أثناء اللقاء الذي عقده السفير الأمريكي في القاهرة، جوناثان كوهين، مع رئيس مجلس النواب عقيلة صالح، والتي تتضمن ثلاث محاور: إنشاء منطقة منزوعة السلاح، تشمل خط سرت الجفرة، ومنطقة الهلال النفطي، بما يمكن المؤسسة الوطنية للنفط من استئناف عملها، وإعادة تدفق النفط الليبي إلى الأسواق العالمية. وهو ما يقتضي إنهاء سيطرة قوات الجيش على الحقول والموانئ النفطية، وإعادة توزيع الثروة بشكل عادل. وسحب المرتزقة، وتشديد حظر الأسلحة الذي تفرضُهُ الأمم المتحدة على الأطراف الليبيَّة. ثُمَّ التَّوصُّلُ إلى صيغةٍ نهائيَّةٍ لوقف إطلاق النار، بمُوجب مُحادثات اللجنة العسكريَّة (٥+٥) التي ترعاها الأُممُ المتحدة[٢٧].

استبقت إشاراتُ إدارة الرَّئيس جو بايدن بشان الملف الليبيّ، مُحادثات مُهمَّة برعاية الأُمم المتحدة في جنيف، حول ترتيبات المرحلة الانتقاليَّة في ليبيا. الدَّعوة التي وجَّهها رئيسُ البعثة الأمريكية في الأمم المتحدة ريتشارد ميلز جونيور، بـ"الشروع فورا في سحب القوات التركية والروسية من ليبيا.. بما فيها جميع العناصر المرتزقة والمندوبين العسكريين الأجانب"، تعتبر تحولا ملحوظا في سياسة الإدارة الجديدة مقارنة بسياسة الرئيس السابق ترامب؛ لأنها دعوة صريحة لـ"جميع الأطراف الخارجية، بما في ذلك روسيا وتركيا والإمارات المتحدة، إلى احترام السيادة الليبية والوقف الفوري لجميع التدخلات العسكرية"، لم يصدر مثيل لها في وقت سابق من الإدارة السابقة، التي طالما اعتمدت لغة غامضة وملتبسة إزاء اللاعبين الأجانب في الملف الليبي.

وتحمل هذه الخطوة، تحريكا للملف الليبي إلى سلم أولويات السياسة الخارجية الأمريكية، في الشرق الأوسط. وتأكيدا على قلق واشنطن من تداعيات الأزمة الليبية على ملفات استراتيجية أخرى منها متطلبات أمن مناطق نفوذ حلف شمال الأطلسي، وإمدادات النفط والغاز، واستقرار منطقة الساحل والصحراء الأفريقية. وبموازاة المسار الأمني والعسكري، تريد المبعوثة الأممية أن تستفيد من الزخم الجديد في البيت الأبيض وفي مسارات المحادثات التي رعتها الأمم المتحدة منذ نوفمبر ٢٠٢٠ من أجل تحقيق تطورات على مستوى التسوية السياسية للأزمة[٢٨].

وبعد انتخاب عبد الحميد دبيبة رئيسًا للوزراء للفترة الانتقالية في ليبيا، وفوز محمد المنفي برئاسة المجلس الرئاسي، أكد سفير الولايات المتحدة لدى ليبيا، ريتشارد نورلاند، خلال اتصال هاتفي مع محمد المنفي، دعم واشنطن للمجلس الرئاسي والحكومة الجديدة لتأدية مهامها. وسبق أن أكد نورلاند، فور انتخاب السلطة الجديدة أن: "تفاعلا أكثر قادما من واشنطن"، مضيفا: "في الوقت الحالي نقدم تهانينا الحارة لجميع الليبيين والمشاركين في ملتقى الحوار السياسي الليبي، والقادة القادمين والمغادرين على التزامهم بمستقبل ليبيا السلمي". كما شجع نورلاند، رئيس الوزراء المنتخب عبدالحميد دبيبة على "تحديد فريق حكومي مصغر وكفء وتكنوقراطي يمكنه أن يحظى بسرعة بثقة مجلس النواب"[٢٩].

(٢٥) خالد حنفي علي، "تشابكات سياسة إيطاليا تجاه ليبيا"، مجلة: السياسة الدولية، العدد: ٢١٠، أكتوبر ٢٠١٧م، ص١٣٦.

(٢٦) أحمد عبد العليم حسن، مرجع سبق ذكره، ص ١٦.

(٢٧) "المبادرة الأمريكية بشأن ليبيا: وكبح الطموحات الروسية والتركية"، موقع: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بتاريخ:١٢/٨/٢٠٢٠م، متاح على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/KmYGe

(٢٨) منصف السليمي، "خطوات مبكرة من إدارة بايدن في تضاريس الأزمة الليبية الشائكة"، موقع: (dw)، بتاريخ: ٢/٢/٢٠٢١م، على الرابط التالي: https://p.dw.com/p/3oh6v

(٢٩) "الولايات المتحدة تؤكد دعمها للمجلس الرئاسي الليبي والحكومة الجديدة"، موقع: روسيا اليوم، بتاريخ: ١٢/٢/٢٠٢١م، على الرابط التالي: https://ar.rt.com/prd2

- **الدَّور الروسيّ في الأزمة الليبية:**

تسعى موسكو اليوم للتدخل في التفاعلات الليبية لاستعادة نفوذها؛ حيث تلاشى النفوذ الروسي في ليبيا عقب سقوط نظام القذافي، وفي هذا السياق، تبرز مساعٍ لتنشيط الدور الروسي في ليبيا، وخاصة بدعم الجيش الليبي لمحاربة التنظيمات الإرهابية العابرة للحدود، حيث أبدى رئيس مجلس النواب عقيلة صالح، (في ديسمبر 2016)، ترحيبه بتعزيز الدور الروسي في ليبيا، دُون أنْ يتطوَّر هذا التَّعزيزُ إلى إقامة قاعدةٍ عسكريَّةٍ رُوسيَّةٍ في ليبيا".

ووفقًا للسِّياسة الرُّوسيَّة المعلنة فإنَّ موسكو تدعمُ الحُلُول السِّياسيَّة التي يتوصَّلُ إليها أطرافُ الصِّراع الليبيّ، وتحرصُ على ضرُورة احترام الشَّرعيَّة، وعدم الاعتراف بحُكُومةٍ لا تحظى بثقة البرلمان، أو وفاقٍ سياسيٍّ لا تُرافقُهُ تعديلاتٌ في الدستُور الليبيّ، وخُطوات لتوحيد كُلِّ الليبيين لمواجهة التنظيمات الإرهابيَّة في جميع أنحاء البلاد، بما فيها التيَّاراتُ السِّياسيَّةُ العنيفة[٣٠]. وقد شهد العامان الأخيران مزيدا من الاهتمام الروسي بالملف الليبي، وهو ما تجلى بشكل واضح في إعلان موسكو أكثر من مرة عن ترحيبها بلعب دور الوساطة بين طرفي الصراع الليبي، وهو ما أعلن عنه وزير الخارجية الروسي لافروف في ديسمبر ٢٠١٧م، وهو ما تبعه تحول موسكو إلى قبلة من جانب المسؤولين الليبيين (من الشرق والغرب)، تزامنا مع الحاجة الروسية الملحة لتملك مزيد من أوراق الضغط في الشرق الأوسط في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية[٣١]. ومن الناحية الواقعية تقدم موسكو دعما عسكريا وسياسيا للمنطقة الشرقية، بينما تقوم بالتعامل مع المجلس الرئاسي في المنطقة الغربية، حيث تناقش عقودا لاستكشاف النفط، وتبحث عن فرص اقتصادية لها في العاصمة، لكنها لم تفتح سفارتها هناك[٣٢].

رحَّبت رُوسيا بنتائج اختيار المجلس الرئاسيّ والحُكُومة الجديدة[٣٣]، وذكرت الخارجيَّةُ الرُّوسيَّةُ، في بيانٍ، "إنَّهُ يجبُ أنْ تُصبح ثمارُ عمل مُلتقى الحوار السِّياسيّ الليبيّ خُطوةً مُهمَّةً ومحوريَّةً في سبيل تجاوُز الأزمة الحادَّة التي طال أمدُها في البلاد"[٣٤]. وأعرب نائب وزير الخارجية الروسي المبعوث الخاص إلى الشرق الأوسط وأفريقيا، ميخائيل بوجدانوف عن دعم بلاده للمجلس الرئاسي الجديد في ليبيا. وأكد المسؤول الروسي: عن أمل بلاده أن يصبح انتخاب السلطة التنفيذية الجديدة معلما على طريق تجاوز الأزمة الليبية. وجدد بوجدانوف التأكيد على نية موسكو تكثيف وتعزيز التعاون الروسي الليبي متعدد الأوجه على أساس مبادئ الاحترام المتبادل والمنفعة المتبادلة وتقاليد الصداقة[٣٥]، وفي ذات السياق، التقى رئيس المجلس الرئاسي، محمد المنفي، ونائبه موسى الكوني، يوم الثلاثاء (٢٠٢١/٣/٢) في طرابلس؛ القائم بأعمال رئيس البعثة الدبلوماسية الروسية في ليبيا، جامشيد بولتايف، وبحث المجتمعُون أوجُه التَّعاوُن المشترك بين البلديْن في العديد من القضايا المهمَّة[٣٦].

- **الموقف الأوروبي من الاتفاق السياسي الليبي:**

أعرب الممثل الأعلى للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية في الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل عن ترحيبه بالاتفاق الذي توصّل إليه طرفا النزاع الليبي في مدينة بوزنيقة المغربية، والذي يقضي "اتّفاق شامل

(٣٠) نيبال جميل، "الدور الروسي في الصراعات الداخلية العربية المسلحة: المؤشرات- الأسباب- التأثيرات"، مجلة: العلوم السياسية والقانون، العدد: الثالث، يونيو٢٠١٧م،الرابط التالي: https://democraticac.de/?p=46852

(٣١) أحمد عبد العليم حسن، مرجع سبق ذكره، ص ١٧.

(٣٢) عزة هاشم، "المصالح والمحددات الروسية حيال الأزمة الليبية"، مجلة: السياسة الدولية، العدد: ٢٢٠، أبريل ٢٠٢٠، ص١١٥.

(٣٣) "ترحيب روسي بنتائج اختيار المجلس الرئاسي والحكومة الجديدة"، ٢٠٢١/٢/٥، https://cutt.us/d2DtQ

(٣٤) "ترحيب عربي ودولي بتشكيل السلطة التنفيذية الليبية الجديدة"،الوطن،٢٠٢١/٢/٥، https://cutt.us/t88He

(٣٥) عبدالهادي ربيع، "روسيا تأمل أن تكون السلطة الليبية معلما على طريق تجاوز الأزمة"، العين الإخبارية، ٢٠٢١/٢/٧، https://cutt.us/GueDU

(٣٦) "المنفي يُناقش تعزيز التعاون المشترك مع روسيا"، موقع:٢١٨، بتاريخ:٢٠٢١/٣/٢، https://cutt.us/w35h0

حول المعايير والآليات الشفّافة والموضوعية لتولي المناصب السيادية بهدف توحيدها".وحسب جوزيب بوريل فإن: الأمر يتعلق بمساهمة "جاءت في الوقت المناسب في إطار الجهود التي تقودها منظمة الأمم المتحدة"، مشيرا إلى أن "التزام الوفدين بإيجاد حل سلمي للنزاع في ليبيا هو أمر مشجع"(٣٧).

وقد سعت بعض القوى الأوروبية وفي مقدمتها إيطاليا وفرنسا وألمانيا إلى الانخراط في المشهد الليبي للاستفادة من المنجزات السياسية التي تحققت هناك، والمتمثلة في اختيار سلطة تنفيذية جديدة، وذلك من خلال زيارة وزير الخارجية الألماني "هايكو ماس"، ونظيره الفرنسي "جان إيف لودريان"، والإيطالي "لويجي دي مايو" إلى طرابلس في ٢٥ مارس٢٠٢١ لدعم الحكومة الجديدة؛ حيث عقد الدبلوماسيون الثلاثة مؤتمرًا صحفيًا مشتركًا مع وزيرة الخارجية الليبية "نجلاء المنقوش"، التي أوضحت أنها اتفقت مع الوزراء على عودة السفارات، ومنح التأشيرات من داخل ليبيا وليس من خارجها، وشددت على ضرورة خروج المرتزقة من كافة الأراضي الليبية بشكل فوري، رافضةً المساس بسيادة البلاد.(٣٨)

ويُلاحظُ منْ ترتيب الزيارات أن الاهتمام الأوروبي بدا متدرّجًا على مستوى الدول منفردة ومؤسسات الاتحاد؛ ممّا يعكس النية على سرعة الانخراط في المشهد الجديد، وفق خطوط اتصال متوازية لا تعارض بعضها، واتسمت الأجندات المعلنة للزيارات بوجود قضايا عامة تهم مؤسسات الاتحاد الأوروبي، وأخرى ترسم مصالح الدول على حدة؛ مثل ملفات الهجرة، والأمن، والتبادل التجاري، ودعم السلطة الجديدة شريطة خروج المرتزقة.. ومن سياق الزيارات السابقة نجد ملاحظات على التحركات الأوروبية منها ما يأتي:

١. توحيد الخطاب الأوروبي: جاء الخطاب الرسمي لقادة المؤسسات الأوروبية، وتحديدًا المفوضية والمجلس الأوروبي، والخطابات المنفردة لزعماء الدول المنخرطة في الأزمة الليبية مثل فرنسا وإيطاليا على نهج واحد يدعم استقرار ليبيا وحكومتها الجديدة، داعيًا لخروج المقاتلين الأجانب.

٢. تكثيف الزيارات وسرعتها يدل على البحث عن دور جديد للدول الأوروبية في ليبيا؛ أملًا في استعادة جزء من النفوذ المفقود لصالح كلٍ من تركيا وروسيا.

٣. في الوقت الذى زار أكبر مسؤول في إيطاليا واليونان ليبيا اكتفى ماكرون بإرسال وزير الخارجية، ودعا رئيس المجلس الانتقالي الليبي لزيارة باريس؛ ربما يمكن تعليل موقف الرئيس الفرنسي من زاويتين؛ الأولى: هي عدمُ رضا ماكرون على هذه الحكومة التي لم تأتِ بحليفه رئيس مجلس النواب عقيلة صالح، والثانية: الموقفُ المعلنُ منْ رئيس الحكومة الليبية بعدم التراجُع عن الاتفاق الموقَّع مع تركيا في نوفمبر٢٠١٩م، والإشادة بالعلاقات التركية الليبية وأهميتها؛ ممّا جعل الرئيس الفرنسي يفضّل التعامل المباشر مع رئيس المجلس الانتقالي المنتمي لشرق ليبيا، والذى ربما يكون مفضّلًا لدى ماكرون عن دبيبة(٣٩).

كل هذه المعطيات تشيرُ إلى زخم الحراك الأوروبي حول الأزمة الليبيَّة، ومحاولة تولي زمام المبادرة فور انطلاق الحكومة الليبية الجديدة في ممارسة عملها، فبعد سعي عدة دول أوربية لإعادة فتح سفاراتها وقنصلياتها في ليبيا، أعلنت بعثة الاتحاد الأوروبي في ليبيا، يوم: ٢٠٢١/٥/١٧ إعادة افتتاح أعمالها في العاصمة طرابلس، بعد عامين من مغادرتها. ووصف رئيس بعثة الاتحاد

(٣٧) "الاتحاد الأوروبي يرحّب بنتائج "اتفاق بوزنيقة" الخاص بالأزمة الليبية ويشيد بالمبادرة المغربية"، موقع: يورونيوز، بتاريخ: ٢٠٢٠/٩/١١، https://cutt.us/sFwYs

(٣٨) آية عبد العزيز، "التوجه الأوروبي نحو حكومة الدبيبة: بين دعم الوحدة الوطنية وتعزيز النفوذ"، المرصد المصري، بتاريخ: ٣٠/مارس/٢٠٢١، HTTPS://CUTT.US/9T3JM

(٣٩) بهاء محمود، "التحركات الأوروبية تجاه ليبيا: الأهداف والنتائج"، موقع: منتدى السياسات العربية، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢١/٦/٢٧، https://cutt.us/VdAO0

الأوروبي لدى ليبيا السفير خوسيه سابادیل، إعادة افتتاح أعمال البعثة الأوروبية في طرابلس بـ"التقدم الهائل"(٤٠).

- **الموقفُ التركيُّ من الأزمة الليبيَّة:**

يُلاَحِظُ المتَابِعُ الموضُوعيُّ للشأن الليبيّ تعاظُم الدَّور التركيّ مُؤخرًا فيه بشكلٍ واضحٍ، وانخراطها في هذا الملف كان لافتًا مُنذُ بداية عمل حُكُومة الوفاق الوطنيّ السَّابقة برئاسة فائز السراج من طرابلس. ويرى بعضُ المحللين أنَّ: "التدخُّل التركي في الصراع الليبيّ بدا عاملًا حاسمًا في إعادة توازُن القُوَّة وإنقاذ حُكُومة الوفاق، المعترف بها دوليًّا، بعد أنْ وصلت القُوَّاتُ التي يقودها الجنرال حفتر إلى ضواحي عاصمتها طرابلس. وكانت تركيا قبْل أنْ يُقرَّ برلمانها إرسال قُوَّاتٍ إلى ليبيا قد أمدَّت هذه الحُكُومة بمركبات مُدرعة وأدارت عمليَّات لطائراتٍ مُسيَّرةٍ في المعارك لصالحها. وقد استخدمت أنقرة عُنوانًا فضفاضًا لتدخُّلها هُناك تحت باب تقديم "المشُورة والتَّدريب"، وتُبرِّرُ ذلك أيضًا بأنَّها تتدخَّلُ بناءً على دعوةٍ من حُكُومةٍ مُعترفٍ بها دوليًّا قد وقعت معها اتِّفاقيَّة. وتعتبرُ تركيا ليبيا، البعيدة عنها جُغرافيًّا، موقعًا أساسيًّا في استراتيجيَّتها في شرق وجنُوب البحر المتوسط، ومدخلًا لمدِّ نُفُوذها في شمال وشرق أفريقيا. وتقعُ المصالحُ الاقتصاديَّة في مُقدِّمة الدَّوافع وراء هذا الموقف التركي، إذْ تسعى تركيا –التي تستوردُ مُعظم احتياجاتها من الطَّاقة– للحُصُول على حصَّةٍ من نفط ليبيا صاحبة أكبر احتياطيٍّ نفطيٍّ في القارة الأفريقيَّة"(٤١).

وبعد منح مجلس النُّوَّاب الثقة لحُكُومة الوحدة الوطنيَّة رحَّبت وزارة الخارجيَّة التركيَّة بذلك، مُتمنِّية للحُكُومة ورئيسها "التوفيق والنجاح". وأعربت الخارجية التركية عن أملها بأن: "تتخذ الحكومة خطوات سريعة وملموسة من أجل توفير الخدمات العامة الرامية لازدهار الشعب الليبي الصديق والشقيق، وتنفيذ العملية الانتخابية، وتوحيد المؤسسات، وضمان مصالحة وطنية شاملة". ورأت أنه "سيكون من الأهمية الحاسمة، خلال هذه الفترة، توسيع سلطات الحكومة الجديدة لتشمل جميع مناطق ليبيا، داعية "جميع شرائح ليبيا وكذلك المجتمع الدولي، إلى دعم حكومة الوحدة الوطنية من أجل بناء ليبيا الديمقراطية والمستقرة والمزدهرة"(٤٢).

وكان رئيس حكومة الوحدة الوطنية الدبيبة قد أدلى بتصريحات حول العلاقة مع تركيا أثارت جدلا واضحا(٤٣)؛ حيث قال إنها: "صديقة وحليفة"، معبرا عن: "أمله بتنمية التعاون بين البلدين، ورفع حجم التبادل التجاري إلى أعلى المستويات"(٤٤). كما أنه: "أكد أهمية الاتفاقية البحرية مع تركيا، وأعلن أنه سوف يستمر العمل بها، ودراسة الاتفاقيات الأخرى والتعامل معها بشكل قانوني"(٤٥).

وكانت الزيارة التي قام بها الوفدُ التركي إلى ليبيا، في الثالث من مايو (٢٠٢١)، قد بددت احتمالات تغير الاستراتيجية التركية تجاه ليبيا كاستجابة لمتغيرات المرحلة السياسية الحالية، وفق مرجعيات برلين والقرار الأممي الصادر فى منتصف أبريل ٢٠٢١، والتي تتطلب بدورها إنهاء الوجود الأجنبي فى البلاد وإجلاء المرتزقة، وإصلاح المؤسسات والأجهزة الأمنية كمدخل لتهيئة الأجواء لانتقال سياسي سلس في بيئة مستقرة. بل إن تركيبة الوفد التركي الذي ضم كلًا من وزيري الدفاع والخارجية خلوصي آكار ومولود تشاويش أوغلو، ورئيس الأركان يشار

(٤٠) محمد بصيلة، "بعثة الاتحاد الأوروبي إلى ليبيا مجددا.. فهل عاد الاستقرار؟"، العين الإخبارية، ٢٠٢١/٥/١٧، https://cutt.us/Yl253

(٤١) "الحرب في ليبيا: ما هي الأطراف الخارجية التي تتدخل فيها؟ وما دوافعها؟"، موقع: بي بي سي عربي، بتاريخ: ٣١/يوليو/٢٠٢٠، على الرابط التالي: https://cutt.us/BLJXf

(٤٢) "تركيا ترحب بمنح الثقة لحكومة الوحدة الوطنية الليبية"، موقع: آر تي، بتاريخ: ٢٠٢١/٣/١٠، https://cutt.us/cCgmZ

(٤٣) "حسب الأسماء المعلنة برقة تلتحف التهميش والمغالبة أفسدت تناغم الآراء"، جريدة: أخبار بنغازي، العدد: ٣٦٨٣، السنة: ٢٦، بتاريخ: ١١/مارس/٢٠٢١م، ص١.

(٤٤) "رئيس الوزراء الليبي الجديد: تركيا هي "الصديقة والحليفة"، موقع: سبوتنيك، بتاريخ: ٢٠٢١/٢/٧م، متاح على الربط المختصر التالي: https://cutt.us/cUA6S

(٤٥) "ليبيا: رئيس الحكومة يقترح حكومة وحدة ويؤكد استمرار العمل مع تركيا"، موقع: (dw)، بتاريخ: ٢٠٢١/٢/٢٥م، متاح على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/vU5Xc

غولر، ورئيس الاستخبارات هاكان فيدان، تعكس استمرار اعتماد أنقرة على الأداة العسكرية كركيزة للدور التركي في ليبيا، وهو ما أكده الخطاب الرسمي للوفد خلال الزيارة من حيث التمسك بالاتفاقيات العسكرية المبرمة مع حكومة الوفاق. وفي المقابل، بدا الخطاب الليبي معارضًا لهذا التوجه التركي، حيث دعت وزيرة خارجية حكومة الوحدة الوطنية نجلاء المنقوش، بلهجة دبلوماسية محترفة، نظيرها التركي إلى دعم ليبيا في تنفيذ استحقاقات المرحلة الانتقالية وفق المرجعيات الدولية.(٤٦)

ثالثًا– إجراءاتُ منح الثقة لحُكومة الوحدة الوطنية:

بمُجرَّد فوز القائمة المشار إليها سلفًا (المكوَّنة منْ: رئيس المجلس الرئاسي وعُضوين في المجلس ورئيس الحُكومة)، بدأت المشاوراتُ حول تشكيل الحُكومة الجديدة، وأعلن السَّيِّدُ رئيسُ الحُكومة أنَّهُ تلقى ٣٠٠٠ سيرة ذاتيَّة لمتقدِّمين لشغل حقائب وزاريَّة وإدارات بحُكومته، مُضيفًا: "إن الحكومة ستتألفُ منْ كافة الطيف الليبي، ولا يُمكنُهُ إقصاءُ النظام السَّابق منها".

وأضاف أنه سلم صباح الخميس(٢/٢٥) مقترح معايير ومشروع تشكيل الحكومة لرئيس مجلس النواب، عقيلة صالح، بعد انتهاء المهلة التي اقترحتها لجنة الحوار في جنيف لتسليم حكومته لمجلس النواب لنيل الثقة، مُؤَكِّدًا أنَّهُ راعى في حُكومته كل الظروف الصعبة التي خرجت منها البلدُ مُؤخَّرًا من حُرُوبٍ وانقساماتٍ في الحُكومات، وأوضح أنَّ أعضاء مجلس النواب الذين التقاهُم وعدُوهُ بمنح الثقة للحكومة، مُضيفًا: "مستعدون للذهاب إلى أي مدينة يختارها مجلس النواب لعقد جلسة منح الثقة للحكومة(٤٧).

وتمَّ اختيارُ مدينة سرت لعقد جلسة البرلمان المخصَّصة لمنح الثقة للحُكومة، وبالفعل تمَّ عقدُ الجلسة في سرت يوم ٨مارس٢٠٢١م، في ظلِّ إجراءاتٍ أمنيَّةٍ مُشدَّدةٍ؛ لضمان سير الجلسة على أحسن وجهٍ، وبعد مُداولاتٍ ونقاشاتٍ منْ قبل أعضاء البرلمان، تمَّ تأجيلُ التَّصويت لمزيدٍ من المشاورات(٤٨). وقد تمَّ تأجيلُ التَّصويت مرَّتان، بسبب طلب البرلمان منْ رئيس الحُكُومة إجراء تعديلاتٍ عليها، منْ جهته تعهَّد الأخيرُ بإجراء التَّعديلات المطلُوبة، واستكمال تسمية الحقائب الشاغرة بحُلُول صباح اليوم التالي، وبالفعل، أعلن رئيس الوزراء الليبي أسماء حُكُومة الوحدة الوطنية أمام أعضاء مجلس النواب، مُطالبًا بمنحها الثقة للعمل على إعادة توحيد المؤسَّسات، مُشيرًا إلى أنَّ الحُكُومة مُؤلَّفةٌ من: ٢٦ وزارة و٦ وزراء دولة ونائبين، وأعلن الدبيبة أنَّهُ جرى الاتفاق مع المجلس الرئاسي أنْ يتولَّى وزارة الدفاع رئيس الحُكُومة مُؤقتًا؛ نظرًا لوُجُود صراعٍ مُحتدمٍ على هذه الحقيبة، إضافة إلى تدخلات خارجية، ولفت إلى أنَّ تسمية شاغلي منصبي وزير الدفاع والخارجية سيتم بالتشاور مع المجلس الرئاسي(٤٩).

وفي يوم الأربعاء ١٠مارس عقد مجلسُ النواب جلسته برئاسة رئيس مجلس النواب، وبحضور النائب الأول لرئيس المجلس، والنائب الثاني، وبحسب المتحدث الرسمي باسم المجلس فإن: "المجلس عقد جلسته المخصَّصة للتَّصويت على منح الثقة لحُكُومة الوحدة الوطنيَّة، حيثُ تمَّ التَّصويتُ على منح الثقة للحُكُومة بأغلبيَّة ١٣٢ صوتًا، وبذلك نالت حُكُومة الوحدة الوطنية الثقة، على أنْ تُؤدِّي التَّشكيلة الوزاريَّة ورئيس الحُكُومة اليمين الدستورية في جلسة الاثنين (١٥مارس) بمقرِّ مجلس النُّوَّاب الدُّستُوريِّ في مدينة بنغازي".(٥٠)

وقال الدبيبة خلال الجلسة: "إنَّ المحاصصة فرضت نفسها على تشكيلة الحُكُومة الليبيَّة المقبلة، مُؤَكِّدًا أنَّهُ كان يسعى إلى حصر الوُزراء

(٤٦) أحمد عليبة، "هل تغير تركيا استراتيجيتها في ليبيا خلال المرحلة الانتقالية؟"، موقع: مركز الأهرام، بتاريخ: ١٢/٥/٢٠٢١، https://cutt.us/lD6GV

(٤٧) "ليبيا: رئيس الحكومة يقترح حكومة وحدة ويؤكد استمرار العمل مع تركيا"، موقع: (dw)، بتاريخ: ٢٥/فبراير/٢٠٢١م، على الرابط التالي: https://cutt.us/a3yT5

(٤٨) "هل تُحمدُ جلسة ٨ مارس بُركان الوطن؟ وهل تزحفُ الحُلُولُ السِّياسيَّةُ ابتداءً من سرت؟"، جريدة: أخبار بنغازي، العدد: ٣٦٧٩، السنة: ٢٦، بتاريخ: ٢/مـارس/٢٠٢١م، ص١.

(٤٩) "للمرَّة الثانية.. تأجيلُ جلسة منح الثقة للحُكُومة الليبيَّة"، بوَّابة العين الإخباريَّة، بتاريخ:٩/مارس/٢٠٢١م، على الرابط التالي: https://al-ain.com/article/1615310135

(٥٠) "المتحدِّثُ الرَّسميُّ: مجلسُ النواب يمنحُ الثقة لحُكُومة الوحدة الوطنيَّة"، موقع: مجلس النواب الليبي، بتاريخ: ١٠/مارس/٢٠٢١م، مُتاحٌ على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/m9gpu

في عددٍ أقل، مُضيفًا أنَّهُ ليس مُرتاحًا لتشكيل حُكُومةٍ ليبيَّةٍ تضُمُّ ٢٦ وزيرًا، لكنَّ التَّوازُنات الجُغرافيَّة والسِّياسيَّة في البلاد فرضت هذا الأمر"(٥١).

كما أكَّد السيد الدبيبة في كلمته أمام مجلس النوَّاب: "أنَّ آليَّة الحوار بمُلتقى جنيف فرضت على جميع منْ قبلُوا بهذه العمليَّة أنْ تكُون مُخرجاتُ الحُكُومة والخارطة السِّياسيَّة لا تستثني أحدًا، وبذلك، كانت الحُكُومةُ في شكلها الحاليّ منْ حيثُ عدد الوُزراء والمحاصصة الجُغرافيَّة أو الجهويَّة، والتي يكُونُ فيها الصَّانعُ مُكرهًا لا بطلًا"، وقال: "إنَّ تشكيلتهُ الحُكُوميَّة استبعدت كُلَّ الأشخاص الذين تمثَّلُوا في الحُكُومات السَّابقة مُنذُ عام ٢٠١١م، مُشيرًا إلى رغبته في إعطاء الفُرْصَةِ للوُجُوه الجديدة والشَّباب"(٥٢).

رابعًا– إقرارُ مشرُوع الميزانيَّة العامة للدولة ومُشكلة المناصب السِّياديَّة:

انتهى مجلسُ النواب الليبي (في أبريل الماضي) من إعداد القوائم النهائية لمرشَّحي المناصب السِّياديَّة، وعلى رأسها منصبُ محافظ البنك المركزي الذي خلت قائمةُ المرشَّحين من اسم رئيسه الحال،. وجرت عمليَّة الترشيح في أجواءٍ من الحذر، ومُحاولة الحصول على أكبر قدرٍ من التوافُق بين الأقاليم، وتطبيق الشُّرُوط التي وضعها الحوارُ الوطني ولجنةُ الفرز لاختيار المرشَّحين لحساسية المرحلة التي تمر بها البلاد التي تستعد لإجراء الانتخابات النيابية والرئاسية في ديسمبر القادم (٢٠٢١)، والمناصب السيادية، التي يجري التفاوض بشأنها، هي: محافظ مصرف ليبيا المركزي، ورئيس ديوان المحاسبة، ورئيس جهاز الرقابة الإدارية، ورئيس هيئة مكافحة الفساد، ورئيس وأعضاء المفوضية العليا للانتخابات، ورئيس المحكمة العُليا، والنائب العام.

وتضمنت القوائم: ٩ مرشحين لمنصب محافظ مصرف ليبيا المركزي، و١٢ مرشحا لمنصب نائب المحافظ، و٤٠ مرشحًا لمنصب عضو مجلس إدارة المركزي، أما قائمة منصب رئيس ديوان المحاسبة فاحتوت على: ١٢ اسما لرئاستها من الجنوب، و١١ أسما لوكالتها من الشرق، أما منصب الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد فتضمنت قوائمه: ١٢ اسما لرئاستها من الغرب، و١٠ أسماء لوكالتها من الجنوب، و٤٣ مرشحا لعضويتها من مختلف المناطق.

وفيما يخص منصب رئيس هيئة الرقابة الإدارية فتضمنت القوائم: ١٣ اسمًا من الشَّرق، و١٨ آخرين لوكالتها من الغرب الليبي، فيما رشح المجلسُ: ١١ اسمًا لرئاسة المفوَّضيَّة العُليا للانتخابات من غرب ليبيا، و٤٧ اسمًا لعُضويَّتها من مُختلف المناطق.

وسبق وضع هذه القوائم ضمن مناقشات مكثفة حول هذا الملف في جلسات الحوار بين مجلس الدولة ومجلس النواب في مدينة بوزنيقة يناير الماضي، انتهت إلى أن يكون توزيع المناصب السيادية بحسب الأقاليم، فيكون: مناصب محافظ المصرف المركزي ورئاسة هيئة الرقابة الإدارية من إقليم برقة، ومناصب المفوضية الوطنية العليا للانتخابات والنائب العام وديوان المحاسبة من طرابلس، ومنصبا المحكمة العليا ومكافحة الفساد من فزان. كما وضعت لجنة فرز أسماء المرشحين شروطا أخرى للترشح، منها: ألا يحمل المرشح إلا الجنسية الليبية، وأن يكون حاملًا لمؤهل علمي، وكفاءة، وعدم تقلد مناصب سياديَّة سابقًا.(٥٣)

ويرى بعض النواب (سعيد امغيب) أنه: "يجب عدم صرف الميزانية للحكومة قبل معرفة موقف رئيسها من المليشيات، وإخراجهم من العاصمة، وفتح كل الطرق التي يسيطرون عليها". من جانبه أكد النائب وعضو اللجنة المكلفة بتسلم ملفات الراغبين في شغل المناصب السيادية (عبد المنعم العرفي) أن: "مجلس النواب مُصِرٌّ على الانتهاء من موضوع المناصب السيادية قبل الدخول في

(٥١) سلمان إسماعيل، "ليبيا.. خُبراء يُحذِّرُون من خُطُورة «المحاصصة» في حُكُومة الدبيبة"، موقع: الرؤية، بتاريخ: ٩/مارس/٢٠٢١م، مُتاحٌ على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/QWtV0

(٥٢) "حسب الأسماء المعلنة: برقة تلتحفُ التَّهميش والمغالبة أفسدت تناغُم الآراء"، جريدة: أخبار بنغازي، العدد: ٣٦٨٣، السنة: ٢٦، بتاريخ: ١١/مارس/٢٠٢١م، ص١.

(٥٣) "وضع قوائم مرشحي المناصب السيادية في ليبيا.. ما أسس الاختيار؟"، موقع: سكاي نيوز عربية، بتاريخ: ٢٨/أبريل/٢٠٢١م، على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/aJind

أي معتركات أخرى بما فيها الميزانية"، مُرجِّحًا أنَّ الميزانيَّة سيتمُّ تبْديدُها على المليشيَّات عبر مُحافظ مصرف ليبيا المركزي (الحالي) الصديق الكبير"(٥٤).

وكان مجلس النواب قد دعا جميع أعضائه إلى جلسة رسمية، في مقره المؤقت بطبرق، لمناقشة مشروع: "قانون الموازنة العامة للدولة لعام ٢٠٢١.، كما دعا المجلس لجنة التخطيط والمالية والموازنة العامة بالمجلس إلى تقديم تقريرها حول مشروع القانون لمجلس النواب قبل الموعد المقرر لانعقاد الجلسة، وطالبت لجنة في مجلس النواب بإعادة مشروع الموازنة إلى حكومة الوحدة الوطنية، لمراجعته وإصلاحه ومراعاة ملاحظات السلطة التشريعية، وخصوصًا ترشيد الإنفاق، ورأت أن إنفاق موازنة تصل لنحو ١٠٠ مليار دينار ليبي (٢١,٦ مليار دولار)، خلال أقل من سنة، سيكون "أثره سيئًا" على الاقتصاد الوطني(٥٥).

وبالفعل عقد مجلس النواب مساء الاثنين (١٩أبريل ٢٠٢١) في طبرق جلسته الرسمية برئاسة رئيس المجلس عقيلة صالح، وبحضور النائب الأول والنائب الثاني، وبحسب المتحدث الرسمي باسم المجلس فإن: "المجلس سيناقش في هذه الجلسة مشروع قانون الميزانية العامة للدولة للعام ٢٠٢١م"(٥٦)، وفي اليوم التالي، استأنف المجلس جلسته لاستكمال مناقشة قانون الميزانية، وبحسب المتحدث الرسمي باسم المجلس فإن المجلس قد استكمل المناقشة والمداولة حول مشروع قانون الميزانية المقدم من الحكومة، وقد تم التصويت بأغلبية النواب الحاضرين على ارجاع مشروع القانون لحكومة الوحدة الوطنية لتعديله، وفقًا لملاحظات أعضاء المجلس، ووفقًا لما ورد في تقرير لجنة التخطيط والموازنة العامة والمالية بالمجلس، وتقرير ديوان المحاسبة على أن تقوم بتعديل المشروع وفقًا لهذه الملاحظات، وأن تعيده لمجلس النواب في بحر عشرة أيام"(٥٧).

ثم عقد مجلس النواب جلسته الرسمية (٥/٢٤) برئاسة رئيس المجلس، وحضور أكثر من ١٠٠ نائب، وخصصت الجلسة لبندين الأول: مشروع قانون الميزانية العامة٢٠٢١م، والبند الثاني: المناصب السيادية، حيث تم تعميم ردود اللجنة الوزارية المشكلة من قبل رئيس مجلس الوزراء حول ملاحظات مجلس النواب على الأعضاء .وبعد مداولة هذين البندين قرر المجلس ما يلي: أولا: اعتماد الباب الأول من مشروع قانون الميزانية العامة الخاص بالمرتبات وما في حكمها.

أما فيما يتعلق بالبند الثاني –بند المناصب السيادية– فإنه خلال أسبوع سيكون قد وصل رد رسمي للمجلس في هذا الخُصُوص، ليكُون هُناك إجراءٌ في هذا البند(٥٨). حيث أن اللجنة المكلفة من المجلس أنهت عملها، وتنتظر ما أنجزته لجنة مجلس الدولة الاستشاري(٥٩).

ويواجه ملف المناصب السيادية في ليبيا أزمة شائكة، ففيما يصر مجلس النواب على التمسك بمخرجات اتفاق بوزنيقة، وتوزيع المناصب السيادية وفق المعيار الجغرافي على أقاليم البلاد الثلاثة

(٥٤) "لا موافقة على الميزانية حتى تسقط الميلشيات على قارعة النسيان، والبرلمان لا يمانع في استهلاك الوقت"، جريدة: أخبار بنغازي، العدد: ٣٧٠٩، السنة: ٢٦، بتاريخ: ١١/مايو/٢٠٢١م، ص١.

(٥٥) "ليبيا.. جلسة لمجلس النواب الاثنين المقبل لمناقشة مشروع الموازنة"، بتاريخ: ١٢/أبريل/٢٠٢١م، على الرابط التالي: https://cutt.us/ium3H

(٥٦) "مجلسُ النواب يُناقشُ مشرُوع قانُون الميزانيَّة العامَّة للدَّولة للعام٢٠٢١م"، الموقعُ الرسميُّ لمجلس النواب الليبي، بتاريخ: ١٩/أبريل/٢٠٢١م، متاح على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/tzFcJ

(٥٧) "مجلس النواب يصوت بأغلبية السادة النواب الحاضرين على ارجاع مشروع القانون لحكومة الوحدة الوطنية لتعديله"، الموقعُ الرسميُّ لمجلس النواب الليبي، ٢٠/٤/٢٠٢١م، متاح على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/sk2k7

(٥٨) "مجلس النواب يعتمد الباب الأول من الميزانية العامة ويتخذ عددا من القرارات المهمة"، الموقعُ الرسميُّ لمجلس النواب الليبي، ٢٤/٥/٢٠٢١م، متاح على الرابط المختصر التالي: https://cutt.us/0LlU5

(٥٩) "تسمية المناصب السيادية تطفئ شعلة الميزانية"، جريدة: أخبار بنغازي، العدد: ٣٧١٢، بتاريخ: ٢٣/٥/٢٠٢١، ص١.

التاريخية، برقة وطرابلس وفزان، يسعى "الأعلى للدولة" لحسم أهم تلك المناصب لصالحه، دون مراعاة الاتفاق المشار إليه سلفًا(٦٠).

حيث أكد عضو مجلس النواب، عيسى العريبي، أن أزمة الخلاف في المناصب السيادية، بين مجلس النواب و"المجلس الأعلى للدولة"، ترتكز على ديوان المحاسبة، ورغبة خالد المشري، رئيس "المجلس الأعلى الدولة" في الإبقاء على خالد شكشك على رأسه، وأوضح أن هناك تعنت من جانب "مجلس الدولة" وأنه لا يريد منح فزان والجنوب ديوان المحاسبة، ويرغب في أن يمنحه لطرابلس، وهذا مخالف بصورة كبيرة لاتفاق بوزنيقة(٦١)، من جهته، أكد عضو مجلس النواب، إبراهيم الدرسي، أن المجلس، سيشرع في عملية انتخاب رؤساء المناصب السيادية نهاية يونيو ٢٠٢١، ما لم يتلق ردا من "المجلس الأعلى للدولة"، حول تلك المناصب، مشيرا إلى أن المجلس سيناقش المناصب السيادية والميزانية العامة للدولة، لافتا إلى أن هناك شرطا وضع من قبل نواب برقة والجنوب والغرب ورئيس المجلس، بأن يتم الاتفاق على المناصب السيادية قبل الموافقة على الميزانيَّة.، وقال: إن رئيس المجلس عقيلة صالح أكد على أنه في حال لم يرد مجلس الدولة على طلب مجلس النواب باعتماد الأسماء، التي أرسلت لهم بحسب اتفاق بوزنيقة حول المناصب السيادية لاختيار الأسماء، فإن المجلس سيكون مضطرا الأسبوع القادم بالبدء في العملية الانتخابية لاختيار رؤساء المناصب السيادية في ليبيا خلال جلسة رسمية(٦٢).

(٦٠) محمد بصيلة، "لا لقاء أو مفاوضات: مناصب ليبيا السيادية بلا حل"، بوابة العين الإخبارية، بتاريخ: ٢٠٢١/٦/٥م، على الرابط التالي: https://cutt.us/zx1MZ

(٦١) "العريبي: المشري يشترط بقاء شكشك في منصبه لتمرير المناصب السيادية"، موقع: ليبيا الحدث، بتاريخ: ٢٠٢١/٦/١٦، على الرابط التالي: https://cutt.us/9BYlv

(٦٢) "الدرسي: مجلس النواب سيشرع في انتخاب رؤساء المناصب السيادية ما لم يتلق ردا من مجلس الدولة"، موقع: ليبيا الحدث، بتاريخ: ٢٠٢١/٦/١٦، على الرابط التالي: https://cutt.us/GEa4q

خاتمة:

يُمكنُ القولُ ختامًا أنَّ هذا العام (٢٠٢١م) شهد تطوُّراتٍ مُهمَّةٍ على صعيد الأزمة الليبيَّة، وُوصِفَ بأنَّهُ عامٌ محوريٌّ ومفصليٌّ في تاريخ هذه الأزمة، فقد تواصلت جولاتُ الحوار السِّياسيّ بين الفُرقاء الليبيين، وُصُولًا إلى انتخاب المجلس الرِّئاسيّ الجديد، ثُمَّ منح الثِّقة لحُكُومة الوحدة الوطنيَّة، واستمرارًا للجُهُود الدَّوليَّة للتَّسوية حدَّدت بعثةُ الأمم المتحدة في ليبيا يوم ٢٨ يونيو/٢٠٢١ موعدًا لاجتماع مُلتقى الحوار السِّياسيّ في جنيف، وبَيْنَ تبايُن المواقف والشَّدِّ والجذب بين الفُرقاء والفاعلين المؤثِّرين يبقى المشهدُ الليبيُّ في زاوية الانتظار والترقُّب.

جديرٌ بالذكر –ختامًا– أنَّ ما تمخَّض عن محادثات لجنتي مجلس النواب والمجلس الأعلى للدَّولة في مدينة بوزنيقة المغربية، شأنُهُ في ذلك شأن الاتفاقات السَّابقة بين الفُرقاء الليبيين، يظلُّ رهن مُعطيات المشهد الليبي الحاليّ: منْ حيثُ جدِّيَّة الفُرقاء في إنهاء النزاع الليبيّ، ومُستوى حجم التدخُّلات الخارجيَّة وحُدُودها، وتناقُض أسباب تلك التدخُّلات منْ قِبل القوى الإقليميَّة والدَّوليَّة، إضافةً إلى حساسيَّة موضُوع المناصب السِّياديَّة بالنِّسبة لكافَّة الفُرقاء، خُصُوصًا محافظ مصرف ليبيا المركزي، فالمحافظ الحاليُّ: الصديق الكبير، الذي تم تعيينُهُ في منصبه أواخر عام ٢٠١١ من قبل المجلس الوطني الانتقالي السابق، يرفُضُ حتى الآن ترك منصبه للمُحافظ الجديد محمد شكري الذي تم اختيارُهُ منْ قبل البرلمان في ديسمبر ٢٠١٧، وأدَّى اليمين القانُونيَّة أمام البرلمان في يناير ٢٠١٨، في تجاوُزٍ واضحٍ لمقررات السلطة التشريعيَّة في البلاد، ولمبدأ التداوُل السِّلميّ (وفق القانُون) على هذا المنصب.

أمَّا المحاصصة الإقليميَّة على المناصب السِّياديَّة فإنَّ المؤشرات الأوليَّة تُوضِّحُ أنَّ ثمة رفضًا –من عدة أطراف محليَّة– لهذا التوجُّه الذي أسفرت عنهُ اجتماعاتُ بوزنيقة بين الفُرقاء الليبيين، حيثُ ندَّد القضاءُ الليبيُّ بمُحاولات الزجّ به في معركة المحاصصة الإقليميَّة والقبليَّة والجهويَّة التي أسفرت عنها اجتماعاتُ وفدي مجلس النواب

ومجلس الدولة في أبوزنيقة. وأكد المجلسُ الأعلى للقضاء في ليبيا، رفضهُ الكامل لما توصل إليه الفرقاء الليبيون، فيما يتعلقُ بتقسيم مناصب المؤسسات السيادية على مبدأ المحاصصة المناطقية والتوزيع الجُغرافي، مُشدّدًا على ضرُورة توزيع المناصب على أساس الكفاءة. بل إنَّ مبدأ المحاصصة عملت به حُكُومة الوحدة الوطنية، التي صرَّح رئيسُها الدبيبة قائلا خلال جلسة التصويت على الحُكُومة: "إنَّ المحاصصة فرضت نفسها على تشكيلة الحُكُومة الليبيَّة المقبلة"، مُؤكِّدًا أنَّهُ كان يسعى إلى حصر الوُزراء في عددٍ أقل، مُضيفًا أنَّهُ ليس مُرتاحًا لتشكيل حُكُومةٍ ليبيَّةٍ تضُمُّ ٢٦ وزيرًا، لكنَّ التَّوازُنات الجُغرافيَّة والسِّياسيَّة في البلاد فرضت هذا الأمر". إذا المحاصصة لم تكن في المناصب السيادية فقط، ولكنها كانت أيضا حتى في التشكيلة الوزارية للحكومة. ورغم ما أعلنته رئاسة الحكومة رسميا فيما يتعلق بأسس تشكيلها، واعتمادها على التنوع والكفاءة والتوزيع الجغرافي..، إلا أن القائمة التي أُعْلنتْ، وتمَّ منحُها الثقة (من البرلمان) بعد إجراء التعديلات عليها، لا تدُلُّ على انطباق كُلِّ هذه الأسس والمعايير عليها، ولذلك وُجِّهتْ إليها انتقاداتٌ حادَّةٌ، وخُصُوصًا من قبل بعض أعضاء البرلمان، حيث أشار البعض إلى "عدم وجود عدالة في توزيع الحقائب الوزارية، وأن إقليم برقة لم يحصل على وزارة الداخلية أو المالية أو الاقتصاد، أو التعليم العالي.. وبالتالي، فالموجود هو المغالبة، والمحاصصة التي يرعاها المجتمع الدولي".

من خلال ما تقدَّم يتَّضحُ أنَّ اتِّفاق التسوية لمْ يحل على ما يبدُو هذه الإشكاليَّات، وللأسف، فإنَّ أيَّ اتِّفاقٍ وإنْ تضمَّن حُلُولًا جذريَّةً لأزمةٍ ما، ولم يلتزمْ به أطرافُها، سيُصبحُ مجرَّد حبرٍ على ورقٍ، فالتَّجاوُزاتُ المستمرَّةُ لبعض البُنُود في الاتفاق، كانت مُشكلةً بارزةً حتَّى بعد التوقيع على اتفاق الصخيرات عام ٢٠١٥. مما يعني أنَّ للأزمة فُصُولًا أُخْرَى، فالاستقطابُ الحادُّ بين الأطراف مايزالُ مُستمرًّا، ودورُ القوى المؤثرة –محليًّا وخارجيًّا– مازال واضحًا، وحتَّى وإنْ أعلنت أيُّ قوَّةٍ إقليميَّةٍ (كتركيا مثلًا) أو دوليَّةٍ (كالولايات المتحدة وروسيا) دعمها لاتِّفاق التَّسوية فإنَّ المعوَّل دائمًا على المواقف الفعليَّة على أرض الواقع، وليس في أروقة الدبلوماسيَّة، والتَّصريحات المنمَّقة.. فتحقيقُ التَّسوية المنشُودة في ليبيا رهينٌ بمدى التزام كافَّة الأطراف بما تمَّ الاتِّفاقُ عليه، وبمدى وُجُود إرادةٍ سياسيَّةٍ توافُقيَّةٍ جادَّةٍ تسيرُ قُدُمًا نحو وضع حدٍّ لهذه الأزمة، عبر تفاهُماتٍ استراتيجيَّةٍ وتوافُقٍ سياسيٍّ، يُنقذُ ليبيا منْ تبعات الصِّراع الممتدِّ.

*****

الأزمة اليمنية: بين الاهتمام الأمريكي والمبادرات وتطور المواقف على الأرض

نبيل علي*

مقدمة:

يحاول هذا التقرير تتبع وعرض الجديد في الأزمة اليمنية خلال النصف الأول من العام الحالي ٢٠٢١، والتقرير حين يذكر الأزمة يعني الحرب الدائرة منذ سيطرة جماعة أنصار الله الحوثي على العاصمة اليمنية صنعاء في سبتمبر ٢٠١٤م والتي أعقبها تدخل سعودي لإجبارها على التراجع، وهو ما أدى لتفاقم الوضع ليصبح اليمن موضع حرب بين دول وجيوش وميليشات وجماعات وأحزاب؛ كلٌ يحاول أن ينفذ رؤيته ويحمي مصلحته، ولذلك فالتقرير حين يذكر الأزمة يعني هذه الحرب.

التطور الأهم خلال النصف الأول من هذا العام يتمثل في وجود إدارة جديدة في الولايات المتحدة الأمريكية لديها رؤية جديدة للأزمة اليمنية تتمثل في محاولة تسويتها بالأساس، ولذلك يمثل الاهتمام الأمريكي محور الدراسة الأول والأساس، ويتناول المحور الثاني المبادرات المطروحة خلال هذه الفترة والتي يبدو أنها تتناغم بشكل كبير مع المساعي الأمريكية لتسوية الأزمة، وبين هذه وتلك يتناول المحور الثالث تطور المواقف على الأرض خلال هذه الفترة ومدى تأثيرها وتأثرها بالتغير في الموقف الأمريكي والمبادرات المطروحة.

أولًا– الاهتمام الأمريكي: الطبيعة والأثر

(١) دواعي وتطور الاهتمام الأمريكي باليمن

"لماذا تهتم أمريكا باليمن؟"، سؤال يمكن الإجابة عنه بالإشارة إلى أن اليمن من الناحية الجغرافية؛ يشرف على مضيق باب المندب ذي الأهمية الاستراتيجية الاقتصادية والأمنية، ويقع على الحدود الجنوبية بالنسبة للمملكة العربية السعودية التي تمثل أحد أهم –إن لم يكن أهم– حلفاء الولايات المتحدة في الإقليم. ورغم الانفصال الجغرافي، فإنه قريب ومتصل عبر البحر بواحد من أهم – إن لم يكن أهم– الأعداء في الإقليم وهو الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ويمثل مساحة مهمة لتوسيع نفوذها الذي تسعى الولايات المتحدة وصديقتها السعودية لتحجيمه.

ومن الناحية الأمنية يمثل اليمن مقرًا لتنظيم القاعدة صاحب عملية استهداف المدمرة الأمريكية يو إس إس كول في ١٢ أكتوبر ٢٠٠٠ بينما كانت ترسو على ميناء عدن اليمني ونتج عنها مقتل ١٧ بحارًا أمريكيا، وصاحب هجمات ١١سبتمبر ٢٠٠١ على برجيْ التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الحدث الذي مثَّل البداية لمساعٍ كبيرة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية لما أسمته "الحرب على الإرهاب" والذي ما يزال ساريًا لم يتبدل بغيره من التحديات حتى الآن، وبعد ٢٠٠٩ تزايد القلق الأمريكي من اليمن مع اتحاد تنظيم القاعدة في اليمن والسعودية تحت مسمى "تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية". واليوم تمثل اليمن خطورة أمنية جديدة تتمثل في كونها منصة لإطلاق الصواريخ تجاه المملكة العربية السعودية.

بدأت الأزمة موضع الدراسة في أواخر عام ٢٠١٤ خلال إدارة الرئيس باراك أوباما، ومع التدخل السعودي في مارس ٢٠١٥ كان موقف إدارة أوباما تجاهها واضحًا فجاء في بيان المتحدث باسم مجلس الأمن القومي برناديت ميهان حول الوضع في اليمن: "تنسق الولايات المتحدة بشكل وثيق مع المملكة العربية السعودية وشركائنا في مجلس التعاون الخليجي بشأن القضايا المتعلقة بأمنهم ومصالحنا المشتركة. دعمًا لتحركات دول مجلس التعاون الخليجي

* باحث في العلوم السياسية.

للدفاع ضد عنف الحوثيين، أذن الرئيس أوباما بتوفير الدعم اللوجستي والاستخباراتي للعمليات العسكرية التي يقودها مجلس التعاون الخليجي. بينما لا تقوم القوات الأمريكية بعمل عسكري مباشر في اليمن لدعم هذا الجهد، فإننا نقوم بإنشاء خلية تخطيط مشتركة مع المملكة العربية السعودية لتنسيق الدعم العسكري والاستخباراتي الأمريكي، وستواصل الولايات المتحدة مراقبة التهديدات الإرهابية التي تشكلها القاعدة في شبه الجزيرة العربية عن كثب، وستواصل اتخاذ الإجراءات اللازمة لعرقلة التهديدات المستمرة والوشيكة للولايات المتحدة ومواطنيها. نحث الحوثيين بشدة على الوقف الفوري لأعمالهم العسكرية المزعزعة للاستقرار والعودة إلى المفاوضات كجزء من الحوار السياسي"[١].

ورغم أن إدارة أوباما كانت ترى ضرورة أن تركز السعودية جهودها على الحرب ضد تنظيم "داعش" في العراق وسورية، فضلا عن تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية، والذي يتخذ من اليمن مقرًا له، وضرورة إيجاد "حل سياسي" في اليمن "يسمح بإعادة السلام". إلا أنها اضطرت إلى مسايرة السعودية في اليمن لتخفيف مخاوفها من الاتفاق النووي مع إيران صيف ٢٠١٥، وتوظيف الحزب الجمهوري في الكونغرس ذلك ضد الإدارة[٢]. وبحلول عام ٢٠١٦، تراجعت إدارة أوباما عن تقديم بعض الدعم الأمريكي للتالحف وأوقفت صفقة بيع أسلحة أعد لها من قبل.

جاء دونالد ترامب فأنفذ صفقة بيع الأسلحة، وقدم للرياض كل المساعدات الاستخباراتية والمادية التي طلبتها متجاهلا الانتقادات الدولية والحقوقية للأوضاع الإنسانية المترتبة على الحرب هناك، وكان دونالد ترامب قد استخدم حق النقض "الفيتو" ضد قرار من الكونغرس بتوافق أغلبية من الحزبين الجمهوري والديمقراطي عام ٢٠١٩، ينص على إنهاء الدعم الأميركي العسكري للسعودية والإمارات في حرب اليمن، وتذرَّع ترامب حينها بأن ذلك القرار يتعدى على سلطاته الدستورية ويُعرِّض الأمن القومي الأمريكي للخطر. كما استخدم وزير خارجيته مايك بومبيو "سلطة الطوارئ" في العام نفسه لتجاوز اعتراضات الكونغرس على صفقة أسلحة للسعودية بقيمة ثمانية مليارات دولار احتجاجًا على الانتهاكات في اليمن، وقتل المعارض السعودي الصحفي جمال خاشقجي في قنصلية بلاده في إسطنبول عام ٢٠١٨، لكن بومبيو اعتبر أن الصفقة مهمة للتصدي للتهديدات الإيرانية[٣].

وعلى جانب آخر توسعت الولايات المتحدة تحت رئاسة ترامب في حربها على القاعدة وداعش في اليمن، فقد وافق الرئيس ترامب على غارة للقوات البحرية في اليوم الخامس له بالبيت الأبيض، معلنًا أنّ أجزاء من اليمن تمثل ‘‘مناطق أعمال عدائية نشطة’’، مما جعلها بحكم الواقع مناطق حرب. وتوسَّع في عدد العمليات الجوية وعمليات الطائرات من دون طيار، مما ضاعف عدد الهجمات الأمريكية في اليمن لأكثر من أربعة أضعاف، فارتفعت من ٣٢ غارة في السنة الأخيرة من إدارة أوباما إلى ١٣١ غارة خلال السنة الأولى لإدارة ترامب. وبحلول منتصف عام ٢٠١٨ عادت إدارة ترامب إلى معدل الأرقام التي رافقت عهد أوباما، حيث نفذت ٣٦ غارة معترفًا بها خلال العام نفسه، ولم تحدث أيّة غارة خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام، ومن غير الواضح إذا ما كان ذلك تحولا في السياسة الرئاسية (على غرار خفض عدد الجنود في أفغانستان وإعلان الانسحاب من سوريا) أم

---

(١) انظر الآتي:

- Statement by NSC Spokesperson Bernadette Meehan on the Situation in Yemen, The White House Office of the Press Secretary For Immediate Release, March 25/2015, Accessed: 25 May 2021 https://bit.ly/3cRnHXw

– أوباما أجاز الدعم لعملية "عاصفة الحزم" بقيادة السعودية في اليمن، موقع بي بي سي العربي، بتاريخ ٢٦ مارس ٢٠١٥، متاح عبر الرابط التالي: https://bbc.in/3cUbOjI

(٢) قرار بايدن وقف الدعم الأميركي "للعمليات الهجومية" السعودية في اليمن: الحيثيات والدوافع، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١١فبراير ٢٠٢١، تم الاطلاع في ٢٨مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3qhgp4T

(٣) المرجع السابق.

أنّ الولايات المتحدة ببساطة افتقرت عام ٢٠١٨ إلى خارطة الأهداف التي كانت تمتلكها عام ٢٠١٧.

ورغم ذلك الدعم الذي قدمته إدارة ترامب للسعودية والتحالف وذلك التوسع الكبير في الحرب على القاعدة وداعش في اليمن فإن الولايات المتحدة آنذاك تؤكد –ولو من منطق الدبلوماسية– أنه حينما يتعلق الأمر بحرب التحالف العربي بقيادة السعودية ضد الحوثيين في اليمن فإن الولايات المتحدة ليست "طرفًا في النزاع" بل هي تساعد فقط حليفين رئيسيين لها(٤).

(٢) إدارة بايدن وأزمة اليمن:

كان آخر قرارات إدارة ترامب فيما يخص حرب اليمن هو تصنيف الحوثيين كجماعة إرهابية، ثم جاءت إدارة الرئيس بايدن لتعلن القطيعة مع إدارة ترامب وتعيد السياسة في اليمن لوضع يعتمد بشكل أكبر على دبلوماسية الولايات المتحدة وقوتها الناعمة ويعيد لها مكانتها كفاعل متعالٍ يفرض السلام ويحفظ في الوقت نفسه أمن شركائه؛ فأعلن جو بايدن قرارًا يقضي بـ "إنهاء كل الدعم الأميركي للعمليات الهجومية للحرب في اليمن، بما في ذلك مبيعات الأسلحة ذات الصلة" لكل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. وتسعى إدارة بايدن إلى إيجاد حل دبلوماسي للصراع، وذلك التزامًا بتعهده خلال حملته الانتخابية بوقف الدعم الأميركي للحرب، التي قال إنها "خلقت كارثة إنسانية واستراتيجية". وإثر قرار بايدن، أعلن المتحدث باسم وزارة الدفاع الأميركية "جون كيربي" أن الوزارة أنهت كل "الدعم المحدود وغير القتالي" الذي كانت تقدمه الولايات المتحدة الأميركية "لعمليات التحالف (في اليمن)، والتي تشمل معلومات استخبارية وبعض الاستشارات"، والتي تتعلق غالبًا بتحديد الأهداف وتقديم دعم لوجستي(٥).

ولكن هذا القرار تضمّن استثناءين: يتعلق أولهما بحماية أمن السعودية من "الهجمات الصاروخية، وضربات الطائرات من دون طيار، وتهديدات أخرى من القوى التي تسلحها إيران في عدة دول". ولذلك شدّد بايدن على أن إدارته ستواصل "دعم المملكة العربية السعودية ومساعدتها في الدفاع عن سيادتها وسلامة أراضيها وشعبها". أما الاستثناء الثاني فيؤكد أن القرار في اليمن لا يشمل "الجماعات الإرهابية"، كتنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، والتي ستستمر الولايات المتحدة في استهدافها.

ومن أجل تسهيل السلام أعلنت وزارة الخارجية الأميركية أنها ستلغي تصنيف الحوثيين "منظمةً إرهابية"؛ وهو القرار الذي اتخذته إدارة ترامب في يناير ٢٠٢١، وأثار حينها اعتراض الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة؛ لأنه يُعقّد جهود تقديم المعونات لبلد يعاني أسوأ كارثة إنسانية في العالم، وفقًا للأمم المتحدة. ولتأكيد الدفع نحو السلام قال بايدن: "طلبت من فريقي المشرف على ملف الشرق الأوسط دعم مبادرة الأمم المتحدة لفرض وقف لإطلاق النار وفتح القنوات الإنسانية واستئناف محادثات السلام المتوقفة منذ فترة طويلة" و"سيتم تعزيز الدبلوماسية من خلال عمل الوكالة الأميركية للتنمية الدولية USAID لضمان وصول المساعدات الإنسانية إلى الشعب اليمني". ومن أجل تنسيق الجهود والأهداف الدبلوماسية الأميركية الجديدة، أعلن بايدن تعيين الدبلوماسي، تيموثي ليندركينغ، مبعوثًا أمريكيًا خاصًا إلى اليمن.

إجمالا تقوم مقاربة بايدن على أربعة عناصر أساسية:

أولا؛ إنهاء الدعم الأمريكي للعمليات الهجومية في اليمن، بما في ذلك مبيعات الأسلحة التي تستخدمها السعودية والإمارات في الحرب. ثانيًا؛ الاستمرار في دعم السعودية والدفاع عنها أمام التهديدات الإقليمية، خصوصًا تلك التي يكون مصدرها إيران ووكلائها في المنطقة. ثالثًا؛ الدفع في اتجاه حل دبلوماسي للصراع باعتبار أنه "لا يوجد حل عسكري للحرب في اليمن". رابعًا، إلغاء

---

(٤) غريغوري جونسن، ترامب ومكافحة الإرهاب في اليمن العامان الأولان، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، ٢١مارس ٢٠١٩، تم الاطلاع في ١يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/jRpZp

(٥) قرار بايدن وقف الدعم الأميركي "للعمليات الهجومية" السعودية في اليمن: الحيثيات والدوافع، مرجع سبق ذكره.

تصنيف الحوثيين "منظمة إرهابية"، لإفساح المجال أمام الجهود الدبلوماسية لحل الأزمة[٦].

باستثناء تعليق صفقات الأسلحة ووقف الدعم الاستخباري في اليمن، فإن قرار بايدن يبدو أنه لا يحمل تغييرًا عسكريًا كبيرًا؛ فالولايات المتحدة كانت توقفت منذ عام ٢٠١٨، أي خلال رئاسة ترامب، عن تزويد الطائرات الحربية للتحالف بالوقود في الجو، بسبب ضغوط الكونغرس. كما لا يعني القرار أن الولايات المتحدة باتت خارج الصراع كليًا؛ إذ ستستمر من جهة في استهداف تنظيمي القاعدة وداعش في اليمن، ومن جهة أخرى – وهذا الأهم– ستُبقي على دعمها للسعودية في التصدي للهجمات الصاروخية والهجمات بطائرات من دون طيار التي تشنها جهات تدعمها إيران، وهذا ما يقوم به الحوثيون منذ سنوات[٧].

وعند النظر في هذه الاستراتيجية ذات الأركان الأربعة يتضح أنها تحقق للولايات المتحدة الأمريكية مكانتها وقيادتها للعالم؛ فهي ترعى السلام مع الجميع (العدو والصديق) وتحمي شركاءها وتحافظ على مصالحها (المملكلة العربية السعودية وأمن الخليج) وتسوي الملفات العالقة (جماعة الحوثي والملف النووي الإيراني) بالشكل الأسهل والأقرب إلى فكر القيادة الجديدة (الدبلوماسية). لكن يبقى التساؤل حول قدرة هذه الاستراتيجية على تحقيق أي نتائج على الأرض، خصوصًا أن جماعة الحوثي ردت على رفعها من قائمة الإرهاب الأمريكية بتصعيد كبير في اتجاهين:

الأول: الهجمات على السعودية؛ فمنذ إعلان الخارجية الأمريكية نيتها إلغاء تصنيف الحوثيين كجماعة إرهابية، شنوا (١٩) هجومًا في أسبوعين على السعودية، بعض هذه الهجمات كانت في ظل تواجد "ليندركينج" في السعودية بما في ذلك الهجوم على مطار أبها في ١٠ فبراير ٢٠٢١، ولذلك أصبح مُحرجًا للولايات المتحدة أن "تعلن شطب منظمة من قائمة الإرهاب وتستدير بسرعة وتدين الأنشطة الإرهابية التي تقوم بها تلك المنظمة".

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

الثاني: الهجوم في محافظة مأرب؛ في اليوم التالي لإعلان "إدارة بايدن" إلغاء تصنيفهم كمنظمة إرهابية بدأ الحوثيون هجومًا في محافظة مأرب شرقي اليمن، وهو هجوم كانت قد فشلت في إنجاز أي تقدم فيه العام الماضي رغم استمراره لعدة أشهر[٨].

ولذلك يمكن القول إن النتائج المبدئية لاستراتيجية بايدن حتى وإن كانت تضع الولايات المتحدة الأمريكية في ثوب قائد العالم والراعي الأكبر للسلام والدافع نحوه، فإنها —في ظل هجمات الحوثي بعد حذفه من قائمة الإرهاب– لا تزال قاصرة عن حماية أمن الأصدقاء والشركاء في الخليج، كما أنها لم تحقق أي نتائج في اتجاه السلام حتى كتابة هذا التقرير. وعليه فإن فاعلية هذه الاستراتيجية علي الأرض لا تزال قيد المأمول، وأي تحسن حقيقي في مسار السلام وإنهاء الحرب يتطلب قوة قاهرة ترغم الحوثي ومن معه ومن خلفه على التراجع وهذا فشل في فعله التحالف العربي بقيادة السعودية ومن خلفه الدعم الأمريكي على مدار ست سنوات مضت من الحرب، أو أنه (تحقيق السلام) سيجعل الولايات المتحدة والسعودية وحلفاءهم يخضعون لمطالب الحوثي وإيران خاصة في ظل مساعي الولايات المتحدة لتسوية الأزمة ورغبة السعودية والإمارات في إنهاء الحرب، وتوسع جماعة الحوثي على الأرض بالشكل الذي يجعلها أكثر المستفيدين في حال استمرار/توقف الحرب. أو بقولٍ آخر: إما قوة تجبر الحوثي وإيران على التفاوض الجاد من واقع كسب مطلب وترك آخر، أو قدرة على التنازل ومهارة فائقة على التفاوض من جانب السعودية والحكومة الشرعية والولايات المتحدة الأمريكية.

ثانيا– المبادرة السعودية (فرص النجاح وأسباب الفشل)

تمثل المبادرة السعودية أهم ما طرح من مبادرات خلال النصف الأول من هذا العام ٢٠٢١، وأبرز التحولات التي أعقبت

(8) The Impact of Biden's Policy on Yemen War, Abaad Studies & Research Center, 10 March 2021, Accessed: 30 may 2021, available at: https://cutt.us/TSWqI

تغير القيادة الأمريكية وتبدل رؤيتها تجاه إدارة الصراع في اليمن، ولذلك فإن تركيز التقرير يقع بالأساس عليها، ومن خلالها يتعرض لأسباب فشل المبادرات السابقة والشروط اللازمة لنجاح المطروح وما قد يُطرح من مبادرات في المستقبل.

(١) دوافع ومضمون المبادرة السعودية:

تتلاقى رغبة إدارة بايدن الذي وجَّه بفرض هدنة في اليمن، ورغبة السعودية في إنهاء الحرب التي دخلت عامها السابع دون أن تحقق أهدافها التي وضعتها المملكة وحلفاؤها وأيدتها ودعمتها فيها الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة أوباما وقتها، تتلاقى هذه الرغبات جميعًا حول وقف الحرب. ولذلك تأتي المساعي الأمريكية للسلام المتمثلة في التوقف عن دعم العمليات الهجومية للتحالف العربي على اليمن والالتزام فقط بالدفاع عن أمن السعودية والشركاء في الخليج العربي، وكذلك عملية إزالة جماعة الحوثي من قائمة الإرهاب كبادرة حسن نية من جانب الولايات المتحدة للدفع نحو التفاوض، والخطوة الثالثة تأتي من جانب المملكة العربية السعودية التي أطلقت مبادرتها لوقف إطلاق النار لتمثل تطورًا جديدًا في جانب المبادرات المطروحة منذ بداية الأزمة وحتى اليوم.

وبناء على هذه الرغبات جاءت المبادرة السعودية التي تنص على أنه: "استمرارًا لحرص المملكة العربية السعودية على أمن واستقرار اليمن والمنطقة والدعم الجاد والعملي للسلام وإنهاء الأزمة اليمنية، ورفع المعاناة الإنسانية للشعب اليمني الشقيق، وتأكيدًا لدعمها للجهود السياسية للتوصل إلى حل سياسي شامل بين الأطراف اليمنية في مشاورات بييل وجنيف والكويت وستكهولم، فإنها تعلن عن "مبادرة المملكة لإنهاء الأزمة اليمنية والتوصل لحل سياسي شامل"، والتي تتضمن وقف إطلاق نار شامل تحت مراقبة الأمم المتحدة، وإيداع الضرائب والإيرادات الجمركية لسفن المشتقات النفطية من ميناء الحديدة في الحساب المشترك بالبنك المركزي اليمني بالحديدة، وفق اتفاق ستوكهولم بشأن الحديدة، وفتح مطار صنعاء الدولي لعدد من الرحلات المباشرة الإقليمية والدولية، وبدء المشاورات بين الأطراف اليمنية للتوصل إلى حل سياسي للأزمة اليمنية برعاية الأمم المتحدة بناء على مرجعيات قرار مجلس الأمن الدولي ٢٢١٦، والمبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية، ومخرجات الحوار الوطني اليمني الشامل"[٩].

(٢) موقف الحوثيين من المبادرة:

ورغم أن المبادرة تتضمن عدة إغراءات للحوثيين أو تقدم لهم بعض التنازلات مثل فتح مطار صنعاء لبعض الوجهات الدولية والإقليمية، وإيداع الضرائب والإيرادات الجمركية لسفن المشتقات النفطية من ميناء الحديدة في الحساب المشترك بالبنك المركزي اليمني بالحديدة، إلا أن رد جماعة الحوثي كان الرفض سياسيًا والتصعيد عمليًا.

فسياسيًا؛ عقّب محمد عبدالسلام، رئيس الوفد المفاوض لدى الحوثيين في مقابلة أجراها على قناة المسيرة التابعة للحوثي قائلا: "نحن نعتقد أن مثل هذا هو محاولة لإيجاد أن السعودية تريد السلام، وهو المحاولة للتفلت من الضغوط الإنسانية الكبيرة التي تتلقاها نتيجة ما يتعرض له الشعب اليمني من حصار إجرامي وكبير، وكذلك في محاولة للهروب إلى الأمام إذا ما صحت العبارة من الاستحقاق الحقيقي نتيجة لهذا العدوان، ولهذا نحن نعتقد أن مثل هذا هو لا يمكن أن يؤدي إلى حل ولا إلى تفسير حقيقي للأزمة ولا إلى أفكار حقيقية متقدمة، ما الجديد في الأمر؟ أن يقدم مقترح طرف هو رئيسي في العدوان عليك، ثم يقول طرحناها للحل، نحن لا يحتاج منا إذنا أن يرفع الحصار وأن يوقف العدوان، لأن موقفنا دفاعي وسيستمر دفاعيا، فارفعوا الحصار"[١٠].

والتصعيد العملي؛ تمثل في عملية عسكرية أطلقتها القوات التابعة لحركة أنصار الله الحوثية بعنوان "عملية يوم الصمود الوطني" استهدفت فيها بالطائرات المسيّرة والصواريخ الباليستية

---

(٩) نشرته قناة العربية ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2ScPue3

(١٠) الحوثي يعلق على توقيت المبادرة السعودية و"رمي الكرة في ملعبهم"، CNN بالعربي (الشرق الأوسط)، ٢٣مارس ٢٠٢١، تم الاطلاع في ٢٥مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cnn.it/2Sh89p6

مناطق في العمق السعودي. ومن أبرز ما استهدفته الهجمات محطة لتوزيع منتجات البترول في مدينة جازان جنوب السعودية أدى إلى نشوب حريق في أحد خزانات المحطة من دون أن يؤدي إلى إصابات في الأرواح[١١]. وإلى جانب العمق السعودي طورت جماعة الحوثي هجماتها في الداخل اليمني في مدينة مأرب التي تمثل هدفًا كبيرًا بالنسبة للحوثي ومكسبًا كبيرًا بالنسبة لأي طرف قد يستحوذ عليها على الأرض وسيتناول التقرير دراستها بالتفصيل في الجزء الثالث الخاص بالمواقف على الأرض[١٢].

وبعيدًا عن قضية القبول والرفض فإن المبادرة تأتي كإطار تكتيكي مفهوم كاستحقاق مرحلي، فوقف الحرب نهائيًا يتطلب استحقاقات أوسع فى حال القبول بالمبادرة وإطلاق مسار جديد للتسوية. فتخفيف القيود على ميناء الحديدة ومطار صنعاء يتعاطى مع العناوين التي سبق وطالبت بها جماعة الحوثي لكن وفق ضوابط، ففتح مطار صنعاء لا يعني العودة إلى استئناف الرحلات إلى إيران أو لبنان حتى لا يعاد فتح الأجواء أمام الأولى ووكلائها الإقليميين لتوفير مزيد من الدعم العسكرى الإيراني أو عبر حزب الله للحوثي. كما أن عملية تقاسم العوائد الجمركية فى ميناء الحديدة مؤشر على التخلي عن سياسة الفصل الاقتصادي بعد نقل البنك المركزي التابع للشرعية إلى عدن. أما وقف الحرب بشكل نهائي فسيكون فى إطار اتفاقية تأتي بعد هذه الهدنة التى يفترض أن تنتج شكلا جديدًا للسلطة على الأرجح أقرب إلى اتفاق السلم والشراكة الذي سبق عرضه بالتزامن مع استيلاء جماعة الحوثي على صنعاء وتم تضمينه فى اتفاق المبادرة الخليجية.

المبادرة بهذا الشكل لا تحقق المصالح الإيرانية- الحوثية، فعلى سبيل المثال؛ فتح الأجواء أمام إيران ولبنان هو أولوية لدى هذا الفريق، وهو سياق واضح فى الدعاية الحوثية المضادة للاتفاق والتى تُصر على أن لا يكون فتح الأجواء مشروطًا إلى أي جهة، وأن المبادرة لم تتضمن شيئًا جديدًا، وبالمثل لم تحقق المصالح السعودية بل يمكن القول أنها جعلت الحوثيين كما لو كانوا دولة في مواجهة السعودية وأعطت لهم مكاسب كبيرة، لم تكن السعودية ترغب في التنازل لهم عنها سوى أملا في إنهاء الحرب وسعيًا لتبرئة الذمة أمام الرأي العام الغربي الذي تسعى السعودية لكسبه في صفها في مواجهة إيران والحوثي.

من أجل هذه الأهداف طرحت السعودية هذه المبادرة التي يُرجَّح أنها طُرِحت بالتنسيق مع الرباعي الدولي (الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا) ولذلك أصدرت تلك الدول بيانات تحذيرية وفورية لإيران والحوثيين بمجرد إطلاق هجمات على السعودية كرد على المبادرة؛ حيث اعتبرت تلك المجموعة أنها تُقوِّض جهود عملية السلام فى اليمن، كما أن هذه الأطراف -باستثناء ألمانيا- شاركت فى مناورات مشتركة فى مسارح مختلفة فى الشرق الأوسط خلال الأسبوع الماضي بالمشاركة مع السعودية، وبالتالى يمكن القول إن المبادرة السعودية هى مبادرة دولية قدمتها الرياض كاستجابة للقوى الدولية الداعية لوقف الحرب، وهو ما أكدته تلك الدول فى بيانات تأييدها للمبادرة بقولها أن السعودية أكدت على رغبتها الحقيقية فى إنهاء الحرب فى اليمن[١٣].

المبادرة لم تحقق الرغبة السعودية ولا المطالب الحوثية ولا المساعي الأمريكية، والرد عليها جاء بالمزيد من الضربات في العمق السعودي وتطوير الهجوم في الداخل اليمني على مدينة مأرب، ولذلك فإن المبادرة —ومن قبلها استراتيجية بايدن للسلام- لم تحقق المرجو منها وإنما أتت بنتائج عكسية حتى وقت كتابة هذا التقرير، لكن ما يزال الوقت مبكرًا للحكم على قدرة بايدن واستراتيجيته

(١١) نسرين حاطوم، حرب اليمن: هل تنتهي المبادرة السعودية بعد التصعيد الحوثي الأخير؟، بي بي سي – بيروت، ٢٦ مارس ٢٠٢١، تم الاطلاع في ٢٥مايو ٢٠٢١، متاح عبرالرابط التالي: https://cutt.us/pyKiP

(١٢) للمزيد حول أسباب رفض الحوثي للمبادرة انظر: عبد الباري عطوان، عشرة أسباب تَقِف وراء رفض "أنصار الله" وحُلفائهم للمُبادرة السعوديّة المُفاجئة لوقف إطلاق النّار رُغم ما تتضمّنه من تنازلات.. ما هي؟ وهذه هي قراءتنا لتطوّرات الأيّام والأسابيع المقبلة عسكريًّا وسياسيًّا، رأي اليوم، ٢٣مارس ٢٠٢١، تم الاطلاع في ٢٥مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2TNySd0

(١٣) أحمد علية، المبادرة السعودية للتسوية والاستراتيجية الإيرانية للحرب في اليمن، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتجية، ٢٨ مارس ٢٠٢١، تم الاطلاع في ٢٥مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/3Q4HW

على تسوية الأزمة اليمنية، كما أن المبادرة السعودية لم تنتهِ بعد حتى وإن كان الرد الحوثي هو الرفض العنيف.

فحراك التفاوض الدولى من جانب المبعوثيْن الأمريكي والأممي عبر الوسيط العماني مع الحوثيين وإيران ما يزال مستمرًا فى دلالة على أن القوى الدولية لم تفقد الأمل بعد، وهو ما يوفر بيئة قد تنتج تسوية وتحافظ عليها في ظل تلاقي هذه الرغبات وتلك المساعي حولها، وغياب تلك البيئة الداعمة للسلام في السنوات السابقة كان السبب الأهم –حسب تقدير الباحث– في عدم التوصل إلى تسوية للأزمة أو حل للنزاع، ولذلك فإن توفر تلك البيئة في ظل وجود الإدارة الأمريكية الجديدة في هذه الظروف المواتية يجعل التسوية ممكنة بل وقريبة ولكنها مرهونة بمرونة القيادة السعودية والإدارة الأمريكية وقدرتهما على إدارة الموقف بالشكل الذي يجعل الحوثي يفضل التسوية على الحرب. يبقى فقط تأكيد أن ما قد يحدث سيكون مجرد تسوية للأزمة وليس حلا كاملا للنزاع.

ثالثا– تطور المواقف على الأرض

في هذا الجزء يستعرض التقرير مناطق نفوذ وسيطرة كل طرف من أطراف الصراع والجديد فيها خلال النصف الأول من هذا العام، فاليمن أصبح مُقسّمًا بين الحكومة المعترف بها دوليا (حكومة الرئيس هادي)، وجماعة الحوثيين، والمجلس الانتقالي الجنوبي والقوات المشتركة، بالإضافة إلى وجود لتنظيميْ الدولة الإسلامية والقاعدة، وهذا استعراض لمناطق سيطرة وتواجد كل طرف من أطراف النزاع.

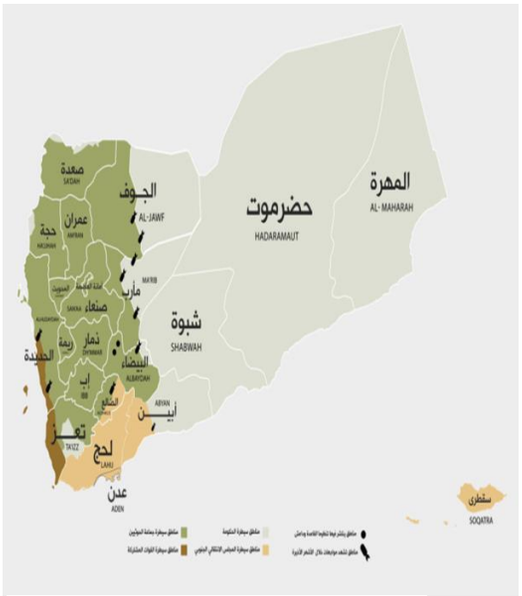

خريطة تقاسم مناطق سيطرة القوى المتحاربة في اليمن

(المصدر: الجزيرة)(١٤)

(١) تطور نفوذ أطراف الصراع:

- **الحكومة المعترَف بها دوليًا:**

بعد عشرة أعوام من الثورة اليمنية، تسيطر حكومة الرئيس عبد ربه منصور هادي المعترف بها دوليّا على الجزء الأكبر من مساحة البلاد الجغرافية، لكن معظمها أراضي صحراوية، وحاضرة في المحافظات النفطية مأرب وشبوة وحضرموت، إضافة لمحافظة المهرة.

كما تسيطر الحكومة على أجزاء من محافظات أبين والجوف، وتحضر صوريّا في عدن العاصمة المؤقتة منذ وصولها إلى المدينة أواخر يناير ٢٠٢٠ قادمة من الرياض.

ويقيم الرئيس هادي في العاصمة السعودية منذ وصوله إليها فارًا من مدينة عدن نهاية مارس/آذار ٢٠١٥، بعد أن مر بسلطنة عُمان لينجوا بنفسه من القصف الجوي الذي شنه الحوثيون وقوات صالح على قصر معاشيق .

(١٤) مراد العريفي، بعد ١٠ أعوام على ثورته.. خريطة النفوذ والسيطرة في اليمن، الجزيرة نت، ١١فبراير ٢٠٢١، تم الاطلاع في ٢٨مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3vPyBE5

- **جماعة الحوثيين:**

يُنظر لجماعة الحوثيين على أنها سبب ما آل إليه اليمن، فبعد تحالفها مع صالح الذي عاد للانتقام من ثورة فبراير، شنت حربا على قوات الجيش في محافظة عمران، واقتحمت صنعاء يوم ٢١ سبتمبر ٢٠١٤ لتهوي بالبلاد إلى جحيم الحرب. انقلب الحوثيون على الاتفاقات مع الحكومة وسيطروا على معظم المحافظات في مارس ٢٠١٥، قبل أن تقف أمامهم المقاومة الشعبية التي تشكلت من شباب ثورة فبراير وعسكريين، ليتدخل التحالف بقيادة السعودية يوم ٢٦ من الشهر ذاته.

وبعد تمددهم خارج معقلهم في محافظة صعدة شمالي اليمن، يسيطر الحوثيون على معظم محافظات شمال البلاد المكتظة بالسكان بما فيها العاصمة صنعاء ومدينة الحُديدة التي تحوي ميناءً استراتيجيّا. ورغم كون الشمال لا يتعدى نسبة الثلث من مساحة الأرض إلا أنه الأهم من الناحية الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية أيضًا، كما أن القيادة السياسية تنحدر منه منذ عقود، لذلك فإننا لا نتعامل مع خرائط صماء أو عملية حسابية مجردة تقيس الأرض أو مناطق السيطرة بالكيلومتر، وسيتضح ذلك أكثر حينما يتعرض التقرير للحرب في مأرب وأهمية المدينة لكل طرف من أطراف النزاع وما قد يمثله سقوطها في يد الحوثي أو بقائها في يد القوات الحكومية. وبالمقارنة بين وضع جماعة الحوثي التي كانت قبل بداية الحرب تتمركز في محافظة صعدة في الشمال فأصبحت اليوم وبعد ست سنوات من الحرب تسيطر على معظم المحافظات الشمالية ومرشحة للسيطرة على مساحات كبيرة أخرى في حال سقوط مأرب في قبضتها، يتضح حجم نفوذ الحوثي وخطورة توسعاته المستمرة منذ بداية المعركة.

- **المجلس الانتقالي الجنوبي:**

أُعلن تشكيل المجلس الانتقالي الجنوبي المطالِب بانفصال جنوب اليمن عن شماله منتصف ٢٠١٧ بدعم من الإمارات، وضم تحت لوائه قوات الحزام الأمني المنتشرة في محافظات عدن ولحج وأبين وجزء من محافظة الضالع، وقوات النخبة الشبوانية المنتشرة في أجزاء من محافظة شبوة، وقوات النخبة الحضرمية المنتشرة في مدن ساحل حضرموت. وفي أغسطس/آب ٢٠١٩ اندلع قتال بين قوات المجلس والقوات الموالية للحكومة، وانتهى بسيطرة الانتقالي على مدينة عدن ومعظم محافظات الجنوب.

يعترف المجلس الانتقالي بالحكومة اليمنية، غير أنه لا يسمح لها بنشر قواتها، وبعد معارك بين الطرفين خلال ٢٠٢٠، تنحصر سيطرته على مدينة عدن ومحافظة لحج وأجزاء من محافظتي الضالع وأبين بالإضافة إلى جزيرة سقطرى بعد أن فقد محافظة شبوة. ورغم عودة الحكومة إلى عدن وفق اتفاق الرياض الموقَّع بينها وبين الانتقالي أواخر ٢٠١٩، فإنها تبقى مجردة من قواتها التي يرفض الانتقالي عودتها إلى معسكراتها.

والمجلس بمناطق سيطرته وسياسة عمله يُمثل المعادِل الموضوعي للتنازع والتضارب السعودي الإماراتي في اليمن، إذ رغم أن الدولتين تنخرطان في التحالف العربي وتتفقان على مواجهة الحوثي إلا أن كلا منهما لها مشروع مختلف عن الأخرى وبالتالي أهداف مختلفة ورؤية مستقلة لإدارة الملف، وهو ما قد يصل بهما للاقتتال كما حدث في ٢٠١٩.

- **القوات المشتركة:**

في نهاية عام ٢٠١٧، أعلن الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح فك عرى التحالف مع الحوثيين لتندلع المواجهات بين قوات الطرفين في العاصمة صنعاء التي انتهت بمقتل صالح وفرار ابن شقيقه طارق الذي قاد المعارك ضد الحوثيين. ورغم التقارير التي أكدت مقتله، فإن طارق صالح ظهر فجأة في شبوة، وبدعم إماراتي شكّل قوات ضخمة سرعان ما فرضت سيطرتها على حساب قوات العمالقة السلفية في الساحل الغربي، حيث تقدمت الأخيرة نهاية ٢٠١٨ نحو مدينة الحديدة الاستراتيجية غربي البلاد.

وتمثّل قوات المقاومة الوطنية التي يقودها طارق صالح أبرز الفصائل العسكرية المنضوية في القوات المشتركة التي تسيطر على الشريط الساحلي الممتد من مضيق باب المندب الاستراتيجي حتى مدينة الحديدة، لكن قوات طارق لا تعترف بشرعية الرئيس هادي.

وكان طارق صالح واحدا من أبرز القادة العسكريين الذين قاتلوا إلى جانب الحوثيين ضد القوات الحكومية والمقاومة الشعبية.

- **تنظيما القاعدة والدولة:**

سيطر تنظيم القاعدة على محافظة أبين جنوبي اليمن في ٢٠١٢ مستغلا ثورة فبراير قبل أن يخسر وجوده على وقع هجوم قوات الجيش، وما لبث أن عاد للسيطرة على مدينة المكلا في أبريل/نيسان ٢٠١٥ مستغلا هذه المرة انقلاب الحوثيين. وبعد عام واحد انسحب التنظيم من المكلا بعد تفاهمات أُجريت بين التنظيم وقيادات محلية سمحت بتقدم حملة عسكرية يقودها التحالف السعودي نحو المدينة. واختفت عناصر تنظيم القاعدة، لكن بين حين وآخر يعلن عن نفسه في محافظتي البيضاء وشبوة.

وبعد ظهور لافت قبل ٥ أعوام، تلاشى وجود تنظيم داعش الذي كان حاضرا في معسكرات محدودة بمحافظة البيضاء، وتراجع أمام الرفض الذي قوبل به من السكان المحليين على عكس تنظيم القاعدة(١٥).

(٢) الجديد خلال النصف الأول من ٢٠٢١:

إذا كانت هذه هي خريطة النفوذ على الأرض فما الجديد خلال النصف الأول من هذا العام ٢٠٢١؟ والإجابة تتلخص في التصعيد/استئناف الهجوم الحوثي نحو مأرب منذ منتصف فبراير ٢٠٢١، والذي كاد أن يُلحِق بالقوات الحكومية هزيمة ماحقة، لولا صمود هذه القوات ومساندة القبائل، وما تلا ذلك من تعزيزات دُفِع بها من محافظة شبوة المجاورة ومحافظات أبين وتعز والحديدة، وتحريك جبهات القتال في محافظة الجوف المجاورة لمأرب، وفي محافظتي حجة وتعز، مما أدى إلى خفض وتيرة الهجوم وتراجع التهديد مع حلول منتصف مارس/آذار ٢٠٢١. ليعود الهجوم فيشتد من جديد في بداية يونيو نحو مأرب ونحو العمق السعودي أيضًا.

ورغم كونها مدينة واحدة والحوثيون يسيطرون على عدة مدن في الشمال كما توضح الخريطة السابقة، إلا أنها تمثل واحدة من أهم مراحل ومفاصل هذا النزاع فالمدينة تحولت إلى حاضنة عسكرية واقتصادية وسياسية للحكومة المعترف بها دوليًّا، عوضًا عن العاصمة صنعاء التي يسيطر عليها الحوثيون أنفسهم، وعن مدينة (ميناء) عدن، التي تخضع للمجلس الانتقالي الجنوبي (انفصالي)، على الرغم من تمركز الحكومة فيها امتثالا لاتفاق الرياض عام ٢٠١٩، ومن الناحية العسكرية؛ تتمركز في مأرب القيادة العليا (الفعلية) للقوات المسلحة ممثلة بوزارة الدفاع ورئاسة هيئة الأركان العامة وهيئات ودوائر الإدارة والتنظيم والمالية والسيطرة والدعم اللوجستي للقوات، علاوة على ما يمثله جوار مأرب الجغرافي لمحافظة صنعاء من تهديد للمعقل السياسي للحوثيين (العاصمة صنعاء)، وكل ذلك يستدعي القضاء عليه، مع ما يترتب على نتائجه من كسر لنسق الدفاع الأول عن محافظتي شبوة وحضرموت اللتين تُشاطئان المحيط الهندي وتتمركز فيهما حقول وموانئ تصدير النفط والغاز.

فلم يتبقَ للحكومة المعترف بها دوليًّا، من سيطرة فعلية في المحافظات الشمالية سوى مأرب وتعز، غير أن مأرب تبرز فيها ملامح الدولة، في تماسك سياسي وعسكري قلَّ نظيره في المناطق المحررة، أما مناطق سيطرتها في الجوف والحُديدة وحَجة وصعدة فمحدودة، وتحيط بها ظروف سياسية وعسكرية معقدة.

وبالإضافة إلى ذلك تتحكم مأرب في شبكة الطرق الرابطة بين شبوة وحضرموت والمهرة، والمؤدية إلى عُمان والسعودية، كل ذلك ظل دافعًا ثابتًا ومؤجلا للحوثيين للسيطرة على مأرب، منذ سيطرتهم على صنعاء عام ٢٠١٤، ولما تمثله كذلك من مصادر مالية غزيرة، بجانب عوائد النشاط التجاري الناتج عن الكثافة السكانية (نحو مليون نسمة)، وما يمكن أن ينجم عن جذب رؤوس الأموال إليها(١٦).

رغم أن القوات الحكومية حققت نطاقات أوسع في جبهات القتال في تعز وحجه وقوات الحوثي حققت تقدمًا طفيفًا في مأرب

(١٥) للمزيد حول تقسيم المناطق على الأرض انظر: المرجع السابق.

(١٦) علي الذهب، تصعيد الحرب ومبادرات السلام في اليمن: الأبعاد والسيناريوهات، مركز الجزيرة للدراسات، ٣١مارس ٢٠٢١، تم الاطلاع في ١٠يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Raswr

إلا أنها لم تنجح بعد في السيطرة عليها ولا تزال مأرب جبهة القتال الأشد عنفًا والأعلى قيمة لطرفي النزاع، ففي حال تمكنت قوات الحوثي من السيطرة عليها فإنها بذلك تكون اقتلعت أهم معاقل الحكومة الشرعية في الشمال وكسرت أقوى خطوط دفاعها، ووسعت من ناحية ثانية من دوائر الاشتباك مع السعودية في حال سيطرت بعدها على مدينة الجوف وهي أقل أهمية من مأرب غير أنها تمس الحدود السعودية مباشرة، وعندها سيكون من الأفضل للسعودية أن تعترف –استجابة لإكراهات الواقع– بالسلطة الحوثية على اليمن أو على الأقل في نصفه الشمالي وستقبل حينها بأي اتفاق من شأنه أن يضمن أمن حدودها ويخلصها من ويلات الحرب. أي أنه إذا سيطر الحوثي على مأرب يكون قد فاز بالحرب كليًا لأنه لا توجد جبهة أخرى قوية يمكنها الوقوف أمام توسعاته وسيتفرغ بعدها للمجلس الانتقالي في عدن وقوات طارق صالح (القوات المشتركة) في الشريط الساحلي.

وفي حال استطاعت القوات الحكومية ومن خلفها التحالف الحفاظ على المدينة فإنها تستنزف قوات الحوثي بشكل كبير، وتبقي على تهديد دائم لعاصمتهم صنعاء، وتحافظ على وجود تمركزات من عدة اتجاهات ربما تحاصر وجود الحوثي في حال تم التنسيق بينها من خلال مناطق سيطرة المجلس الانتقالي الجنوبي، والقوات الحكومية في تعز من ناحية الجنوب والسعودية وحدودها مع اليمن من أقصى الشمال، ومن الشرق مأرب وأبين وشبوه وغيرها من المحافظات التي تقع على الناحية الشرقية من مناطق سيطرة الحوثي، ولذلك فإن بقاء مأرب يمثل فرصة لاستعادة السيطرة على الأرض المفقودة، ولأنه لا توجد جبهة أخرى قوية يمكنها الوقوف أمام توسعات الحوثي فإن معركة مأرب تصبح معركة حسم تتجاوز المناورات التفاوضية لتصبح مصيرية؛ من يفوز بها قد يفوز بالحرب ومن يخسرها يخسر الحرب[١٧].

يرى الباحث أن مسألة الهجوم أو تصعيد الهجوم على مأرب يمثل تطورًا طبيعيًا لتحركات وتوسعات الحوثي على الأرض ولا يرتبط بشكل مباشر بالمبادرة السعودية ولا بالمساعي الأمريكية، لأن الهجوم على مأرب تم استئنافه ولم يبدأ بعد هذه الأحداث، فالحوثي لا يثق في المساعي الأمريكية ولا في المبادرة السعودية ويطور موقفه على الأرض بالشكل الذي يحسِّن أوضاعه، فإن تم الاتفاق على هدنة مؤقته أعاد التقاط أنفاسه وتنظيم صفوفه بما يمكنه من تطوير الهجوم بعدها، وإن تمت تسوية للقضية أجبر خصومه على الاستجابة لشروطه.

فالمبادرة السعودية والاستراتيجية الأمريكية لتسوية الأزمة تمثلان عاملا مساعدًا في هذا التصعيد يدفع نحو توسيع رقعة الأرض بالشكل الذي يجعل التفاوض من منطق قوة سواء بالنسبة لجماعة الحوثي التي تريد أن تكسر القوات الحكومية سواء حدثت تسوية أم لا، أو بالنسبة للقوات الحكومية وقوات التحالف التي لا تريد للحوثي أن يسيطر على أهم معاقلها في الشمال حتى لا تدخل المفاوضات وهي لا تملك مناطق نفوذ مؤثرة في الجزء الأهم من البلاد، غير أن الزعم بأن تطوير الهجوم الحوثي نحو مأرب يأتي استجابة أو رد فعل فقط لمبادرات السلام من أجل تعظيم المكاسب، لا يأخذ مجمل الصورة بعين الاعتبار كما أنه يتجاهل التطور الطبيعي للظاهرة قبل ذلك لحساب معالجات سريعة لا تمس جوهرها، وعليه فإن التصعيد الحوثي نحو مأرب لا يرتبط ارتباطًا عضويًا بالمبادرة السعودية وإنما هو مجرد تطور طبيعي للتوسع الحوثي المستمر ساعد في اشتعاله بشدة وجود المبادرة السعودية والمساعي الأمريكية للسلام.

خاتمة:

تناول التقرير في المحور الأول الموقف الأمريكي من الأزمة اليمنية منذ بدايتها في ٢٠١٤ وتعرض بشيء من التفصيل للجديد في ذلك الموقف خلال الأشهر الستة الأولى من العام الحالي ٢٠٢١

(١٧) في حال سيطر الحوثي على مأرب وما بعدها واستطاع أن يتوسع في الجنوب فإنه لن يستطيع طبقًا لمقتضيات الواقع اليمني أن يحكم كل اليمن ولذلك فإن الباحث يرى أن مأرب والسيطرة عليها وعلى ما بعدها تأتي لترسيخ سيطرة الحوثي على شمال البلاد وكسب الاعتراف الرسمي به، وترسيخ نموذج التقسيم لشمال يحكمه الحوثي باعتراف رسمي وجنوب تتقاسمه كل القوى الأخرى، وحينها سيتم التنازل عن المحافظات الجنوبية التي سيطر عليها الحوثي.

تحت إدارة بايدن، وانتهى إلى أن النتائج المبدئية للاستراتيجية الأمريكية لتسوية الأزمة في اليمن تُظهِر الولايات المتحدة الأمريكية بمظهر قائد العالم والدافع نحو السلام إلا أنها ما تزال حتى الآن قاصرة عن حماية أمن الأصدقاء والشركاء في الخليج، وفاعليتها على الأرض وفي الدفع نحو السلام قيد المأمول.

وفي المحور الثاني تناول التقرير الجديد في المبادرات (المبادرة السعودية تحديدًا) وانتهى إلى أنه طبقًا لرد الحوثي المتمثل في الرفض سياسيًا والتصعيد العنيف عمليًا، فإن المبادرة لم تحقق المطالب السعودية ولا المصالح الحوثية الإيرانية ولا المساعي الأمريكية، ولكنها تأتي كإطار تكتيكي مفهوم كاستحقاق مرحلي، غير أن الوقت ما يزال مبكرًا للحكم عليها خاصة في ظل تأكيد الأطراف المختلفة على استمرار التفاوض.

وفي المحور الثالث الخاص بتطور المواقف على الأرض انتهى التقرير إلى أن الهجوم الحوثي على مأرب يأتي كتطور طبيعي للتوسع الحوثي ولا يرتبط ارتباطًا عضويًا بالمبادرة السعودية ولا بالاستراتجية الأمريكية، ولكن وجودها كان عاملا مساعدًا في اشتعال القتال في هذه الجبهة شديدة الأهمية.

ولأنه لا توجد جبهة أخرى يمكنها الوقوف أمام توسعات الحوثي في حال استطاع أن يسيطر على مأرب فإن معركة مأرب تتجاوز كونها ورقة تفاوضية لتمثل معركة مصير؛ من يفوز بها يحسم الحرب ومن يخسرها يخسر الحرب.

يبقى تأكيد أن كل تلك المساعي والمبادرات تأتي فقط على سبيل تسوية الأزمة، أي إيقاف/تجميد الحرب، وليس حل أسباب النزاع وخلق بيئة داعمة للتعايش والاستقرار، لأن خلق هذه البيئة يتطلب صيغة مناسبة في توزيع الثروة وإدارة السلطة، وهذا لا يتم تحقيقه من خلال مبادرة وإنما يحتاج عملية متكاملة وجهود متواصلة لسنوات تتجذر فيها الثقة بين مختلف الأطراف داخل اليمن ويأمن فيها كل طرف على وجوده وعلى حقوقه ويسعى للحفاظ على ذلك خوفًا من ضياع مكاسبه.

*****

الرئيس المعطِّل:
مستجدات تعثر المشهد السياسي في تونس ومآلاته

رجب السيد عز الدين*

تمهيد

تشهد تونس حالة من الشد والجذب بين السلطات الثلاث (الرئاسة والحكومة والبرلمان) منذ تولي قيس سعيد للسلطة في نوفمبر ٢٠١٩، وقد زادت حدة الاضطراب بينها خلال النصف الأول من العام الجاري (٢٠٢١)، كما ظهر في عدة أزمات سياسية متلاحقة، أبرزها تعطيل الرئيس للحكومة ومطالبته رئيسها بالاستقالة، ثم رفض أداء القسم للوزراء الجدد الذين حصلوا على ثقة البرلمان في إطار تعديل وزاري أجراه هشام المشيشي بالتشاور مع الكتل الحزبية الداعمة، وصولا إلى أزمة رفض ختم قانون تأسيس المحكمة الدستورية في البلاد بعد تصويت البرلمان عليه بأغلبية مريحة. كما زاد التوتر والاضطراب مع كثرة تأويل الرئيس لمواد الدستور بشكل شاذ وغريب يُستبعَد صدروه عن مثله نظرا لتخصصه في القانون الدستوري (قبل الرئاسة) مستغلا غياب المحكمة الدستورية العليا، حتى وصل الأمر بالرئيس إلى تأويلات عبثية حول مفردات المدني والعسكري، إضافة إلى مسائل أخرى تتعلق بمعاني الآجال الزمنية الواردة في بعض مواد الدستور ومدى إلزاميتها، وما يترتب عليها من واجب ختم الرئيس للقوانين ونشرها في الجريدة الرسمية وخلافه.

تتخلل هذه المواقف، تصريحات رئاسية حادة في مناسبات مختلفة، يتلخص مضمونها في تسفيه البرلمان والأحزاب والقانون والدستور والمؤسسات المنتخبة، والهجوم على من يسميهم الفاسدين والمنافقين والمتلونين دون تعيينهم، وصولا إلى التهديد بإمكانية لجوئه إلى اجراءات استثنائية وفرض حالة الطوارىء العامة في البلاد. كما يتزامن ذلك كله، مع رفض الرئيس لكل دعوات مقابلته أو الجلوس معه للتحاور من قِبل رئيس البرلمان، ورئيس الحكومة، ورؤساء الكتل والأحزاب الكبرى في البرلمان، الذين يلحون على طلب مقابلته والحوار معه سرا وعلانية دون جدوى أو حتى الرد على طلباتهم.

أمام هذه الحالة يبدو المشهد السياسي في تونس في حالة تعطل جزئي قد ينزلق إلى انسداد سياسي كامل بين السطات الثلاث، بسبب مواقف الرئيس التي تبدو خارج قواعد السياسة والقانون معا، فلا هو يريد الحوار أو التفاوض أو الجلوس مع الأحزاب المنتخبة للتشاور في الأمور الخلافية، ولا هو يريد ختم القوانين أو أداء الوزراء الجدد للقسم أو إنشاء المحكمة الدستورية، ولا هو كذلك يريد ممارسة الاعتراض عبر الآليات المتاحة في الدستور (حق رد البرلمان أو المبادرة بمشروعات قوانين أو اللجوء للاستفتاء الشعبي). كل ما يفعله الرفض والاستنكار والتهديد بإمكانية الانقلاب على المسار برمته بدعم من أحزاب الأقلية في البرلمان.

انطلاقا من هذا التوصيف المجمل، تسعى هذه الورقة إلى رصد معالم ظاهرة "الرئيس المعطِّل" في الحالة التونسية، وذلك من خلال عدة مشاهد نماذجية معبرة عن طريقة تفاعل الرئيس قيس سعيد مع المشهد السياسي برمته ومكوناته (برلمان–حكومة–أحزاب)، ثم تحليل دلالات هذا المشاهد ومآلاتها بالنسبة لمستقبل المسار الديموقرطي الوليد في تونس.

المشهد الأول: الرئيس ينقلب على رئيس حكومته؟!

أقرت الأحزاب التونسية نظاما شبه برلماني في دستور ٢٠١٤، مع بقاء منصب الرئاسة بصلاحيات محدودة تختص بشئون

* باحث في العلوم السياسية.

الدفاع والسياسة الخارجية على وجه التحديد، وعلى هذا صار تشكيل الحكومة وإقالتها من اختصاص البرلمان، يشكلها الحزب الأكبر منفردا في حالة حصوله على الأغلبية المطلقة أو مع غيره في حالة تشتت الأصوات. وفي حالة فشل الحزب الأكبر في بناء تحالف يضمن التصويت على الحكومة في البرلمان بأغلبية (٥٠+١)، فقد أعطى الدستور صلاحية للرئيس في تكليف شخصية أخرى أجدر على تشكيل الحكومة يختارها من بين ترشحيات ترسلها الأحزاب المنتخبة أو من غيرها، على أن تكون الكلمة الفصل في تمرير الحكومة للمرة الثانية للبرلمان أيضا، لكن إذا لم تحصل على الأغلبية المطلوبة، يحق للرئيس إصدار قرار بحل البرلمان، والدعوة لانتخابات تشريعية مبكرة في غضون ستين يوما.

لم تمر أسابيع على أول انعقاد للبرلمان بعد انتخابات نوفمبر ٢٠١٩، حتى اندلعت أزمة التشكيل الأول للحكومة برئاسة (الحبيب الجملي) وانتهت بعدم حصولها على الأغلبية المطلوبة في البرلمان بعد شهرين من مفاوضات ماراثونية هزلية غير مسؤولة مع كتلة التيار الديمقراطي (ثاني أكبر كتلة[١]). احتدم الجدل بعد ذلك حول تشكيل الحكومة الثانية بعد أن كلف رئيس الجمهورية شخصية من خارج ترشيحات الأحزاب الكبرى (إلياس الفخفاخ)، لينتهي المطاف بعد شهرين آخرين من المفاوضات إلى تشكيل حكومة بالإكراه ابتلعتها الأحزاب الكبرى خشية حل البرلمان في حال تعثر مرورها، ثم لم يكد يمر ستة أشهر على مرورها، حتى عاودت الأحزاب المكرهة على سحب الثقة منها بعد الكشف عن شبهات تضارب مصالح طالت شركة يساهم فيها رئيس الحكومة.

انفجر الجدل مرة أخرى حول تشكيل الحكومة الثالثة، بسبب تكليف رئيس الدولة لشخصية أخرى من خارج ترشيحات الأحزاب الكبرى (هشام المشيشي الذي شغل وزير الداخلية في حكومة الفخفاخ[٢]). كان من اللافت للنظر في هذه المرة، ارتباك رئيس الجمهورية بعد ترشيح المشيشي بأسابيع، حتى أنه طلب من رئيس حركة النهضة، عدم التصويت له في البرلمان والعودة مرة أخرى إلى حكومة الفخافخ المسحوب منها الثقة بعد تعديلها، مع وعد رئاسي بعدم تنفيذ التهديدات الرئاسية المتكررة حول حل البرلمان[٣]. كان هذا الطلب غريبا ومريبا، فالرئيس هو من اختار المشيشي بشخصه وعينه، دون اعتبار لترشيحات الأحزاب الكبرى للمرة الثانية، ثم بعدها بأسابيع يلح على نفس الأحزاب بعدم منحه الثقة في البرلمان!

قوبل طلب قيس سعيد بالرفض من حزبين رئيسين (النهضة وقلب تونس) ثم لحق بهم ائتلاف الكرامة وبعض الكتل الصغيرة، وحصل المشيشي على الثقة بأغلبية برلمانية مريحة قاربت ثلثي الأعضاء، رغم تشكيل حكومته كلها من المستقلين. لخَّص هذا المشهد أزمة عميقة في الحالة التونسية، تتعلق بالنزوع نحو الصبيانية والتعامل غير المسؤول من أعلى رأس في السلطة، وصولا إلى بعض أحزاب الأقلية في البرلمان، من الذين اعتادوا افتعال الأزمات، وممارسة تعطيل جلسات البرلمان مرارا وتكرارا (لم يقتصر التعطيل على الجلسات العامة بل وصل إلى عمل اللجان المتخصصة).

المشهد الثاني: أزمة حلف اليمين: الرئيس يعطل الحكومة؟!

من هنا بدأت الأزمة، وصار التوتر عنوانا للعلاقة بين الرئيس قيس سعيد وهشام المشيشي رئيس الحكومة الحاصلة على ثقة البرلمان ودعم حزام حكومي واسع لأول مرة منذ عام ٢٠١٩، إلى

(١) للمزيد حول تركيبة البرلمان التونسي الحالي، راجع الموقع الإلكتروني للبرلمان، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/6hE44Nm

(٢) راجع: الرئيس التونسي قيس سعيد يكلف هشام المشيشي بتشكيل حكومة جديدة، منشور على موقع بي بي سي البريطاني، بتاريخ ٢٥ يونيو ٢٠٢٠، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/nnZSWJp

(٣)راجع: القروي: سعيد طلب من النهضة وقلب تونس إسقاط حكومة المشيشي، منشور على موقع المراقب التونسي، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/fnZDsxE

وراجع أيضا: عياض اللومي: سعيد يعرض على الغنوشي إسقاط المشيشي والإبقاء على الفخفاخ، منشور على موقع شبكة تونس الآن، بتاريخ ٣٠ أغسطس ٢٠٢٠، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/BnZDi4y

أن وصلنا إلى أزمة التعديل الوزاري، التي سبقتها إقالة وزير الداخلية (المحسوب على الرئيس[٤])، حتى انفجر قيس سعيد معلنا رفضه لجوء المشيشي للبرلمان لإجراء التعديل، بينما تمسك المشيشي بأحقية البرلمان وفقا لقواعد النظام شبه البرلماني الذي أقره الدستور. بدأ الأمر بالكلام عن أن ذلك ليس من صلاحيات البرلمان، وإنما من اختصاصات رئيس الحكومة بالتشاور مع الرئيس، ثم تطور الأمر إلى كلام مبهم عن فساد أربعة أو خمسة وزراء من أصل (١٢) وزيرًا جرى التصويت على استبدالهم في البرلمان بأغلبية أكثر من مريحة أيضا. ثم تطور الأمر إلى رفض الرئيس أداء القسم للوزراء الجدد، واضطرار المشيشي إلى العمل بحكومة مصغرة حتى تاريخه (١٥ يونيو ٢٠٢١)، في ظل أزمة كورونا، وتدهور الأوضاع الاقتصادية والمالية في البلاد[٥].

ظل الرئيس متمسكا بأن من حقه رفض استقبال الوزراء الجدد، مع تشديده على أن عدم أداء اليمين ليس بروتوكوليًّا ولا بد منه لبدء عملهم، وإلا صارت كل قراراتهم باطلة ويجوز الطعن عليها، الأمر الذي أثار جدلا دستوريا حول مسألة أداء اليمين ودرجة إلزاميتها من الناحية القانونية. لجأ المشيشي للقضاء الإدارى على أمل استخلاص حكم لصالحه ضد الرئيس، فرد القضاء بعدم الاختصاص[٦]، ثم لجأ إلى الهيئة الوقتية لمراقبة دستورية القوانين (بديل المحكمة الدستورية لحين إنشائها)، فذهبت في نفس الاتجاه ونأت بنفسها عن حسم صراع بين رأسيْ السلطة التنفيذية ممتد منذ شهور[٧]، الأمر الذي دفع المشيشي إلى الاستمرار بحكومة مصغرة متقلدا وزير الداخلية بالنيابة، إضافة إلى منصبه كرئيس حكومة، مع تفويض كل وزير بأقرب وزارة لمجاله لرئاستها بالنيابة إلى حين حل أزمة الوزراء المعطلين[٨].

المشهد الثالث: رسالة بالريشة والمحبرة: الرئيس خارج الزمن!

في هذه الأثناء اختفت لغة التفاوض والحوار الشفهي بين رئيس الحكومة وقيس سعيد، وسادت بينهما لغة المراسلات الكتابية التي اختارها الرئيس منذ توليه في تفاعله مع أطراف المشهد وقضاياه. أرسل المشيشي أكثر من خطاب يدعو فيه رئيس الجمهورية إلى تحديد موعد لاستقبال الوزراء الجدد لأداء مراسم حلف اليمين دون رد من الرئاسة، إلى أن كثرت المراسيل فاضطر قيس سعيد للرد في خطاب مكتوب على الطريقة القديمة (بقلم حبر على ورقة طويلة[٩]). فوجىء الجميع بالرئيس ينشر فيديو على مواقع التواصل الاجتماعي وهو يكتب الرسالة الطويلة على مهل بالريشة والمحبرة، ثم خاطب مساعدا في ديوانه، وهو يمسك بالرسالة بعد أن لفها بلفافة ملونة، وشدد عليه أن يسلمها إلى صاحب البريد على أن يخبره بأن يذهب سريعا إلى مقر رئاسة الحكومة ولا يعود إلى القصر إلا وفي يده ما يفيد التسلّم إثر التسليم.

سادت حالة هائلة من السخرية على مواقع التواصل، مشبِّهة الرئيس بالمماليك والسلاطين والأمراء القدامى، كما بدأ البعض يشكك في السلامة الذهنية للرئيس لفقدانه الإحساس بالزمان

(٤) راجع: تونس- إقالة وزير الداخلية ودعوة إلى انتخابات رئاسية مبكرة، منشور على موقع دويتشه فيله الألماني، بتاريخ ٥ يناير ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/KnZSLIM

(٥) راجع: خلافات الرئاسات الثلاث في تونس هل تتحول إلى معركة كسر عظم؟، منشور على موقع بي بي سي البريطاني، بتاريخ ٢١ أبريل ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/cnC1kjw

(٦) راجع: المحكمة الإدارية في تونس تقر بعدم الاختصاص في أزمة اليمين الدستورية، منشور على موقع جريدة الشروق المصرية، بتاريخ ١١ فبراير ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/qnC1YDt

(٧) راجع: هيئة مراقبة دستورية القوانين تؤكد عدم اختصاصها للنظر في النزاع الدستوري بين سعيد والمشيشي، منشور على موقع إذاعة شمس إف إم التونسية، بتاريخ ٢١ فبراير ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/fnC1JXV

(٨) راجع في أزمة الحكومة المصغرة: تونس: إلى أين يمضي الصراع بين المشيشي وقيس سعيد؟، منشور على موقع بي بي سي، بتاريخ ١٦ فبراير ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/enC1bx1

(٩) راجع فيديو بعنوان "مشهد إرسال قيس سعيد مكتوبا لرئيس الحكومة يثير سخرية واسعة"، على موقع يوتيوب، بتاريخ ١٦ فبراير ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/unZDDtk

والمكان،كذلك لم تسْلم خطابات الرئيس من تعرضها للسخرية اللاذعة لاستخدامه عبارات قديمة واستشهاده بعبارات دينية في غير موضعها، حتى وصل الأمر إلى إرساله كتابا إلى البرلمان استهله بتحية في غير محلها (السلام على من اتبع الهدى)، وهي جزء من آية قرآنية وردت على لسان سيدنا موسى وهارون في مخاطبة فرعون، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعملها في مخاطبة ملوك الفرس والروم من الكفار. كما ذهب الرئيس إلى تأويلات شاذة وعجيبة للدستور في رسائله وخطاباته، من ذلك تأويله لحرف الواو وما إذا كان يفيد التتابع أم التراخي، وكذلك تفسيره لعبارة تخص قيادته للقوات المسلحة، إذ اعتبر القوات المسلحة هي الجيش والشرطة، مع أن الدستور ينص على تبعية الشرطة لرئيس الحكومة المكلَّف من البرلمان (تعيينا وإشرافا وعزلا)، بينما وزارتي الدفاع والخارجية من صلاحيات الرئيس، يختار وزراءها رئيس الحكومة بالتشاور مع رئيس الجمهورية.

كذلك ذهب الرئيس إلى تفسير معنى الأجل الزمني في مادة إرساء المحكمة الدستورية بطريقة تبدو غريبة ومريبة، فقد نص الدستور على تشكيلها في غضون عام من إقراره، ولكن ذلك لم يحصل بسبب صراعات الكتل الحزبية ورغبة بعضهم (القوى العلمانية) في ترك البلاد بلا سلطة قضائية عليا تفصل في نزاعات تأويل الدستور. الآن وقد توفرت أغلبية مريحة من الحزام الحزبي الداعم للحكومة، يمكن إرساء المحكمة الدستورية، إلا أن الرئيس اعترض على ذلك بفوات الأجل، ولسان حاله قد مرت السنة وانتهت. وهذا التفسير يخلط بين الآجال المتعلقة بالحقوق والواجبات، إذ الأصل أن الآجال المتعلقة بالواجبات تسمى آجال استنهاض للقيام بالواجب، وعادة ما تنص القوانين على عقوبة أو غرامة على المقصر في أداء الواجب في أجله، كالمدين إذا قصَّر في أداء الدَيْن في موعده وفق ما يعرف (بغرامة التأخير)، أما في الشأن العام المرتبط ببناء المؤسسات العامة فلا يتصور النص على عقوبة أو غرامة؛ إذ المخاطب بها ليس شخصا طبيعيا محددًا، كما في حالة المدين المعروف بالاسم دون غيره.

خلط الرئيس الآجال ببعضها (غفلة أو قصدًا)، فأرفق بخطابه للبرلمان بعض أحكام محكمة التعقيب (وهي التسمية التونسية المناظرة لمحكمة النقض)، فيما يتعلق بالآجال المتعلقة بالحقوق وليس الآجال المتعلقة بالواجبات. وقد تصدى رئيس كتلة ائتلاف الكرامة النائب سيف الدين مخلوف للرد على الرئيس في مداخلة برلمانية قانونية حادة ذاع صيتها على وسائل التواصل الاجتماعي من فرط ما احتوت على مقدمات بديهية ودروس أولية في القانون الإداري والدستوري)[١٠].

المشهد الرابع: تسييل المعاني الصلبة: جدل المدني والعسكري في تونس؟!

تطورت الأزمة السياسية في تونس إلى حالة تشكيك واسعة في كل قواعد العمل السياسي والبرلماني المعاصر، فلم يعد ممكنا في تونس على سبيل المثال، التسليم بأحقية الحزب الحاصل على أكبر الأصوات الانتخابية في تشكيل الحكومة أو ترشيح رئيسها، بل صار هذا المعنى جدليا يقبل الأخذ والرد إلى أن توارى في زاوية النسيان على مدار العشر سنوات الماضية.

انخرط رئيس الجمهورية -إلى جانب بعض أحزاب الأقلية- في هذا المسار العبثي المشكِّك في كل المعاني والدلالات الصلبة أو المستقرة في عالم السياسة والقانون المعاصر. من أمثلة ذلك محاولة قيس سعيد تفسير مواد الدستور والقانون الخاصة بترسيم الحدود بين مفاهيم المدني والعسكري بطريقة عبثية تزيل الفوارق بين جهاز الشرطة والجيش وتضعهما في تصنيف واحد يخضع لرئيس الدولة مباشرة[١١]، كما حاول الرئيس من قبل تفسير معنى الآجال القانونية فيما يتعلق بمادة تأسيس المحكمة الدستورية في غضون عام، بطريقة تعطيلية لا تخلو من العبث. من ذلك أيضا تفسيره لحرف الواو في

(١٠) راجع: مداخلة سيف الدين مخلوف، منشورة على موقع يوتيوب، بتاريخ ٤ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/nnCKouN

(١١) راجع كلمة الرئيس في الذكرى الخامسة والستين لقوات الأمن الداخلي، منشورة على موقع يوتيوب، بتاريخ ١٨ أبريل ٢٠٢١، متاحة على الرابط التالي: https://cutt.ly/OnC0szC

رسالة إلى البرلمان باعتباره يفيد التتابع في اللغة العربية، بما يفيد في نهاية المطاف مشاغبته على تأسيس المحكمة الدستورية بعد فوات مدة العام (تأخرت ست سنوات من تاريخ إقرار الدستور). من ذلك أيضا كتابته ملاحظة في الرد على البرلمان تتعلق بتاريخ الجلسة التي جرى التصويت فيها على قانون المحكمة الدستورية (انتهى التصويت في ساعة متأخرة ليلا، بما اعتبره رئيس الجمهورية دخولا في اليوم الثاني يتوجب اعتماده كتاريخ للجلسة دون غيره).

المشهد الخامس: الرئيس يحرض على الحكومة في الخارج؟

امتدت الأزمة بين قيس سعيد والمشيشي إلى خارج البلاد، عبر وسائل مختلفة تصب في اتجاه تعطيل رئيس الحكومة عن أي زيارة خارجية على مستوى الوزراء لاسيما إلى ليبيا وفرنسا وقطر، إضافة إلى التصريح بأحاديث خارجية تحرض على الأحزاب والبرلمان والمؤسسات المنتخبة وتوحي بتفشي الفساد في البلاد بشكل عارم يضعف من جاهزيتها لجذب استثمارات خارجية[١٢]. اشتكى عدد من نواب حركة النهضة وحزب قلب تونس وائتلاف الكرامة من تحريض رئيس الجهمورية على الحكومة، وتحدث بعضهم عن معلومات تفيد تعطيل حزمة إنقاذ ماليّ كانت على وشك الإرسال من قطر لإنعاش الحالة المالية الهشة لتونس، كما تحدث آخرون عن معلومات تفيد نفس الأمر مع ليبيا[١٣]. يعترض قيس سعيد على أي أدوار خارجية يمكن أن يقوم بها رئيس البرلمان ولو كانت في صالح البلاد، كما يتعمد عدم اصطحاب رئيس الحكومة أو وزرائها إلى زياراته بالخارج لأسباب تتعلق بموقفه من هشام المشيشي والتعديل الوزاري، ويكرر الرئيس عبارات حادة ذات دلالات هامة في هذا السياق، مثل "تونس دولة واحدة، رئيسها واحد فقط، لن أسمح بابتزاز الدولة من المجرمين والعصابات[١٤]".

تشير هذه التصريحات إلى إغفال الرئيس حقائق أولية في المشهد، تتعلق بأن دستور ٢٠١٤م يجعل السلطة التنفيذية عند الرئيس وحده، بل قسمها بينه وبين الحكومة التي ترك أمرها للبرلمان ابتداء وانتهاءا، وأعطى لها صلاحيات تنفيذية واسعة للغاية مقارنة بصلاحيات محدودة للرئيس في مجاليّ الدفاع والسياسة الخارجية، لكن يبدو من تصريحات وتصرفات الرئيس أنه غير قانع بتلك الصلاحيات ويريد توسيعها من طريق سياسة فرض الأمر الواقع، وليس من طريق المبادرات التشريعية لتعديل الدستور أو تعديل القوانين، أو اللجوء للاستفتاء الشعبي على القوانين التي يعترض عليها ويصر البرلمان على تمريرها، وصولا إلى آلية الحوار والتفاوض المباشر مع الحكومة والأطراف الفاعلة في المشهد. فلا الرئيس يبادر تشريعيًّا، ولا هو يستفتي الناس على المختلَف فيه، ولا هو قابل للحوار والتفاوض مع الحكومة والأطراف الفاعلة، بل كل ما يفعله، التمرد على النظام السياسي وصلاحيات الدستور وتعطيل الحكومة وإشعال الصراع بين السلطات الثلاث في البلاد بما يؤدي في نهاية المطاف إلى إرباك الدولة وإضعافها.

المشهد السادس: عسكريون يتحدثون بالديموقراطية ومدنيون يلحون على الانقلابات؟!

إزاء انسداد المشهد السياسي، بادر عدد من العسكريين المتقاعدين (من رتب مختلفة تشمل لواءات وعقداء ورئيس أركان حرب[١٥]) بتوجيه خطاب إلى رئيس الجمهورية يدعونه إلى كسر

(١٢) راجع نموذجا من حديث الرئيس عن الفساد في الخارج، حوار مسجل مع إذاعة فرانس ٢٤، متاح على موقع يوتيوب بتاريخ ١٩ مايو ٢٠٢١، على الرابط التالي: https://cutt.ly/anCJVqz

(١٣) راجع: الهاروني: رئاسة الجمهورية سبق أن عطلت زيارتين حكوميتين إلى كلّ من قطر وليبيا، منشور على موقع ألترا تونس، بتاريخ ٣١ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/PnCHwOR

وراجع أيضا: الهاروني: ديوان رئيس الجمهورية طلب من القطريين عدم التعامل مع الحكومة، منشور على موقع إذاعة موزايك التونسية، بتاريخ ٣١ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/tnCHorI

(١٤) راجع: تونس: مَنْ المجرمون الذين حذر قيس سعيّد من سعيهم لابتزاز الدولة؟، منشور على موقع بي بي سي، بتاريخ ديسمبر ٢٠٢٠، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/0nB3Bq4

(١٥) راجع: جنرالات تونسيون متقاعدون يطلقون مبادرة "الأمل الأخير"، منشور على موقع سبوتنك نيوز، بتاريخ ٢٨ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/MnZD6Iq

حالة الاحتجاب عن رئيس الحكومة والبرلمان والأحزاب الكبرى، ويقترحون عليه إلقاء خطاب جامع للتونسيين في البرلمان، ثم فتح باب الرئاسة للحوار مع كل التيارات والأحزاب والأطراف الفاعلة في البلاد لحل الأزمة السياسية المستفحلة خاصة في ظل ظروف الوباء وتدهور الأوضاع المالية والاقتصادية للبلاد. لم يكَدْ خطاب المتقاعدين ينتشر عبر وسائل الإعلام إلا وقد فتحت عليهم أبواب جنهم من قِبل أحزاب الأقلية الملتفة حول الرئيس، والتي ما برحت تلح عليه في استخدام الجيش للانقلاب على المسار برمته، تحت ذرائع محاربة الفساد وحق الرئيس في استعمال الفصل ٨١ من الدستور فيما يتعلق بإعلان حالة الطوارىء، واتخاذ التدابير الاستثنائية اللازمة في حالة تعرض البلاد لخطر داهم يهدد تماسك الدولة ومؤسساتها. اتُّهِم المتقاعدون بالتدخل في الشأن السياسي ومحاولة الضغط على رئيس الجمهورية، كما لم يسلموا من اتهامات دعم حركة النهضة ورئيس الحكومة والحزام الحزبي الداعم لها. لقد كان من اللافت في هذا المشهد، أن يتحدث بعض العسكريين بلغة السياسة والديموقراطية والحوار ودولة المؤسسات والقانون، بينما يصر بعض المدنيين على لغة الطوارىء والانقلابات (للمفارقة هم نفس المهاجمين للمتقاعدين بأشخاصهم وأعيانهم[١٦]).

يلح التيار الديموقراطي (ثاني أكبر كتلة برلمانية) على المطالبات الصريحة بحل البرلمان وتدخل الجيش لإنقاذ البلاد منذ ديسمبر ٢٠٢٠، وخاصة بعد إسقاط حكومة الفخفاخ (التي شُكِّلت على عينه بعيدا عن الأحزاب الكبرى الأخرى)، وقد صدرت هذه التحريضات من قياديين بارزين في التيار، أبرزهم محمد عبو الأمين العام السابق، الذي طالب رئيس الجمهورية بنشر الجيش في البلاد ووضع سياسيين تحت الإقامة الجبرية وفرض القوانين فرضا ومنع الحوار مع أي حزب على الساحة[١٧]، كما طالبه بحل البرلمان استنادا إلى تفسيرات شاذة لمواد دستورية تتحدث عن حالات طارئة لا تنطبق على الوضع القائم (ليس في الدستور ما يعطي الرئيس الحق في حل البرلمان إلا إذا فشلت الأحزاب في تشكيل الحكومة مرتين متتاليتين). كررت النائبة البرلمانية عن التيار (سامية عبو زوجة الأمين العام) نفس التحريض في شهر أبريل ٢٠٢١، عندما دعت قيس سعيد إلى استعمال الجيش والقضاء العسكري في إيقاف الفاسدين ووضعهم تحت الإقامة الجبرية[١٨].لم يقتصر التحريض على الانقلاب العسكري على التيار الديموقراطي فحسب بل انضم إليه جنرالات متقاعدون[١٩]، إضافة إلى إعلاميين وبعض الشخصيات العامة.

يستغل المحرضون على الانقلابات كراهية قيس سعيد لحزب قلب تونس الذي يتزعمه رجل أعمال (نبيل القروي[٢٠]) تحوم حوله شبهات فساد وتبييض أموال إضافة إلى شبهات حول علاقته بإسرائيل[٢١]، وقد عبر الرئيس أكثر من مرة عن رفضه التحالف مع

(١٦) راجع نموذجا للحوار بين المدنيين والعسكريين حول مبادرة المتقاعدين، منشور على موقع يوتيوب، بتاريخ ٣١ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/fnZFjU5

(١٧) راجع تصريح محمد عبو حول نشر الجيش وفرض الإقامة الجبرية: "محمد عبو: يجب على رئيس الجمهورية أن ينشر الجيش"، متاح على موقع يوتيوب، بتاريخ ٨ ديسمبر ٢٠٢٠، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/VhCKKks
وراجع فيديو آخر يؤكد فيه نفس التصريحات: "محمد عبو: لم أدعُ لانقلاب..ولهذا دعوتُ إلى نشر الجيش والأمن"، منشور على موقع يوتيوب، بتاريخ ١٦ ديسمبر ٢٠٢٠، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/JhCKCAX

(١٨) راجع تصريح النائبة سامية عبو عن تدخل الجيش، منشور على موقع يوتيوب، بتاريخ ٢٦ أبريل ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/BnCNZiK

(١٩) راجع في دعوة بعض العسكريين للانقلاب: "الأميرال المتقاعد كمال العكروت يعطي الضوء الأخضر للتدخل ويصف الحياد بالتخاذل والجبن"، موقع جريدة الحرية التونسية، بتاريخ ٨ ديسمبر ٢٠٢٠، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/BhCK3xI

(٢٠) ما الذي نعرفه عن الملف القضائي للمرشح لرئاسة تونس نبيل القروي؟، موقع فرانس ٢٤ بتاريخ ٩ اكتوبر ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/yDbXQ

(٢١) راجع في علاقات نبيل القروى بإسرائيل، الآتي:

هذا الحزب سواء بشكل مباشر من خلاله أو غير مباشر (عبر مشاورات تشكيل الحكومة) مذكرا بأن مكانه السجون (تلميحا). كذلك يبدو الرئيس غاضبا من حركة النهضة لإصرارها على ضم حزب قلب تونس في كل مشاورات تشكيل الحكومات السابقة باعتبارها حزبا منتخبا من الشعب في المركز الثالث مع ترك مسألة فساده للقضاء والمحاكم. كما عبر الرئيس أكثر من مرة عن استيائه مما يجرى في البرلمان من عمليات ترذيل وتعطيل ومناوشات جانبية من كتلة عبير موسى مهددا بحل البرلمان، بتلميحات قوية متصاعدة اللهجة، ظهرت بوضوح في استخدامه عبارات من قبيل (كل الوسائل الدستورية متاحة وهناك صواريخ معدة للانطلاق[٢٢]، لن أقف مكتوف الأيدى، لن أتردد في حماية الدولة التونسية ممن يريدون إسقاطها من الداخل، لن أترك تونس للعابثين والخونة والفاسدين والمطلوبين للعدالة، أعرف مؤامراتهم وما يحيكونه في الظلام، سيأتي اليوم الذي أكشف فيه كل تفاصيل الخيانة، هناك خونة باعوا ضمائرهم بالعملات التي تتسرب من الخارج[٢٣]).

المشهد السابع: جدل تعديل الدستور والانتخابات المبكرة ومفهوم الشرعية

امتدت مناكفات الرئيس مع الحكومة والبرلمان إلى طعنه في صلاحية دستور الثورة (٢٠١٤) واتهامه بالتسبب في الأزمة السياسية الحاصلة في البلاد، من خلال الاعتراض على طبيعة النظام السياسي الذي اعتمده واضعوه (مختلط يميل إلى البرلماني)، وصولا إلى اعتراضه على الصلاحيات المحدودة للرئيس ومطالبته بتعديل الدستور أو العودة إلى دستور ١٩٥٩ الذي وُضِع في عهد الحبيب بورقيبة[٢٤]. تناسى الرئيس أن الدستور الحالي وضع بشكل توافقي مريح بين غالبية الأطراف السياسية والحزبية في البلاد؛ فقد صوت عليه ما يزيد عن ٩٠% من أعضاء المجلس الوطني التأسيسي آنذاك، كما استغرق إعداده والنقاش حوله ثلاث سنوات متواصلة منذ عام ٢٠١١ وحتى إقراره ٢٦ يناير ٢٠١٤، وحصل على تأييد ٢٠٠ عضوا من أصل ٢١٦[٢٥].

اختلط حديث الرئيس عن الدستور بجدال مفاهيمي أثاره حول مفاهيم الشرعية والمشروعية وسحب الثقة من المؤسسات المنتخبة؛ إذ يرى قيس سعيد أن من حق الشعب سحب الثقة من نواب البرلمان في حالة عدم الوفاء بوعودهم أو الانحراف عما أعلنوه في الحملات والبرامج الانتخابية. لا شك أن هذا أمر مفهوم في النظم الديموقراطية المعاصرة، ويحدث بشكل اعتيادى خلال الانتخابات التالية، إلا أن الرئيس لم يكن يقصد ذلك بسحب الثقة، بل أراد تحريض الشعب على إسقاط نواب يراهم مخادعين من ربع الطريق أو منتصفه، بما فُهِم منه أن الرئيس يدعوا الناس إلى

- وثائق وزارة العدل الأمريكية تشير لتعاقد نبيل القروي مع ضابط موساد إسرائيلي، موقع بي بي سي العربية، بتاريخ ٤ أكتوبر ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/rciSE
- وثيقة على موقع العدل الأميركي تثير سجالا حول نبيل القروي، موقع ميدل إيست أون لاين، بتاريخ ٣ أكتوبر ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/svx0q

(٢٢) راجع تهديد قيس سعيد بحل البرلمان: "قيس سعيد: كل الوسائل الدستورية متاحة لدي وهي كالصواريخ على منصة إطلاقها"، منشور على موقع يوتيوب، بتاريخ ٢٠ يوليو ٢٠٢٠، متاحة على الرابط التالي: https://cutt.ly/ahCKPu2

(٢٣) راجع نماذج من تصريحات الرئيس قيس سعيد حول المؤمرات والأحزاب والمأجورين والعملاء، على الراوبط التالية:

- https://cutt.ly/ehCKn1d
- https://cutt.ly/LhCKQbv
- https://cutt.ly/MhCKAA6
- https://cutt.ly/9hCKFuB

(٢٤) حكى ذلك نور الدين الطبوبى رئيس الاتحاد العام للشغل، راجع: الطبوبي: الرئيس اقترح العودة إلى دستور ١٩٥٩ وعرضه على استفتاء!، منشور على موقع قناة نسمة التونسية، بتاريخ ١٨ يونيو ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/yme3sh8

(٢٥) راجع: المجلس الوطني التأسيسي يصدق على دستور تونس الجديد، منشور على موقع بي بي سي البريطاني، بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠١٤، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/Hme97GB

العصيان أو التمرد على النظام السياسي برمته (ولم يتحدث الرئيس عن نفسه كمنتخب في هذه المعادلة).

كما اختلط حديث الرئيس أيضا بجدل الانتخابات البرلمانية المبكرة المثار منذ تعثر تشكيل أول حكومة بعد تولي قيس سعيد وانتخاب البرلمان الحالي (في فترة واحدة –أكتوبر، نوفمبر ٢٠١٩). ينظم الفصل ٨٩ من الدستور مسألة الانتخابات المبكرة بالنسبة للبرلمان والرئيس؛ ففي حالة فشل البرلمان في تمرير التصويت على الحكومة مرتين، يحق للرئيس حل البرلمان والدعوة لانتخابات مبكرة في أجل يتراوح بين ٤٥ و٩٠ يوم كحد أقصى، أما في حالة طلب الرئيس إسقاط الحكومة عبر البرلمان ورفض طلبه مرتين، يعتبر الرئيس مستقيلا، وتنظم انتخابات رئاسية مبكرة في غضون فترة مماثلة.

أنتجت هذه المعادلة حالة من الاضطراب و التربص الحزبي بالحكومات المتعاقبة، كما نتج عنها في المقابل حالة من التمرد الرئاسي على قواعد الممارسة السياسية خشية تبعاتها، فلا الأحزاب تريد انتخابات مبكرة ولا الرئيس يريد ذلك لنفسه. ظهرت هذه الحالة المضطربة في حكومة الفخفاخ، التي فرضها الرئيس على الأحزاب قهرا، بعد فشل تشكيل حكومة سابقة، مما اضطرها لتمرير الحكومة في البرلمان خشية حله، ثم وقع التربص بتلك الحكومة إلى أن جرى إسقاطها مع أول أزمة أطاحت بها. حصل العكس مع حكومة المشيشي التي فرضها الرئيس على الأحزاب بنفس الطريقة في أول الأمر، ثم تردد بعد خروج المشيشي عن طوعه، فأراد إسقاطها ولكن بطريقة غير دستورية؛ حيث يخشى إن تقدم للبرلمان بعريضة سحب ثقة أن تُرفَض مرتين، فيضطر للاستفتاء بما يعرِّض مصيره للخطر.

المشهد الثامن: جدل انسداد الحوار الوطني

انعكس اضطراب العلاقة بين السلطات الثلاث على مسألة الحوار الوطني الذي يبدو في حالة شبة مجمدة، رغم كثرة المبادرين إلى حلحلة الأزمة بالدعوة إلى اجتماع الرؤساء الثلاثة (قيس سعيد والمشيشي والغنوشي)، إضافة إلى الاجتماع بممثلي الكتل والأحزاب المنتخبة وممثلي الاتحاد التونسي العام للشغل (أكبر ممثل نقابي عام في البلاد). أصر الرئيس على رفض دعوات الحوار التي أطلقها رئيس البرلمان أكثر من مرة شفاهة وكتابة، كما رفض لقاء رئيس الحكومة أكثر من مرة، وصولا إلى تعليق دعوة أطلقها الاتحاد العام للشغل إلى أجل غير مسمى.

صرح قيس سعيد أكثر من مرة عن رغبته في الحوار لكن بشروط تبدو للناظر أقرب للرفض منها للقبول: استبعاد حزب قلب تونس ثاني كتلة منتخبة في البرلمان، وكذلك كتلة ائتلاف الكرامة رابع حزب منتخب؛ حيث يصف الأول بالفساد، بينما يرفض لقاء ممثلي الثاني لأسباب تتعلق بحدة خطاب التسفيه الثوري الصادر منهم تجاه رئيس الجمهورية. كما يريد الرئيس إدخال كتلة من الشباب غير المتنمي للأحزاب المنتخبة إلى طاولة الحوار الوطني بدعوى توسعة دائرة المشاركة المجتمعية في صنع القرار. ترفض الأحزاب ذلك النهج، وتراه غير مناسب في ظل حالة التعددية الحزبية المفتوحة ونظام الحكم المحلي الذي فتح آفاق المشاركة أمام الشباب وغيرهم سواء على مستوى الرئاسة أو البرلمان أو البلديات، كما تخشى الأحزاب المنتخبة من انضمام فئات شبابية تابعة للرئيس بما يهدد بفشل الحوار أو انحرافه إلى طريق مسدود.

خاتمة: مآلات تعثر المشهد وآفاق الحل:

تشير هذه المشاهد وغيرها إلى دخول المشهد السياسي التونسي في حالة عبثية تستهدف تسييل كل ما هو صلب من المعاني، وضرب كل قاعدة مستقرة من قواعد الممارسة السياسية والحزبية والبرلمانية المعاصرة وصولا إلى التشكيك في كل حركة وهمسة وحرف تصدر من أطراف المشهد انطلاقا من اعتبارات كيدية ومناكفات سياسية حادة، بما قد يؤدي إلى إضعاف أي محاولة للوصول إلى توافقات شبه دائمة تضمن استقرار المسار الديموقراطي الهش في البلاد (جرى تغيير ١٠ حكومات منذ ٢٠١٠). كما تشير المشاهد إلى اضطراب رئيس الجمهورية، ودخوله في حالة جموح مريبة، فيما يتعلق بتفاعله مع قضايا المشهد وأزماته بما يهدد

بإمكانية استغلاله من قِبل الأطراف المعادية للثورة والديموقراطية من قوى الداخل والخارج الإقليمي المتربصة بتونس منذ انتفاضة الياسمين نهاية عام ٢٠١٠.

كذلك تشير مشاهد التحريض المدني على الانقلاب، وكذلك تهديدات رئيس الجمهورية المتكررة باتخاذ إجراءات استثنائية إلى احتمالية انزلاق المشهد إلى مسارات غير متوقعة في لحظات معدودة، خاصة في ظل عدم وجود نقطة مرجعية يمكن الاحتكام إليها بين السلطات الثلاث (المحكمة الدستورية)، وكذلك في ظل حالة تعطيل البرلمان من قِبل أطراف حزبية تمارس هذا التسفيه، وفق خطة ممنهجة طويلة النفس دون قدرة على ردعهم لا من رئيس المجلس ولا من كتله النيابية ولا من رئيس الحكومة (الجميع ينتظر القضاء)، بما يعني في نهاية المطاف أن قدَر البلاد صار مرهونا بقرار مفاجيء يصدر من الرئيس في لحظة انفعال، قد تؤدي إلى إرباك المشهد وإدخاله في دوامة بمجرد صدوره، ولو كان خارج اختصاصاته الدستورية خاصة في ظل وجود ظهير مدني من أحزاب ونقابات وعسكريين ورموز سياسية متمردة على قواعد العمل الحزبي والسياسي المعاصر يتوافر لها غطاء إعلامي ودعم إقليمي متربص بالثورة والمسار الديموقراطي الوليد في تونس.

كما يشير انسداد الحوار الوطني بين أطراف المشهد (الرئيس والحكومة والبرلمان والأحزاب)، إلى حالة تخلط خطيرة في شرايين أجهزة الدولة التونسية، بما يهدد بإمكانية إصابتها بشلل جزئي أو كلي في أقرب الآجال، أو تجاوز الأحزاب للرئيس والبرلمان والعمل بشكل منفرد بعيدا عن رئيس سيظل حبيسا في قصر قرطاج، بما يهدد أيضا باندلاع أزمات أكثر اتساعا وحِدَّة بين الرئيس ومكونات السلطة التنفيذية والتشريعية وربما القضائية مع الوقت.

أمام هذه الحالة الغريبة في عالم السياسة وإدارة الحكم، تبدو سيناريوهات حل الأزمة الراهنة في تونس معقدة وذات مخاطر عالية وتكاليف باهظة في ظل أزمة كورونا، وتدهور الوضع المالي والاقتصادي في البلاد بشكل خطير للغاية. السيناريو الأول يتلخص في إرضاء الأحزاب للرئيس عبر إسقاط حكومة المشيشي (مرشح الرئيس الخارج عن طوعه)،وتشكيل حكومة جديدة. هذا الحل سيرضي الرئيس لكنه سيفجر نزاعات الأحزاب مرة أخرى بعد عناء ومناكفات ومكايدات حادة ظهرت في تشكيل وإسقاط ثلاث حكومات سابقة في غضون سنتين فقط، بما يعني أن مآل هذا الحل سيؤدى إلى مزيد من الانقسام في مشهد يسوده الاستقطاب الحاد بين مكوناته حتى أن بعضها صار ينادي ويحرض على الانقلاب العسكري صراحة كما في حالة الكتلة الديموقراطية وحركة الشعب.

الحل الثاني أن يتنازل الرئيس عن إسقاط الحكومة، ويفتح باب التفاوض مع مكونات المشهد باتجاه قضايا محددة سياسية واقتصادية واجتماعية وقانونية، بما يبشر بإمكانية الخروج من دائرة الأشخاص إلى دائرة القضايا والأزمات، وما أكثرها وأثقلها في تونس. يبدو هذا الحل أنسب لمقام الرئاسة باعتبارها تعلو على الأحزاب والانقسامات والصراعات والمناكفات، ويعززه أن الرئيس مستقل لا ينتمي لأحزاب، كما يعززه أيضا خلفيته كأستاذ جامعي في مجال القانون قبل أن يدخل إلى المنافسة الانتخابية. يعوق هذا الحل نبرة الرئيس الحادة في اتهام أطراف المشهد بالفساد والنفاق والتلون، وتهديداته المتكررة حول حماية الدولة من اللصوص والفسدة ولوبيات المصالح، بما يعني أن مصير هذا الحل قد صار مرهونا بانتصار الرئيس على نفسه والمحيطين به من بعض أحزاب الأقلية التي تحرضه على قلب المشهد برمته ولو بالقوة العسكرية.

الحل الثالث، أن يبادر رئيس الحكومة إلى إعلان استقالته لرفع الحرج عن الحزام الحزبي الداعم له، بما قد يؤدي إلى حلحلة الأزمة وفتح باب الحوار والتفاوض على تشكيل حكومة جديدة (ستكون الحكومة الحادية عشر خلال ١١ سنة بعد الثورة). وهذا الحل يعتبر أقرب الحلول وأنسبها، لكن ظروف البلاد المالية وأزمة كورونا لا تحتمله،كما أن شخصية المشيشي تبدو متزنة وهادئة

ذات قدرة عالية على التواصل مع البرلمان وأحزابه، بما يعني أنه خيار جيد يصعب التفريط فيه من قِبل أكبر الأحزاب الفاعلة في المشهد (النهضة –قلب تونس–ائتلاف الكرامة وغيرهم)؛ حيث تخشى هذه الأحزاب من الدخول في دوامة جديدة بعد إسقاط المشيشي الذي يمثل لهم (الخيار العاقل في بيئة سائلة غير مضمونة).

*****

تسوية الصحراء الغربية في نهاية ولاية الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب": الصفقة والثمن

د. محمد زيتوني*

عبير بوعكاز**

مقدمة

بعد ما يقارب أربعة عقود ونصف من النزاع اللاتماثلي بين المغرب وجبهة البوليساريو وانسداد القنوات السياسية والدبلوماسية بين الطرفين التي كادت أن تتحول إلى حرب مسلحة، خصوصا بعد استقالة المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة هورست كوهلر في ٢١ مايو ٢٠١٩ وأحداث معبر الكركيت في ١٣ نوفمبر ٢٠٢٠. جاء قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في ١٠ ديسمبر٢٠٢٠ الذي تعترف فيه الولايات المتحدة الأمريكية بسيادة المغرب على الصحراء الغربية، والذي تزامن مع إعلان إقامة علاقات بين المغرب والكيان الإسرائيلي وفتح القنصلية الأمريكية في مدينة الداخلة. كل هذه التطورات حركت المياه السياسية الراكدة في هذه القضية؛ وجعلتها تعود لتطفو على السطح على المستوى الدولي.

هذا القرار الذي يعد تحولًا واضحًا في سياسات الولايات المتحدة الأمريكية المتبعة في هذه القضية، والتي لطالما اتَّسمت بعدم إفساد العلاقة مع الحلفاء "المغرب" و"الجزائر". وما يدلُّ على هذا حرص ومحاولة المبعوثين الأمريكيين التوفيق بين موقف الطرفين بشأن هذه القضية؛ كون اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بمغربية الصحراء أمر لا يخدم أهدافها الاستراتيجية في المنطقة.

وانطلاقًا ممَّا سبق يمكن اعتبار قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تحولًا في موقف الولايات المتحدة الأمريكية في هذه القضية –حتى وإن جُمِّدَ من طرف الإدارة الجديدة برئاسة جو بايدن فإنه لن يلغيه– سيترتَّب عنه تبعات على مستوى طرفي النزاع "البوليساريو والمغرب" وعلى المستوى الإقليمي في المنطقة.

إذن كيف سيؤثر الاعتراف الأمريكي بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية على مسار القضية الصحراوية وعلى استقرار المنطقة؟

سيحاول هذا التقرير الإحاطة بالموضوع من خلال التطرُّق لنقاط التالية:

أولًا– دوافع وسياقات الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء.

ثانيًا– التداعيات السياسية والقانونية للاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء.

ثالثًا– ردود الفعل الإقليمية والدولية الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء.

رابعًا– تبعات الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء على المستوى الإقليمي.

خامسًا– موقف الإدارة الأمريكية الجديدة من قرار الاعتراف بمغربية الصحراء.

أولا– دوافع وسياقات الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء

قام الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" في ١٠ ديسمبر ٢٠٢٠ بالتوقيع على إعلان[١]؛ بموجبه تعترف الولايات المتحدة الأميركية

* أستاذ محاضر بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة– الجزائر.

** متخصصة في العلوم السياسية.

(١) قرار ترامب لم يعد موجودا على موقع البيت الأبيض، فالبحث عن اسم القرار على موقع البيت الأبيض وفي موقع الأرشيف المبينان أسفله يؤدي إلى علامة Error 404. كذلك تغريدات ترامب التي صرح فيها عن إقراره بمغربية الصحراء، انظر هذا الرابط: https://cutt.us/Fa95x

بسيادة المغرب على الصحراء الغربية[٢] المتنازع عليها بين المغرب وجبهة البوليساريو منذ سبعينيات القرن الماضي. بموازاة هذا الاعتراف أعلن تطبيع العلاقات بشكل كامل بين المملكة المغربية والكيان الإسرائيلي؛ واصفًا الاتفاق بالاختراق الكبير من أجل تحقيق السلام في الشرق الأوسط[٣].

وعلى إثر هذا القرار أعلن وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو؛ بدء عملية فتح قنصلية أمريكية بالداخلة مع التدشين "الفوري" لمكتب ذي حضور افتراضي[٤]. ولم يكتمل وصف هذا القرار بـ"التاريخي" إلا عندما اقترن بإعلان اتفاق المغرب وإسرائيل على تطبيع العلاقات بينهما بوساطة أميركية[٥].

هذا القرار لم يكن وليد لحظته؛ بل كانت خلفه دوافع وسياقات أدَّتْ إليه تكمن في التالي:

١ – خطة ترامب للسلام التاريخي

تعتبر خطة إدارة ترامب للسلام والتي جاءت تحت **عنوان "السلام من أجل الازدهار: رؤية لتحسين حياة الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي"**، أو ما يطلق عليها **بصفقة القرن**[٦] – التي تمت هندستها من قبل المستشار جاريد كوشنر[٧]– الإطار العام الذي دارت في فلكه قرارات وسياسات ترامب المتعلِّقة بالشرق الأوسط منذ الإعلان عنها. وما الإعلان عن مغربية الصحراء الغربية إلا محاولة لإتمام حلقات مشروع هذه الصفقة، التي بدأت مع قرار نقل السفارة الأميركية إلى القدس المحتلة، والسماح لـ"إسرائيل" بضمِّ أجزاء من الضفة الغربية، وإعطائها الجولان السوري. ومن ثمَّ توسَّعت حلقة التطبيع بما دشَّنته في الإمارات والبحرين والسودان ثم المغرب.

ويمكن الحديث عن عدَّة مستويات من الدوافع لإنجاز هذا الاعتراف والاتفاق، في مقدمتها رغبة ترامب في تقديم قصة نجاح لرئاسة فوضوية، داخليًّا وخارجيًّا، وقد وجد ضالَّته في موافقة بعض الدول العربية على التطبيع مع الكيان الإسرائيلي. وهنا لا يمكن التقليل من دور «فريق السلام الأميركي»، إذ يتبنَّى كل من كوشنر والسفير الأميركي في القدس المحتلة ديفيد فريدمان، والمبعوث الأميركي للسلام في الشرق الأوسط آفي بيركويتز، وسلفه جيسون غرينبلات أفكار اليمين الإسرائيلي. ولم تُخف هذه الشخصيات حرصها على خدمة مصالح الكيان الإسرائيلي المحتل[٨].

وانظر أيضًا:

Proclamation on Recognizing The Sovereignty Of The Kingdom Of Morocco Over The Western Sahara, Trump White House archives, 10 December 2020, available at: https://cutt.us/A04iR

(٢) للاطلاع على نص الإعلان، انظر: داود عودة، الصحراء المغربية.. "العين الإخبارية" تنشر نص الاعتراف الأمريكي، موقع العين الإخبارية، متاح عبر الرابط التالي: https://al-ain.com/article/morocco-sahara-american-recognition

(٣) ترامب يعلن اعتراف أمريكا بسيادة المغرب على الصحراء الغربية، برنامج الحصاد، قناة الجزيرة على موقع Youtube، في ١٠ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ١٣ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/lDjoT

(٤) واشنطن تعلن بدء عملية فتح قنصلية للولايات المتحدة الأمريكية بالداخلة، وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج المغربية، ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٤ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/cTarD

(٥) عبد الرحيم التوراني، تطبيع مغربي مغاير لمواجهة "الخطر الإيراني"، الحرة، ١١ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٣ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/mRANV

(٦) عزمي بشارة، صفقة ترامب–نتنياهو الطريق إلى النص، ومنه إلى الإجابة عن سؤال ما العمل؟، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،٢٠٢٠)، ص ١٠.

(٧) جاريد كوشنر، مقابلة مع عمرو أديب، برنامج الحكاية، على قناة mbc مصر، في ٢ فبراير ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ١٣ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/sI9OD

(٨) وحدة الدراسات السياسية، الإعلان الثلاثي الأميركي – المغربي – الإسرائيلي: دوافعه ومستقبله، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٦ أبريل ٢٠٢١، ص ٤، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/j8Pne

٢- الاتفاق المغربي-الإسرائيلي واستئناف العلاقات

أعلن المغرب عقب إعلان ترامب عن استئناف الاتصالات الرسمية الثنائية والعلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وتطوير علاقات مبتكرة في المجال الاقتصادي والتكنولوجي. واعتبر بيان للديوان الملكي المغربي أن هذه التدابير لا تمس بأي حال من الأحوال، الالتزام الدائم والموصول للمغرب في الدفاع عن القضية الفلسطينية العادلة، وانخراطه البنَّاء من أجل إقرار سلام عادل ودائم بمنطقة الشرق الأوسط. من خلال مكالمة هاتفية جمعت بين العاهل المغربي الملك محمد السادس وترامب.

وحسب البيان، فإن العاهل المغربي ذكَّر بالمواقف الثابتة والمتوازنة للمملكة المغربية من القضية الفلسطينية، مشيرًا إلى أن المغرب يدعم حلًّا قائمًا على دولتين تعيشان جنبًا إلى جنب في أمن وسلام، وأن المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي تبقى هي السبيل الوحيد للوصول إلى حلٍّ نهائي ودائم وشامل لهذا الصراع[٩]. وقد أكَّد على هذا وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة في حوار خاص مع قناة سكاي نيوز حول هذا الاتفاق[١٠].

ثم وقعت المملكة المغربية والكيان الإسرائيلي في ٢٢ ديسمبر٢٠٢٠ بالرباط، أربع اتفاقيات في مجالات متعددة، خلال زيارة وفد أمريكي-إسرائيلي عالي المستوى.

تعتبر هذه هي الرواية الرسمية حسب ما جاء في الموقع الرسمي لوزارة الخارجية المغربية، ولكنها بقراءة بسيطة كانت تهدف للاستفادة من تقديم ترامب ومعاونيه ما أمكن من خدمات للكيان الإسرائيلي، من خلال استغلال الأزمات والخلافات العربية على الحدود ومناطق النفوذ؛ وربط ما تراه الحكومات حقًّا لها بالخضوع للكيان الإسرائيلي ومنع إمكانية مواجهة الكيان في أي مكان[١١]، قبل نهاية رئاسته، بأسلوب صفقات رجال الأعمال الذي يتبعه في السياسة الخارجية عادة، بحيث منحته المغرب إنجازًا دبلوماسيًّا في آخر عهدته، وتحصل في المقابل على اعترافٍ أمريكي بسيادتها على الصحراء الغربية[١٢].

وبالنسبة إلى الكيان الإسرائيلي فقد كان قرار ترامب منطقيًّا حسب دوري غولد*، فالصراع في الصحراء الغربية يشكل تحديًا أمنيًّا يقف أمام المغرب، ذلك أن قوات البوليساريو المدعومة من الجزائر وإيران تهدد الوحدة الإقليمية لأرض المغرب ذاتها، منوهًا أنه في ٢٠١٨ عرض المغرب وثائق إيرانية رسمية، تثبت قيام طهران بتسليح وتدريب البوليساريو بمساعدة حزب الله، ونتيجة لذلك قطع المغرب علاقاته الدبلوماسية مع إيران، وهكذا نضج الوقت للخطوة الأمريكية بالنسبة للصحراء الغربية[١٣].

٣- فشل المفاوضات واستقالة المبعوث الأممي هورست كوهلر

في ٢١ مايو ٢٠١٩ قرَّر الرئيس الألماني السابق هورست كوهلر الانسحاب من منصبه كمبعوث للأمم المتحدة في الصحراء الغربية[١٤]، بعد عشرين سنة من الوساطة المكثَّفة، والتي أعطى من

---

(٩) ترامب يعلن تطبيع المغرب علاقاته مع إسرائيل مقابل الاعتراف بسيادته على الصحراء، العربي الجديد، ١٠ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٦ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/y9u5m

(١٠) وزير خارجية المغرب: الحدث الأهم هو اعتراف أميركا بالصحراء، قناة سكاي نيوز، ١٠ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٩ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3A6cmNt

(١١) محمد الأحمري، ظاهرة التطبيع، لماذا؟، مجلة أواصر، ٣ فبراير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2U9eEKV

(١٢) وحدة الدراسات السياسية، الإعلان الثلاثي، مرجع سابق، ص ٣.

* رئيس "المركز المقدسي للشؤون العامة والسياسية"، ومدير عام وزارة الخارجية وسفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة سابقا للاستزادة انظر مقاله هكذا ولد الاعتراف بالصحراء المغربية، موقع Israel Hayom، ٣ يناير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/KKqNx

(١٣). أحمد صقر، مسؤول إسرائيلي: هكذا ولد الاعتراف بالصحراء الغربية، عربي ٢١، ٤ يناير ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٨ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/NwkEQ

(١٤) "الصحراء المغربية.. استقالة المبعوث الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة هورست كوهلر لدواعي صحية"، France 24، ٢٣ مايو ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ٢٩ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/DRuWw

خلالها ديناميكية جديدة لتسوية النزاع، وجاءت استقالة كوهلر بسبب دواعي صحية[١٥].

لقد جاء تعيين السيد كوهلر في ظروف صعبة ميزتها حالة الانسداد التي عرفها المسار الأممي الذي كان يعمل على إعادة بعثه[١٦]، وبهذه الاستقالة، خشي بعض المراقبين أن يعود ملف حل نزاع الصحراء إلى نقطة البداية، وخصوصًا أنه يتعيَّن على الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش الإسراع بتعيين من يخلف كوهلر في هذه المهمة العسيرة، وأن يكمل طريق التقريب بين وجهات النظر بين أطراف النزاع، خصوصا بعد أن حذَّرت جبهة البوليساريو من استخدام رحيل المبعوث الشخصي كذريعة لتأخير أو عرقلة التقدُّم، الذي تمَّ إحرازه منذ أول اجتماع للطاولة المستديرة حول الصحراء بإشراف الأمم المتحدة في ديسمبر ٢٠١٨[١٧]. ولكن وكما كان متوقَّعًا أدَّى تأخُّر تعيين خلف لكوهلر إلى تصاعد التوتر بين الطرفين وحصول **أزمة الكركرات فما هي حيثياتها؟**

٤– أزمة الكركرات

مع نهاية أكتوبر ٢٠٢٠، أغلق نشطاء صحراويون الجزء الواقع في المنطقة العازلة بين الإقليم الصحراوي الذي يديره المغرب والحدود الموريتانية، مانعين حركة مرور شاحنات النقل التجارية والسيارات، وهي منطقة تقع تحت سلطة المينورسو (بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء الغربية). وتوالت الأحداث بشكل متصاعد؛ حيث قام المغرب في ١٣ نوفمبر ٢٠٢٠، بعملية عسكرية بمنطقة الكركرات العازلة من أجل إعادة حركة المرور عبر المعبر وبناء ستار رملي أمني داخل المنطقة العازلة. في اليوم التالي، أعلنت البوليساريو إنهاء التزامها بوقف إطلاق النار الموقَّع ١٩٩١، واتِّخاذ الإجراءات والتدابير المتعلِّقة بتنفيذ مقتضيات حالة الحرب. وقد نجح المغرب في ١٤ نوفمبر ٢٠٢٠، في إعادة حركة الشاحنات التجارية مع موريتانيا عبر معبر الكركرات، وإقامة حواجز رملية في المنطقة العازلة[١٨].

لعلَّ من أهم تداعيات أزمة الكركرات أنها أدَّتْ إلى تكريس وضع جديد في الصحراء، يتمثَّل بتجاوز الجيش المغربي الجدار الرملي* وفرض أمر واقع جديد. ولم تكتف القوات المغربية بتأمين التنقُّل عبر المعبر، بل استكملت تعبيد الطريق الدولية بين الكركرات والحدود الموريتانية. وقد يؤدِّي هذا الأمر تدريجيًّا إلى حضور القوات المغربية حضورًا دائمًا على طول هذه الطريق لتأمين حركة التنقل[١٩].

ثانيًا– التداعيات السياسية والقانونية للاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء

نظرًا لأهمية قضية الصحراء الغربية وحرصًا على إنهاء النزاع وفقًا لقرارات ومواثيق الأمم المتحدة، شرعت هذه الأخيرة ابتداءً من ٢٠ مارس ١٩٨٦ في معالجة هذا النزاع بالتعاون مع منظمة الوحدة الإفريقية.

---

(١٥) الصحراء الغربية: هورست كوهلر يتخلى عن منصبه بعد ٢٠ سنة من الوساطة المكثفة، وكالة الأنباء الجزائرية، ٢٣ مايو ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ٢٩ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/f9qAO

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) حسن أشرف، استقالة كوهلر: حسابات المغرب ونزاع الصحراء، العربي الجديد، ٢٣ مايو ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ٢٩ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/U9bsU

(١٨) محمد المختار الخليل، الحواس تقية، سيدي أحمد ولد الأمير، أزمة الصحراء الغربية: تطورات حساسة في ظل مواقف متباينة، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٣ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/mZVh6

* يعدّ الجدار الرملي العسكري المعْلم الأساسي لتحديد المناطق العسكرية في الصحراء والتزامات طرفي النزاع، لا سيما ما يتعلق بالنشاطات العسكرية، وذلك بحسب الاتفاق العسكري رقم ١، الذي وقَّعته بعثة المينورسو مع القوات المسلَّحة المغربية وجبهة البوليساريو في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٧، وكانون الثاني / يناير ١٩٩٨ على التوالي، يمتد الجدار الرملي الذي بناه المغرب في الصحراء من منطقة محاميد الغزلان شمالًا إلى منطقة الكركرات قرب الساحل الأطلسي في الجنوب، ولا يعدُّ الجدار الرملي خطًّا حدوديًّا بين المغرب وموريتانيا والجزائر، بل هو جدار عسكري دفاعي ولا يشكِّل الجدار الرملي، عكس جدران كثيرة عبر العالم، حاجزًا فاصلًا بين السكان لأنه بُني في منطقة غير مأهولة.

(١٩) وحدة الدراسات السياسية، أزمة الكركرات وسيناريوهات مستقبل قضية الصحراء، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٧ يناير ٢٠٢١٢، تاريخ الاطلاع: ٢٣ أبريل ٢٠٢١، ص ٤، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/iB6bz

وقد وافق المغرب وممثلو جبهة البوليساريو على مخطط السلام الأممي خلال الاجتماع الذي جمعهما بالأمين العام للأمم المتحدة بنيويورك في مايو ١٩٨٨. وفي ٢٧ يونيو ١٩٩٠ تبنَّى مجلس الأمن القرار ٦٥٨ الذي يزكّي تفاصيل التسوية السلمية للأمم المتحدة لتطبيق الاستفتاء. وفي ٢٩ أبريل ١٩٩١ أصدر مجلس الأمن القرار الذي بموجبه تمَّ تشكيل بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء الغربية (المينورسو).

لقد أكدت كل قرارات الأمم المتحدة في كل دوراتها منذ قرار إلزام إسبانيا بمنح الاستقلال للصحراء الغربية في ١٩٦٥ إلى آخر دورة لها في عام ٢٠١٣ على حقِّ الشعب الصحراوي في تقرير مصيره واستقلاله[٢٠]، هذا هو الوضع القانوني والدولي بالنسبة للصحراء الغربية في المجتمع الدولي وحتى حدود ٩ ديسمبر ٢٠٢٠، وكان هذا هو الوضع الذي تعتمده الولايات المتحدة، قبل أن يغير ترامب هذا الموقف، وذلك عبر آلية "الإعلان" الرئاسي؛ وعليه ماهي طبيعة الجدل الذي أثاره إعلان ترامب واعترافه بمغربية الصحراء؟

١- جدلية الإعلان:

على إثر إعلان ترامب اعترافه بمغربية الصحراء انقسم المهتمون والباحثون حول أثره القانوني والسياسي، فقد يقول البعض إنه لن يكون لهذه الخطوة أي أثر قانوني أو سياسي، طالما أنها جاءت على شكل إعلان وليست قرارًا تنفيذيًّا صادرًا عن الرئيس ترامب[٢١]، ولكن الجدلية تكمن في أن هذا الإعلان؛ وإن كان من الناحية الشكلية قد لا يرقى إلى مستوى القوانين الصادرة عن الكونجرس أو إلى مستوى القرارات التنفيذية الصادرة عن الرئيس إلا أن له بعدًا قانونيًّا. فحسب لجنة العمليات الحكومية بمجلس النواب، فإن الأوامر التنفيذية والإعلانات هي توجيهات أو إجراءات تصدر عن الرئيس، وحينما يعتمدها الرئيس بناءً على سلطته المستمدة من الدستور أو النظام الأساسي قد تكون لها قوة وتأثير القانون.

ذلك أن الإعلان الرئاسي في الولايات المتحدة يعدُّ واحدًا من الأدوات القوية الثلاث التي منحتها الممارسة السياسية والدستورية الأمريكية لرئيس الجمهورية من أجل ممارسته رئاسة السلطة التنفيذية، دون الاضطرار للجوء إلى الكونغرس[٢٢].

إذ تعتبر "الأوامر التنفيذية" و"الإعلانات" و"المذكرات"، أدوات مخولة حصريًّا لرئيس الولايات المتحدة، وذلك لاعتماد أمريكا على نظام فصل للسلطة، فالرئيس غير قادرٍ على التشريع رسميًّا، لكنه عبر الممارسة والتاريخ لجأ إلى هذه الآليات والأدوات لتنفيذ أجندته السياسية[٢٣].

ويستند الرئيس الأميركي في ممارسته هذه إلى تفسير للمحكمة العليا (الدستورية) مفاده أن رئيس الدولة يستمد هذا الامتياز من المادة الثانية من الدستور التي تنص على أن "السلطة التنفيذية يجب أن تناط برئيس أمريكا". ورغم أنها جزء من الممارسة السياسة في أمريكا، غير أن "الأوامر التنفيذية"، و"الإعلانات"، و"المذكرات" من الناحية العملية لم يتم تعريفها ولم يتم توضيحها صراحة في دستور الولايات المتحدة وقانونها، رغم قبولها دائمًا في الإجراءات الرئاسية، واستخدامها بشكل دائم ومتكرّر، وتتمتَّع "الأوامر

(٢٠) محمد لحسن زغيدي، قضية الصحراء الغربية وحقها في تقرير المنطقة، دراسة قدمت إلى هيئة الأمم المتحدة في دورتها ٦٨ بالجنة الربعة بقضايا تصفية الاستعمار، ٩ أكتوبر ٢٠١٣، نيويورك، ص ٤٣.

(٢١) الشرقاوي: الإعلان الرئاسي الذي وقعه ترامب بخصوص الصحراء ضعيف قانونيا وسياسيا، ١١ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٣ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/dkFeC

(٢٢) هذه الآثار السياسية والقانونية للاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء، هسبريس ١٢ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٣ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/RjaYN

(٢٣) ربيع عبد الباسط، إعلان ترامب مغربية الصحراء.... كيف أدخل الرباط بمتاهة قانونية وسياسية، صحيفة الاستقلال، ١٩ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٣ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/1bLh7

التنفيذية" و"الإعلانات الرئاسية" بقوة القانون، تمامًا مثل اللوائح الصادرة عن الوكالات الفيدرالية[٢٤].

وحسب الممارسة السياسية الأمريكية، فإنه في حال تمَّ اللجوء إلى المحاكم لتحديد قانونية إعلان رئاسي أو قرار تنفيذي من عدمه، فقد جرت العادة أن تتعامل المحكمة باحترام مع الرئيس كلما كان موضوع ذلك له علاقة بتدبير السياسة الخارجية الأمريكية.

ومن جهة أخرى، فحينما نقرأ إعلان الرئيس ترامب بتمعُّن، نرى أنه يتضمَّن كذلك قراره فتح قنصلية أمريكية في مدينة الداخلة. وحتى ولو افترضنا جدلًا أنه ليس لهذا الإعلان أثر قانوني على السياسة الأمريكية تجاه هذا الملف أو تجاه علاقاتها مع المغرب، فيمكن القول بناء على مبدأ "التأويل القانوني" إن قرار الرئيس فتح قنصلية في الداخلة يعطي لهذا الإعلان قوة القانون، إذ لا يمكن للرئيس أن يقوم بهذه الخطوة إلا إذا كانت له السلطة القانونية التي تخوِّله القيام بذلك. ويعتبر تأويل اللغة التي يحتويها نص الإعلان هو الذي يعطيها معنى قانونيًّا ويمنحها قوة القانون.

كما أنه بمجرد أن يتم فتح قنصلية أمريكية في الداخلة فسيعني ذلك اعترافًا رسميًّا للولايات المتحدة بسيادة المغرب، وستكون له تبعات قانونية طبقًا للامتيازات والالتزامات التي تضمَّنتْها اتفاقية فيينا المتعلقة بالعلاقات الدبلوماسية بين الدول[٢٥].

٢- الأثر السياسي لإعلان ترامب

كان دور الولايات المتحدة الأمريكية في قضية الصحراء الغربية ثانويًّا. ولكن صفقة الأسلحة الأمريكية للمغرب في بداية الثمانينيات أحدثت تحولًا جذريًّا في علاقات الولايات المتحدة مع الجزائر والمغرب، فقد قامت الولايات المتحدة بدعم مشروع المغرب للحكم الذاتي في ٢٠٠٧ نظرًا منها إلى أنه أفضل خيار للتسوية والحفاظ على مصالحها في المنطقة، كما حرصت كذلك على التقرُّب من الجزائر التي أصبحت فاعلًا أساسيًّا في منطقة المغرب والساحل، والتي عرفت علاقاتها معها تحسنًا ملحوظًا في العشرية الأخيرة في إطار سياسة التعاون من أجل محاربة الإرهاب[٢٦].

لكن إعلان ترامب سيمثل من الآن فصاعدًا الموقف الرسمي للولايات المتحدة تجاه المغرب وقضية الصحراء، وسيشكل الإطار الدبلوماسي الذي سيحكم موقفها من هذا النزاع. هذا الاعتراف سيؤدِّي إلى تغيير في تعاطي المجتمع الدولي مع قضية الصحراء، بسبب أن الولايات المتحدة ليست بدولة عادية، بل هي دولة قائدة تشكِّل قطب الرحى لتوازن القوى على الصعيد الدولي رغم أنه أصبح متعدِّد الأقطاب؛ فهي عضو دائم في مجلس الأمن متمتعة بحق الفيتو[٢٧].

كما أنها أيضًا عضو في جمعية أصدقاء الصحراء وتتميَّز بقدرة استثنائية على اقتراح كل مشاريع القرارات التي تقدَّم لمجلس الأمن قصد المصادقة عليها، وبالتالي فهي تلعب دورا أساسيًّا في هذا المجال وتشكِّل ملتقى مواقف باقي الدول الأخرى، داخل مجلس الأمن لاتخاذ القرار الذي عادة ما يكون بالتوافق أو الإجماع.

بما أن قرار الولايات المتحدة الأميركية فتح قنصلية لها بالداخلة، سيدفع بالكثير من الدول إما المتحالفة معها أو التي كانت تنتظر رد فعل من الدول الكبرى أن تقوم بنفس الشيء، وهو ما سيؤدِّي إلى نوعٍ من الإجماع، حينما تتَّخذ الولايات المتحدة مثل هذا الموقف، وسيكون له وزن أكثر أهمية حتى في المفاوضات التي

(٢٤) هذه الآثار السياسية والقانونية للاعتراف الامريكي بمغربية الصحراء، مرجع سابق.

(٢٥) المرجع السابق.

(٢٦) حميدة بركات، تأثير قضية الصحراء الغربية على مستقبل العلاقات الجزائرية المغربية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في العلوم السياسية، تخصص: علاقات دولية، جامعة محمد بوضياف – المسيلة كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، ٢٠١٨/٢٠١٩، ص ص ٤٠-٤٢.

(٢٧) آمال كنين، الحسيني: هذه دلالات وتبعات الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء، هسبريس، ١٢ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الإطلاع ١٤ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/gOUcF

تجري بين الأطراف تحت رعاية الأمين العام ومبعوثه الشخصي، وهذا سيؤدِّي إلى ميل الكفة للموقف المغربي على هذا المستوى[٢٨].

ثالثًا– ردود الفعل الإقليمية والدولية بالاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء

تباينت مواقف أعضاء المجتمع الدولي من قرار ترامب ما بين مرحب ومعارض له، وسيركز التقرير على مواقف أطراف المجتمع الدولي التي لها علاقة مباشرة أو مؤثِّرة في القضية.

■ **الدائرة الإقليمية:**

- **الجزائر:**

أكَّدت وزارة الشؤون الخارجية الجزائرية في بيان لها، أن "النزاع في الصحراء الغربية هو مسألة تصفية استعمار لا يمكن حلُّه إلَّا من خلال تطبيق القانون الدولي والعقيدة الراسخة للأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي بهذا الخصوص. وشدَّد البيان على أن اعتراف ترامب يتعارض مع جميع قرارات الأمم المتحدة، خاصة قرارات مجلس الأمن بشأن مسألة الصحراء الغربية، وآخرها القرار رقم ٢٥٤٨ الصادر بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٠، الذي صاغه ودافع عنه الجانب الأمريكي".

اعتبر البيان أن هذا الإعلان من شأنه تقويض جهود خفض التصعيد التي بذلت على جميع الأصعدة من أجل تهيئة الطريق لإطلاق مسار سياسي حقيقي وإقناع طرفي النزاع، المملكة المغربية وجبهة البوليساريو، بضرورة الانخراط في الحوار بدون شروط، تحت رعاية الأمم المتحدة وبدعم من الاتحاد الأفريقي[٢٩].

- **المغرب:**

رحَّبت المملكة المغربية بالقرار، ووصفه وزير الخارجية المغربي بالمهم والأهم، واعتبره انتصارًا تاريخيًّا للدبلوماسية المغربية[٣٠]، ولكن الذي عكَّر جو الانتصار المغربي المؤقَّت هو الثمن مقابل الصفقة، فكانت الغاية مبررةً للوسيلة، ولو على حساب دولة تعتبر نفسها مقرًّا لمؤسسة القدس العالمية، وداعمة لحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولة وعاصمتها القدس، وترى في سياسة الكيان الإسرائيلي استعمارًا يحتلُّ أرضًا عربية يدنِّس مقدسات المسلمين، ولا يحترم قرارات الشرعية الدولية. فكان الثمن هو التطبيع مع الكيان الإسرائيلي.

- **جبهة البوليساريو:**

أدانت جبهة البوليساريو –كممثِّل وحيد للجمهورية الصحراوية– الإعلان وقالت "وزارة الإعلام الصحراوية" في بيان لها أن حكومة الجمهورية الصحراوية وجبهة البوليساريو تدين بأشدِّ عبارات الإدانة إقدام الرئيس الأميركي المنتهية ولايته دونالد ترامب على الاعتراف للمغرب بما لا يملك لمن لا يستحق"[٣١].

- **مصر:**

تجنَّبت مصر إظهار موقف رسمي واضح يخص الاعتراف بسيادة المغرب على الصحراء، وإن كانت تصريحات غير رسمية — صادرة مثلًا عن عضو المجلس المصري للشؤون الخارجية السفير رخا حسن– بيَّنت أن موقفها هو نفسه ما يتماشى مع قرارات الأمم المتحدة التي تدعو إلى استفتاء، يسمح لمواطني الصحراء الغربية إما أن يكونوا جزءًا من المغرب أو أن يكونوا مستقلين كما أن مصر لن

(٢٨) المرجع السابق.

(٢٩) الجزائر تجدد دعمها الثابت لقضية الشعب الصحراوي العادلة، وزارة الخارجية الجزائرية، ١٢ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/E6y03

(٣٠) وزير خارجية المغرب: الحدث الأهم هو اعتراف أميركا بالصحراء، مرجع سابق.

(٣١) جبهة البوليساريو تعلق على قرار ترامب بشأن الصحراء الغربية، قناة الحرة، ١١ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٤ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/u6cwX

تفتح قنصلية لها في الصحراء الغربية؛ ذلك أن مصر ليس لديها مصلحة في هذه المنطقة[٣٢].

- **الإمارات العربية المتحدة:**

أشادت دولة الإمارات بقرار الرئيس الأميركي، كما أكدت وفق ما جاء في بيان نشرته وزارة الخارجية والتعاون الدولي، على أهميته "في الإسهام في تعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة[٣٣]. تماشيا وتطبيعها هي الأخرى مع الكيان الإسرائيلي المحتل للأرض العربية.

■ **الدائرة الدولية:**

- **إسبانيا:**

رفضت وزيرة الخارجية الإسبانية أرانشا غونزاليس لايا اعتراف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالصحراء الغربية كجزء من الأراضي المغربية. وجاءت تصريحات رئيسة الدبلوماسية الإسبانية خلال الزيارة التي تقوم بها إلى مدينة رام الله الفلسطينية[٣٤]، وقد توتَّرت العلاقات بينها وبين المغرب لاستقبال إسبانيا مؤخرًا رئيس البوليساريو لعلاجه من كورونا كما نفت استدعاءه للتحقيق[٣٥].

- **بريطانيا:**

أكد وزير الخارجية البريطاني، دومينيك راب، أن موقف المملكة المتحدة بشأن قضية الصحراء الغربية "لم يتغير"[٣٦].

- **روسيا:**

ندَّدت روسيا بإعلان الولايات المتحدة الأمريكية الاعتراف بسيادة المملكة المغربية على الصحراء الغربية، واعتبر نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف، في تصريح للصحافة إن اعتراف واشنطن بسيادة المغرب على الصحراء الغربية يعدُّ انتهاكا للقانون الدولي"[٣٧].

- **فرنسا:**

حسب الخارجية الفرنسية فإن النزاع في الصحراء الغربية يمثل خطرًا دائمًا، وعليه فإن فرنسا متمسكة بالتوصُّل إلى حلٍّ سياسي في إطار التشريعات الدولية. وعلى هذا الأساس، تفضل فرنسا حلًّا سياسيًّا عادلًا ودائمًا يقبله الطرفان ويتوافق مع قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ومن هذا المنطلق، تعتبر خطة الحكم الذاتي التي قدَّمها المغرب أساسًا للمحادثات، يتَّسم بالجدِّية والمصداقية[٣٨].

---

(32) Mohamed saied, Egypt denies plans to join states opening Western Sahara consulates, al-monitor, 29 December 2020, accessed: 29 May 2021, available at: https://cutt.us/mgivL

(٣٣) دولة الإمارات تشيد باعتراف الولايات المتحدة بالسيادة المغربية على كافة أراضيها وترحب بقرار المملكة استئناف الاتصالات الرسمية والعلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وزارة الخارجية والتعاون الدولي، ١٠ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ١٥ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/OEKBs

(٣٤) تصريحات جديدة من الاتحاد الأوروبي وإسبانيا وروسيا بخصوص الصحراء الغربية، euronews، ١١ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع ١٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/1RTFO

(35) Laya, sobre el aviso de Marruecos: "España no tiene nada que añadir a lo que ha dicho", elconfidencial, 8 May 2021, accessed:29 May 2021, available at: https://cutt.us/63fhS

(36) Dominic Raab، (@DominicRaab, 11 December 2020, available at: https://cutt.us/eM4Hu

(٣٧) وزارة الخارجية الروسية: اعتراف واشنطن بسيادة المغرب على الصحراء الغربية انتهاك للقانون الدولي، سبوتنيك، ١١ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ١٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Dri39

(٣٨) المغرب – إسرائيل – مقتطف من الإحاطة الإعلامية، موقع وزارة الخارجية (الدبلوماسية الفرنسية)، ١١ ديسمبر ٢٠٢٠ تاريخ الاطلاع: ٢٩ مايو ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/4TUnl

- **ألمانيا:**

أكَّدت ألمانيا عبر سفيرتها بالجزائر؛ أنها ترافع من أجل حلٍّ قائم على القانون الدولي في إطار مسار الأمم المتحدة[٣٩]. وقد تُرجم هذا الموقف عبر دعوة ألمانيا لعقد جلسة مغلقة في مجلس الأمن في ٢١ ديسمبر ٢٠٢٠ لمناقشة القضية.

■ **المنظمات الإقليمية والدولية:**

- **الاتحاد الأوروبي:**

علَّق الممثل الأعلى للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية في الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، على الأمر بتأكيده أن "الاتحاد الأوروبي يدعم جهود الأمين العام للأمم المتحدة بما يتماشى مع قرارات مجلس الأمن الدولي ذات الصلة"[٤٠].

- **الأمم المتحدة:**

في ١١ ديسمبر ٢٠٢٠، أفاد المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة، ستيفان دوجاريك، أن موقف الأمين العام بشأن الصحراء الغربية لن يتغيَّر، ولا يزال مقتنعًا بأن حلَّ مسألة الصحراء الغربية ممكن وفقًا لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة[٤١].

وفي ١٥ ديسمبر ٢٠٢٠، أبلغت كيلي كرافت الممثلة الدائمة للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، من خلال رسالة بعثت بها رسميًّا لمجلس الأمن الدولي والأمين العام للأمم المتحدة، تضمن التالي: **"تتشرف الولايات المتحدة بتقديم الإعلان المرفق حول الاعتراف بسيادة المملكة المغربية على الصحراء الغربية"**[٤٢].

بموجبه تمَّ عقد جلسة مغلقة في مجلس الأمن يوم الإثنين ٢١ ديسمبر ٢٠٢٠ لمناقشة القضية بطلب من ألمانيا[٤٣]. وعقب انتهاء الجلسة المغلقة لمجلس الأمن صرَّح سفير جنوب أفريقيا لدى الأمم المتحدة جيري ماتجيلا قائلًا: **"إن القرارات المخالفة للقرارات الجماعية المتعدِّدة الأطراف يجب مقاومتها وتجاهلها بشكل تام"** مضيفًا **"نعتقد أن أيَّ اعتراف بالصحراء الغربية كجزء من المغرب هو بمثابة الاعتراف بعدم الشرعية لأن هذا الاعتراف يتعارض مع القانون الدولي"**[٤٤].

- **الاتحاد الأفريقي:**

أصدر مجلس السلم والأمن التابع للاتحاد الأفريقي بيانًا تمخَّض عن قمَّةٍ عقدَها حول الصحراء الغربية في ٩ مارس ٢٠٢١، أكَّد

---

(٣٩) الرئيس تبون يستقبل سفيرة ألمانيا بالجزائر، وكالة الأنباء الجزائرية، ١٥ مارس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/W4diV

(40) Josep Borrell Fontelles, (@JosepBorrellF), 11 December 2020, available at: https://cutt.us/LUu5o

(41) Daily Press Briefing by the Office of the Spokesperson for the Secretary-General، United Nations, 11 December 2020, accessed: 29 May 2021, available at: https://cutt.us/cZ1p8

(42) US Submits To UN Proclamation Regarding Recognition Of Sovereignty Of Morocco Over Western Sahara, The News Agency, 16 December 2020, accessed: 29 May 2021, available at: https://cutt.us/OkYs4

(٤٣) انظر:

– اجتماع مجلس الأمن لمناقشة قضية الصحراء الغربية بطلب من ألمانيا، France 24، ١٧ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٣١ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/6jTIM

- Michelle Nichols, U.N. Security Council talks Western Sahara after Trump policy switc, Reuters, 22 December 2020, accessed: 26 May 2021, available at: https://cutt.us/yISJN

(44) Press Conference: Wrap-up of South Africa's Presidency of the Security Council، UN Web TV, 22 December 2020, accessed: 26 May 2021, available at: https://cutt.us/hUelb

فيه ضرورة إيجاد حل سريع للنزاع في الصحراء الغربية والعودة لمسار المفاوضات عبر تطبيق خمسة قرارات اتخذها(٤٥).

رابعًا– تبعات الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء على المستوى الإقليمي

يشهد ملف الصحراء منعطفًا تاريخيًّا، باعتراف الولايات المتحدة بالسيادة المغربية على هذه المنطقة، التي تشكِّل أحد النزاعات الأطول في القارة الأفريقية. ويشكِّل الاعتراف الأمريكي دعمًا للمغرب، وقد يزيد من آمال المغرب في أن تحذو دول أخرى حذوها(٤٦).

على الجهة المقابلة، يفتح هذا القرار الباب على احتمال توتر حقيقي في المنطقة، خصوصًا أن الأمور ساءت قبل إعلان ترامب، فقد تصاعدت التوتُّرات بين القوات المغربية وجبهة البوليساريو. ذلك أن الجبهة أنهت وقف إطلاق النار الذي دام ٢٩ عامًا وأعلنت حالة الحرب بعد اتهامها المغرب بتنفيذ عمليات عسكرية في منطقة عازلة في الصحراء.

وتتراجع احتمالات إجراء الاستفتاء مع استخدام الولايات المتحدة لحقِّ النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وإذا اتبعت المزيد من الحكومات الموقف الأمريكي، فسيكون الاعتراف الدولي بدولة صحراوية مستقلَّة بعيد المنال(٤٧).

إضافة إلى أن هذا القرار يضع الولايات المتحدة على خلاف مع الرأي العام العالمي، ويهدِّد بتحوُّل الصراع لحرب مفتوحة. وقد يتسبَّب تصرُّف ترامب في احتكاك مع الجزائر، أهم حليف لحركة البوليساريو، التي تحارب لانفصال الصحراء الغربية عن المغرب، وإذا تجدَّدت الحرب في الصحراء الغربية فإنها يمكن أن تجتذب تدخل دول أخرى، وتحوِّلها إلى صراع إقليمي(٤٨)، لا سيما إذا نشبت بين الدول المجاورة، بل إن الأمر يتعدَّى ذلك إلى أن تصبح المنطقة أمام حرب بين أكبر جيشين في المغرب العربي. فقد أغلقت قضية الصحراء الغربية آفاق اندماج إقليمي على مدى عقود، وتحولت القضية إلى صراع مفتوح ودائم(٤٩).

كما أنه يمكن أن يؤدِّي عدم الاستقرار والحرب إلى فتح أبواب للجماعات المتطرفة المتواجدة في غرب أفريقيا، الأمر الذي من شأنه أن يعيق الجهود المتواصلة التي تقوم بها الولايات المتحدة وفرنسا في منطقة جنوب الصحراء الكبرى الشاسعة المعروفة باسم "منطقة الساحل"، أو على الحدود معها لمحاربة حركات التمرُّد(٥٠).

خامسًا– موقف الإدارة الأمريكية الجديدة من قرار الاعتراف بمغربية الصحراء

مع وصول جو بايدن للبيت الأبيض ترقَّبت العديد من الدول التغيُّرات المتوقَّعة من جانب الإدارة الأمريكية الجديدة، والتي بدت بعض ملامحها في العديد من الملفات التي تختلف فيها رؤية الرئيس جو بايدن، عن الرئيس السابق دونالد ترامب.

---

(٤٥) للاطلاع على تفصيل هذه القرارات، انظر: البيان الصادر عن الاتحاد الأفريقي، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/HvBhI

(46) Richard Pérez-Peña, How a Long Insurgency Plays Into Trump's Move on Morocco, The New York Times, 10 December 2020, accessed: 22 May 2021, available at: https://cutt.us/wAhFn

(47) Sudarsan Raghavan, U.S. recognition of Morocco's claim over disputed region threatens more tension, Washington Post, 11 December 2020, accessed: 24 May 2021, available at: https://cutt.us/dCoSd

(48) Richard Pérez-Peña, How a Long Insurgency Plays Into Trump's Move on Morocco, Op. cit.

(٤٩) حسن زنيند، معلقون ألمان: اعتراف واشنطن بمغربية الصحراء إنجاز جيوسياسي للرباط، دويتشه فيله، ١٧ ديسمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ١٣ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/dGhx4

(50) Richard Pérez-Peña, How a Long Insurgency Plays Into Trump's Move on Morocco, Op. cit.

ضمن هذه الملفات، الاعتراف الأمريكي بالسيادة المغربية على "الصحراء الغربية"، وعليه يمكن السؤال عن إمكانية تراجع إدارة بايدن عن هذا الاعتراف؟

يرى بعض الخبراء من واشنطن أن إدارة بايدن لديها الكثير من الملفات ذات الأولوية، وأن السياسة الأمريكية تقوم على بعض الأسس التي يصعب معها التراجع عن هذا الاعتراف، خاصة بالنظر للسباق الدولي نحو أفريقيا. وهناك عدَّة أسباب يرى بعض الباحثين أنها تحول دون اتخاذ بايدن أي خطوة معاكسة في هذا الشأن على الأقل في الوقت الراهن، منها(٥١):

١- أن الرئيس الأمريكي لديه الكثير من الصراعات الأخرى، ولن يميل نحو تصعيد لا يشكل أولوية في الوقت الراهن.

٢- تهديد جماعات الإرهاب والهجرة غير الشرعية لأوروبا، وهي عوامل يمكن أن تتزايد حال التراجع الأمريكي عن الاعتراف، خاصة أن بايدن يسعى لعلاقات طيبة مع أوروبا لتعويض الأزمات التي وقعت أثناء حكم ترامب.

٣- حدوث مثل هذه العملية ستكون عبارة عن "خداع"، خاصة أن عملية السلام التي جرت مع إسرائيل كانت في إطار التنسيق بالتوازي مع الاعتراف الأمريكي، وفي حال تراجع الجانب الأمريكي يمكن أن يتراجع الجانب المغربي، ويظهر بايدن في هذا الوقت بأنه هو الذي يقف ضد السلام، ويظهر ترامب بأنه كان الأفضل في عملية السلام العربي-الإسرائيلي.

٤- الاعتراف الأمريكي يتعلَّق بقرار سيادي من خلال مرسوم رئاسي يعكس ممارسة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية المنتهية ولايته (ترامب) لصلاحياته الدستورية على مستوى العلاقات الخارجية، وحماية الأمن القومي الأمريكي.

٥- الولايات المتحدة تنظر للجانب الروسي على أنه يهدد المصالح القومية الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في مختلف مراكز الثقل التي تعتبرها الإدارة الأمريكية حساسة، خاصة من خلال العودة العسكرية القوية لروسيا على مستوى الشرق الأوسط. فالخطوة لا تتعلق بقرار تكتيكي للإدارة الأمريكية، بل هو قرار استراتيجي ذو أبعاد دولية مرتبطة بتحديات الأمن الاستراتيجي القومي، من خلال تأسيس منصة جديدة لحماية المصالح الأمريكية.

٦- فلسفة السياسية الأمريكية براجماتية في روحها، والاعتراف بمغربية الصحراء وبالسيادة عليها بمرسوم رئاسي، شكَّل تعاقدًا والتزامًا وانخراطًا لا يخرج عن هذه العقيدة الأمريكية، التي تشكِّل رباط عنق لدى كل من يتولَّى مسؤولية إدارة البيت الأبيض.

٧- الاتفاقيتان الأخيرتان بتكلفة إجمالية تصل إلى ٥ مليار دولار عنوانها العريض ازدهار أفريقيا، وهو ما يبرهن على أن الجانب الأمريكي يعتبر المغرب البوابة الحقيقية للولوج للاستثمارات بأفريقيا، وهو ما يجعلها لن تتراجع عن مثل هذه الخطوة.

٨- في حال التراجع عن هذا الاعتراف فإن ذلك يعني المساس بالمصالح الاستراتيجية الأمريكية، وهو ما لن تقبله مجموعات الضغط المؤسساتية الأمريكية واللوبيات.

وما يعطي هذه الأسباب مصداقية ويرجِّح هذا الطرح؛ مكالمة هاتفية بين وزير الخارجية الأمريكية ونظيره المغربي(٥٢)، اكد له فيها أن إدارة جو بايدن لن تتراجع عن سياسة ترامب في الوقت الراهن. كما أعطى مستشار بايدن لشؤون الشرق الأوسط له انطباعًا قبل ذلك بأنه لن يكون هناك أي تغيير في سياسة الولايات المتحدة بشأن الصحراء الغربية(٥٣).

---

(٥١) تحولات الموقف الأمريكي... هل تتراجع إدارة بايدن عن الاعتراف بـ"مغربية الصحراء"؟، سبوتنيك، ٣٠ يناير ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٤ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/8oCIL

(٥٢) السيد ناصر بوريطة يتباحث مع وزير الخارجية الأمريكي أنطوني بلينكن، وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج، ٣٠ أبريل ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٢ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/2q8ax

(53) Barak Ravid, Scoop: Biden won't reverse Trump's Western Sahara move, U.S. tells Morocco,

خاتمة

تعتبر قضية الصحراء الغربية من بين القضايا العالقة الباحثة عن حلٍّ دولي عادل يتوافق مع ما هو منصوص عليه في قرارات الأمم المتحدة. وقد جاء إعلان ترامب حسب ما نصَّ أنه حلٍّ عادل ودائم للصراع، ولكن كيف يكون عادلًا ودائمًا إذا كان متعارضًا مع المواثيق والقرارات الدولية؟

وعليه؛ شكَّل هذا الإعلان جدلًا واسعًا على الساحة الدولية، ليس فقط لهذا الأمر والميل الصريح للطرح المغربي، بل لتزامنه كذلك مع إعلان استئناف العلاقات الإسرائيلية–المغربية الرسمية، الأمر الذي جعل الإعلان يتمظهر على شاكلة إبرام صفقة قُبض ثمنها.

ورغم أن إعلان ترامب جاء ليشكِّل موقفَ دولة من قضية دولية إلا أنه سيُلقي بظلاله على مسار القضية الصحراوية، ويزيد من حدَّة التوتُّر الحاصل في المنطقة بل يتعدَّى الإقليم ليصبح دوليًّا، مثلما هو حاصل بين المغرب وألمانيا وإسبانيا، كون الولايات المتحدة الأمريكية ليست بالدولة العادية.

فضلًا عن أن القرار صادر من رئيس أمريكي مثير للجدل داخليًّا وخارجيًّا، منحاز للكيان الإسرائيلي، كما أن سياسته الخارجية كانت مبنية على برجماتية بحتة مرتبطة بالمقابل، وهو ما أثَّر على الإعلان الأمريكي في أرض الواقع ولم يعد له أثر، وتظهر بوادر التراجع في السياسة الجديدة للإدارة الأمريكية الجديدة للرئيس جون بايدن ومباشرته لإصلاحات شاملة ضد السياسات الخاطئة للرئيس ترامب داخليًّا (خاصة تسيير أزمة كورونا وأزمة البطالة) وخارجيًّا (إعادة ترتيب السياسية الأمريكية في مناطق النزاعات والصراع في منطقة الشرق الأوسط).

*****

Axios, 30 April 2021, accessed: 24 May 2021, available at: https://cutt.us/HJBQw

الحكومة المستحيلة في لبنان: لماذا يتعثر تشكيل حكومة في لبنان؟

محمد علي إسماعيل*

مقدمة:

تتفاقم الأزمة في لبنان في جميع جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتأخذ المفاوضات حول عملية تشكيل حكومة منحى متعثرًا، فمنذ أكتوبر ٢٠٢٠ ما تزال مفاوضات تشكيل الحكومة الجديدة تراوح مكانها ولا يوجد أفق لإنهاء تمديد المرحلة الانتقالية؛ ويرجع ذلك إلى فشل الفرقاء السياسيّين اللبنانيّين في تخطّي الخلافات الحادَّة فيما بينهم، وكذلك لفشل الجهود الدولية والإقليمية في تخطّي المعوِّقات التي تواجه عملية تشكيل الحكومة الجديدة في لبنان، خاصة في ظل ربط تلك الأطراف تشكيل الحكومة اللبنانية وإنهاء حالة الركود السياسي على وجه الخصوص والوضع الداخلي اللبناني بشكل عام بتفاهمات واتفاقات على المستوى الدولي كالملف النووي الإيراني ورفع العقوبات عن طهران.

تناقش هذه الورقة المعوقات التي تكتنف مسار تشكيل الحكومة اللبنانية داخليًّا وإقليميًّا ودوليًّا مع محاولة استشراف نهاية نلك الأزمة السياسية المستحكمة.

أولًا– بداية الأزمة: انتفاضة ١٧ أكتوبر ٢٠١٩

بدأت الأزمة الحالية عقب استقالة حكومة الحريري في ٢٩ أكتوبر ٢٠١٩ على إثر الانتفاضة الشعبية الضخمة التي اندلعت في ١٧ أكتوبر ٢٠١٩، وذلك احتجاجًا على زيادة ضريبة اتصالات تطبيق "الواتس آب"، الأمر الذي أدَّى إلى نزول أكثر من مليون متظاهر في بلد يبلغ عدد سكانه حوالي ٦ ملايين شخص إلى الشوارع، احتجاجًا على تردِّي الأوضاع المعيشية، وسوء الخدمات والفساد السياسي والاقتصادي للنخب السياسية الحاكمة[١].

اشتدَّت حدَّة الغضب الجماهيري نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية، وفشل الحكومة اللبنانية في تحقيق وعود الإصلاح الاقتصادي التي جاءت بها، وتراجع سعر صرف الليرة اللبنانية أمام الدولار، بالإضافة إلى تراكم النقمة على النخبة السياسية الطائفية الفاسدة في لبنان وممارساتها في الحكم والسياسة العامة. وهي الأمور التي تراكمت ودفعت المتظاهرين للمناداة برحيل كامل النخبة السياسية في لبنان دون استثناء، بما فيها تلك الأحزاب التي لها مصلحة في سقوط "العهد"، والتي شارك جمهورها في الحراك، وهو ما تمَّ تلخصيه في هتاف "كلن يعني كلن"[٢].

وعلى الرغم من الفرصة السانحة التي منحتها انتفاضة ١٧ أكتوبر ٢٠١٩ لإحداث تغيير جذري وشامل في الطبقة السياسية الطائفية الفاسدة، وبناء دولة تقوم على أسس المواطنة والمساواة وليس على أسس المحاصصة الطائفية، التي أنتجت المشاكل البنيوية للنظام السياسي اللبناني كونه نظامًا ريعيًّا/رعويًّا يتم فيه اقتسام السلطة والثروة والاستئثار بها وفق معايير طائفية وبين مجموعات صغيرة جدًّا من المواطنين. فلقد قامت النخبة السياسية اللبنانية وخاصة قوى "العهد" المرتكزة على تحالف "الثامن من آذار"[٣] بالالتفاف على مطالب الحراك اللبناني وقامت بتشكيل حكومة تكنوقراط برئاسة حسان دياب، وبعضوية أشخاص من خارج

* باحث في العلوم السياسية.

(١) محمد علي إسماعيل، الحراك في لبنان: المحركات والدلالات، فصلية قضايا ونظرات، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، العدد السادس عشر، يناير ٢٠٢٠)، متاح عبر الرابط التالي: https://hadaracenter.com//wp-content/uploads/2020/01/16.pdf

(٢) الانتفاضة اللبنانية ٢٠١٩: ما نعرفه حتى اللحظة، موقع الجمهورية، ١٩ أكتوبر ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ٢٠ مايو ٢٠٢١، الساعة ٠٥:٠٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/qpPsY

(٣) ينضوي تحت لوائه: حزب الله بزعامة حسن نصر الله، وحركة أمل بزعامة رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري، والتيار الوطني الحر بزعامة الرئيس اللبناني ميشيل عون.

الطبقة السياسية، ولكن تم اختيارهم من قبل الأحزاب السياسية والكتل البرلمانية وفق حصص طائفية.

لم تُبل حكومة دياب بلاءً حسنًا على الصعيدين الاقتصادي والنقدي اللذين يؤثران على الأوضاع الاجتماعية والمعيشية للمواطنين، بل إن الأزمات الاقتصادية والمعيشية قد تفاقمت نتيجة الإغلاق الذي أعقب انتشار فيروس كورونا منذ مارس ٢٠٢٠، الأمر الذي دفع بشرائح كبيرة من الطبقتين الدنيا والمتوسِّطة تحت خطوط الفقر؛ حيث تشير التقديرات إلى أن ٢٨,٥ في المئة من السكان اللبنانيّين يعيشون تحت خط الفقر(٤)، وأن ٣٥٠ ألف شخص فقدوا وظائفهم نتيجة الإغلاق، الأمر الذي زاد عدد العاطلين إلى ٥٥٠ ألفًا، وهو ما يعادل ثلث إجمالي القوى العاملة اللبنانية التي تبلغ حوالي ١,٨ مليون عامل. كما أن الليرة اللبنانية فقدت أكثر من ٨٠٪ من قيمتها منذ أن بدأت الأزمة المالية في أكتوبر ٢٠١٩، وارتفعت أسعار العديد من المواد الغذائية بزيادة قدرها ٣٣٪(٥).

فاقمت الطبيعة البنيوية للاقتصاد اللبناني من الأضرار التي لحقت به جرَّاء عمليات الإغلاق الحكومي الذي ترافق مع الموجتين الأولى والثانية من فيروس كورونا وتداعيات انفجار المرفأ. فالاقتصاد اللبناني قائم على قطاعات ضعيفة ومنخفضة الإنتاجية؛ مثل البنوك والسياحة، ويعاني من عجز تجاري بنيوي مقترن بتراجع التحويلات المالية من المغتربين اللبنانيين وتراجع الدخل من السياحة وانخفاض الدخل من العملات الأجنبية. كما أنه يتحمل أعباء الحرب الأهلية السورية التي دفعت بحوالي مليون ونصف لاجئ سوري إلى لبنان.

(4) Lebanon's unemployment rate surges past 30% amid meltdown, Consultancy-me, 30 June 2020, Accessed: 20 May 2021, 07:30, Available at: https://www.consultancy-me.com/news/2900/lebanons-unemployment-rate-surges-past-30-amid-meltdown

(٥) محمد علي إسماعيل، تفجير مرفأ بيروت وأزمات لبنان الاقتصادية والسياسية، فصلية قضايا ونظرات، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، العدد العشرون، يناير ٢٠٢١)، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/uof1n

كما أن الاقتصاد والمالية العامة في لبنان تعاني من مشاكل بنيوية حادة ومزمنة، فالمشكلة الأساسية في السياسة المالية والنقدية تكمن في الفوائد المرتفعة التي تتكبَّدها الخزينة العامة، حيث أدَّت الفوائد المرتفعة على الدين العام إلى وضع العوائق أمام حركة الاستثمار؛ ما هدَّد باستمرار حركة الركود الاقتصادي. كذلك فإن انخفاض تحويلات اللبنانيّين العاملين بالخارج وتقلُّص الإيرادات الحكومية وتباطؤ نمو قطاعي السياحة والعقارات الذي ترافق مع جائحة فيروس كورونا، وحجب الداعمين الإقليميّين والدوليّين للمساعدات والقروض، كانت كلها عوامل أدَّتْ إلى تفاقم الأوضاع المعيشية والنقمة على أداء حكومة حسان دياب، وجاء انفجار مرفأ بيروت في ٤ أغسطس ٢٠٢٠، لكي يطيح بالحكومة التي لم تحقِّقْ أيًّا من وعودها التي جاءت بها(٦).

ثانيًا– عود على بدء: تدوير الطبقة السياسية في لبنان

أدَّى الانفجار وما صاحبه من غضب شعبي على الأوضاع الاقتصادية والمعيشية، إلى استقالة حكومة "حسان دياب" في ١٠ أغسطس ٢٠٢٠، وفي بيان استقالته، ألقى دياب باللوم على الطبقة السياسية الفاسدة التي عرقلت مساعيه نحو الإصلاح، وفي خطابه الكاشف عن هول وحجم المأساة التي يعيشها لبنان، اتهم رئيس الوزراء المستقيل "حسان دياب" الطبقة السياسية اللبنانية بعدم إدراك "ثورة ١٧ أكتوبر ٢٠١٩" على نحو جيد(٧).

فتح انفجار مرفأ بيروت وتداعياته السياسية الباب أمام التدخُّلات الدولية التي كان أبرزها تدخل الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، الذي زار بيروت في ٦ أغسطس ٢٠٢٠(٨). قام ماكرون بتقديم مبادرة للخروج من الأزمة السياسية والاقتصادية، ربط فيها

(٦) المرجع السابق.

(٧) كلمة رئيس الوزراء اللبناني السابق حسان دياب التي يعلن فيها استقالته، قناة الغد على موقع YouTube، ١٠ أغسطس ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٣٠ مايو ٢٠٢١، ٠٩:٠٥، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/gi8zT9FDrao

٨ أين تتجه الأزمة السياسية في لبنان بعد انفجار مرفأ بيروت؟، ١٧ أغسطس ٢٠٢٠، معهد الدوحة، تاريخ الاطلاع: ٣٠ مايو ٢٠٢١، ١٠:١٥، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/cb8ro

المساعدات الدولية بتنفيذ إصلاحات اقتصادية ومكافحة الفساد وتشكيل حكومة اختصاصيّين تحقِّق تلك الإصلاحات[٩]؛ وقد تلقَّى على إثرها وعدًا من الطبقة السياسية اللبنانية بتشكيل حكومة قبل الأول من سبتمبر بمناسبة مئوية تأسيس "لبنان الكبير"، لكن لم يحدث تنفيذ لأيٍّ من تلك الوعود، ولم يتمَّ تشكيل أي حكومة أو تسمية رئيس جديد للوزراء منذ استقالة حكومة حسان دياب بعد انفجار المرفأ.

استدعى ذلك الشلل السياسي ضغطًا فرنسيًّا على النخبة السياسية اللبنانية، وقد أدَّتْ تلك الضغوط إلى ترشيح سفير لبنان لدى ألمانيا "مصطفى أديب" إلى منصب رئيس الوزراء، وفي ٣٠ أغسطس تم تكليف أديب بتشكيل الحكومة اللبنانية من قبل الرئيس اللبناني ميشيل عون، وذلك بعد أن حصل على دعم الأغلبية في مجلس النواب[١٠]. وفي ٣١ أغسطس ٢٠٢٠، قام ماكرون بزيارته الثانية إلى بيروت معلِّلًا تلك الزيارة بقوله: "عليَّ أن أتأكَّد أنه حقًّا سيتمُّ تشكيل حكومة مهمَّة لإنقاذ لبنان وإطلاق الإصلاحات لمكافحة الفساد وإصلاح ملف الطاقة وإعادة الإعمار"، مطالبًا بـ"الإسراع بتشكيل الحكومة وبمهمة محدَّدة"[١١].

تم عرقلة مشاورات تشكيل الحكومة بعد أن أصر —حزب الله وحركة أمل— على المطالبة بحقبة المالية والمشاركة في بقية التشكيل الحكومي، وأدَّت تلك العرقلة من قبل الثنائي الشيعي إلى اعتذار مصطفى أديب عن تشكيل الحكومة[١٢]، في اليوم التالي على استقالة أديب، كان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، قد عقد مؤتمرًا صحفيًّا في باريس، في ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٠، اتهم خلاله القادة اللبنانيّين "بخيانة" تعهُّداتهم وأمهلهم من ٤ إلى ٦ أسابيع إضافية لتشكيل حكومة في إطار المبادرة الفرنسية[١٣].

استمرَّ الفراغ الحكومي في لبنان ما يناهز الشهر، حتى خرج الرئيس اللبناني ميشيل عون في خطاب في ٢١ أكتوبر ٢٠٢٠، ألقى فيه باللوم على السياسيّين الفاسدين. وفي ظل عدم وجود مرشَّح توافقي، كانت العودة إلى قواعد اللعبة القديمة بالاختيار من الطبقة التي ثار عليها الشارع اللبناني، وأعلن في اليوم التالي، تكليف سعد الحريري بتشكيل حكومة جديدة في إعلان واضح عن فشل كامل لمطالب الحراك الشعبي[١٤].

لم تحسن الطبقة السياسية اللبنانية اقتناص الفرصة التاريخية التي مثَّلها "حراك ١٧ أكتوبر" لكي تتنحَّى جانبًا وتجنِّب لبنان ويلات الفشل المتعاقب وتعطي فرصة حقيقية للتغيير للخروج من الأزمات البنيوية، المتمثِّلة في الفساد والطائفية السياسية والتجاذبات الإقليمية والدولية، ولكنها تعاطت وفق مصالحها الخاصة، وعملت على إنهاك الحراك والالتفاف على مطالبه، حتى كان لها ما أرادت، وفي الذكرى الأولى للانتفاضة اللبنانية ضد الطبقة السياسية عاد سعد

(9) Ellen Francis, Michel Rose, Macron promises angry Beirut crowds aid won't go to "corrupt hands", Reuters, 6 August 2020, Accessed: 30 May 2021, 11: 30, Available at: https://www.reuters.com/article/us-lebanon-security-blast-macron-idUSKCN252171

(١٠) تكليف مصطفى أديب رسميا بتشكيل الحكومة اللبنانية، بي بي سي عربي، ٣١ أغسطس ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٣١ مايو ٢٠٢١، ٠٩:٠٥، متاح عبر الرابط التالي: https://www.bbc.com/arabic/middleeast-53969201

(١١) وصول ماكرون إلى لبنان في ثاني زيارة له بأقل من شهر، روسيا اليوم، ٣١ أغسطس ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٣١ مايو ٢٠٢١، ١٠:٠٥، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/glI8V

(١٢) مصطفى أديب رئيس الوزراء اللبناني المكلف يعتذر عن تشكيل الحكومة، بي بي سي عربي، ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٣١ مايو ٢٠٢١، ١١:٠٥، متاح عبر الرابط التالي: https://www.bbc.com/arabic/world-54252005

(١٣) ماكرون يتهم القادة اللبنانيين "بخيانة" تعهداتهم ويمهلهم ٤ إلى ٦ أسابيع إضافية لتشكيل حكومة في إطار المبادرة الفرنسية، فرنسا ٢٤، ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٣١ مايو ٢٠٢١، ١١:٢٥، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/oaLY3

(14) Chloe Cornish, Lebanon's Saad Hariri returns as PM a year after protests, Financial Times, 22 October 2020, Accessed: 31 May 2021, 11: 50, Available at: https://www.ft.com/content/39af9cb8-9f57-4ed0-a448-d831e40924fe

الحريري رئيسًا لوزراء لبنان، وهو للمفارقة المكسب الوحيد الذي كان قد حقَّقه الحراك.

تمثِّل عودة الحريري فشلًا ذريعًا لحراك الشارع اللبناني ضدَّ الطبقة السياسية، وبالرغم من أنها تمثِّل نجاحًا لتلك الطبقة في الالتفاف على مطالب الشارع اللبناني الذي نادى بعزلهم ومحاسبتهم، فإنها في الوقت نفسه تبرز حجم التناقضات والصراع في داخل هذه الطبقة السياسية وداعميها الإقليميّين والدوليّين، وتعطي مؤشِّرًا سلبيًّا على مستقبل الأوضاع الداخلية في لبنان التي ترتبط بتفاهمات إقليمية ودولية أوسع.

ثالثًا– الحكومة المستحيلة: أطراف الأزمة وأهدافها

لقد مرَّت تسعة أشهر منذ أن تمَّ تكليف سعد الحريري بتشكيل الحكومة من قبل رئيس الجمهورية اللبنانية العماد ميشيل عون، ومع ذلك، فقد فشل الحريري مرارًا وتكرارًا في التوصُّل إلى حلٍّ توافقي مع الرئيس عون وتياره السياسي الأوسع، قوى "الثامن من آذار"، يسمح بتمرير التشكيل الحكومي الذي يسعى الحريري إلى إقراره، وذلك نتيجة عدد من العقبات التي يضعها أمامه الرئيس عون ودائرة مستشاريه وعلى رأسهم صهره زعيم التيار الوطني الحر جبران باسيل.

تتعاطى عدَّة جهات وفاعلين محليّين ودوليين مع أزمة تشكيل الحكومة اللبنانية الحالية، وهو ما سوف نحدِّده من خلال مستويين رئيسيَّين: المستوى الأول– القوى السياسية اللبنانية وموقفها من تشكيل الحكومة، والمستوى الثاني– جهود الفاعلين الإقليميين والدوليين في الخروج من مأزق تشكيل الحكومة.

١– القوى السياسية اللبنانية

تتعاطى القوى اللبنانية الفاعلة في المشهد السياسي مع عملية تشكيل الحكومة وفق منظورات مختلفة ومتضادة في نفس الوقت، ولا يتحدَّد الموقف من التشكيل الحكومي وفق النظريات السائدة عن تحالفي "الثامن من آذار" وما تبقى من تحالف "الرابع عشر من آذار"، بل يتحدَّد من خلال الموقف الشخصي لزعماء بعض الأحزاب والتيارات الفاعلة في المشهد، وهي على النحو التالي:

● محور عون–باسيل في مواجهة الحريري:

منذ تكليفه في ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٠ بتشكيل حكومة جديدة، يتبادل الحريري من جانب، ورئيس الجمهورية وصهره جبران من جانب آخر، الاتهامات بوضع العراقيل أمام تشكيل الحكومية، ففي الوقت الذي يتهم فيه الحريري عون وباسيل بعرقلة تشكيل الحكومة بإصرارهما على الحصول على تسعة مقاعد من أصل ٢٤ مقعدًا في الحكومة (أي الثلث المعطل)، وهو الأمر الذي تعهَّد الحريري بعدم منحه لأيٍّ جانب[١٥]. فإن عون يتهم الحريري بأنه "عاجز عن تأليف حكومة قادرة على الإنقاذ والتواصل المجدِي مع مؤسَّسات المال الأجنبيّة والصناديق الدوليَّة والدول المانحة، لوضع برامج المساعدات التي من شأنها إنقاذ الوطن النازف دمًا غاليًا على جميع الصعد..."[١٦].

لم يتأخر رد الحريري على الاتهامات التي وجَّهها له عون، مؤكدًا على عدم تشكيله للحكومة " كما يريدها فريق فخامة الرئيس، ولا كما يريدها أي فريق سياسي بعينه". ومشدِّدًا على أنه لن يشكل الحكومة "إلا كما يريدها وقف الانهيار ومنع الارتطام الكبير الذي يتهدَّد اللبنانيّين في أكلهم وصحتهم وحياتهم ودولتهم". واعتبر الحريري أن الرئيس عون لديه خبرة طويلة في تعطيل التشكيل الحكومي وتأجيل إجراء الانتخابات الرئاسية[١٧].

---

(15) Sarah El deeb, Lebanese leaders exchange barbs as country sinks into crisis, Associated Press, 31 May 2021, Accessed: 26 June 2021, 11: 40, Available at: https://cutt.us/ynzvX

(١٦) الرئيس عون وجَّه رسالة إلى مجلس النواب عبر الرئيس بري حول التأخير في تشكيل الحكومة وطلب مناقشتها في الهيئة العامة للمجلس وفق الأصول، موقع رئاسة الجمهورية اللبنانية، ١٨ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٧ يونيو ٢٠٢١، ١٢:٢٠، متاح عبر الرابط التالي:
http://www.presidency.gov.lb/Arabic/News/Pages/Details.aspx?nid=26518

(١٧) الحريري يرد على رسالة عون: لن أشكل حكومة كما يريدها الرئيس، الجزيرة.نت، ٢٢ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٧ يونيو ٢٠٢١، ٠٠:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/L0U5C

بعيدًا عن الاتهامات المتبادلة، فقد شكَّلت مطالب الرئيس عون وصهره بتسمية الوزراء المسيحيِّين واشتراط الحصول على الثلث المعطِّل داخل مجلس الوزراء، عائقًا أمام تشكيل الحكومة اللبنانية، وهو ما دفع الحريري لرفض هذه الإملاءات، والتمسُّك بمبدأ حكومة تكنوقراط مصغَّرة من ١٨ وزيرًا[١٨]. وقد أدَّى التعنُّت بين الطرفين الرئيسيَّين في عملية تشكيل الحكومة، إلى فشل جهود الوساطة رفيعة المستوى من جانب فرنسا والفاعليين المحليين، بمن فيهم رئيس مجلس النواب نبيه بري. كما أن الجهود التي قادها البطريرك الماروني بشارة الراعي قد عجزت عن دفع عون والحريري لاعتماد الحوار سبيلًا لحلِّ الأزمة وتشكيل الحكومة، وذلك على الرغم من نجاح البطريرك الراعي من خلال اتصالاته في كسر المقاطعة القائمة بين عون والحريري منذ تقديم الحريري تشكيلته الحكومية[١٩].

إجمالًا يريد الحريري تشكيل حكومة تكنوقراطية مصغرة من ١٨ وزيرًا، أما عون فيريد توسيع الحكومة إلى ٢٤ وزيرًا مع نسبة معطِّلة للتيار الوطني الحر. الحكومة الصغيرة تعني أربعة من السنة (بما في ذلك رئيس الوزراء)، وأربعة شيعة، ووزير درزي، وتسعة مسيحيِّين (٤ من الموارنة، و٣ من الروم الأرثوذكس، ووزير من الروم الكاثوليك، ووزير أرمني). كما أن الحريري يريد تسمية اثنين من الوزراء التسعة المسيحيين، لكن عون يصرُّ على أن حزبه وحده، هو من يحقُّ له ترشيح الوزراء المسيحيِّين، معلِّلًا ذلك بأن حزبه يسيطر على الكتلة المسيحية الأكبر في البرلمان.

- **محور نصر الله–بري:**

يدخل نبيه بري على خط الأزمة من خلال طرح مبادرات والتوسُّط بين حلفائه في فريق "الثامن من آذار" الرئيس عون وصهره زعيم التيار الوطني الحر جبران باسيل من جهة، ورئيس الوزراء المكلَّف سعد الحريري من جهة أخرى. دفعت مبادرة بري التوافقية في اتجاه توسيع الحكومة اللبنانية مقابل تخلِّي التيار الوطني الحر عن الثلث المعطِّل في الحكومة. والحكومة الموسَّعة تعني زيادة حصة عون وحلفائه الشيعة من قوى الثامن من آذار (حزب الله وحركة أمل)، كما يعني وجود مقعدين درزيَّين وليس مقعدًا واحدًا، الأول سيُسمَّي من قبل حليف الحريري وليد جنبلاط، والثاني من قبل الأمير طلال أرسلان، حليف حزب الله[٢٠].

جاء رد الحريري وعون إيجابيًّا على مبادرة نبيه بري، ولكن في الوقت الذي أسقط فيه الحريري مطالبته بتشكيل حكومة مصغرة، فقد تمسَّك رئيس الجمهورية بشرط تسمية الحقائب الوزارية المخصصة للمسيحيين جميعها من قبل التيار الوطني الحر وليس رئيس الحكومة.

في الوقت الذي يقود فيه نبيه بري زعيم حركة أمل ورئيس مجلس النواب اللبناني المخضرم جهود الوساطة وتقريب وجهات النظر بين رئيس الجمهورية ميشيل عون ورئيس الوزراء المكلف سعد الحريري، وكذلك طرح المبادرات السياسية للخروج من مأزق تشكيل الحكومة، فإن موقف حزب الله بزعامة حسن نصر الله من تشكيل الحكومة ما يزال ملتبسًا. فالحزب لا يبدي أي معارضة لتشكيل الحكومة، بل إنه دعم مبادرة نبيه بري بخصوص تشكيل الحكومة، ولكنه على الرغم من ذلك التأييد لم يضغط على حلفائه داخل قوى الثامن من آذار، تحديدًا الرئيس عون وصهره جبران باسيل للخروج من حالة الركود السياسي تلك. وقد أرجعت بعض التحليلات عدم ضغط حزب الله على "عون–باسيل" لعدم الإخلال بعلاقة الحزب بهما، في الوقت الذي شكَّكت تحليلات أخرى في تلك الفرضية

(١٨) نزار عبد القادر، أزمة تشكيل الحكومة في لبنان: التعقيدات والمعوقات، مركز الإمارات للسياسات، ٢٦ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٧ يونيو ٢٠٢١، ٠١:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/gHWop

(19) Hussein Dakroub, Political activity intensified in bid to break Cabinet impasse, The Daily Star, 9 JUNE 2021, Accessed: 27 June 2021, 01: 30, Available at: https://bit.ly/2TiPQ3g

(20) Sami Moubayed, Why is Lebanon unable to form a government?, Gulf News, 17 April 2021, Accessed: 27 June 2021, 03: 30, Available at: https://cutt.us/m0v0s

معللةً ذلك بحاجة جبران باسيل "الماسة إلى دعم حزب الله للوصول إلى الرئاسة"[٢١].

من الممكن إرجاع موقف حزب الله الضبابي هذا إلى عاملين، الأول أن الحزب هو الرابح الوحيد من استمرار الوضع الحالي، بل إن تفاقم الأزمة الحالية بين رئيس الجمهورية الماروني ورئيس الوزراء السُّني المكلف قد يصب في صالح مزيد من هيمنة الحزب على الحياة السياسية، حتى لو تفجَّرت الأوضاع مع الوقت فإن الحزب سوف يعمل على تضخيم مكاسبه. أما العامل الثاني فيتمثَّل في التفاهمات الإقليمية والدولية حول برنامج طهران النووي، الذي من شأن حدوث انفراجة فيه أن يدفع بمزيد من التمويل للحزب لملء الفراغ الاقتصادي والاجتماعي الذي خلَّفته الحكومات المتعاقبة.

وأخيرًا من الممكن النظر إلى اختلاف التعاطي بين زعيم حركة أمل من جهة، وزعيم حزب الله من جهة أخرى، على أنه تبادل أدوار بهدف المزيد من التحكُّم في المشهد السياسي وكسب ثقة جميع الأطراف، ففي الوقت الذي يقدِّم فيه حزب الله الدعم والحماية لميشيل عون وجبران باسيل، فإن نبيه بري يوفِّر الحماية للحريري[٢٢].

٢- جهود الفاعلين الدوليين

على الصعيد الإقليمي والدولي حاولت بعض الأطراف الفاعلة ممارسة ضغوط على الطبقة السياسية اللبنانية، ولكن هذه الضغوط لم تكلَّل بالنجاح. كان على رأس تلك الجهود الدولية مبادرة الرئيس الفرنسي ماكرون الذي قام بتقديمها للخروج من الأزمة السياسية والاقتصادية، وربط فيها المساعدات الدولية بتنفيذ إصلاحات اقتصادية ومكافحة الفساد وتشكيل حكومة اختصاصيّين تحقِّق تلك الإصلاحات[٢٣]، لكن تلك الجهود باءت بفشل ذريع ولم تؤدِّ إلى تشكيل حكومة اختصاصيّين برئاسة السفير مصطفى أديب، وعندما أعطت باريس الضوء لتشكيل الحريري حكومة اختصاصيّين عقب فشل أديب في تشكيل حكومته، لم يستطع الحريري خلال أكثر من تسعة أشهر تشكيل الحكومة.

عقب فشل مبادرتها، دعمت باريس مبادرة نبيه بري، ووجدت فيها مخرجًا مناسبًا نظرًا لاقتراحه حلولًا توافقية لحلحلة الخلاف بين عون والحريري. ترافق الدعم الفرنسي لمبادرة بري بتحرُّكات دبلوماسية بهدف الضغط على أطراف الطبقة السياسية، حيث أجرت السفيرة الفرنسية في بيروت "آن جريو"، مباحثات مع كل من بري والحريري وباسيل. وفي اجتماعاتها مع أعضاء الطبقة السياسية لوَّحت "غريو" بعزم باريس على فرض عقوبات في إطار الاتحاد الأوروبي على من تتَّهمهم بعرقلة قيام الحكومة[٢٤]. وكان وزير الخارجية الفرنسي قد لوَّح بسيف العقوبات قبل شهر على تحركات سفيرة بلاده في بيروت، ففي تغريدة له قبل زيارته لبيروت في ٦ مايو الماضي، أكَّد لودريان على "الحزم في وجه من يعرقلون تشكيل الحكومة.. لقد اتخذنا إجراءات وطنية وهذه مجرد البداية"، في إشارة إلى العقوبات على من يعيقون تشكيل الحكومة[٢٥].

أظهرت ضغوط السفيرة الفرنسية "آن جريو" وزيارة وزير خارجيتها لودريان إلى بيروت تململ الجانب الفرنسي من الطبقة السياسية وحجم السخط على عدم تجاوب تلك الطبقة مع المبادرات الفرنسية أو المدعومة منها، فلم تترك تلك الطبقة مساحة حركة للحلول الدبلوماسية وتدفع باريس إلى تعامل أكثر حدَّة عبر

---

(٢١) مايكل يونغ، البناء على أنقاض لبنان، كارنيجي الشرق الأوسط، ١٧ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٧ يونيو ٢٠٢١، ٠٢:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/IXfsl

(٢٢) خلدون الشريف، حكومة لبنان.. "ثنائي" متحكم في انتظار "المباركات الكبرى"!، ٢١ يونيو ٢٠٢١، ١٨٠ بوست، تاريخ الاطلاع: ٢٧ يونيو ٢٠٢١، ٠٤:٠٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Hopjp

(٢٣) محمد علي إسماعيل، تفجير مرفأ بيروت وأزمات لبنان الاقتصادية والسياسية، مرجع سابق.

(٢٤) وليد شقير، "الإدارة الدولية" للبنان تجدد الضغوط لإنهاء الفراغ، ١٩ يونيو ٢٠٢١، إندبندنت عربية، تاريخ الاطلاع: ٢٧ يونيو ٢٠٢١، الساعة ٠٧:٠٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/0YQYv

(25) French FM visits Lebanon to send message of 'great firmness' to bickering politicians, AL-MONITOR, 06 May 2021, Accessed: 27 June 2021, 08: 00, Available at: https://bit.ly/3Aasmho

تسليط سيف العقوبات على الأطراف المعرقلة لتشكيل الحكومة ورفع الغطاء عن حلفائها التاريخيّين من الماروناتيّين وعلى رأسهم الرئيس ميشيل عون.

لن يختلف التعاطي الأوروبي عن المنظور الفرنسي للأزمة، حيث شكّلت باريس قاطرة الموقف الأوروبي، وهذا ما تظهره زيارة الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية نائب رئيس المفوضية الأوروبية "جوزيب بوريل" إلى بيروت، لإجراء محادثات مع المسؤولين السياسيّين والعسكريّين، حيث أفادت سفارة الاتحاد الأوروبي أن "بوريل" سيحمل "رسائل أساسية للقيادة اللبنانية، ويعرب عن تضامن الاتحاد الأوروبي مع الشعب اللبناني في هذه الأوقات بالغة الصعوبة". تبدو مهمة المسؤول الأوروبي غير منفصلة عن التوجُّه الفرنسي، المتمثِّل في زيادة الضغط على الطبقة السياسية لتسريع إنهاء الفراغ الحكومي بالتلويح بفرض عقوبات على الشخصيات التي تعيق التشكيل، وتقديم الدعم العاجل للمجتمع اللبناني، لا سيما للجيش اللبناني كي يتمكَّن من الإيفاء بالحدِّ الأدنى من مهمَّاته في حفظ الأمن[٢٦].

باستثناء المبادرة الفرنسية لم تصدر عن أيٍّ من الأطراف الإقليمية والدولية مساعي جادَّة لحلحلة الأزمة، والخروج من حالة الركود التي يعيشها لبنان. جاء تعاطي واشنطن خلال إدارة ترمب مع الأزمة اللبنانية عبر تضييق الخناق وفرض العقوبات على شخصيات قريبة من حزب الله[٢٧] أو متحالفة معه[٢٨]. هذا التعاطي الأمريكي يأتي وفق المنظور الإسرائيلي الذي يتعاطى مع لبنان على أنه "حزب الله" فقط، ولذلك فإن الأجندة الإسرائيلية التي تم فرضها على إدارة ترمب تعمل على وقف أي مساعدة للبنان وفرض مزيد من العقوبات على الحزب ومن يعتقد أنه يتحالف معه.

تتعاطى إدارة بايدن وفق إستراتيجية مختلفة عن إدارة ترمب مع الوضع اللبناني، فعلى الرغم من عدم تقدُّمها بمبادرة لرأب الصدع بين الفرقاء السياسيّين في لبنان، بهدف تسريع تشكيل الحكومة إلا أن الإدارة الجديدة تعمل على تقوية المؤسسة العسكرية والأمنية واستئناف المساعدات لهما بهدف منع انهيارهما الكامل أمام نفوذ حزب الله، مع تشديد العقوبات على حزب الله والأطراف الداعمة له[٢٩].

كذلك على الصعيد الإقليمي لم تتعاطَ أيٌّ من دول المنطقة بشكل فاعل مع الأزمة عبر تقديم مبادرات لحلحلة الأوضاع المتأزمة، ويعود ذلك إلى عدَّة أسبابك أولها- العزوف الخليجي وتحديدًا المملكة العربية السعودية عن التعاطي مع الملف اللبناني بعد أزمة احتجاز رئيس الوزراء الحريري وتقديم استقالته قبل أن يتدخَّل الرئيس ماكرون ويتم إطلاق سراح الحريري. منذ ذلك اليوم فقدت الرياض أوراقها طواعية في لبنان، حيث ترى القيادة السعودية أن الإنفاق الذي تكبَّدته المملكة لم يؤتِ أُكله عبر تلك العقود.

وأخيرًا فإن كلًّا من إيران وإسرائيل لم يتعاطيا بشكل علني مع أزمة تشكيل الحكومة اللبنانية، وهذا أمر مفهوم في حالة الدولتين، فطهران طالما ظل حليفها الرئيس مهيمنًا على المشهد السياسي والعسكري فإنها سوف تعمل على الاستفادة من ذلك الوضع الراهن وتعظيمه بما يتلاءم مع مصالحها سواء داخل لبنان أو عبر المساومة بالوضع اللبناني في ملفات إقليمية ودولية أكبر. أما تل أبيب فإن تعاطيها مع لبنان ينصبُّ على حزب الله، حتى أضحى لبنان من منظور صانعي القرار الإسرائيليّين والمراكز البحثية هو

(٢٦) وليد شقير، "الإدارة الدولية" للبنان تجدد الضغوط لإنهاء الفراغ، مرجع سابق.

(٢٧) واشنطن تفرض عقوبات على وزيرين لبنانيين سابقين بتهم الفساد ودعم حزب الله، فرنسا ٢٤، ٩ سبتمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٧ يونيو ٢٠٢١، الساعة ١٠:٠٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/6KLGq

(٢٨) واشنطن تفرض عقوبات على جبران باسيل بسبب «الفساد» و«دعمه حزب الله»، الشرق الأوسط، ٦ نوفمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٧ يونيو ٢٠٢١، الساعة ١٠:١٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/aN3NG

(29) US sanctions 7 over Hezbollah finances, AL-MONITOR, 11 May 2021, Accessed: 27 June 2021, 10: 30, Available at: https://cutt.us/wiAJa

مرادف لحزب الله والنفوذ الإيراني[٣٠]، ولذلك يأتي تعاطيهم عبر ذلك المنظور: ما هو مستقبل حزب الله في الحكومة اللبنانية؟، وما إذا كان الحزب سوف يعمل على بسط نفوذه بشكل أكبر أم لا؟.. هذا هو المحدد الإسرائيلي في التعاطي مع لبنان[٣١].

خاتمة: مآلات الأزمة

مرَّ أكثر من تسعة أشهر على تكليف السيد سعد الحريري بتشكل حكومة لبنانية، في ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٠، ومنذ ذلك التاريخ ما زالت تراوح المشورات مكانها ولا زال كلُّ طرفٍ من أطراف الأزمة يحمِّل الطرف الآخر أسباب فشل التشكيل، وذلك على الرغم من الأوضاع الاقتصادية والمعيشية شديدة السوء التي يعيشها المواطن اللبناني.

وبالتالي، ففي ظل الأهداف والجهود الداخلية للطبقة السياسية اللبنانية، يُتوقع أن تسير أزمة تشكيل الحكومة الحالية باتجاه أحد السيناريوهات التالية:

السيناريو الأول– يفترض أنه نتيجة ضغوط الشارع اللبناني والضغوط الأوروبية والأمريكية على الطبقة السياسية، أن تتوافق القوى السياسية على حلٍّ مؤقَّت على غرار الحلول المؤقَّتة التي تدوم في الواقع اللبناني، كاتفاق الطائف (١٩٨٩) والتفاهم الذي جاء بالعماد عون رئيسًا للجمهورية (٢٠١٦). قد يفضي اتفاق مماثل إلى الالتفاف على مطالب التغيير الجذري الذي يأمله الشارع والأطراف الدولية ويمكن الطبقة السياسية من الاستمرار لفترة من الزمن.

السيناريو الثاني– يفترض المماطلة في عملية تشكيل الحكومة حتى مايو ٢٠٢٢ أو أكتوبر ٢٠٢٢، أي حتى إجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية على التوالي، وقيام القيادات الجديدة بتفاهمات على الصعيد الوطني والخارجي؛ وذلك للوصول إلى تشكيل حكومة والخروج من المأزق الحالي.

ويرجِّح الباحث حدوث السيناريو الثاني، خاصة في ظلِّ ضعف الضغوط الدولية في التأثير على القوى السياسية اللبنانية وخاصة فريق "الثامن من آذار" الذي يهيمن على الواقع السياسي اللبناني، والذي لن تثنيه الضغوط عن فرض إرادته. وكذلك في ظل حالة الاحباط العام التي أصابت الشارع اللبناني، خاصةً بعد سلسلة العنف التي تعرَّض لها الحراك، سواء من قبل الميليشيات وأنصار الطبقة السياسية أو من قبل قوى الأمن اللبناني، وكذلك فإنه في ظلِّ الأزمات الاقتصادية والمعيشية الطاحنة وأزمة جائحة كورونا، فليس من المستغرب أن همَّ المواطن اللبناني الوحيد أصبح في البحث عن سبيل لتجنُّب الجوع حتى الموت بدلًا من محاسبة السياسيِّين الفاسدين.

*****

(٣٠) كوخافي في واشنطن: إيران، حزب الله، لبنان والصواريخ الدقيقة، ١٨٠ بوست، ٢٠ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٧ يونيو ٢٠٢١، الساعة ١١:٠٠، متاح عبر الرابط التالي: https://180post.com/archives/19718

(31) Seth J. Frantzman, What role will Hezbollah play in Lebanon's future government?, The Jerusalem Post, 7 June 2021, Accessed: 27 June 2021, 11: 15, Available at: https://cutt.us/lOR7x

ج) الإقليم والعالم..

صراعات وتسويات

التقارب المصري التركي: المسار والدلالات

شيماء بهاء الدين*

المقدمة:

طالما لعبت كل من تركيا ومصر دورًا مهمًّا في تشكيل الخريطة الإقليمية، ولا يمكن القول إن علاقات البلدين قد سارت على وتيرة واحدة، فلا وحدة الدين والثقافة والتاريخ ضمنت دومًا علاقات إيجابية ولا التنافس كقوى إقليمية واختلاف توجهات النظم الحاكمة جعل الجانبين في حالة صراع حتمي. فرغم وحدة الدين والثقافة، إلا أن كثيرًا ما كانت هناك عوامل تؤدي للتباعد، خاصة في إطار: التنافس الإقليمي، طبيعة العلاقات مع القوى الكبرى، اختلاف توجهات القيادات في الدولتين.

ولنتتبع سريعًا مسار تلك العلاقات، محاولين التوقف عند أهم المحطات والعوامل المؤثرة في ذلك المسار وصولا إلى المرحلة الراهنة من العلاقات، خاصة أنه في ظل التطورات المتلاحقة دوليًّا وإقليميًّا، يأتي التقارب المصري التركي ليطرح تساؤلات مهمة بشأن مستقبل العديد من القضايا والصراعات الإقليمية.

فإجمالا اتسمت العلاقات التركية العربية (ومنها العلاقات مع مصر) في النصف الثاني من القرن العشرين بالتذبذب والتطور المستمر. ويعكس تطور العلاقات بين الطرفين بوضوح ماهية السياسة التركية تجاه الشرق الأوسط التي نظرت إلى العلاقات مع العالم العربي خلال هذه الفترة على كونها أداة، لا هدفًا في حد ذاتها[١]. ومع وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في بدايات الألفية الثانية، كان الاتجاه إلى التقارب مع العالم العربي ومن ضمنه مصر من منطلق التقارب الحضاري الثقافي، فضلا عن الأبعاد الاقتصادية التي كانت من أهم أولويات السياسة الخارجية التركية في هذه الفترة.

وعقب حالة من الهدوء النسبي في عهد حسني مبارك، والتركيز على الأبعاد الاقتصادية والتجارية، كان الاتجاه إلى مزيد من التقارب عقب ٢٥ يناير ٢٠١١، خاصة مع وصول الإخوان المسلمين للحكم، وذلك على ضوء تقارب الخلفيات الفكرية. لتتبدل الأمور تمامًا مع ٣٠ يونيو ٢٠١٣، وتحدث قطيعة بين الدولتين، باستثناء العلاقات الاقتصادية. وخرجت الأمور من مجرد تبادل للتصريحات إلى تحرك دبلوماسي أكبر؛ إذ استدعت تركيا سفيرها في القاهرة للتشاور في أغسطس ٢٠١٣ في أعقاب فض اعتصام رابعة[٢]، وردت القاهرة بتحرك موازٍ بسحب سفيرها في تركيا. ورغم عودة السفير التركي إلى القاهرة في سبتمبر ٢٠١٣، إلا أن القاهرة تمسكت بتخفيض التمثيل الدبلوماسي احتجاجًا على الموقف التركي. وقال وزير الخارجية المصري آنذاك، نبيل فهمي إن عودة السفير التركي إلى القاهرة غير كافية لعودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. واستمرت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في التدهور مع اشتداد المواجهات الإعلامية، حتى انتهت إلى استدعاء الخارجية المصرية للسفير التركي نوفمبر ٢٠١٣، وطلبت منه مغادرة البلاد باعتباره شخصًا غير مرغوب فيه[٣]. وأعلنت تركيا بدورها أن السفير المصري لديها، والذي كانت قد استدعته مصر قبل ثلاثة أشهر، غير مرغوب فيه كذلك[٤].

---

* باحثة في العلوم السياسية.

(١) د.نادية مصطفى، مصر وتركيا والشرق الأوسط الكبير، ترجمة: شيرين فهمي، إسلام أون لاين، ٣٠ مارس ٢٠٠٤: https://cutt.us/6e5Ta

(٢) تركيا تستدعي سفيرها في مصر، الوطن، ١٥ أغسطس ٢٠١٣: https://cutt.us/Jfj0m

(٣) مصر تخفض التمثيل الدبلوماسي مع تركيا وتطرد سفيرها.. وأنقرة ترد بالمثل، الشرق الأوسط، ٢٤ نوفمبر٢٠١٣: https://cutt.us/P7ibl

(٤) ما هو لب الخلاف بين مصر وتركيا؟، بي بي سي عربي، ٢١ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/IM3ww

مع تلك القطيعة، مثلت التحركات التركية تهديدًا للأمن القومي المصري من أربع جهات، جنوبًا عند مداخل البحر الأحمر ومنطقة المحيط الهندي من خلال القاعدة التركية في الصومال، وشرقاً عبر التواجد العسكري في شمالي سوريا والعراق، والدعم التركي المقدم لحركة حماس، بالإضافة إلى القاعدة التركية في قطر، وشمالا متمثلا في حضورها العسكري في شرق المتوسط، إلى جانب التواجد في ليبيا غربًا[٥].

لكن لتكتمل الصورة فلابد من وضعها في إطارها الإقليمي، فلم يكن تأزم علاقات تركيا الإقليمية مرتبطًا بمصر فقط، لكن بالتوازي مع ذلك شهدت العلاقات التركية–الخليجية تباينًا شديدًا خلال فترة الأزمة الخليجية، فكانت قوية مع قطر وجيدة مع الكويت وسلطنة عمان، ومتوترة مع السعودية (خاصة بعد حادث مقتل خاشفجي) والإمارات والبحرين[٦]. وقد تشكلت خريطة المحاور الإقليمية كالتالي: مصر مع السعودية والإمارات والبحرين على جانب وتركيا وقطر على جانب آخر، فضلا عن المحور الإيراني. وفيما تعطي السعودية الأولوية للمواجهة مع إيران، فإن الإمارات ومصر تركزان –مع دعم سعودي– على المواجهة مع تركيا، في ظل توافق أولوياتهما حول المواجهة مع حركات الإسلام السياسي وداعميهم في الإقليم[٧]. فتح مثل هذا المناخ المجال لتدخل أطراف خارجية على نحو يخدم مصالحها، كما اتضح في ملفات كليبيا وغاز شرق المتوسط (إسرائيل، فرنسا، اليونان).

وهو أمر يبدو أنه قد أدركته مصر وتركيا على وجه الخصوص، فيمكن لمصر أن تحقق مكاسب أكبر في حال المصالحة مع تركيا وفق الأولويات المصرية (سنتطرق لذلك تفصيلا)، كذلك فإن مصر تقع في قلب ''المناطق البرية القريبة''، أي البلقان والقوقاز والشرق الأوسط، التي اعتبرها ''داود أوغلو'' في كتابه "العمق الاستراتيجي"[٨] أهم المناطق التي يجب على تركيا التواصل والتقارب معها. كما تعتبر مصر بوابة لتركيا إلى القارة الإفريقية، التي تشغل حيزًا مهمًا في الاستراتيجية التركية على المدى البعيد[٩]. وكذلك تحرص مصر غالبًا على عدم الدخول في مشكلات مع جيرانها وتتبع سياسة السلام والأمن الاستراتيجيين منذ ما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتفتح مجالا للتبادل التجاري والثقافي مع تركيا، حرصًا على تقليل الأعباء الخارجية.

من ثم، فبالتأكيد إن هذا التغير في التوجهات لم يأت من فراغ، وإنما ثمة دوافع مختلفة داخلية وإقليمية ودولية جعلت أطرافًا عدة تعيد ترتيب حساباتها وأولوياتها، على سبيل المثال: الإدارة الأمريكية الجديدة، الأوضاع الاقتصادية في ظل كورونا. إن مصر وتركيا تمثلان قوتين إقليميتين مركزيتين في الشرق الأوسط، بمقوماتهما وإمكانياتهما المادية سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا وجغرافيًا وبشريًا. وبالتالي، فإن أي تحرك إيجابي أو سلبي في ملف العلاقات بينهما من شأنه أن يرتب تداعيات تتجاوزهما إلى كامل الإقليم بمختلف قواه في اللحظة الراهنة[١٠].

من ثم يبحث هذا التقرير مسار ومؤشرات التقارب على الجانبين، وكذلك دلالاته، سواء فيما يتعلق بدوافعه أو نتائجه الكائنة حتى الآن أو المحتملة فيما بعد.

---

(٥) وسام فؤاد، التقارب المصري التركي: الحدود والأبعاد، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، ٢٦ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/HVAfT

(٦) بعد مصالحة الخليج.. هل اتخذت العلاقات المصرية التركية مساراً جديداً؟، الخليج أونلاين، ٩ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/2NzOv

(٧) طارق دياب، العلاقات المصرية التركية: القضايا والإشكاليات، أضواء للبحوث والدراسات، ٧ أغسطس ٢٠٢٠: https://cutt.us/Zrvzz

(٨) انظر للتفاصيل: أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للنشر، ٢٠١٠).

(٩) وسام فؤاد، التقارب المصري التركي: الحدود والأبعاد، مرجع سابق.

انظر حول خريطة المحاور الإقليمية وأهداف كل منها، على سبيل المثال:

محمود سمير المنير، المحاور الإقليمية في المنطقة: إدارة الصراع... آفاق المستقبل، مركز أفق المستقبل للدراسات السياسية والاستراتيجية، الكويت، أكتوبر ٢٠١٧: https://cutt.us/hDwGL

(١٠) طارق دياب، العلاقات المصرية التركية: القضايا والإشكاليات، مرجع سابق.

أولا– مظاهر التقارب المصري التركي:

إن الأمر ليس وليد اليوم، وإنما كان هناك بعض الإشارات منذ عام ٢٠١٤ وإن لم تكن بالقوة ذاتها؛ حيث صدرت عن عدد من المسؤولين الأتراك تصريحات تصب في خانة الرغبة في تصحيح العلاقة مع القاهرة إدراكًا لسلبيات القطيعة وأهمية الدور المصري. على سبيل المثال كان نائب رئيس الوزراء السابق بولند أرينتش قد أكد ضرورة تحسين العلاقات مع دول الخليج على قاعدة أن الطرفين يحتاج كل منهما إلى الآخر، وإلى التعامل مع الأمر الواقع في مصر. كما أشار وزير الخارجية حينها مولود جاويش أوغلو إلى رغبة تركيا (ومصر) في تحسين العلاقات، كاشفًا عن مبادرات طرح فيها كل طرف مطالبه، لكن أرينتش اشترط أن تكون مصر البادئة بالخطوة الأولى نحو أنقرة(١١).

وفي عام ٢٠١٦ زار وفد تركي رفيع مصر برئاسة حسن علي تشلك نائب وزير الصناعة وضم خمسة من كبار المسئولين الأتراك، في زيارة استغرقت يومين، كانت هي الأولى منذ تدهور العلاقات عام ٢٠١٣؛ وذلك للمشاركة في فعاليات الدورة الخامسة لمؤتمر وزراء الصناعة والتجارة للدول الأعضاء بمنظمة الدول الإسلامية الثماني النامية(١٢).

أما مؤخرًا، فقد برز خلال عام ٢٠٢٠ عدة مؤشرات تجلت بشكل واضح خلال العام الحالي ٢٠٢١، بداية من مواقف ذات دلالة في اتجاه التقارب لدى الطرفين، وحتى التصريحات المرحبة مع تحفظات (خاصة من الجانب المصري)، وصولا إلى الاتصالات الدبلوماسية لاستعادة العلاقات الثنائية.

- **المواقف والسياسات:**

رفضت تركيا توقيع اتفاق لترسيم الحدود البحرية مع إسرائيل التي كانت ستؤدي عمليًا لإلغاء اتفاقية ترسيم الحدود المصرية مع اليونان والإضرار بمصالح مصر النفطية في شرق المتوسط، وبخاصة المنطقة شرق خط طول ٢٨؛ وهي الخطوة التي كان من المفترض أن تكمل بها إسرائيل الاتفاق مع كل من قبرص واليونان بخصوص خط أنابيب "ميد إيست" الذي تم فيه تجاهل مصر ومصالحها؛ ما دفع إسرائيل لوقف بناء منشآت كانت قد دشنتها لخدمة هذا الخط.

أيضًا، احترمت تركيا لفترة إعلان مصر اعتبار "خط سرت– الجفرة" خطًا أحمر لأمنها القومي، وإن كانت حدثت مواجهة في ديسمبر ٢٠٢٠، واخترق الجانب الموالي لتركيا خط سرت–الجفرة مرتين(١٣).

وعلى جانب آخر، عرضت تركيا تقديم الدعم لمصر في أكثر من موقف، على سبيل المثال: فقد أعلنت أنقرة على لسان وزير النقل، عادل قره إسماعيل أوغلو، استعدادها تقديم المساعدة لإعادة تعويم سفينة الحاويات العملاقة "إيفر جيفن" الجانحة بقناة السويس. وقد كرر الوزير التركي عرضه لمصر مرتين، حيث قال إن بلاده مستعدة لإرسال سفينة "نينه خاتون"، التي وصفها بأنها أقوى سفينة استجابة للحالات الطارئة ولا مثيل لها في الأسطول التركي(١٤).

أيضًا أعلن المبعوث الشخصي للرئيس التركي إلى العراق، فيصل إيروغلو، أن بإمكان بلاده القيام بوساطة في أزمة ملف سد النهضة. لكنه أكد أن "القيام بوساطة في أزمة ملف سد النهضة شريطة عدم تدخل الدول الغربية لأن ذلك قد يقود إلى عدم المصالحة". وتابع أن "سد النهضة قضية تقنية ولدى بلاده الكثير من الخبراء الذين يمكنهم المساعدة في حلها"(١٥).

---

(١١) د.سعيد الحاج، التقارب التركي–المصري: الأسباب والعوائق، مركز الجزيرة للدراسات، ١٠ يناير ٢٠١٥: https://cutt.us/SUS53

(١٢) وفد تركي رسمي يُغادر القاهرة بعد مشاركته في مؤتمر بالقاهرة، بوابة الأهرام، ١١ مايو ٢٠١٦: https://cutt.us/hgwcK

(١٣) وسام فؤاد، التقارب المصري التركي: الحدود والأبعاد، مرجع سابق.
بعد تأكيد السيسي على أنهما خط أحمر... ما أهمية سرت والجفرة؟ سكاي نيوز عربية، ٢١ يونيو ٢٠٢٠: https://cutt.us/8AIbQ

(١٤) عبد الرحمن محمد (محرر)، أحوال تركية، مارس– أبريل ٢٠٢١، المسار للدراسات الإنسانية: https://cutt.us/ep7Gp

(١٥) تركيا تعلن إمكانية التوسط لحل أزمة سد النهضة، تي أر تي العربية، ١٢ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/cTQks

أما على الجانب المصري، ففي فبراير ٢٠٢١ أعلنت مصر عن جولة استكشاف جديدة للنفط والغاز في شرق المتوسط، وكان المثير للانتباه أنها أخذت في الاعتبار إحداثيات الجرف القاري كما أعلنته أنقرة وفقًا لاتفاقية ٢٠١٩ بين تركيا وليبيا، والمسجلة لدى الأمم المتحدة أكتوبر ٢٠٢٠، وهكذا فهمت أنقرة الخطوة المصرية كرسالة إيجابية[١٦].

- **التصريحات:**

بدايةً من عام ٢٠٢٠ تواترت تصريحات بمثابة مؤشرات تشير لرغبة الجانب التركي في عودة العلاقات مع مصر (خاصة على ضوء المواقف السابق تناولها)، من بوابة التعاون في ملف شرق المتوسط. وقد أعلنت تركيا عن هذه الرغبة في محطتين زمنيتين، الأولى يناير ٢٠٢٠، من خلال ياسين أقطاي مستشار الرئيس التركي، والثانية يونيو ٢٠٢٠[١٧].

ثم في سبتمبر ٢٠٢٠، غازل أردوغان مصر مشيرًا إلى أن الحوار مع القاهرة ممكن، وأنه في حالة وجود مساحة مشتركة للتفاهم بينهما بخصوص ليبيا وشرق المتوسط، فإن تركيا لا بد أن تنظر إلى هذا الأمر على نحوٍ إيجابي، مُضيفًا أنه توجد اتصالات غير علنية بين البلدين (حيث بدأت الاتصالات على مستوى أمني واستخباراتي). وفي لفتة إيجابية أيضًا، أكد وزير الدفاع التركي أن "مصر لم تتجاوز قواعد القانون الدولي في اتفاقيات ترسيم حدودها البحرية مع اليونان وقبرص". وفي ٢٧ ديسمبر، صرَّح وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو بأن "هناك اتصالات بين البلدين على مستوى أجهزة المخابرات لتحسين العلاقات الثنائية"[١٨]. ذلك وصولا إلى ٣مارس ٢٠٢١، حيث أكد جاويش أوغلو على المصالح المشتركة بين تركيا ومصر، مشيرًا إلى استعداد تركيا للتفاوض والتوقيع على اتفاقية الاختصاص البحري مع القاهرة[١٩].

ثم في ٦ مارس ٢٠٢١، كان لوزير الدفاع التركي خلوصي أكار تصريحات مهمة أيضًا تناول فيها الملف المصري، حيث ثمن خلال إشرافه على مناورات "الوطن الأزرق ٢٠٢١" البحرية بالبحرين: المتوسط وإيجة، احترام القاهرة لحدود الجرف القاري التركي الذي اعتبر أنه يصب في مصلحة حقوق ومصالح الشعب المصري. كما أكد أكار أن تركيا ومصر لديهما قيم تاريخية وثقافية مشتركة، وأن تفعيلها سيحدث تطورات مختلفة في الأيام المقبلة. وأعرب وزير الدفاع التركي عن اعتقاده بإمكانية إبرام اتفاقية أو مذكرة تفاهم مع مصر في الفترة المقبلة، بما يتماشى مع اتفاق الصلاحية البحرية المبرم مع ليبيا، المسجل لدى الأمم المتحدة[٢٠].

شهد الأسبوع الثاني من مارس ٢٠٢١ موجةً أوسع من التصريحات التركية التصالحية مع مصر؛ إذ صرَّح المتحدث باسم الرئاسة إبراهيم كالن، لشبكة بلومبرغ في ٨ مارس ٢٠٢١، إأن "مصر قلب وعقل العالم العربي، ولديها دور مهم في المنطقة"؛ ورأى كالن أنه "يمكن فتح صفحة جديدة في علاقاتنا مع مصر ودول الخليج الأخرى للمساعدة في السلام والاستقرار الإقليميين". وأكد أن تركيا مهتمة "بالتحدث مع مصر حول القضايا البحرية في شرق المتوسط، بالإضافة إلى قضايا أخرى في ليبيا وعملية السلام والقضية الفلسطينية"[٢١]. وتعليقًا على تصريحات متحدث الرئاسة التركية، قال ياسين أقطاي إن "من يمشي إلينا خطوة نمشي إليه خطوتين"، وأضاف في تصريحات لقناة "TRT عربي" التركية الرسمية أن حديث "كالن" جاء بعد بيانات وفعاليات من جانب مصر تؤكد أنها تحترم، في أنشطتها للتنقيب عن الطاقة بشرق المتوسط، الترسيم

(١٦) ماذا وراء المغازلة الدبلوماسية بين مصر وتركيا؟ (ترجمات)، الخليج الجديد، ١٤ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/RjPBI

(١٧) طارق دياب، العلاقات المصرية التركية: القضايا والإشكاليات، مرجع سابق.

(١٨) د.علي الدين هلال، الجديد في العلاقات المصرية التركية، العين الإخبارية، ٢٠ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/76vot

(١٩) المصالحة التركية –المصرية: تصريحات وردود أفعال، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٧ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/noiA1

(٢٠) "أكار" يثمن احترام مصر الجرف القاري التركي في المتوسط، وكالة أنباء الأناضول، ٦ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/ZzFrV

(٢١) المصالحة التركية ـ المصرية: تصريحات وردود أفعال، مرجع سابق.

التركي[٢٢]. كما أكد عمر جليك المتحدث باسم حزب العدالة والتنمية الحاكم في ٩ مارس ٢٠٢١ "على الروابط القوية بين القاهرة وأنقرة"، وقال أيضًا إنه "وبدون الشراكة مع مصر لا يمكن كتابة تاريخ المنطقة"، على نحو يدرك محورية العلاقات مع مصر[٢٣].

في هذا الإطار جاءت تصريحات الرئيس التركي أردوغان مؤكدة لهذه التوجهات[٢٤]؛ إذ صرح خلال مؤتمر صحفي في ١٢ مارس ٢٠٢١، بأن تعاون تركيا مع مصر في المجال الاقتصادي والدبلوماسي والمخابراتي متواصل ولا توجد أي مشكلة في ذلك، وأضاف: "نريد استمرار اللقاءات الدبلوماسية مع مصر ونسعى لتطويرها، وعلاقاتنا معها جيدة". وقال الرئيس التركي إن الاتصالات مع مصر "ليست على أعلى مستوى، لكنها عند المستوى التالي له مباشرة"، وتابع: "يحدونا الأمل في أن نتمكن من مواصلة هذه العملية مع مصر بقوة أكبر"[٢٥]. ومن ضمن تصريحات أردوغان أيضًا أن العلاقات بين الشعبين المصري والتركي أقوى من مثيلاتها بين الشعبين المصري واليوناني[٢٦].

وفي اليوم ذاته الموافق ١٢ مارس ٢٠٢١، كشف وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو أيضاً عن بدء الاتصالات الدبلوماسية بين بلاده ومصر بهدف إعادة العلاقات بين البلدين إلى طبيعتها دون طرح أي شروط مسبقة. وأضاف: "لكن ليس من السهل التحرك وكأن شيئا لم يكن بين ليلة وضحاها، في ظل انقطاع العلاقات لأعوام طويلة" (لكن الأمر مع مصر كان مختلفًا حيث تحدثت القاهرة عن شروط محددة تتعلق بأولويات أمنها القومي سنأتي إليها فيما بعد)[٢٧]. ولفت جاويش أوغلو أنه سبق أن التقى مع نظيره المصري سامح شكري، خلال مشاركتهما في اجتماعات دولية، على سبيل المثال لقائهما في نيويورك قبل عامين[٢٨].

الرد المصري:

لم تعكس التصريحات الرسمية المصرية رفضًا للتقارب مع تركيا؛ لكنها جاءت مُقتضبة ومتحفظة، خاصة في بداية الأمر. فذكر بيان لوزارة الخارجية في سبتمبر ٢٠٢٠ أن "نهج تركيا يفتقد إلى المصداقية"[٢٩]. وأشار وزير الخارجية المصري في كلمة له في مجلس النواب في ١٤ مارس ٢٠٢١ إلى أن "الوضع السياسي الحالي يرجع إلى معارضة الإدارة التركية لمصر". وتعليقًا على تصريحات أردوغان أن تعاون تركيا مع مصر في مجالات الاقتصاد والدبلوماسية والاستخبارات مستمر، ولا توجد به مشكلة، صرح سامح شكري أن "المواقف السلبية للساسة الأتراك لا تعكس العلاقة بين الشعبين المصري والتركي"[٣٠]. وأوضح شكري أنه إذا وجدت مصر تغييرًا في السياسة التركية، وعدم تدخل في الشؤون الداخلية وانتهاج سياسات إقليمية تتوافق مع السياسة المصرية، فقد تكون هذه أرضية ومنطلقًا للعلاقات الطبيعية بين البلدين؛ واعتبر أن "الأقوال الصادرة عن الساسة في أنقرة بشأن فتح قنوات حوار مع القاهرة لا تكفي، بل لا بد أن تقترن بأفعال"[٣١].

لكن مع مرور الوقت بدت تصريحات وزير الخارجية المصري في أبريل ٢٠٢١ أكثر انفتاحًا مع استمرار التأكيد على ضرورة الأرضية الملائمة للتقارب، فقد أكد شكري أن القاهرة "حريصة على إقامة علاقات وخلق حوار مع تركيا يصبّ في مصلحة البلدين"، وأوضح أنّ "التصريحات واللفتات التركية الأخيرة موضع

(٢٢) تركيا: مستعدون لفتح صفحة جديدة مع مصر ودول الخليج "ومن يمشى لنا خطوة نمشي له خطوتين"، سي إن إن العربية، ٨ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/V9jgV

(٢٣) لماذا تباينت التفسيرات لخطوات تركيا بالتقارب مع مصر؟، بي بي سي عربي، ٢١ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/5JEIJ

(٢٤) د.علي الدين هلال، الجديد في العلاقات المصرية التركية، مرجع سابق.

(٢٥) المصالحة التركية . المصرية: تصريحات وردود أفعال، مرجع سابق.

(٢٦) د.علي الدين هلال، الجديد في العلاقات المصرية التركية، مرجع سابق.

(٢٧) المصالحة التركية . المصرية: تصريحات وردود أفعال، مرجع سابق.

(٢٨) المرجع السابق.

(٢٩) د. علي الدين هلال، الجديد في العلاقات المصرية التركية، العين الإخبارية، مرجع سابق.

(٣٠) المرجع السابق.

(٣١) بعد ثبات الموقف المصري.. الرئيس التركي يواصل التودد للقاهرة، سكاي نيوز عربية، ١٧ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/IBbtj

مصر تعلن شروطها لقبول المصالحة مع تركيا، زمان العربية، ١٥ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/wc1YF

تقدير، ويوجد اهتمام بأن يحدث انتقال من مرحلة المؤشرات السياسية والانفتاح السياسي الذي يحدد إطار العلاقة وكيفية إدارتها"، متوقعًا أن تتم صياغة ذلك في إطار مشاورات سياسية، "حين تتوافر أرضية لذلك"(٣٢).

أيضًا كان الأمر محل تصريحات لبعض نواب البرلمان المصري الذين تحدثوا كذلك عن شروط معينة لعودة العلاقات؛ على سبيل المثال أدلى النائب مصطفى بكري بتصريحات جاء فيها: "أظن أن فصول المؤامرة التركية تجلت بشكل واضح في ليبيا وسوريا والعراق وهو ما يؤكد أن المطامع التركية لن تقف عند حد"، وأضاف: "لذلك فمن وجهة نظري، قبل أن تطالب تركيا بعودة العلاقات مع مصر، عليها أولا أن تثبت حسن نيتها بخطوات عملية على الأرض بتسليم جميع العناصر المطلوبة قضائيا في مصر على ذمة قضايا عنف وإرهاب، وكثير منهم صدرت بحقه أحكام جنائية"(٣٣).

ويتلخص مجمل التصريحات المصرية في أن مصر اشترطت لعودة العلاقات بعض الأمور منها: سحب القوات التركية من ليبيا، إغلاق قنوات المعارضة المصرية التي تبث من تركيا، تسليم المطلوبين من قيادات جماعة الإخوان، التوقف عن انتهاك السيادة الإقليمية لكل من العراق وسوريا، والتوقف عن انتهاك السيادة البحرية لكل من قبرص واليونان(٣٤).

- **الاتصالات الدبلوماسية:**

بدأ التواصل –كما سلف البيان– على مستوى أمني واستخباراتي خاصة حول ليبيا، لكن في أبريل ٢٠٢١ أعلنت وزارة الخارجية التركية أن وزيري خارجية تركيا ومصر تحدثا هاتفيًا في أول اتصال مباشر بينهما منذ أن بدأت تركيا العمل على تحسين العلاقات المتوترة بين البلدين. وأضافت الوزارة أن الوزيرين تبادلا التهاني بمناسبة قرب حلول شهر رمضان(٣٥).

أيضًا يُشار إلى أنه قد أجرى رئيس البرلمان التركي مصطفى شنطوب اتصالا بنظيره المصري (حنفي الجبالي) في مارس ٢٠٢١ لتعزيته في حادث قطاري سوهاج"(٣٦)، ويُعتبر البعض أن هذا الاتصال جاء على خلفية إشادة رئيس الوزراء المصري الدكتور مصطفى مدبولي بقيادة تركيا لمجموعة الثماني الإسلامية (D-8)(٣٧). كذلك قدّم حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا، مشروع قانون للبرلمان التركي من أجل تشكيل لجنة للصداقة البرلمانية مع مصر(٣٨). وبالفعل فقد أقر البرلمان في ٢٨ أبريل ٢٠٢١ مذكرة حول تشكيل لجنة صداقة برلمانية مع نظيريه الليبي والمصري، في أول خطوة تشريعية على طريق التقارب مع مصر وليبيا(٣٩).

لكن في هذه الأثناء علقت مصر طلب أنقرة لعقد اجتماع موسع في القاهرة قبل نهاية أبريل؛ بسبب ما اعتبرته تباطؤا تركيًا في سحب المرتزقة من ليبيا، وأوضحت القاهرة أن ذلك جاء لحين تنفيذ المطالب المصرية في أقرب وقت ممكن، ومن بينها ضرورة الإسراع بإجراءات ضد قنوات الإخوان الإعلامية. في المقابل طلبت أنقرة مزيدًا من الوقت لسحب مستشاريها العسكريين وعناصرها من ليبيا؛ وقد بدا بأن هذا الخلاف يدور حول سرعة تنفيذ الإجراءات؛ أي لم يكن خلافًا جوهريًا(٤٠). إلا أن تركيا اتخذت بعض الخطوات

(٣٢) استجابة لدعوة من القاهرة.. وفد تركي يزور مصر مطلع مايو، التليفزيون العربي، ١٥ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/0wNYa

(٣٣) كيف ينظر المصريون إلى تصريحات أردوغان حول التصالح مع مصر؟، روسيا اليوم، ١٢ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/MoJs4

(٣٤) براءة الحمدو، مصر وتركيا: بين التصريحات المتبادلة وآفاق العلاقات، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، ٢٢ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/CUTU9

(٣٥) أول اتصال بين وزيري خارجية تركيا ومصر منذ سنوات، دويتشه فيليه، ١٠ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/kiIID

(٣٦) تركيا تعزي مصر في الحادث الأليم، زمان العربية، ٢٧ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/g7GvY

(٣٧) هل بدأت العلاقات المصرية التركية في التعافي؟، النهار العربي، ١١ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/Z0V45

(٣٨) العلاقات التركية المصرية.. أنقرة تقترح تشكيل "لجنة صداقة برلمانية"، التليفزيون العربي، ٢٢ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/nwgjD

(٣٩) البرلمان التركي يصدر قرارًا جديدًا بشأن مصر وليبيا، زمان عربي، ٢٩ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/xxEgz

(٤٠) مصر تعلق محادثات تطبيع العلاقات مع تركيا حتى إشعار آخر، روسيا اليوم، ٩ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/ng1WQ

المطمئنة لمصر على الصعيد الليبي (نتطرق إليها لاحقًا)؛ ومن ثم أعلن وزير الخارجية التركي جاويش أوغلو أن علاقات بلاده مع مصر دخلت مرحلة جديدة، وأنه قد تكون هناك زيارات ومباحثات متبادلة في هذا الإطار، وأن هناك اجتماعًا تركيًا مصريًا مرتقبًا على مستوى مساعدي وزيري الخارجية[٤١]، وأن بلاده سترسل وفدًا بقيادة نائب وزير الخارجية إلى مصر مطلع مايو ٢٠٢١ لمناقشة "تطبيع" العلاقات بين البلدين التي بدأت تتحسن بعد سنوات من التوتر. وأشار إلى أن اجتماعًا سيجمعُه بوزير الخارجية المصري بعد تلك المحادثات[٤٢]. وبالفعل زار وفد تركي مصر في ٣ مايو ٢٠٢١ برئاسة نائب وزير الخارجية في إطار مباحثات استعادة العلاقات[٤٣]. واستمرت "المباحثات الاستكشافية" يومين، ووصفتها تركيا ومصر في بيان مشترك بـ"الصريحة والمعمقة"؛ حيث تطرقت إلى القضايا الثنائية، فضلا عن عدد من القضايا الإقليمية، لا سيما الوضع في ليبيا وسوريا والعراق، وضرورة تحقيق السلام والأمن في منطقة شرق المتوسط"[٤٤].

علق نائب الرئيس التركي فؤاد أقطاي بأن التطورات الأخيرة المتعلقة بالعلاقة مع مصر تشير إلى أنه رغم التوترات من فترة لأخرى، إلا أنه من مصلحة البلدين التحرك معًا وتنسيق خطواتهما[٤٥]. وتحدث أردوغان عقب المحادثات عن مسارات جديدة في التقارب مع مصر قائلا "بدأ مسار جديد. في البداية أجرت أجهزة الاستخبارات محادثات ومن ثم وزارتا الخارجية، سنواصل هذا المسار ونوسعه"[٤٦].

ثانيًا– دوافع التقارب لدى الدولتين:

هناك سياقات راهنة تدفع البلدين للتقارب أكثر من أي وقت مضى، فأنقرة تعاني ضغوط أوروبية، ومشكلات في العلاقات مع الولايات المتحدة. ومن ناحية أخرى تواجه مصر انتقادات وضغوطا من قبل واشنطن أيضًا في ملف حقوق الإنسان، فضلا عن "أزمة سد النهضة". هذا إضافة إلى التحديات الإقليمية مع تفاوت درجة تأثير هذه التحديات على الجانبين، ومن بينها: توغل طهران بالمنطقة، خاصة في اليمن والعراق وسوريا ولبنان، ما يفرض توافقًا مصريًا سعوديًا تركيًا باعتبار أن هذه الدول تمثل القوى السنية الرئيسية بالمنطقة"[٤٧]. ومن ثم لجأت الدولتان لإعادة ترتيب علاقاتهما الخارجية.

فأنقرة تحاول إعادة ترتيب علاقاتها مع الدول العربية، خصوصاً مصر[٤٨]، فضلا عن الخليج لاسيما عقب المصالحة الخليجية التي جرت في السعودية، في قمة العلا يناير ٢٠٢١، وأعلن أردوغان ترحيبه بها[٤٩]. كما أن الموقف التركي الراهن يندرج ضمن مسار بدأته أنقرة منذ فترة لتخفيف حدة التوترات مع عدد من الدول العربية والأوروبية، لا سيما مع مجيء إدارة جو بايدن التي لا تخفي تحفظاتها على نهج أردوغان[٥٠]. ليعود أردوغان إلى سياسة 'صفر مشاكل' مع الجيران مجددًا التي كانت الأرضية الصلبة للقوة

(٤١) تركيا: مرحلة جديدة من العلاقات مع مصر.. ولقاء مرتقب، سكاي نيوز العربية، ١١ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/I7twz

(٤٢) استجابة لدعوة من القاهرة.. وفد تركي يزور مصر مطلع مايو، مرجع سابق.

(٤٣) وصول أول وفد دبلوماسي من تركيا إلى مصر بعد ٨ سنوات، زمان العربية، ٣ مايو ٢٠٢١: https://cutt.us/PRUDK

(٤٤) ما تأثير التقارب المصري التركي على مسار الأزمة الليبية؟، سكاي نيوز عربية، ٧ مايو ٢٠٢١: https://cutt.us/GY1oX

(٤٥) نائب الرئيس التركي: من مصلحة تركيا ومصر التحرك معاً، تي أر تي عربية، ٦ مايو ٢٠٢١: https://cutt.us/Ujf6k

(٤٦) خلوصي أكار: العلاقات التركية المصرية ستصل مستويات رفيعة قريبًا، وكالة أنباء الأناضول، ٨ مايو ٢٠٢١: https://cutt.us/ufYh3

(٤٧) هل بدأت العلاقات المصرية التركية في التعافي؟، مرجع سابق.

(٤٨) العلاقات المصرية التركية: صحف عربية تتساءل عن أسباب "بوادر التقارب التكتيكي" بين القاهرة وأنقرة، بي بي سي عربي، ٢١ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/aRSwd

(٤٩) بعد مصالحة الخليج.. هل اتخذت العلاقات المصرية التركية مساراً جديداً؟، مرجع سابق.

(٥٠) شرق المتوسط: هل الغاز هو المحرك وراء "الغزل" التركي لمصر؟ – صحف عربية، بي بي سي عربي، ١١ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/WI8DU

الاقتصادية التي نقلت أنقرة إلى عضوية منظومة الدول العشرين الأقوى عالميا وبصورة "مُنقّحة""[٥١].

كما أن **مصر** وبرغم منطقية تنافسها مع تركيا في بعض الملفات، خاصةً بالنظر لوزنهما الإقليميين، إلا أن ذلك يجب أن يكون بمنأى عن المعارك الصفرية الممتدة لكل الإقليم، التي لا تتلاءم مع مصالح مصر ومكانتها ولم تجن منها شيئا. لذلك اعتمدت مصر استراتيجية أكثر مرونة؛ بحيث تتنافس مع تركيا حينما يفرض الواقع ذلك، وتتعاون معها حينما تملي المصالح[٥٢].

والأهم أنه حتى الملفات الخلافية، وتحديدًا مسألتا غاز المتوسط والوضع في ليبيا قد وجد الطرفان المصري والتركي أن التقارب أو حتى التفاهم –في أقل التقدير– أكثر جدوى لهما وأقل تكلفة من المواجهات. وفيما يلي نتناول تفصيلا أبرز العوامل الدافعة للتقارب على الجانبين:

- **الإدارة الأمريكية الجديدة (جو بايدن):**

على الجانب **التركي** تحديدًا، كان وصول الرئيس جو بايدن للبيت الأبيض، والذي لا يحظى أردوغان بعلاقات ودية معه أمرًا فارقًا[٥٣]، فقد وصف بايدن خلال حملته الانتخابية الرئيس التركي "بالحاكم المستبد"، واعتبر وزير الخارجية الأمريكي أن تركيا طرف "غير موثوق به"، كما أدانت وزارة الخارجية ما وصفته بانتهاكات حُكم القانون وحقوق الإنسان في تركيا[٥٤]. الأمر الذي انعكس في الموقف من اعتبار ما جرى في ١٩١٥ إبادة جماعية للأرمن[٥٥]. كما عبر مسؤولون في الإدارة الأمريكية خلال الفترة الماضية عن تمسك الإدارة الجديدة بموقفها الرافض إزاء امتلاك تركيا لمنظومة الدفاع الجوي الروسية (إس–٤٠٠)، حيث شدد مستشار الأمن الأمن القومي الأمريكي "جاك سوليفان"، خلال مباحثاته مع المتحدث الرسمي باسم الرئاسة التركية "إبراهيم كالن" على رفض أمريكا لحصول تركيا علي هذه الصفقة[٥٦]. كذلك فإن تصاعد وتوتر العلاقات بين واشنطن ودول شمال الأطلسي من ناحية وتركيا من ناحية أخرى (خاصة في ظل توتر علاقتها تجاه اليونان وقبرص، والخلاف بشأن الأزمة السورية والليبية، وكذلك أزمة ناغورني كاراباخ[٥٧]) جعل تركيا تفكر مرة أخرى في تهدئة سياستها الخارجية مع دول الجوار تخوفاً من حالة العزلة التي قد تفرضها عليها الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي، وفي هذا السياق تأتي محاولات أنقرة لإصلاح علاقتها مع مصر مرة أخرى[٥٨].

وبالنسبة **لمصر**، ففي الوقت الذي يربطها تحالف استراتيجي مع الولايات المتحدة، فإنها تحاول تنويع روابطها الخارجية، مع روسيا والصين. وهو ما يمكن تلمسه في صفقات السلاح بين مصر وروسيا، للدرجة التي دفعت وزير الخارجية الأمريكي في عهد ترامب لتهديد النظام المصري أنه في حال شراء طائرات السوخوي الروسية، فستفرض بلاده عليها عقوبات شديدة[٥٩]. كما أن مصر لم تجد دعمًا أمريكيًا في ملف سد النهضة.

- **ملف غاز شرق المتوسط:**

يعد هذا الملف الأكثرَ خطورة بالنسبة **للجانب التركي**؛ لأنه يتعلق بثروات هائلة من الغاز الطبيعي والهيدروكربونات خاصة بها بالنظر للحمل الكبير الذي تمثله وارداتها من الطاقة (نحو ٤٥ مليار دولار أمريكي في عام ٢٠١٨)، وتتداخل فيه أطراف على خلاف

(٥١) المرجع السابق.

(٥٢) طارق دياب، العلاقات المصرية التركية: القضايا والإشكاليات، مرجع سابق.

(٥٣) انظر: نتائج الانتخابات الأمريكية: هل تتدهور العلاقة بين تركيا والولايات المتحدة في ظل إدارة جو بايدن؟، بي بي سي عربي، ١٢ نوفمبر ٢٠٢٠: https://cutt.us/0bO9P

(٥٤) د.علي الدين هلال، الجديد في العلاقات المصرية التركية، مرجع سابق.

(٥٥) الاعتراف بإبادة الأرمن.. ماذا يعني قرار بايدن التاريخي؟، سكاي نيوز عربية، ٢٤ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/ABshE

(٥٦) عصام عبد المنعم، عبد الله السيد، شروق عيسى، التقارب المصري التركي وانعكاسه على القضايا الإقليمية، المركز الديمقراطي العربي، ٨ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/9fd05

(٥٧) بعد ثبات الموقف المصري.. الرئيس التركي يواصل التودد للقاهرة، مرجع سابق.

(٥٨) عصام عبد المنعم، عبد الله السيد، شروق عيسى، التقارب المصري التركي وانعكاسه علي القضايا الإقليمية، مرجع سابق.

(٥٩) طارق دياب، العلاقات المصرية التركية: القضايا والإشكاليات، مرجع سابق.

تاريخي مع تركيا، تتمثل بشكل أساس في اليونان وقبرص[٦٠]؛ ما يجعل من تحييد مصر هدفا في هذا الإطار، ومنع مشاركتها في تكتل ضدها[٦١].

وقد مهدت العلاقات المتباينة على المستوى الإقليمي الطريق أمام اليونان ومصر للعمل المشترك في شرق المتوسط، بما يتماشى مع اتفاقية ترسيم حدود المنطقة الاقتصادية الموقعة بين القاهرة والإدارة القبرصية الرومية عام ٢٠٠٣. فوقعت مصر اتفاقًا ثنائيًا لترسيم الحدود مع قبرص في ديسمبر ٢٠١٣، عُرف بـ"الاتفاقية الإطارية لتنمية الخزانات الحاملة للهيدروكربون". وصدقت مصر عليها لاحقًا في سبتمبر ٢٠١٤[٦٢]. وقد أعلنت تركيا عدم اعترافها بهذا الاتفاق؛ إذ اعتبرته يقلص الحدود البحرية التركية في مناطق حقول الغاز لصالح قبرص، في حين ردت مصر بأنه "واحد من حقوق مصر السيادية في المنطقة"[٦٣].

ثم في فبراير ٢٠١٨، أعلن وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو أن بلاده تخطط للتنقيب عن الغاز في شرق البحر المتوسط. لنجد أنه بعد حوالي عام من هذه التصريحات، في يناير ٢٠١٩، أُعلن عن "منتدى غاز شرق المتوسط" الذي يضم (مصر، واليونان، وقبرص، وإيطاليا، والأردن، وفلسطين، وإسرائيل) بهدف خلق سوق إقليمي للغاز ودعم التعاون الاقتصادي وجهود ترسيم الحدود بين الدول الأعضاء[٦٤]. ورأت تركيا في إنشاء هذه المنظمة محاولة لعزلها عن ثروات المنطقة، وردت الحكومة التركية لاحقا في مايو ٢٠١٩ بإعلان تحرك السفينة "فاتح" التي قامت بأعمال التنقيب عن الغاز في منطقة كارباز شرقي البحر المتوسط[٦٥]، واعتبرت مصر أن هذه التحركات تهدد أمن المنطقة وسلامتها.

وفي أغسطس ٢٠٢٠، وقعت مصر اتفاقا ثنائيًا جديدًا لترسيم الحدود البحرية مع اليونان، وصدق عليه الرئيس المصري في أكتوبر من العام نفسه، ويحدد الاتفاق المناطق الاقتصادية البحرية الخالصة بين البلدين. وبدورها، رفضت تركيا هذا الاتفاق، وقال وزير خارجيتها إن المناطق التي تم تقسيمها تقع في منطقة الجرف القاري التركي، وإن بلاده تعتبر الاتفاق "لاغيا وباطلا" ولن تسمح بأي أنشطة في المنطقة[٦٦].

من ثم لا ينفصل مسعى تركيا للتقارب مع مصر الآن عن رغبة تركيا ترتيب الأولويات بإقليم شرق المتوسط بالأساس، وأن تجد لنفسها مكانًا ربما عبر الانضمام إلى منتدى الغاز، الذي عملت القاهرة على تدشين فعالياته، ولكن لا شك أن الأمر سيستغرق وقتًا[٦٧]. علمًا أنه كان قد أعلن وزير الخارجية التركي في نوفمبر ٢٠٢٠ جاويش أوغلو: "يمكننا التفاوض على الحدود البحرية مع مصر والتوصل إلى اتفاق في المستقبل"[٦٨]؛ تلك التصريحات التي كررها وزير الخارجية التركي مؤخرًا، بأن "تركيا ومصر قد تتفاوضان على ترسيم الحدود في شرق البحر المتوسط إن سنحت الظروف"[٦٩]. جاءت تصريحات أوغلو تعليقًا على الإعلان المصري عن مناقصة للتنقيب عن الطاقة الهيروكربونية كشفت خرائطها أن الحدود الغربية حُددت بموجب الاتفاق بين القاهرة وأثينا، الذي عقد في أغسطس الماضي، غير أن الخريطة —كما سبقت الإشارة– تلتزم بالحدود الجنوبية للجرف القاري التركي المشار إليها في الاتفاق التركي–الليبي. وقال أوغلو إن بحث مصر عن الطاقة يحترم المنطقة الخالصة لتركيا[٧٠].

(٦٠) ما هو لب الخلاف بين مصر وتركيا؟، مرجع سابق.

(٦١) وسام فؤاد، التقارب المصري التركي: الحدود والأبعاد، مرجع سابق.

(٦٢) ما هو لب الخلاف بين مصر وتركيا؟، مرجع سابق.

(٦٣) المرجع السابق.

(٦٤) عدنان عبد الرزاق، دلالات إقصاء تركيا عن منتدى غاز شرق المتوسط، العربي، ٢٣ يناير ٢٠١٩: https://cutt.us/E5Xv2

(٦٥) فاتح ويافوز وأوروك.. أذرع تركيا البحرية للتنقيب عن الغاز في شرق المتوسط، صدى البلد، ١٦ يناير ٢٠٢٠: https://cutt.us/5n2Ro

(٦٦) ما هو لب الخلاف بين مصر وتركيا؟، مرجع سابق.

(٦٧) د.طارق فهمي، إلى أين تتجه العلاقات المصرية التركية؟، اندبندنت العربية، ٢٦ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/SLG6A

(٦٨) لماذا يبدو النزاع في شرق المتوسط معقدا؟، بي بي سي عربي، ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٠: https://cutt.us/qjsO1

(٦٩) إنجي مجدي، هل توقع مصر اتفاقا لترسيم الحدود البحرية مع تركيا؟، اندبندنت العربية، ٩ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/jNroV

(٧٠) المرجع السابق.

على الجانب المصري: مثل ملف غاز شرق المتوسط دافعًا للقبول بفكرة التقارب مع تركيا؛خاصة حين لم تضم اليونان وقبرص وإسرائيل مصر في اتفاقية للربط بينهم(٧١). فبعد إعلان مصر عن اتحاد شرق المتوسط مع قبرص واليونان، الغريم التقليدي للأتراك، إلى جانب إسرائيل، كان المتوقع بموجبه أن تصبح مصر مركزا عالميًا لإسالة الغاز الطبيعي، لكن ما حدث أن تم الاتفاق بشأن إنشاء خط الغاز بين إسرائيل واليونان وقبرص، من دون وجود مصر، ما جعل القاهرة تعيد التفكير في الأمر، خاصة أنه لكي تكون مصر مركزا عالميا للإسالة لا بد أن يمر خط الغاز عبر المناطق التركية في شرق المتوسط(٧٢).

وبالتالي، فلم تر مصر أي مكاسب حقيقية جراء وجودها في مثل هذه التكتلات لعدم جدية أطرافها في احترام المصالح المصرية بشكل يُرضي القاهرة، بينما أدركت مصر إمكانية الإفادة من اتفاق ترسيم الحدود التركية الليبية في تعزيز ودعم مصالحها وحدودها البحرية؛ ومن ثم تعززت فرص التواصل بين البلدين من أجل ترسيم الحدود؛ إذ نجحت عبر اتفاقها مع اليونان في تعديل خطوط الحدود البحرية المصرية اليونانية باتجاه كان أقرب للحفاظ على مستقبل للتواصل مع تركيا نوعا ما؛ برغم الاعتراض التركي على بعض النقاط في الاتفاق (كما أشير)(٧٣).

وبالتالي، فإن مصر أرادت باحترام الجرف القاري لتركيا في المناقصة التي طرحتها للتنقيب عن النفط والغاز في شرق المتوسط تجنّب أي تصادم أو انخراط في معارك ليست ذات أولوية بالنسبة إليها، كما أنها لا تريد أن تكون جزءًا في صراعات الآخرين دون أن يكون هناك ثمن حقيقي يمكن أن تجنيه ويُعضد أمنها القومي(٧٤).

الملف الليبي:

يرتبط هذا الملف بشكل وثيق بأزمة غاز شرق البحر المتوسط لدى الأطراف المتصارعة، ولنتطرق سريعًا لأهمية الملف الليبي على الجانبين التركي والمصري خاصة.

على الجانب التركي، ثمة دوافع اقتصادية، حيث تُعتبر ليبيا صاحبة أكبر احتياطي نفطي في إفريقيا بحوالي ٤٨ مليار برميل من النفط، بالإضافة إلى احتياطيات الغاز التي تُقدَّر بحوالي ١,٥ تريليون متر مكعب. الأمر الذي يقدّم لتركيا فرصة كبيرة في تأمين الطلب الداخلي من النفط والغاز، وبالتالي التخلص من التبعيّة لإمدادات روسيا وإيران، بل والأكثر من ذلك يقدّم لها فرصة كبيرة للانخراط في قضية تزويد الاتحاد الأوروبي بهذه الطاقة الاستراتيجية. هذا بجانب ملف الاستثمارات والمصالح التجارية التركية في ليبيا. أيضًا أرادت تركيا كسب حليف في منطقة شرق المتوسط، والتي تختل فيها موازين القوى لصالح خصوم تركيا. فضلا عن استخدام الملف الليبي كورقة ضغط في مواجهة دول أوروبا (خاصة فيما يتصل بقضايا اللاجئين والهجرة غير الشرعية)، ردًا على استخدام الأخيرة لورقة أكراد سوريا في مواجهة تركيا، وبالأخص فرنسا(٧٥).

أما على الجانب المصري، هناك دوافع اقتصادية كذلك، أهمها ضمان إمدادات النفط الليبي مرتفع الجودة وبأسعار رمزية، في ظل رغبة مصر في تحقيق الاكتفاء الذاتي في قطاع النفط مقارنة بالغاز. كما تقدر المنظمة الدولية للهجرة في نهاية عام ٢٠١٣، عدد المصريين الذين يعملون في ليبيا ما بين ٧٠٠ ألف و١,٥ مليون، وتبلغ تحويلاتهم المالية حوالي ٣٣ مليون دولار. هذا بجانب عقود إعادة الإعمار المرتقبة لليبيا، والتي قُدرت تكلفتها بـ ١٠٠ مليار دولار. أيضًا دوافع حماية الأمن القومي، حيث الحاجة لتأمين الحدود الغربية لمصر مع ليبيا، ضد تسلل أي ميليشيات عسكرية

(٧١) العلاقات المصرية التركية: صحف عربية تتساءل عن أسباب "بوادر التقارب التكتيكي" بين القاهرة وأنقرة، مرجع سابق.

(٧٢) تقادم الخطيب، في تقارب المصالح بين تركيا ومصر، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ١٠ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/fpZt9

(٧٣) وسام فؤاد، التقارب المصري التركي: الحدود والأبعاد، مرجع سابق.

(٧٤) شرق المتوسط: هل الغاز هو المحرك وراء "الغزل" التركي لمصر؟، مرجع سابق.

(٧٥) طارق دياب، العلاقات المصرية التركية: القضايا والإشكاليات، مرجع سابق.
د.خالد حنفي علي، الدور التركي في ليبيا من منظور ''لعبة المساومة''، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، ١٣ أغسطس ٢٠١٩: https://cutt.us/DaUss

نحو الداخل المصري، مع ربط ذلك بالمواجهة مع حركات الإسلام السياسي[٧٦].

ولما كانت لليبيا تلك الأهمية لدى الطرفين، فقد تحولت ليبيا بدورها في ظل القطيعة إلى ثاني مناطق ملفات النزاع بين الجانبين المصري والتركي، حيث عملت القاهرة منذ عام ٢٠١٤، على تقديم الدعم للمجموعة التي يقودها اللواء المتقاعد خليفة حفتر، ضد حكومة الوفاق المدعومة من تركيا. ومن أهم المحطات الفارقة أنه في نهاية عام ٢٠١٩، وقعت تركيا مع حكومة السراج اتفاق ترسيم مناطق الصلاحية البحرية واتفاقية للتعاون العسكري والأمني[٧٧]. وقد جاء التعليق المصري على الاتفاق في البداية رافضا قبل أن يلمح إلى إقراره لمصلح مصرية.

ثم جاءت موافقة البرلمان التركي في يناير ٢٠٢٠، على إرسال قوات إلى ليبيا لدعم حكومة طرابلس في حربها ضد قوات شرق ليبيا، واعتبرت مصر هذه الخطوة تهديدًا لأمنها القومي، وذكر بيان للخارجية المصرية أن التحرك التركي يخرق قرارات مجلس الأمن "وينذر بمزيد من تدويل الأزمة الليبية". لكن مع تطور الأحداث، وتكلفة وتعقيدات الحلول العسكرية، أعلنت مصر في يونيو ٢٠٢٠، مبادرة "إعلان القاهرة"[٧٨] لدعم الحل السياسي للأزمة في ليبيا، بحضور خليفة حفتر ورئيس برلمان طبرق عقيلة صالح. ونصت المبادرة على إعلان وقف إطلاق النار بدءًا من الثامن من يونيو ٢٠٢٠، وإلزام جميع الأطراف بخروج المرتزقة الأجانب من ليبيا، وتفكيك الميليشيات وتسليم أسلحتها للجيش الليبي. لكن سرعان ما رفضت حكومة طرابلس الإعلان وقالت إن "ليبيا ليست في حاجة إلى مبادرات جديدة". كما أعلن المتحدث باسم الخارجية التركية اعتراض بلاده على اتهامها بعرقلة جهود السلام في ليبيا.

(٧٦) طارق دياب، العلاقات المصرية التركية: القضايا والإشكاليات، مرجع سابق.

(٧٧) العلاقات المصرية التركية بين التوترات وأواصر التعاون، رصد، ٢٤ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/s6WeS

(٧٨) انظر تفاصيل المبادرة: مبادرة إعلان القاهرة، موقع رئاسة جمهورية مصر العربية: https://cutt.us/6Xeu0

ليستمر الوجود العسكري التركي في ليبيا حتى مع الإعلان عن حكومة جديدة، وهو الأمر الذي يزعج القاهرة[٧٩].

والسؤال إذن ما موضع الملف الليبي من التقارب المصري التركي؟ يتفرع عن ذلك تساؤلات أخرى من قبيل: هل يمكن أن يكون هناك اتفاق حول الترتيبات الأمنية والسياسية في ظل التحول السياسي الراهن في ليبيا[٨٠]؟

يلاحظ أن القاهرة قامت ببعض مساعٍ للتهدئة على نحو جعل هناك فرصة للتقارب مع أنقرة؛ وخاصة خلال الربع الأخير من العام ٢٠٢٠ والربع الأول من العام ٢٠٢١، وهي خطوات تقف خلفها العديد من الدوافع الداخلية الليبية العسكرية والسياسية من جهة، والتحولات في المشهدين الإقليمي والدولي، على سبيل المثال: احتضان القاهرة لقاءات بين أطراف النزاع الليبي من أجل التباحث حول ملفات مهمة تخص مسار التسوية السياسية، أبرزها الاجتماعات الخاصة باللجنة العسكرية المشتركة ٥+٥، بالإضافة إلى اللقاءات الخاصة بالتفاهم حول آليات إجراء الاستفتاء الدستوري والانتخابات العامة بشقيها الرئاسي والبرلماني في ديسمبر ٢٠٢١.

وبشكل عام، فقد أصبح الموقف المصري أكثر انفتاحًا على مختلف الأطراف. وهذا ما تبلور من خلال زيارة وفد للحكومة المصرية، يضم مسؤولين من وزارة الخارجية والمخابرات العامة، للغرب الليبي، وهي الزيارة الأولى من نوعها منذ عام ٢٠١٤؛ هذه المدة التي شهدت قطيعة بين مصر وحكومة الوفاق. وحملت تلك الزيارة دلالات مهمة حيث تعكس رفض القاهرة الدخول في دوامة الحرب تفاديا لتكرار العملية التي أطلقها حفتر في أبريل ٢٠١٩، وذلك بعد أيام من إطلاقه لتصريحات تلوح بالعودة إلى الحرب. كما حملت في طياتها تمرير رسائل إيجابية من القاهرة إلى الحكومة الليبية مفادها

(٧٩) ما هو لب الخلاف بين مصر وتركيا؟، مرجع سابق.

(٨٠) د.طارق فهمي، إلى أين تتجه العلاقات المصرية التركية؟، مرجع سابق.

أن مصر تدعم الخيار السياسي، وأنها تريد أن تبقى على مسافة واحدة من جميع الأطراف[٨١].

وقد أعلنت الخارجية الليبية إثر هذه الزيارة أن الوفد المصري تعاطى بإيجابية خلال مناقشة الملفات العالقة بين البلدين. واستكمالا لنتائج هذه الزيارة بشأن إعادة العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وطرابلس، زار وفد مصري طرابلس من أجل الاتفاق على إعادة افتتاح السفارة المصرية وتشغيل خط طيران منتظم بين طرابلس والقاهرة؛ وبشكل فعلي تم افتتاح القنصلية المصرية كخطوة تمهيدية تسبق الافتتاح الرسمي للسفارة المصرية في طرابلس بعد غياب أكثر من ست سنوات. كما تم استئناف الرحلات الجوية الليبية إلى مصر، بعد انقطاع أكثر من عام. أيضًا قام رئيس الوزراء الليبي للفترة الانتقالية عبد الحميد دبيبة بزيارة إلى القاهرة كأولى جولاته الخارجية، وذلك بعد أسبوعين من إعلان فوز قائمته في ملتقى الحوار الليبي في جنيف. كما أعلن الرئيس المصري دعمه الكامل للحكومة الليبية الجديدة برئاسة عبد الحميد الدبيبة[٨٢].

وقد لعب العامل الإقليمي دورًا مهمًا في هذه الخطوات المصرية في المسرح الليبي؛ حيث الحاجة إلى التنسيق على صعيد ملفات إقليمية عدة، لا يمكن أن يتم دون ترتيب الساحة الليبية التي تمكنت تركيا من تحقيق نفوذ عميق بها، عبر دعمها حكومة الوفاق، الأمر الذي أثر بالتبعية على العلاقات المصرية–التركية[٨٣]. هذا لاسيما أن مصر تدرك أنها تواجه تهديدات على جبهات متعددة، وأن محاولات استنزاف الجيش في إحداها، قد يكون على حساب باقي الجبهات، فهناك تهديد مباشر في جبهة الشرق من قبل العناصر الإرهابية بسيناء، إلى جانب إسرائيل، علاوة على الخطر الإثيوبي، وحالة السيولة في السودان، بالإضافة للتحديات الجيوستراتيجية في جنوب البحر الأحمر ومضيق باب المندب[٨٤].

- **العلاقات مع دول الخليج:**

كانت مصر جزءًا من نتائج قمة العُلا التي تبنت المصالحة الخليجية في ٥ يناير ٢٠٢١، ولم تقتصر مخرجاتها على دول الخليج، حيث حتمت التأثير على ملفات إقليمية مختلفة[٨٥]. فقد ساهمت نوعًا ما في تهدئة حالة الاستقطاب الإقليمي بشكل عام، ما انعكس بشكل ما على سياسة المحاور التي تعيشها المنطقة منذ عام ٢٠١١؛ إذ أعطت هذه المصالحة فرصة للأطراف المختلفة لإعادة النظر في خارطة التحالفات، مع إمكانية كسر حالة العداء الصريح[٨٦].

في هذا السياق رأت تركيا أن المصالحة مع مصر قد تفتح لها أبواب الخليج على النحو الذي تريد، خاصة أن امتلاك قاعدة في قطر لا يعني أنها قد حققت أهدافها بمنطقة الخليج، فهناك توازنات إقليمية ودولية أكثر تعقيدًا[٨٧]. أيضًا عقب هذه المصالحة تراجعت أهمية مشروع نقل الغاز من قطر لتركيا عبر إيران، وأصبح من الأكثر حكمة لتركيا ألا تضع كل رهاناتها في مجال نقل الطاقة على هذا المشروع رغم أهميته، وأن تبدأ في التفكير في بدائل أخرى؛ ومنها التقارب مصر[٨٨].

ولما كانت العلاقات بين الأطراف المختلفة متشابكة –كما سلف الذكر– فانطلاقًا من ذلك اتخذت تركيا ذاتها توجهًا للتقارب مع السعودية، فللمرة الأولى تُجرى مكالمة هاتفية بين أردوغان والملك "سلمان" في نوفمبر ٢٠٢٠ من بعد حادثة مقتل الصحفي

(٨١) نورة الحفيان، ما بعد ترامب: تحولات الموقف المصري في الملف الليبي، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، ٢٦ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/Aw91j

(٨٢) المرجع السابق.

(٨٣) المرجع السابق.

(٨٤) وسام فؤاد، التقارب المصري التركي: الحدود والأبعاد، مرجع سابق.

(٨٥) محمد أبو الفضل، موقع الخليج في حسابات مصر مع تركيا، العرب، ٢٢ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/ffLsV

(٨٦) أبعاد التقارب التركي المصري ومحدداته، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، ٢٦ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/829Ld

(٨٧) محمد أبو الفضل، موقع الخليج في حسابات مصر مع تركيا، مرجع سابق.

(٨٨) د.توفيق حميد، لماذا تحاول تركيا التقارب مع مصر الآن؟، الحرة، ١٧ مارس ٢٠٢١: https://cutt.us/TAjJl

"جمال خاشقجي" تقدمت فيها تركيا بشكرٍ خاص للسعودية علي رئاسة مجموعة "دول العشرين" عشية عقد الرياض لقمة افتراضية للدول الأعضاء، كما أكدت تركيا على ضرورة بحث سبل الحوار بين البلدين لتحسين العلاقات الثنائية[٨٩]. أيضًا أجرى أردوغان، في أبريل ٢٠٢١ اتصالاً هاتفياً بالملك سلمان، هنأه فيه بحلول شهر رمضان[٩٠]. وقد ذكر إبراهيم كالن أن بلاده ترحب بمحاكمة مقتل خاشقجي، والتي حكم فيها على ثمانية أشخاص بالسجن لمدة تتراوح بين ٧ و٢٠ عامًا[٩١]. وقد تم لقاء دبلوماسي بين مسؤولي الدولتين، لكنه لم يكن على أعلى مستوى، حيث التقى القائم بالأعمال بسفارة المملكة في الدوحة علي سعد القحطاني، السفير التركي في قطر، مصطفى كوكصو، في الدوحة[٩٢]. لتأتي الخطوة الأهم بزيارة وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو المملكة العربية السعودية في ١٠ مايو ٢٠٢١ ليلتقي نظيره السعودي الأمير فيصل بن فرحان، وقد أكدت وزارة الخارجية التركية أن هدف الزيارة مناقشة وجهات النظر في القضايا الإقليمية والثنائية[٩٣].

بينما الملف الأصعب قد يكون مع الإمارات، وإن كانت هناك رسائل تركية تمّ إطلاقها مؤخرًا باتجاه الإمارات وباتجاه التهدئة في العلاقات بين الجانبين[٩٤].

أما على الجانب المصري، فهناك عدة مؤشرات تتصل بالعلاقات مع الخليج دفعت مصر لإدراك أهمية تنويع علاقاتها بما يتناسب مع مكانتها الإقليمية[٩٥]؛ وذلك مثل الاختلاف في التقديرات حول بعض المواقف مع الإمارات، وبالتالي رأت مصر الحاجة العمل على إصلاح العلاقات مع تركيا. وعلى الجانب الآخر هناك مطالب مصرية خليجية مشتركة من تركيا، وتتمثل في تحجيم التواجد التركي بعدد من الساحات الإقليمية كسوريا وليبيا والعراق؛ وهي أمور كانت بحاجة للتواصل بشأنها[٩٦].

- **الأوضاع الداخلية بالدولتين:**

على الجانب التركي، يحاول أردوغان قطع الطريق على المعارضة التي دائما ما تحاول الضرب على وتر توتر العلاقات مع مصر، وأنه ليس من مصلحة أنقرة أن تكون علاقتها مع القاهرة بهذا الشكل، بينما التقارب معها سيحقق كثير من الفوائد"[٩٧]. ذلك خاصة أن أردوغان يعمل على تعديل سياساته الخارجية والداخلية، نظراً لاقتراب موعد الانتخابات الرئاسية القادمة ٢٠٢٣، فبعد تراجعه في الانتخابات البلدية بدأت المعارضة تضغط عليه لبداية المصالحة مع مصر، حيث صرح "فائق أوزتراق" متحدث حزب الشعب الجمهوري: "منذ اليوم الأول للأزمة مع مصر طالبنا بضرورة تحسين العلاقات معها، فهي مهمة للغاية من أجل مصالحنا الوطنية"[٩٨].

على الجانب المصري، وبشأن الموقف التركي الداعم للمعارضة بالخارج، فمن جهة قد استقرت الأوضاع السياسية ولم يعد الأمر بالأهمية التي كان عليها في عام ٢٠١٣، ومن جهة أخرى فإن التفاهمات الراهنة والتي تتطرق لهذا الملف ربما تسهم مثلا في

(٨٩) عصام عبد المنعم، عبد الله السيد، شروق عيسى، التقارب المصري التركي وانعكاسه علي القضايا الإقليمية، مرجع سابق.
بعد طول جفاء.. اتصال بين أردوغان والملك سلمان وشكر خاص للسعودية على رئاسة مجموعة ال٢٠، يورونيوز، ٢١ نوفمبر ٢٠٢١:
https://cutt.us/8B5BR

(٩٠) الرئيس التركي يجري اتصالاً هاتفياً بالعاهل السعودي، الخليج أونلاين، ١٥ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/uxfBo

(٩١) الرئاسة التركية: تطبيع العلاقات مع مصر مهم، زمان العربية، ٢٧ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/SQHDw

(٩٢) أحوال تركية، مرجع سابق.

(٩٣) وزير خارجية تركيا: وصلت السعودية لمناقشة قضايا المنطقة، العربية، ١٠ مايو ٢٠٢١: https://cutt.us/W2qyG

(٩٤) أنقرة تطوي خلافات الماضي.. صفحة جديدة تُفتَح بين تركيا ومحيطها، التليفزيون العربي، ٢٧ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/sqM9p

(٩٥) وسام فؤاد، التقارب المصري التركي: الحدود والأبعاد، مرجع سابق.

(٩٦) محمد أبو الفضل، موقع الخليج في حسابات مصر مع تركيا، مرجع سابق.

(٩٧) بعد ثبات الموقف المصري.. الرئيس التركي يواصل التودد للقاهرة، مرجع سابق.

(٩٨) عصام عبد المنعم، عبد الله السيد، شروق عيسى، التقارب المصري التركي وانعكاسه علي القضايا الإقليمية، مرجع سابق.

تحقيق مطلب إغلاق القنوات الفضائية للمعارضة والذي يمثل أولوية لدى مصر.

- **الأبعاد الاقتصادية:**

تشكل الأوضاع الاقتصادية عاملا مهمًا للتقارب المصري التركي بالنسبة للجانبين، خاصة بعد جائحة كورونا وتأثيراتها على مختلف اقتصادات العالم. نعم إن العلاقات التجارية والاقتصادية بين الدولتين لم تنقطع جراء الخلافات السياسية، ولكن أمامها فرصا جيدة للنمو في حال إنهاء الخلافات أو حتى تخفيف حدتها، فمصر يمكن أن تكون بوابة للمنتجات التركية في المنطقة العربية وأفريقيا، وكذلك يمكن أن تتيح تركيا فرصة جيدة لتسويق المنتجات المصرية(٩٩).

فيتضح لنا أن حجم التجارة فى الفترة من٢٠٠٩ حتى ٢٠١٣ قد وصل إلى (٥) بلايين دولار، ووصل عدد اتفاقيات التعاون المشترك إلى ١٠٠ اتفاقية تعاون، بالإضافة إلى توقيع مذكرتي تفاهم في مجال الطاقة فى مصر وتسهيل إجراءات السفر والتنقل بين البلدين، وفتح فروع للبنوك التركية في مصر والبنوك المصرية في تركيا واتفاقية الخط الملاحي ''الرورو'' عام ٢٠١٢ والتي ألغيت عام ٢٠١٤ تحت وطأة الخلافات السياسية(١٠٠). كما طالب برلمانيّون مصريون بتعليق اتفاق التجارة الحرة مع تركيا، الموقع في عام ٢٠٠٧ والذي دخل حيز التنفيذ عام ٢٠١٣، لكن المجلس لم يصوت على ذلك؛ فثمة أصوات تنادي بعدم التسرع(١٠١).

ذلك الحال على خلاف النموذج التركي السعودي الذي تهاوت فيه التجارة البينية مع تركيا جراء الخلافات السياسية، وانخفضت فيه الواردات التركية للسعودية بنسبة ٩٥% بحلول نهاية عام ٢٠٢٠، بينما النموذج المصري شهد النقيض من ذلك. فقد بدأ المشهد في عام ٢٠١٣ فيما تحتل تركيا المركز الثالث والرابع كشريك تجاري لمصر في الواردات والصادرات على الترتيب، وبحلول نهاية عام ٢٠١٨، تجاوزت التجارة بين البلدين عتبة الخمسة مليارات دولار في اتجاه الزيادة لا التراجع، وهو رقم كبير نسبيا في بلد بحجم مصر يشهد تنوعًا واسعًا فيما يتعلق بوجهات وبمصادر تجارتها الخارجية على حد سواء(١٠٢).

من ثم فإنّ مستقبل العلاقات بين تركيا ومصر، يرتبط بدرجة أساسية بالأبعاد الاقتصادية التي بدورها يمكن أن تعزز التفاهمات السياسية.

ثالثًا– نتائج التفاهمات:

كيف يمكن في حال تحقيق تقارب مصري تركي أيا كان مستواه أن تحقق الدولتان أهدافهما السابق الإشارة إليها في تناول دوافع التقارب، في ضوء إدراك الطرفين أن التغيرات التي شهدتها المنطقة تتطلب إعادة تحسين العلاقات من أجل حماية المصالح الاستراتيجية لكلا البلدين؟ (مع إدراك أن الأمور لن تسير على وتيرة واحدة، وستتخللها الخلافات من فترة لأخرى) يمكن تناول بعض النقاط فيما يلي:

- **إعادة ترتيب الأوضاع في شرق المتوسط:**

ربما تكون هناك بعض الصعوبات على هذا المسار، خاصة أن قضية التنقيب في شرق المتوسط هي قضية معقدة من المتوقع أن تشهد كل فترة تغييرات في التحالفات، تبعًا للأولويات المختلفة لكل دولة: على سبيل المثال: لا تعترف تركيا بقبرص، ولا بشبه جزيرة كريت، ولديها خلافات ممتدة مع اليونان، فكيف إذاً ستتقبل التعاملات المصرية مع اليونان وقبرص والدول الثلاث تربطها علاقات وطيدة وترتيبات أمنية وتدريبات بحرية؟ خاصة أنه من الصعب أن تستجيب مصر لأية مطالب بشأن علاقاتها الرئيسة المباشرة مع اليونان وقبرص(١٠٣).

(٩٩) هل بدأت العلاقات المصرية التركية في التعافي؟، مرجع سابق.

(١٠٠) عصام عبد المنعم، عبد الله السيد، شروق عيسى، التقارب المصري التركي وانعكاسه علي القضايا الإقليمية، مرجع سابق.

(١٠١) براءة الحمدو، مصر وتركيا: بين التصريحات المتبادلة وآفاق العلاقات، مرجع سابق.

(١٠٢) وسام فؤاد، التقارب المصري التركي: الحدود والأبعاد، مرجع سابق.

(١٠٣) د.طارق فهمي، إلى أين تتجه العلاقات المصرية التركية؟، مرجع سابق.

أيضًا هل يمكن للقاهرة حال إتمام مصالحة واستئناف الاتصالات رسمياً أن تذهب في إطار علاقاتها لإعادة موضعة مصالحها والقبول بدور لتركيا في شرق المتوسط على نحو ما تطمح إليه؟ وماذا عن دور قبرص واليونان بل وإسرائيل، هل ستقبل هذه الأطراف بدخول تركيا منظومة الغاز الجديدة، التي ربما يكون لمصر دور أكبر فيها مما كانت تخطط لها اليونان أو إسرائيل، خاصة في ظل ما تملكه مصر من إمكانات التسييل في محطتي إدكو ودمياط[١٠٤]؟

الأمر سيتوقف بدرجة كبيرة على الرؤية المصرية للتقارب مع تركيا، فهل هو تقارب استراتيجي ستمضي به قدمًا رغم العقبات والاختلافات، أم هو تكتيكي مؤقت لمحاولة الضغط على حلفائها الذين تخطوا مصالحها في مشروع مد خط "إيست ميد" من شرق المتوسط وحتى أوروبا[١٠٥]. يرتبط بذلك التساؤلات عن الخطوات المقبلة في الإقليم ومنها ترسيم الحدود البحرية المصرية الإسرائيلية وترسيم الحدود الفلسطينية مع تركيا والحدود بين مصر وقطاع غزة[١٠٦].

هل يمكن للقاهرة وأنقرة أن تطورا التعاون في مجال البحث السيزمي (تنقيب عن البترول والغاز) والكشف البحري عن الطاقة بواسطة السفن التركية الخاصة بذلك، وتتلافيا التعاقد مع الشركات الغربية التي تحصل على نصيب الأسد من تلك الثروات[١٠٧]؟

- **مزيد من الهدوء بالساحة الليبية:**

فليبيا وبعد اتفاق وقف إطلاق النار بدعم كل من مصر وتركيا، تتجه نحو الحل السياسي بإشراف الأمم المتحدة؛ وهو ما يمكن أن يشكل خطوة لأن تسحب كل الدول المتصارعة قواتها من الأراضي الليبية[١٠٨]. كما أن من شأن التقارب المصري التركي دعم مزيد من التوافق بشأن دفع الأمور قدمًا في ليبيا وصولا لإجراء انتخابات عامة نهاية العام الحالي[١٠٩]. حيث إن تعزيز وحدة المؤسسات الليبية بقرار داخلي يحتاج أن يدعمه الموقف الدولي. وفي هذا الإطار يُفهم ما صرح به عضو المجلس الأعلى للدولة ناجي مختار بشأن التقارب المصري التركي: إن ليبيا تتأثر سلبًا وإيجابًا بعلاقات الدول المهتمة بالشأن الليبي فيما بينها، وإن مصر وتركيا في المقام الأول في هذا الشأن. وأضاف أن: مصر ممثل حقيقي للجانب العربي في الشرق الأوسط، وكذلك على المستوى الدولي، في حين أن تركيا تربطها بليبيا علاقات العمل والتعاون. ومن ثم يمكن أن يسهم التقارب في إنهاء الاستقطاب[١١٠].

ومن الإشارات الإيجابية على ساحة العلاقات التركية–الليبية، الزيارات المتبادلة والتصريحات، وكذلك الاتفاقيات الجديدة المبرمة، التي أثبتت أن علاقة أنقرة بطرابلس لم تتأثر بنتيجة الانتخابات الأخيرة التي أفرزت إدارة ليبية جديدة، بل ربما كانت تركيا هي الطرف الخارجي الأكثر استفادة بنجاح هذه الإدارة للحفاظ على استقرار مصالحها الاقتصادية. وبناء على دعوة أردوغان، توجه رئيس المجلس الرئاسي الليبي الجديد محمد المنفي إلى اسطنبول في ٢٦ من الشهر نفسه، حيث التقى أردوغان، وشارك في الاجتماع إلى جانب المنفي، عضو المجلس الرئاسي الليبي عبد الله حسين اللافي[١١١]. وقد صرح إبراهيم كالن أن تطبيع العلاقات مع مصر سينعكس إيجابًا على الوضع في ليبيا.

وعلى الجانب المصري، فمن المؤشرات الإيجابية استجابة تركيا لقسم من المطالب والشروط المصرية، حيث أرسلت في هذا الإطار

(١٠٤) المرجع السابق.

(١٠٥) شهدي الكاشف، مصر وتركيا: ما سبب تقاربهما الآن وما مصير المعارضة المصرية؟، بي بي سي عربي، ٢٣ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/dTUuB

(١٠٦) د. طارق فهمي، إلى أين تتجه العلاقات المصرية التركية؟، مرجع سابق.

(١٠٧) لماذا يمثل تقارب مصر وتركيا تهديدا لحلفاء شرق المتوسط؟، الجزيرة، ١٩ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/zCSPx

(١٠٨) براءة الحمدو، مصر وتركيا: بين التصريحات المتبادلة وآفاق العلاقات، مرجع سابق.

(١٠٩) مصر وتركيا: ما سبب تقاربهما الآن وما مصير المعارضة المصرية؟، مرجع سابق.

(١١٠) دور ليبي في التقارب بين أنقرة والقاهرة... هل يمكن استثماره، سبوتنيك عربي، ١٥ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/W2KIi

(١١١) أحوال تركية . مارس/ إبريل ٢٠٢١، مرجع سابق.

كلا من وزير الخارجية جاويش أوغلو ووزير الدفاع أكار ورئيس المخابرات هاكان فيدان إلى ليبيا من أجل إجراء مفاوضات ثنائية بهدف الانسحاب[١١٢]. ويشار إلى أن وزيرة الخارجية الليبية نجلاء المنقوش حثت أنقرة في مؤتمر صحفي مشترك مع وزير الخارجية التركي على تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي التي تطالب بسحب أكثر من ٢٠ ألف مقاتل ومرتزق أجنبي من ليبيا[١١٣]. وهناك أنباء عن اتصالات تجري حالياً بين مصر وتركيا والحكومة الليبية الجديدة، وأن هناك تفاهماتٍ في الملف الليبي حول إمكانية انضمام ليبيا إلى منتدى غاز شرق المتوسط كخطوة تمهيدية لانضمام تركيا[١١٤].

إلا أن هناك أنباء عن أن مصر تتمسك بتعهدات تركية مكتوبة بشأن ليبيا. وبالفعل ربما يكون من الأفضل للطرفين ولليبيا ذاتها، التوصل إلى اتفاقات تتسم بالشفافية والثبات، على نحو ينتقل من مرحلة التصريحات، ويوظف لحظة الهدوء النسبية التي تشهدها الساحة الليبية[١١٥].

- **التعاون الاقتصادي والعسكري:**

على الجانب الاقتصادي هناك مقترحات وتوقعات بتأسيس سوق مشتركة بين البلدين، بتوقيع اتفاقية الحريات الأربع: حرية انتقال رأس المال والعمال والسلع والخدمات، فضلا عن تنسيق العمل الصناعي والسلعي بين الدولتين، خاصة أن بنيتهما الصناعية تسمح بذلك، ويمكن تطبيقها في قطاعات كبرى كصناعة السيارات والصناعات الدفاعية. كما أن التعاون في الصناعات العسكرية أمر يمكن لمصر أن تحقق من خلاله العديد من الميزات الاقتصادية والتقنية[١١٦]. هناك أيضًا إمكانية التعاون في مجال التقنيات التي وضعت تركيا في مصاف الدول الكبرى، في مجال استخدام وتشغيل الطائرات المسلحة من دون طيار. وما يعزز هذا الطرح أن كلاً من مصر وتركيا تواجه مشكلات مع الولايات المتحدة فيما يتعلق بتصدير طائرات "إف-٣٥" (F-35) المتقدمة، وهو ما وضعهما في تقارب مع روسيا[١١٧]. وقد أكد وزير الدفاع التركي خلوصي أكار في كلمة له عقب مأدبة إفطار رمضانية مع القوات الخاصة التركية في أنقرة عقب المباحثات الاستكشافية أن العلاقات بين تركيا ومصر في تطور، وستصل مستويات رفيعة قريبا، في إشارة إلى أن التقارب بين البلدين قد يشمل التعاون في المجال العسكري[١١٨].

محاذير منتظرة:

على كل حال هناك صعوبات ستواجه مسار المصالحة المصرية التركية، فأيّ تفاهمات تتجاوز حدود التهدئة وتدخل في طور متقدم من العلاقات ستكون لها انعكاسات على أطراف عدة، ربما تعمل على عرقلة المسار:

-الانتباه إلى قلق حلفاء مصر في الخليج، تحديدًا في أبو ظبي للتسويات من هذا القبيل، وبالتالي، وفي ضوء ما سبق تناوله، هؤلاء طرف أساسي لا بد من إدراجه في نطاق المصالحات والمعادلات المتغيرة.

- فرنسا التي تريد إضعاف تركيا في شرق المتوسط وشمال أفريقيا[١١٩].

-حذَّر معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي (يتبع جامعة تل أبيب) من تداعيات التقارب المصري التركي على حظوظ تل أبيب وحليفتيها قبرص واليونان، وكذلك مدى التزام مصر بتحالفاتها الجيوسياسية الراهنة، خاصة ملفات واتفاقيات التنقيب في المنطقة الغنية بالغاز. ودعا المعهد صانعي السياسة الإسرائيلية إلى مراقبة المؤشرات الأخرى بشأن تطور سياسات القاهرة[١٢٠].

---

(١١٢) وصول أول وفد دبلوماسي من تركيا إلى مصر بعد ٨ سنوات، زمان العربية، ٣ مايو ٢٠٢١: https://cutt.us/AVdb9

(١١٣) ما تأثير التقارب المصري التركي على مسار الأزمة الليبية؟، مرجع سابق.

(١١٤) تطورات كبيرة في ملف المصالحة التركية المصرية، إنسان للإعلام، ٢ يونيو ٢٠٢١: https://cutt.us/ivIG3

(١١٥) مصادر: مصر أجلت لقاءات مع تركيا بسبب تجاهل شروطها ومطالبها، العربية، ١٧ يونيو ٢٠٢١: https://cutt.us/yi3lX

(١١٦) طارق دياب، العلاقات المصرية التركية: القضايا والإشكاليات، مرجع سابق.

(١١٧) لماذا يمثل تقارب مصر وتركيا تهديدا لحلفاء شرق المتوسط؟، مرجع سابق.

(١١٨) خلوصي أكار: العلاقات التركية المصرية ستصل مستويات رفيعة قريبا، مرجع سابق.

(١١٩) لماذا يمثل تقارب مصر وتركيا تهديدا لحلفاء شرق المتوسط؟، مرجع سابق.

(١٢٠) المرجع السابق.

– مع بوادر التقارب المصري التركي، تحدثت صحف يونانية عن مخاوف من أن تكون مراجعة الحدود البحرية أمرا مطروحا في المستقبل، خاصة مع وجود اتفاق ليبي–تركي يمنح مصر مساحة أكبر من الحدود البحرية وما بها من ثروات للغاز الطبيعي(١٢١). وفي هذا السياق كان تكثيف الاتصالات بين اليونان ومصر، على سبيل المثال زيارة وزير الخارجية اليوناني نيكوس دندياس القاهرة، في أبريل ٢٠٢١ في رحلة استغرقت ساعات بهدف التركيز على متابعة منتدى الصداقة الذي عُقد أخيرًا في العاصمة أثينا، ومناقشة القضايا الإقليمية والتطورات في شرق المتوسط. تلك الزيارة التي أتت بعد أيام قليلة من اتصال هاتفي بين الرئيس المصري ورئيس الوزراء اليوناني كرياكوس ميتسوتاكيس، تناولا فيه العلاقات الثنائية، بخاصة التعاون في مجال الطاقة وقضايا شرق المتوسط(١٢٢).

خاتمة:

مستجدات مختلفة دولية وإقليمية وداخلية دفعت كلاً من مصر وتركيا إلى إعادة ترتيب أولوياتهما، لكن في حال استمر التقارب المصري التركي أيًا كانت درجته، لن يعود بالضرر بأي شكل من الأشكال على البلدين (خاصة إذا تُوج باتفاقات التزامات محددة)، بقدر ما سيفتح نوافذ وفرصًا للحديث عن تحالفات جديدة وفرص استثمار وقوة مؤثرة لا يمكن تجاوزها أو إغفالها في منطقة شديدة التعقيد والحساسية بكل المقاييس(١٢٣). فإنه حتى مع وجود تقارب محدود بشأن عدد من الملفات يتبادل فيها الطرفان المنافع، يكون له أثره الإيجابي، سواء للطرفين (ملف غاز شرق المتوسط) أو للإقليم ككل (التهدئة الليبية)(١٢٤).

كما ربما نشهد تسويات وتحركات في ملفات عديدة أخرى، بل ستتغير معطيات كثيرة في إطار واقع العلاقات العربية التركية، وسيجعل الأمر من القاهرة بؤرة لكثير من التحركات عبر سياسات أكثر فاعلية(١٢٥)، على سبيل المثال رحّب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، بالتقارب التركي المصري، مؤكدا أنه يصب "في مصلحة" فلسطين، فيما "ينعكس سلبا أي صراع" بين الدول العربية والإسلامية على القضية الفلسطينية(١٢٦).

لكن هذا مع الانتباه إلى أنه ربما على المدى القصير والمتوسط، وحتى لو تم تطبيع العلاقات، فإن البلدين قد يلجآن إلى أسلوب «إدارة ملفات العلاقات كلٍّ على حدة»(١٢٧)، كما ربما لن تصل العلاقات المصرية التركية لمستوى التحالف الإستراتيجي، بل ستظل علاقاتهما البينية ودرجة تعاونهما تتراوح ما بين مدٍّ وجزر، ودائما ما سيشوبها درجة عالية من التنافس والتدافع لفترة، خاصة في ظل الاختلافات الأيديولوجية بين النظامين، ومن ثم قد تتغير هذه التوقعات في حال تغيرت القيادة التركية عبر الانتخابات الرئاسية القادمة(١٢٨).

وفي الوضع الحالي من المتوقع أن تحدث توترات من حين لآخر، وهو أمر لا شك يدركه الطرفان، فعلى سبيل المثال: صرح نائب الرئيس التركي، قائلا إن "العلاقات السياسية قد تشهد توترات بين فترة وأخرى، لكن التطورات الأخيرة تشير إلى أن من مصلحة تركيا ومصر التحرك سويا وتنسيق خطواتهما"(١٢٩).

*****

(١٢١) ما هو لب الخلاف بين مصر وتركيا؟، مرجع سابق.

(١٢٢) إنجي مجدي، هل توقع مصر اتفاقا لترسيم الحدود البحرية مع تركيا؟، مرجع سابق.

(١٢٣) ضحى عبد الجواد، في مستقبل التقارب المصري التركي، العربي الجديد، ٩ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/VZ7bL

(١٢٤) د.جمال زهران، أبعاد المصالحة المصريّة التركيّة وتحدياتها، البناء، ١٢ مايو ٢٠٢١: https://cutt.us/rk1em

(١٢٥) العلاقات المصرية التركية بين التوترات وأواصر التعاون، مرجع سابق.

(١٢٦) هنية: التقارب التركي المصري يخدم فلسطين (مقابلة)، وكالة أنباء الأناضول، ١ أبريل ٢٠٢١: https://cutt.us/iLZfu

(١٢٧) العلاقات المصرية التركية بين التوترات وأواصر التعاون، مرجع سابق.

(١٢٨) طارق دياب، العلاقات المصرية التركية: القضايا والإشكاليات، مرجع سابق. ضحى عبد الجواد، في مستقبل التقارب المصري التركي، مرجع سابق.

(١٢٩) وزير الخارجية التركي: مصر دولة مهمة في الشرق الأوسط والعالمين العربي والإسلامي، صدى البلد، ٧ مايو ٢٠٢١: https://cutt.us/eUnLH

مسار التسوية الأفغانية والمواقف الإقليمية والدولية منها

عبد الرحمن رشدان*

مقدمة

كعادتها خلال العقود الأربعة الماضية، تتصدَّر أفغانستان عناوين الأخبار ومع كل مرحلة جديدة يستبشر المتابعون بقرب انتهاء الصراعات ووصول الأفغان للاستقرار المنشود، ويبدو أن التطورات الأخيرة مع توقيع اتفاقية السلام بين الولايات المتحدة الأمريكية وحركة طالبان ما هي إلا بداية مرحلة جديدة يستبشر معها المتابعون بينما تتبادل الأطراف المتصارعة الأماكن لتبدأ صراعًا جديدًا.

أثناء كتابة هذا البحث كانت الجولة الثالثة من محادثات السلام الأفغانية في الدوحة بين الحكومة الأفغانية وحركة طالبان قد بدأت بعد عدَّة أشهر من الانقطاع حيث تأمل الإدارة الأمريكية أن تسفر عن تشكيل حكومة مؤقتة وكتابة دستور جديد بالإضافة إلى وقت إطلاق النار، حسب وثيقة مسربة صادرة في مارس ٢٠٢١ عن وزارة الخارجية الأمريكية[1]؛ وأثناء المحادثات تقوم الولايات المتحدة بسحب جنودها من أفغانستان بناءً على اتفاق السلام الموقَّع مع طالبان في فبراير من عام ٢٠٢٠ حيث تشير تقارير إلى أن نصف الجنود الأمريكيين قد غادروا البلاد بالفعل مع وعد الرئيس الأمريكي بايدن بسحب آخر جندي ومتعاقد مدني في ذكرى هجمات الحادي عشر من سبتمبر هذا العام.

في الوقت الذي يظهر فيه أن انسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان سيُنهي معاناة الأفغان ويكشف غبار الحرب عن المدن المخربة، فإن بوادر الصراعات الداخلية آخذة في الظهور مما قد يؤشِّر إلى جولة جديدة من الاقتتال الداخلي مع استمرار الدعم الخارجي المعهود للأطراف الأفغانية. يحاول هذا التقرير رسم صورة أوضح لمسار التسوية الجارية في أفغانستان في إطار مصالح وتأثيرات القوى الإقليمية والدولية ذات الصلة ويخلص إلى أن المشهد الأفغاني من الممكن أن ينتهي به المطاف إلى أحد سيناريوهين من الفوضى أو ثالث من الاستقرار تحت حكم حركة طالبان.

شهدت السنوات الثلاث الماضية، وتحديدًا منذ أكتوبر ٢٠١٨، ثلاثة مسارات لتسوية الملف الأفغاني، الأول هو الحوار بين الحكومة الأمريكية وطالبان، والثاني هو مسار حوار القوي الإقليمية، وأما الثالث فهو حوار الأطراف الأفغانية داخليًا. ويلاحظ أن الحوار الداخلي الأفغاني لم يشهد اهتمامًا إلا مؤخَّرًا، بيد أنه من الواضح أن هذا المسار من الممكن أن يكون السبب في فشل تحقيق السلام في البلاد.

أولًا– محددات الاستقرار الداخلية

تتوقف حالة الاستقرار الداخلية في أفغانستان على التفاعل بين طالبان من جهة والحكومة المركزية من جهة أخرى بشكل رئيسي، فيما يبدو تفاعل الأطراف الأخرى ضبابيًا ومقلقًا على الساحة الأفغانية، وهو ما سنستعرضه في السطور التالية.

● طالبان والحكومة المركزية

مع توقُّع إتمام انسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان قريبًا تتَّجه الأنظار إلى الأطراف الداخلية كمحدد أساسي لإمكانية الاستقرار في بلد يحتل آخر موقع في مؤشِّر السلام العالمي، وظلَّ

* باحث في العلوم السياسية.

(1) Susannah George, The leaked U.S. plan to end the war in Afghanistan, The Washington Post, 13 March 2021, available at: https://wapo.st/3A69EXY

قرب ذيل المؤشر منذ أن تم إنشاؤه في عام ٢٠٠٩[٢]. ويقع على رأس محركي المشهد الأفغاني الداخلي حركة طالبان والحكومة المركزية برئاسة أشرف غني حيث يملك الطرفان القوة الفاعلة على الأرض والرغبة في إقصاء الآخر، فحركة طالبان تتعامل مع الحكومة الأفغانية كدمية في يد الاحتلال الأمريكي منذ أن تم تشكيلها في عام ٢٠٠٤ برئاسة حامد كرزاي وحتى اليوم، ورفضت الحركة مرارًا الجلوس والتفاوض مع الحكومة أو حتى اعتبارها سلطة رسمية تمثِّل الشعب الأفغاني. وقد توقَّفت المحادثات بين الحكومة وطالبان في نوفمبر من العام الماضي لرفض الحركة الإشارة إلى الحكومة في مقدِّمة وثيقة الاتفاق المقترحة، حيث قال المتحدِّث باسم الحركة، ذبيح الله مجاهد، إنهم "مستعدون للمضيِّ قدمًا في المحادثات مع الفريق الحالي على أنهم أفغان، لا نعلم أنهم فريق من الحكومة"[٣].

وعلي الطرف الآخر، تنظر الحكومة الأفغانية لحركة طالبان كخصم يريد الاستيلاء على السلطة وتنحية أفراد الحكومة الحاليِّين جانبًا، فالصراع من وجهة نظر الحكومة يمكن النظر إليه كصراع للبقاء في المشهد السياسي فطالبان لن تقبل بالاندماج في السلطة القائمة كما تم مع حكمتيار وعبد الرشيد دوستم. وقد قامت الإدارة الأمريكية بتعميق هُوَّة عدم الثقة بين الطرفين –بقصد أو بدون قصد– حيث قامت بالمباحثات مع حركة طالبان منفردة والتوصل لاتفاق سلام دون إدراج الحكومة الأفغانية، بل وألزمت الإدارة الأمريكية حكومة غني بالرضوخ لطلبات الحركة بدون أخذ إذنها قبل الاتفاق، وبذلك تكون قد أثبتت التهمة على كابل أن حكومة غني ما هي إلا دمية في يد الولايات المتحدة كما تدَّعِي حركة طالبان. فقد نصَّ اتفاق السلام بين إدارة ترامب وطالبان على أن تقوم الحكومة الأفغانية بإطلاق سراح ٥ آلاف أسير من حركة طالبان في مقابل إطلاق الحركة سراح قيادات عسكرية تابعة للحكومة الأفغانية، وهو الأمر الذي رفضته الحكومة الأفغانية لكونه قرارًا يخصُّ سيادة الدولة الأفغانية ولا يمكن لطرف خارجي إملاءه عليها، ولكن في نهاية المطاف قامت حكومة غني بإطلاق سراح السجناء مما دفع غني لكتابة مقال في صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية[٤]، يحاول فيه مخاطبة الرأي العام الأمريكي وجره في صف الحكومة ضدَّ حركة طالبان والتي أنفذت رغباتها وأمرت حكومة غني من خلال السلطات الأمريكية.

ويأتي هذا التصرُّف في إطار فقدان صبر وثقة الإدارة الأمريكية في قدرة غني على إدارة شؤون البلاد والتحكُّم في المشهد، ففي خطاب حازم كتبه وزير الخارجية الأمريكي للرئيس أشرف غني في مارس بلغة "غالبا ما تستخدم مع طالب مدرسي مشاغب" أكد أن الولايات المتحدة لا تستبعد أي خيار، بينما كانت الرسالة الحقيقية هي أن تأثير غني أصبح ضعيفًا جدًّا على الساحة الأفغانية[٥]، فهو يجلس على رأس حكومة مقسَّمة ويفقد القوة والسيطرة على الأرض.

وفي نفس الوقت الذي تنعقد فيه محادثات السلام بين الحكومة وحركة طالبان تقوم الأخيرة بمواصلة هجماتها ضد الحكومة الأفغانية، بينما أوقفت هجماتها على القوات الأجنبية بناءً على اتفاق السلام بين الحركة والإدارة الأمريكية في فبراير ٢٠٢٠. وقد رفضت حركة طالبان وقف إطلاق النار ليكون أداة قوَّة على طاولة المفاوضات مع الحكومة الأفغانية، وأيضًا لأن الانخراط في المصالحة الأفغانية وإمكانية وقف إطلاق النار يسبِّب توتُّرًا بين القيادة السياسية والقادة الميدانيِّين للحركة، وللهروب من الضغط قامت

(2) Global Peace Index, available at https://www.visionofhumanity.org/maps

(٣) تعثر الاتفاق بين الحكومة الأفغانية وطالبان بسبب خلاف على الصياغة، رويترز، ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://reut.rs/3hd5KUz

(4) Ashraf Ghani, Ashraf Ghani: Afghans and their international partners have paid the costs. Now we're taking a risk for peace, The Washington Post, 14 August 2020, available at: https://wapo.st/3xVX4ZE

(5) Adam Nossiter, Ashraf Ghani, Afghanistan's President, Has Little Sway Over Its Future, New York Times, 10 April 2021, available at: https://nyti.ms/3w6aYas

الحركة في يوليو من العام الماضي وقبل بدء جولات المصالحة الأفغانية بتغيير خمسة عسكريين في الفريق التفاوضي، وهو الأمر الذي يُصعِّب رضوخ الحركة للضغوط لوقف إطلاق النار[٦]، وفي نفس الوقت قامت بتعيين الشاب الثلاثيني الملا محمد يعقوب –نجل مؤسس الحركة الملا عمر– مسؤولا عسكريًّا للحركة، وهو الأمر الذي يجعل زعيم طالبان الملا هيبة الله أخندزاده يُحكم قبضته على القادة الميدانيين للحركة في الوقت الذي يستخدم العمليات كورقة ضغط في إطار المصالحة[٧]. ويهدف هذا التغيير في الفريق التفاوضي أيضًا لقطع الطريق على أي انشقاقات محتملة –مع استمرار عملية المصالحة– كما حدث عند وفاة الملا عمر حيث انشقت بعض القيادات عن طالبان احتجاجًا على تولي الملا أختر محمد منصور القيادة آنذاك.

وإذا وضعنا الصورة الكبرى في الاعتبار، فإن من الممكن أن تكون هجمات طالبان على القوات الحكومية هي بداية لتوسُّع كبير وسيطرة على المدن الرئيسية فور انتهاء انسحاب القوات الأجنبية في سبتمبر القادم، وأن المفاوضات الحالية مع الحكومة ما هي إلا محاولة من طالبان لكسب الوقت، وهو ما صرَّح به بعض المسؤولين الأفغان[٨]. ومع استمرار هجمات طالبان ووضع القوات الحكومية في موقف المدافع فإن الروح المعنوية للجنود الأفغان آخذة في الانهيار خاصة أن بنية الجيش الأفغاني القومية ضعيفة في ظل قوة الانتماءات القبلية. ويدعم هذا التصور أن محادثات السلام لم تحرز تقدُّمًا كبيرًا –حتي كتابة هذا التقرير– ومن غير المتوقع أن يتنازل أي من الفريقين عن مركز قوته، فطالبان تحقِّق مكاسب عسكرية على الأرض وتوسِّع من سيطرتها بالإضافة إلى الجائزة الكبرى التي قدَّمتها لها الإدارة الأمريكية من الاعتراف الدولي بها وإظهارها بمظهر المنتصر في حرب هي الأطول في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، كما أن الحركة تستغل الفترة الحالية لعقد لقاءات مع دول لكسب اعتراف وشرعية لم تستطع الحصول عليها أثناء حكمها لأفغانستان في تسعينيات القرن الماضي؛ وعلى الطرف الآخر فإن الرئيس غني وحكومته يدركون جيدًا أن مصدر قوتهم الوحيد هو كونهم الحكومة الرسمية الحالية في أفغانستان، فالتنازل عن كراسي السلطة تعني الاستبعاد من المشهد السياسي لصالح الحركة الأقوى على الأرض. وفي هذا الإطار يمكن فهم تعنُّت الرئيس أشرف غني في قبول المقترح الأمريكي المبدئي للسلام بين الفصائل والذي نصَّ على إنشاء حكومة سلام انتقاليه يقودها رئيس "مقبول من الطرفين"، كما شملت إنشاء لجنة عليا للتشريع الإسلامي لمراجعة التشريعات وضمان التزامها بتعاليم الإسلام، وكتابة دستور جديد[٩].

وفي المقابل، قام الرئيس غني باقتراح انتخابات رئاسية بعد ستة أشهر من مارس الماضي واشترط حضور زعيم طالبان الملا هيبة الله أخندزاده أو القائد العسكري الملا يعقوب لكي يعلن عن مقترحه الكامل المقابل للمقترح الأمريكي في جولة محادثات كانت مقرَّرة خلال أبريل الماضي في تركيا[١٠]، وهو الأمر الذي رفضته الحركة بل اعتذرت عن حضور المحادثات في تركيا، وقد صرَّح الناطق باسم طالبان مباشرة بعد مقترح غني بأن الحركة لن تدعم هذا المقترح وأن عملية الانتخابات "قد دفعت بالبلاد إلى حافة الهاوية في

(٦) د. أحمد موفق زيدان، الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، قناة المنطلق – صالون ثقافي، موقع YouTube، ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/jmqJlMUhftE

(٧) حميد الله محمد شاه، استباقا للمفاوضات مع كابل.. لماذا عدَّلت طالبان مكتبها السياسي والقيادة العسكرية؟، الجزيرة.نت، ٢١ يوليو ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3jjmr3q

(8) Mujib Mashal (et al.), Violent Attacks Plague Afghanistan as Peace Talks in Doha Slow, New York Times, 19 September 2020, available at: https://nyti.ms/3xWWRFx

(9) Exclusive: Details of Proposed Draft for Afghan Peace, Tolo News, 7 March 2021, available at: https://tolonews.com/afghanistan-170504

(10) Hamid Shalizi, Exclusive: Afghan president, rejecting U.S. peace plan, to offer election in six months, officials say, Reuters, 23 March 2021, available at: https://reut.rs/3hqJO8X

الماضي" وأنها عملية "دائمًا ما تنطوي على فضائح" حسب قوله[١١].

وإجمالًا، لكي تنتهي المحادثات بين الحكومة المركزية وطالبان إلى اتفاق سلام مبني على تقاسم السلطة فإنه لا بدَّ من وجود ندِّية في القوة العسكرية بالإضافة إلى أرض مشتركة للحوار، وهما أمران تفتقدهما الساحة الأفغانية.

● **الأطراف الأخرى**

بجانب جناحي النزاع الأساسيَّيْن في أفغانستان، تقف بعض الأطراف الداخلية الأقل قوَّة وتأثيرًا في المشهد وهي حوالي ٢٠ حركة مسلحة ومنها تنظيم الدولة، تنظيم القاعدة وحركة أوزبكستان الإسلامية. بينما أعداد تنظيم القاعدة في أفغانستان يعدُّ على الأصابع بعد توجه معظمهم لسوريا وليبيا والعراق فإن لتنظيم الدولة تواجد في البلاد وإن كان ضعيفاً تحت اسم تنظيم الدولة الإسلامية–ولاية خراسان.

يشير د. أحمد زيدان المختص في الشأن الأفغاني إلى أن تنظيم الدولة لن يستطيع تقوية وجوده في أفغانستان نتيجة لوجود تراتبية مذهبية قبلية قوية جدًّا لا يمكن الخروج عليها وبالتالي يصعب على التنظيم استقطاب مقاتلين جدد، ولكن قد يصبح التنظيم ذا عامل تخريبي[١٢]، وبالنسبة لطالبان فإن تنظيم الدولة يشوِّه الإسلام ويشوِّه الإرث الجهادي الأفغاني فمن غير المتوقَّع انشقاق أعداد كبيرة من طالبان والانضمام للتنظيم سخطًا من عملية السلام الجارية، خاصَّة بعد التغييرات الأخيرة في القيادات العسكرية لطالبان. ويذكر أنه قد أُعلن عن إنشاء تنظيم الدولة–ولاية خراسان في عام ٢٠١٥ وقد تولى قيادته خمسة قادة مختلفين منذ ذلك الحين، ويقبع قائد التنظيم الحالي فاروقي في سجون الاستخبارات الأفغانية.

أما حركة أوزبكستان الإسلامية فهدف إنشائها كان إسقاط رئيس أوزبكستان كريموف والذي توفي في عام ٢٠١٦ وإنشاء دولة إسلامية في أوزبكستان، ومنذ ذلك الحين قامت الحركة بالتحالف مع طالبان ثم مبايعة تنظيم الدولة، وهي الآن تستقر في شمال أفغانستان ولها ما يقارب ألف مقاتل، وقد قامت القوات الأفغانية بقتل زعيم التنظيم عزيز يولداش في نوفمبر من العام الماضي. وتتركز أهمية الحركة في المشهد الأفغاني في إمكانية جرِّ أوزبكستان للشأن الداخلي الأفغاني، كما هو الحال مع الحزب الإسلامي التركستاني الذي تحاربه الصين، وهو ما يعقِّد المشهد ويصعِّب فرص الاستقرار في أفغانستان.

ثانيًا– محددات الاستقرار الإقليمية والدولية

تمامًا كالآكلين حول القصعة، تجتمع عدد من دول الجوار الأفغاني على هدف واحد وهو ضمان مصلحة كل دولة على حدة، وهو الأمر المستحيل والذي ظل كابوسًا يطارد الأفغان ويقوِّض فرص الاستقرار، فمن الدول الفاعلة في الملف الأفغاني: الولايات المتحدة الأمريكية، وباكستان، والهند، والصين، وروسيا، وإيران.

نحاول باختصار في هذا القسم سرد بعض المصالح المحدِّدة لسياسة كل منها ومن ثم موقفها من ملف الانسحاب الأجنبي والمصالحة الداخلية ثم نخلص في إطار ذلك لسيناريوهات متوقَّعة لما بعد الانسحاب.

● **الولايات المتحدة الأمريكية**

يرى د. أحمد زيدان أن الصبر هو ما أرغم أقوى دولة في العالم ومن ورائها تحالف من ٣٨ دولة على الانصياع لمطالب حركة مصنفة لديها كحركة إرهابية[١٣]، فقدرة طالبان على البقاء على قيد

(11) Taliban slam Afghan president's proposal for new election, France 24, 24 March 2021, available at: https://bit.ly/2Uzt3Ao

(١٢) الدكتور أحمد موفق زيدان – الانسحاب الأمريكي من أفغانستان – المناقشات، قناة المنطلق – صالون ثقافي، موقع YouTube، ٢٩ أكتوبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://youtu.be/iOjwFG_gtdE

(١٣) د. أحمد موفق زيدان، الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، مرجع سابق.

الحياة والمقاومة ومن ثم القيام مرة أخرى هو ما لم تستطيع الولايات المتحدة مجاراته. هاجمت الولايات المتحدة الأمريكية أفغانستان في عام ٢٠٠١ بعد رفض طالبان تسليم بن لادن الذي اتهمته بتخطيط هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ولكن مع طول أمد الحرب حتى أصبحت أطول حرب في تاريخ الولايات المتحدة وقوة موقف طالبان على الأرض، قرَّرت الإدارة الأمريكية النظر في جدوى الاستمرار ومن ثم إنهاء هذه "الحرب التي لا تنتهي" حسبت تصريحات الرئيس بايدن[١٤]، ويأتي هذا في إطار الاتجاه العام في السياسة الخارجية الأمريكية بإعادة النظر في كون "الحرب على الإرهاب" من أولويات المخاطر المهدِّدة لها وتوجيه الانتباه لـ"صراع القوة العظمي" مع الصين وروسيا[١٥] في ظل انتشار للجيش الأمريكي في ٤٠ بالمئة من دول العالم معظمها من أجل محاربة الإرهاب حسب دراسة لمجلة سميثسونيان[١٦]. وفي نفس الوقت وصول ترامب للسلطة وهو صاحب الشخصية المختلفة القادرة على تجاوز الانتقادات جعله الوحيد الذي من الممكن ألا يكترث بربط اسمه بلقب "الرئيس الذي خسر أفغانستان"[١٧]، وهو ما سهَّل قرار الانسحاب والجلوس مع طالبان على طاولة واحدة.

فالآن بعد قرار انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان وانتهاء خطر القاعدة هناك حسب تصريحات الرئيس بايدن يبقى للإدارة الأمريكية بعض المصالح التي لا بدَّ من الحفاظ عليها على المستوى البعيد وعلى رأسها تحييد أي خطر من الممكن أن يتخذ من أفغانستان قاعدة لشن هجمات على الولايات المتحدة وحلفائها، وهو الأمر الذي ناقشته إدارة ترامب بجدية مع طالبان باعتبار أن سيكون لها الحظ الأكبر في السيطرة على أفغانستان بعد الانسحاب الأجنبي. وبالتالي، من غير المتوقع أن يكون للولايات المتحدة انخراط في المشهد الأفغاني كثيرًا فيما وراء ضمان أمنها عن طريق تمويل الحكومة الأفغانية ومساعدتها جويًّا في هجماتها ضد الجماعات المسلَّحة المصنَّفة أمريكيًّا إرهابية أو ضمان تنفيذ الاتفاق مع طالبان فيما بعد الانسحاب.

- **باكستان**

تعد باكستان على رأس الدول ذات المصالح الكبرى في أفغانستان، إذ تعتبرها عمقًها الإستراتيجي، وأكثر ما تخشاه هو أن تحوطها الهند عن طريق التحالف مع أفغانستان، وفي هذا الإطار يمكن فهم إشراف المخابرات الباكستانية على إنشاء طالبان في العام ١٩٩٤ والدعم الكامل للحركة حتى عام ٢٠٠١ مع احتلال القوات الأمريكية أفغانستان وإزالة الحركة من السلطة. وبجانب ضمان إبعاد الخطر الهندي من أفغانستان تحت سيطرة طالبان فإن الدعم الباكستاني للحركة يتجاوز المستوى الرسمي إلى المستوى الشعبي حيث تشترك الحركة مع الاتجاه الشعبي في باكستان في مركزية الدين في الحياة العامة، إضافة إلى العامل القبلي الهام حيث إن طالبان من عرقية الباشتون التي تمثل حوالي ٤٠% من العرقيات في أفغانستان وحوالي ١٥% من الشعب الباكستاني وهو ما يساعد الباشتون الباكستانيين المتدينين في تثبيت أقدامهم سياسيًّا في باكستان بالاعتماد على تأثيرهم في المشهد الأفغاني وقدرتهم على تحييد خطر الباشتون العلمانيين الذين يهدفون لبناء دولة باشتون المستقلة[١٨]. فبالرغم من بعض الاضطرابات في العلاقة بين الحكومة الباكستانية وحركة طالبان خاصة في فترة الاجتياح الأمريكي

(14) 'It's Time To End This Forever War.' Biden Says Forces To Leave Afghanistan By 9/11, NPR, 15 April 2021, available at: https://n.pr/3vUiepC

(15) National Security Strategy of the United States of America, The White House, December 2017, available at: https://bit.ly/3A656ko

(16) Stephanie Savell and 5W Infographics, This Map Shows Where in the World the U.S. Military Is Combatting Terrorism, Smithsonian Magazine, January/February 2019, available at: https://bit.ly/3gXt7mc

(17) Emma Ashford, An End to Endless War? Cato Unbound, 19 May 2021, available at: https://bit.ly/3qr5Lss

(18) Pakistan's Support of the Taliban, HRW, 2001, available at: https://bit.ly/3x4gRWW

لأفغانستان، فإن هناك رابطة قوية بين الطرفين ومن غير المتوقَّع أن تنقلب لعداء مع استمرار الصراع بين الهند وباكستان.

تعليقًا على محادثات السلام الحالية بين الحكومة الأفغانية وحركة طالبان، صرَّح رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان منذ أيام أن بلاده تسعى لتسوية سياسية قبل مغادرة القوات الأجنبية في سبتمبر من العام الحالي، وقال إن بلاده ستكون الأكثر تضرُّرًا بعد أفغانستان إذا حدثت حرب أهلية في أفغانستان ممَّا سيجعل بلاده مضطرة "إلى القفز فيها وأن تكون جزءًا منها" وأن باكستان قد غيَّرت سياستها المعهودة تجاه أفغانستان بجعلها عمقًا إستراتيجيًّا، وأكَّد أنه سيتعامل مع أيِّ حكومة أفغانية يختارها الشعب، وأن باكستان "لن تحاول القيام بأي تغيير في داخل أفغانستان"[١٩].

ولكن لا بدَّ من فهم تصريحات خان في سياقها الحالي وهو أن حركة طالبان تزداد قوة كل يوم على الأرض وعلى الساحة السياسية الدولية وأن المؤشرات تشير إلى أن الحركة سيكون لها اليد الطولى في المشهد السياسي في ما بعد انسحاب القوات الأجنبية؛ فمن غير المتوقَّع أن تقف باكستان مكتوفة الأيدي إذا تمَّ لأيِّ سبب من الأسباب تنحية طالبان من المشهد وإيجاد حكومة منفتحة على التقارب مع الهند، خاصة أن التحالف الحالي بين الهند وإيران وروسيا يقلق باكستان بشدَّة، حيث إن لإيران وروسيا مطامع في أفغانستان كما سيتضح لاحقًا[٢٠]، وفي نفس الوقت تجد باكستان نفسها تنسحب بعيدًا عن الولايات المتحدة في اتجاه الصين التي تدعمها اقتصاديًّا خاصة في البنية التحتية حيث تستثمر الصين نحو ٦٠ مليار دولار في باكستان[٢١].

(19) Gibran Peshimam, Pakistan seeks Afghan settlement before foreign troop pullout: Khan, Reuters, 4 June 2021, available at: https://reut.rs/3dfTD83

(٢٠) د. أحمد موفق زيدان، الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، مرجع سابق.

(21) FM Shakil, China's Pakistan investments a double-edged sword, Asia Times, 2 February 2021, available at: https://bit.ly/3h4Awz6

- **الهند**

وعلى الجانب الآخر من المعادلة تقف الهند التي ترغب بتقويض باكستان وإحاطتها من الغرب لإضعاف قوتها، بالإضافة إلى السيطرة على طالبان في إطار التنافس الهندي–الصيني على النفوذ الإقليمي، وفي ظلِّ تعاون بين حركة طالبان وجماعة لشكر طيبة الباكستانية التي تشن هجمات ضد الهند منها هجوم مومباي عام ٢٠٠٨ والذي راح ضحيته ١٦٦ مواطنًا هنديًّا منهم ستة أمريكان. ومن أجل ذلك قامت الهند باستثمارات كبيرة في أفغانستان تصل إلى ٣ مليارات دولار بمجمل ٤٠٠ مشروع، حسب تصريح لوزير الخارجية الهندي[٢٢]، وقد بدأ هذا الاهتمام الهندي بأفغانستان في عام ٢٠٠١ مع الاحتلال الأمريكي بعد انقطاع خلال الحرب الأهلية وحقبة سيطرة طالبان.

فمن هذا المنطلق تتَّضح أسباب الدعم الأمريكي للهند من أجل لعب دور أكبر في أفغانستان فيما بعد الانسحاب، إذ إن الدولتين تشتركان في عداوة طالبان والصين ومن ثم التضييق على دور باكستان في المنطقة يصب في صالح الطرفان أو على الأقل تستطيع الولايات المتحدة الضغط على باكستان من أجل خفض دعمها لطالبان عن طريق التلويح بدعم الدور الهندي في أفغانستان[٢٣]. وبالتالي، فإن للهند موقف معارض للانسحاب الأجنبي السريع وغير المسؤول من أفغانستان[٢٤]، لأن ذلك يسلِّم مقاليد الأمور نسبيًّا ليد طالبان، ومن الممكن أن يضيِّع على الهند

(22) Dipanjan Roy Chaudhury, India announces set of development projects for Afghanistan as country prepares for transition, Economic Times, 24 November 2020, available at: https://bit.ly/3digP5V

(٢٣) حسن الرشيدي، ماذا تريد الهند من أفغانستان؟ البيان، ٨مارس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3jjrvos

(24) Timor Sharan, Andrew Watkins, A New Playbook? Europe, India, and Afghanistan beyond 2021, Friedrich Ebert Stiftung, available at: https://bit.ly/3jk5LZy

سنوات من الجهد والاستثمارات بينما لها موقف داعم للحكومة المركزية وخاصة المكونات غير الباشتونية فيها –منها عبد الله عبد الله وعبد الرشيد دوستم– خلال محادثات السلام الجارية؛ ولأن الأمور تتَّجه لصالح طالبان وتعاظم قوة باكستان، فكان من الحكمة على الحكومة الهندية التزام الهدوء والإيماء بإمكانية التواصل مع طالبان حتى لا تخسر كل شيء لاحقًا، وهي الرسالة التي بعثها وزير الخارجية الهندي بتواجده في جولة محادثات السلام الأفغانية في سبتمبر الماضي في الدوحة[٢٥].

● **الصين**

تعاقبت القوى الكبرى على أفغانستان، فمع خروج الاحتلال السوفيتي دخلت الولايات المتحدة الأمريكية، فهل سنشهد دخولًا للصين مع خروج الولايات المتحدة الأمريكية؟ من غير المتوقع، وهذا لا يعني أنه ليس للصين مصالح كبري في أفغانستان، لكن طريقة الصين مختلفة في تحقيق مصالحها فهي لا تفضل التدخل العسكري في سياساتها الخارجية، على الأقل حتى الان، ورؤيتها في أفغانستان هي أن التنمية الاقتصادية تؤدِّي إلى السلام وليس العكس كما تري الولايات المتحدة الأمريكية[٢٦].

تركّز المصالح الصينية في أفغانستان على شقَّين أساسيَّيْن هما محاربة الجماعات الانفصالية وضمان المصالح الاقتصادية، حيث إنه بالرغم من قصر الخط الحدودي بين الصين وأفغانستان والذي يصل إلى ستة وسبعين كيلومتر فإنه يقع على أقصي غرب الصين وبالتحديد منطقة تركستان الشرقية –تسميها الصين شينجيانج– ذات الأغلبية المسلمة من عرقية الأويجور والمحتلة من قبل الصين والتي تقع بها "معسكرات إعادة التأهيل" سيئة السمعة؛ ويكمن الخطر من وجهة نظر الحكومة الصينية في تمركز جماعة إسلامية مسلَّحة من عرقية الأويجور تسمَّي حركة تحرير تركستان الشرقية في أفغانستان، وتخشى الصين من انتقال التهديد لداخل الأراضي الصينية، فمن أجل ذلك قامت الصين مؤخرًا بإنشاء قاعدة عسكرية في منطقة شايماك بطاجيكستان وهي تبعد بضع كيلومترات من الحدود الصينية الأفغانية، حسب تحقيق لصحيفة الواشنطن بوست[٢٧]، ويقلق الصين التعاون بين طالبان وحركة تحرير تركستان الشرقية، خاصة مع رجوع طالبان القوي للساحة السياسية، ولكنها منفتحة على الحوار مع طالبان من أجل فكِّ هذا الارتباط[٢٨].

وعلى الجانب الاقتصادي، فإن الصين تركّز على استخدام الأراضي الأفغانية كجزء من مبادرة "الحزام والطريق" كما تهدف لتعاون أفغانستان لنجاح الممر الاقتصادي الصيني–الباكستاني، وهو الأمر الذي يتطلَّب استقرارًا سياسيًّا وأمنيًّا في كابل، وفي نفس الوقت توجد ثروات منجمية هائلة في أفغانستان تقوم الصين بالاستثمار فيها منذ سنوات، لكن مع عقبات كثيرة نتيجة لعدم الاستقرار الأمني[٢٩].

بسبب كون المحرك الأساسي للصين في سياستها تجاه أفغانستان هو الاقتصاد –وجزئيًّا محاربة الحركات الانفصالية– فإنها ستتفاعل مع أي حكومة قائمة طالما هناك ضمان لمصالحها، حتى وإن كانت طالبان هي من تقود هذه الحكومة وذلك لأن علاقات الصين قوية جدًّا مع باكستان ويشتركان معا في معاداة الهند وبالتالي

(25) Harsh V. Pant, How India came around to talking to the Taliban, ORF, 26 September 2020, available at: https://bit.ly/3A1aZzr

(26) Wang Bing Nan, China Interest in Afghanistan after the U.S withdrawal, Modern Diplomacy, 31 May 2021, available at: https://bit.ly/2Tc7kOz

(27) Gerry Shih, In Central Asia's forbidding highlands, a quiet newcomer: Chinese troops, Washington Post, 18 February 2019, available at: https://wapo.st/3A5aKTR

(28) Naweed Jafari, Can China be a peacemaker in Afghanistan?, The Lowy Institute, 20 October 2020, available at: https://bit.ly/3gV90VP

(29) Federica Lai, China's economic influence in Afghanistan in a Belt & Road context, Asia Power Watch, 1 December 2020, available at: https://bit.ly/3diJrMq

تستطيع الصين ممارسة ضغوط لتعديل سلوك طالبان حال وصولهم للسلطة؛ كل ما تريده الصين هو الاستقرار في أفغانستان حتي تتحقَّق لها مكاسب اقتصادية وهو ما دفع وزير الخارجية الصيني في مايو الماضي لاقتراح استضافة محادثات السلام خوفًا منه على رحيل القوات الأجنبية بدون التوصُّل لاتفاق(٣٠).

● **روسيا**

كما هو الحال مع الصين، تخشى روسيا من امتداد الحركات الإسلامية المسلَّحة من أفغانستان إلى أواسط آسيا فتهدِّد المصالح الروسية هناك، بالإضافة إلى رؤيتها للصراع في أفغانستان من منظار صراعات القوى الكبرى، فرؤيتها الولايات المتحدة الأمريكية تتجرَّع من نفس الكأس الذي سقت منه الاتحاد السوفيتي هو أمر يرضي القيادة الروسية، حتى إن المخابرات الحربية الروسية دفعت لمسلَّحين مرتبطين بطالبان في عام ٢٠١٩ من أجل استهداف القوات الأجنبية في أفغانستان حسب تقرير لصحيفة النيويورك تايمز(٣١)؛ فلا تخفي روسيا استعجالها بخروج أمريكا بعد عشرين عامًا من الخسائر والفشل، فقد صرَّحت وزارة الخارجية الروسية بأن تأخير خروج القوات الأجنبية من أفغانستان عن الموعد الذي حدَّده ترامب سابقًا –أي في مايو الماضي– يعدُّ خرقًا للاتفاق وتهديدًا للأمن في البلاد، وفي نفس الوقت قامت موسكو باستضافة طالبان والحكومة الأفغانية في مارس الماضي من أجل "التعجيل بمحادثات السلام"، وقبل ذلك بشهرين استضافت موسكو –وطهران– وفدًا من طالبان حين وردت أنباء عن إمكانية عدم وفاء واشنطن ببنود الاتفاق مع طالبان، حيث أرادت الحركة أن ترسل رسالة لواشنطن مفادها أنها ستلجأ لطرف غير صديق ولن تجلس للتفاوض مع الحكومة الأفغانية في حالة تراجع واشنطن(٣٢).

تشترك موسكو مع واشنطن في ضرورة نجاح محادثات السلام بين الحكومة الأفغانية وحركة طالبان، لأن السيناريو المقابل هو حدوث فوضى من الممكن أن تؤدِّي إلى حرب أهلية مما يؤثِّر مباشرة على أمن روسيا والولايات المتحدة.

● **إيران**

تأتي إيران كقوة إقليمية ذات مصالح في أفغانستان مرتبطة بالأساس بالحدود المشتركة بين البلدين، فإيران تصدر سلع للسوق الأفغاني والذي يمثل متنفسًا اقتصاديًّا في ظلِّ العقوبات الاقتصادية الأمريكية المفروضة عليها، بينما تستخدم الحدود لتسلُّل اللاجئين الأفغان ليمثلوا عبئًا إضافيًّا على طهران، فعددهم يقارب المليون لاجئ، بيد أن التهديد الأكبر الذي تخشاه إيران هو الجماعات المسلَّحة السُّنِّيَّة، وتشمل العناصر المتشدِّدة من طالبان وعناصر تنظيم الدولة في أفغانستان.

إيران كانت على وشك الدخول في حرب مع طالبان في عام ١٩٩٨ بسبب حصار الحركة القنصلية الإيرانية في مزار الشريف وقتل ٨ دبلوماسيِّين إيرانيِّين، وقامت طهران بدعم الاحتلال الأجنبي لأفغانستان في ٢٠٠١ ومدِّه بالمعلومات الاستخباراتية من أجل انتزاع طالبان من السلطة ووضع حكومة لا تعادي الجار الغربي. ولكن وجود القوات الأجنبية الحالي في أفغانستان يقيِّد قدرة إيران على الانتشار في البلاد، وبالتالي فإن طهران تؤيِّد خروجها، ولكن في نفس الوقت لا تريد أن ترى حكومة تقودها طالبان في كابل مرة أخرى، فالخيار الأفضل لطهران هو دعم حكومة ديمقراطية، ويكون الجناح غير المتشدد من طالبان جزءًا منها؛ وقد بدأت بالفعل طهران

(30) Ayaz Gul, China Offers to Host Afghan Peace Talks, VOA, 18 May 2021, available at: https://bit.ly/2U4DBrc

(31) Charlie Savage (et al.), Russia Secretly Offered Afghan Militants Bounties to Kill U.S. Troops, Intelligence Says, New York Times, 26 June 2020, available at: https://nyti.ms/3h93qOG

(٣٢) حميد الله محمد شاه، خبراء يجيبون.. هذه أهداف طالبان من زيارة موسكو وطهران، الجزيرة، ١ فبراير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3jilzvX

مدَّ سبل التواصل مع طالبان واستضافت وفدًا من الحركة في بداية العام الحالي في طهران.

أما في حالة عدم ضمان وقف التهديد من الأراضي الأفغانية ضد المصالح الإيرانية بعد الانسحاب الأجنبي، فمن المتوقع أن تعيد طهران توجيه ميليشياتها الشيعية الأفغانية التي كانت قد أرسلتها للحرب في سوريا تحت مسمَّى "لواء فاطميون" وقوامها ١٠-١٥ ألف مسلح ووضعها على الأراضي الأفغانية[٣٣].

- **أطراف أخرى**

بجانب كل الأطراف المذكورة أعلاه توجد أطراف أخرى لها مصالح في أفغانستان ومنها: تركيا، والسعودية، وقطر، وطاجيكستان، وأوزباكستان وتركمانستان، بيد أن دورها ليس بأهمية الأطراف المذكورة أعلاه.

يتَّضح مدى تعقُّد البعد الإقليمي والدولي للصراع الأفغاني ومحادثات السلام، وفي محاولة لتبسيط الصورة -مع الإقرار بصعوبة ذلك لكثرة التفاصيل والمحددات- فمن الممكن تخيُّل العلاقات الإقليمية والدولية في ما يتعلَّق بملف السلام من خلال الرسم التوضيحي التالي، حيث تمثل الخطوط الصلبة علاقات دعم بينما تمثل الأسهم ذات الخطوط المتقطعة علاقات العداء:

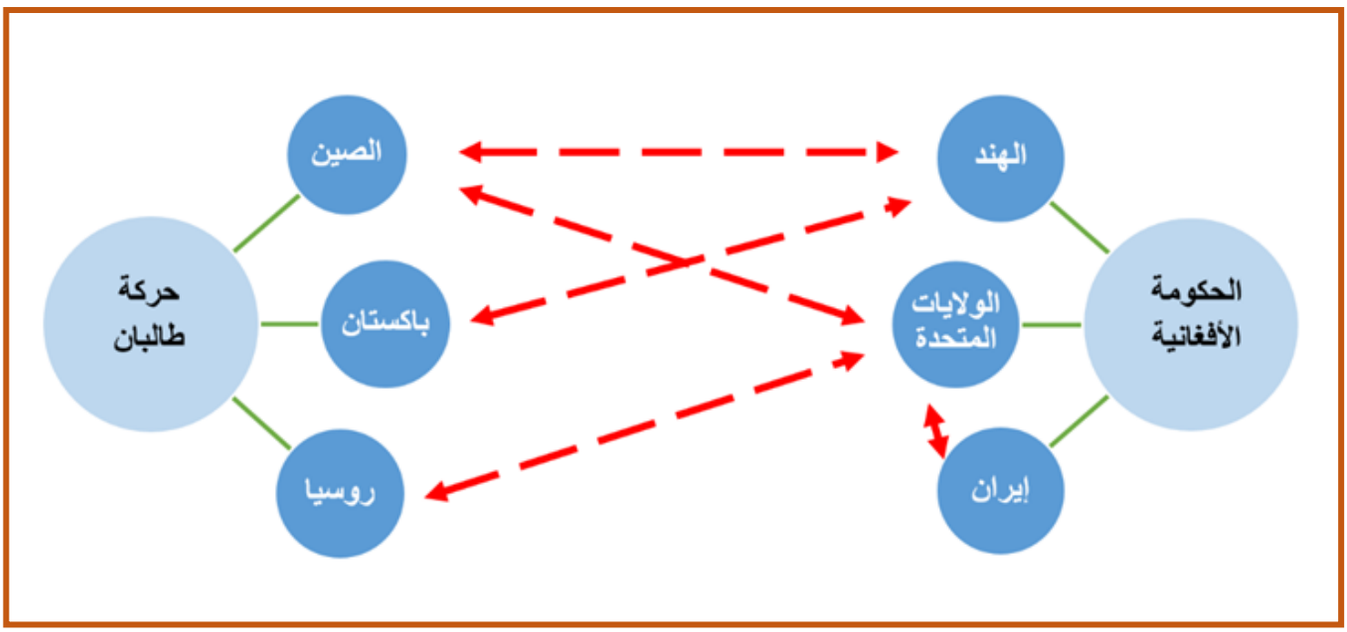

من الممكن بالطبع أن تتغيَّر هذه التحالفات مع التطورات في المفاوضات الحالية ومع إتمام خروج القوات الأجنبية، فالأمر يشهد تغيرات متتابعة وسريعة.

ومن خلال هذا العرض السريع لمصالح بعض الأطراف الخارجية الفاعلة في المشهد الأفغاني يتَّضح أن الجميع تقريبًا يريد السلام والتوافق الداخلي، ولكن لكلٍّ منهم هدفه الخاص من وراء ذلك، فكل طرف يسعى لاستقرار يضمن له تحقيق ما يريد من مآرب، بيد أن مصالح الأفغان أنفسهم ليست على أجندة أيٍّ من هذه القوى.

ختامًا- أسئلة هامة

يبقى أن نطرح بعض الأسئلة التي تهم متابعي الملف الأفغاني ونحاول الاقتراب من إجابتها.

(33) Colin P. Clarke and Ariane M. Tabatabai, What Iran Wants in Afghanistan, Foreign Affairs, 8 July 2020, available at: https://fam.ag/3h8ziCR

● **هل تغيرت أو ستتغير حركة طالبان؟**

إذا نجحت طالبان في تشكيل الحكومة الجديدة بعد الانسحاب الأجنبي فهل سنرى نهجًا مماثلًا لإدارة طالبان في تسعينيات القرن الماضي؟ للإجابة على هذا التساؤل لا بدَّ من رؤية الوضع من وجهة نظر الحركة وتقييم الضغوط الممارسة عليها من أجل تعديل سلوكها فيما يخصُّ ملف حقوق الإنسان بمفهومه السياسي الغربي، فالحركة خرجت "منتصرة" على أكبر قوة في العالم، مرة أخرى، بعد ٢٠ عامًا من الصراع والصبر والمراوغة، وأيضًا فإن الحركة لها قوة تتعاظم على الأرض وفي موقف أفضل من الحكومة المركزية الحالية المنقسمة على نفسها، وذلك بالإضافة إلى الاعترافات الدولية المتزايدة بشرعية الحركة ومركزية دورها في الساحة الأفغانية، كل هذا يضاف إلى المؤسس العقيدي والقبلي للحركة والذي من الواضح أنه لم يتغيَّر طوال السنوات الماضية. ومن ثم لا يُتوقع أن تكون الحركة قد تغيَّرت كثيرًا في رؤيتها في إدارة الدولة، بينما يرى المبعوث الأمريكي للسلام في أفغانستان زلماي خليل زاد أن الاعترافات الدولية بالحركة قد تمثل عامل ضغط لتعديل السلوك[٣٤].

وفي ما يتعلق برؤية طالبان للأطراف الأفغانية الأخرى كشركاء في السلام، فبجانب رؤيتها الدونية للحكومة المركزية فقد حدث موقف خلال محادثات السلام في موسكو من الممكن أن يكون مؤشِّرًا على استمرار مواقفها من الأطراف الداخلية الأخرى، ذلك أن عبد الرشيد دوستم –المارشال الأوزبكي في الجيش الأفغاني والذي ساعد القوات الأجنبية في التخلُّص من طالبان في ٢٠٠١– ذهب للملا فضل وسأله عن صحته، فردَّ عليه الملا بوصفه بالخائن والقاتل؛ مما جعل دوستم يغادر بقية الاجتماع [٣٥].

(34) Missy Ryan and Susannah George, As the U.S. departs Afghanistan, will the old Taliban reemerge?, Washington Post, 1 May 2021, available at: https://wapo.st/2UxBKev

(35) Thomas Ruttig, A Troika of Four: Looking back at the March 2021 Afghanistan meeting in Moscow, Afghanistan Analysts Network, 2 April 2021, available at: https://bit.ly/3wZQe5l

في تقرير مرفوع عنه السرية لمجلس المخابرات الوطني الأمريكي فإن صلب موقف طالبان في المحادثات الحالية بالإضافة إلى قلة التغيرات في قيادات الحركة هي من ضمن المؤشرات إلى "تراجع معظم التقدُّم الذي أحرز في العقدين الماضيين" في حال رجوع السلطة في يد طالبان[٣٦].

● **هل أي من الأطراف الداخلية مرشح لزيادة قوته بدعم داخلي أو خارجي؟**

بالطبع ستشهد الساحة الداخلية الأفغانية تغيرًا في مقدار قوى الأطراف بعد الانسحاب الأجنبي، ولكن هل سيكون أيًّا منها بقوة طالبان ويمثل تهديدًا للحركة؟ من غير الواضح ما سيكون عليه وضع مكونات الحكومة المركزية الحالية إذا استولت طالبان علي السلطة، فالقوات العسكرية وشبه العسكرية الأفغانية الحالية قوامها ٣٥٠ ألف مجند من عرقيات مختلفة؛ فلو تفتَّت الحكومة وحدثت فوضى فمن الممكن أن ينضم أفراد الجيش الأفغاني لجماعات مسلَّحة مختلفة أو تكوين ميليشيات منفصلة، وقد ينضم الجنود الباشتون لطالبان، ويوجد مؤشرات متزايدة للقلق فقد زادت نسبة الهجمات ضد الجيش من عناصر داخله هذا العام بنسبة ٨٢ بالمئة عن العام الماضي –في الفترة بين ١ يناير و١ أبريل– وقتل فيها ١١٥ جنديًّا وجرح ٣٩ آخرون[٣٧]. وفي حال تفكك الجيش فستستقطب كل قوة إقليمية فصيلًا أو فصائل مسلحة وتعود مشاهد الحرب الأهلية للظهور.

(36) Afghanistan: Women's Economic, Political, Social Status Driven by Cultural Norms, National Intelligence Council, 2 April 2021, available at: https://bit.ly/3x33aHz

(37) Gabriel Dominguez, Enemy-initiated attacks in Afghanistan increased by nearly 37% in first quarter of 2021, Janes, 30 April 2021, available at: https://bit.ly/2UJDzoX

● **ما هي السيناريوهات المتوقعة بعد الانسحاب الأجنبي؟**

يرى الخبير في الشأن الأفغاني توماس راتيج أن الوضع بعد الانسحاب لن يخرج عن ثلاثة سيناريوهات[٣٨]؛ الأول هو الانهيار المباشر للحكومة المركزية، حيث إن الانسحاب الأجنبي يضرُّ بالروح المعنوية للقوات الحكومية ولكنه يرى أنه سيناريو غير متوقَّع لأن الولايات المتحدة أكَّدت استمرار الدعم المادي والعسكري للحكومة، وأن كثيرًا من القوات الحكومية لديها عداءات شخصية من طالبان نتيجة الهجمات المتواصلة، ممَّا سيجعلهم يواصلون القتال طالما لديهم دعم خارجي.

ولكن يلاحظ خلال التطورات الأخيرة أن الولايات المتحدة ترى صعوبة في كيفية استمرار المساعدات العسكرية للحكومة المركزية، ففي ظل رفض طالبان أي وجود أجنبي –عسكري أو مدني متعاقد– حتى لتأمين السفارات ومطار كابل، وبالتالي تجد الولايات المتحدة والناتو صعوبة كبيرة في تدريب القوات الحكومية لضمان قدرتها على تحقيق الأمن بعد الانسحاب؛ وكانت آخر المحاولات عند كتابة هذا التقرير هو مطالبة الناتو دولة قطر بتدريب القوات الخاصة الأفغانية على أراضيها[٣٩].

أما السيناريو الثاني وهو انهيار الحكومة المركزية على المستوى المتوسط وبعد فترة من الزمن، حيث إنها منقسمة وضعيفة ولن تستطيع الفوز في الصراع مع طالبان، وهذا سيكون بمثابة إعادة لأحداث سنة ١٩٩٢، عندما خسر الرئيس نجيب الله الدعم المادي الروسي، ممَّا دفع القوات الحكومية للالتحاق بالطرف الذي يظن أن له الغلبة وهو طرف المجاهدين، وبعد اجتياح طالبان للمشهد السياسي والعسكري اضطر كثير من الفرقاء للانضمام تحت الضغوطات والتهديدات.

ويرى الباحث الألماني أن السيناريو الأخير –وهو غير مستحيل– هو أن ترجع التيارات السياسية والحركات المسلَّحة –بما في ذلك طالبان– لرشدهم بعد خروج القوات الأجنبية ويجلسون للوصول لحل سياسي، وفي حال تمَّ ذلك ستستطيع طالبان من موقف قوَّتها أن تفرض كثيرًا من رؤاها على الأطراف الأخرى، وحينئذ ستصل أفغانستان للسلام المنشود، ولكن تحت سلطة محافظة تجاه الحقوق والحريات؛ فإمَّا هذا أو إعادة إنتاج حروب التسعينيات الفصائلية.

*****

(38) Afghanistan After the US Withdrawal: An Elusive Peace, Three Questions to Thomas Ruttig, Institut Montaigne, 30 April 2021, available at: https://bit.ly/2U3jSIg

(39) Rupam Jain (et al.), Exclusive NATO approaches Qatar to seek training base for Afghan forces after withdrawal, Reuters, 14 June 2021, available at: https://reut.rs/35T45P5

اللعبة الأمريكية-الإيرانية على أوتار الاتفاق النووي: أهداف وسياسات

أحمد سعيد الخليفة*

محمود عاشور مؤمن**

مقدمة:

منذ إبريل ٢٠٢١، تتجه أنظار العالم إلى فيينا لمراقبة مفاوضات عودة الولايات المتحدة الأمريكية تحت إدارة جو بايدين الديمقراطية للاتفاق النووي الذي أبرمته، رفقة خمس دول أخرى، مع إيران عام ٢٠١٥ حول برنامجها النووي، والذي أفضى إلى تقييد إيران أنشطتها النووية في مقابل رفع العقوبات عنها وتطبيع العلاقات التجارية والاقتصادية، بل والسياسية أيضًا، بين إيران والنظام العالمي. وبينما ينتظر المتابعون الإعلان عن عودة الولايات المتحدة للاتفاق النووي –الذي انسحبت منه إدارة دونالد ترامب عام ٢٠١٨– كان من المهم بمكان التعرف على أهداف وسياسات طرفي التفاوض الأساسيين: إيران والولايات المتحدة فيما يتعلق بالملف النووي خصوصًا، وباقي قضايا المنطقة عمومًا؛ إذ إن توقع المستقبل يحتم علينا دراسة سلوك الأطراف في الماضي، للتعرف على غاياتها وكيفية وصولها إليها، وتحليل سلوكها الحالي، ومن ثم وضع السيناريوهات المستقبلية المختلفة في ضوء ذلك.

ولهذا؛ يبحث هذا التقرير في أهداف وسياسات كل من الولايات المتحدة وإيران في تعاملهما مع قضايا الشرق الأوسط، وفي قلبها البرنامج النووي الإيراني، من خلال التعرف على دوافع وأهداف إدارتي كل من أوباما وترامب تجاه الاتفاق النووي، وسبر أغوار العلاقات الأمريكية الإيرانية في ظل إدارة جو بايدن الجديدة منذ توليها السلطة ٢٠٢١، من خلال مواقف كل منهما في قضايا الشرق الأوسط المختلفة، بما تمثله تلك القضايا من مؤشرات للتقارب أو التنافر الأمريكي الإيراني، وتوقعات انعكاسات تلك الأوضاع على مفاوضات فيينا حول البرنامج الإيراني ٢٠٢١، انطلاقًا من تصور أن الاتفاق النووي ما هو إلا حلقة (والحلقة الأهم والأقوى) ضمن حلقات العلاقات بين واشنطن وطهران.

أولًا– الاتفاق النووي بين إدارتي أوباما وترامب:

- **التوقيع على الاتفاق النووي ٢٠١٥ في ظل إدارة أوباما**

بعد سنوات من المفاوضات بين إيران من جهة، وبين دول المجموعة ٥+١ (وهي الدول الخمسة دائمة العضوية في مجلس الأمن: الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، والصين، وروسيا، بجانب ألمانيا)، استطاعت الأطراف الستة أخيرًا التوصل لاتفاق في يوليو ٢٠١٥، والمعروف رسميًا باسم **خطة العمل الشاملة المشتركة**، والذي عمل على الحد من طموحات إيران النووية من جهة، ومنحها فرصة الاندماج في النظام الدولي من جهةٍ أخرى(١).

وبعيدًا عن مضمون الاتفاق النووي، فإن التوصل إليه كان ناتجًا بشكلٍ مباشر عن التغير في قادة كل من الولايات المتحدة وإيران على السواء. إذ إن فشل ثماني سنوات من المحادثات النووية في عهد أحمدي نجاد منح الفرصة للمعتدلين للوصول للسلطة في إيران، وهو ما نتج عنه توصل إيران ومجموعة ٥+١ لاتفاق نووي مؤقت في

---

* باحث في العلوم السياسية.

** باحث في العلوم السياسية.

(١) للتعرف على بنود الاتفاق النووي الإيراني، انظر:

- Seyed Hossein Mousavian & Mohammad Mehdi Mousavian, Building on the Iran Nuclear Deal for International Peace and Security, Journal for Peace and Nuclear Disarmament, Vol. 1, No. 1, Jan 2018, p.181.

- Kenneth Katzman and Others, Possible U.S. Return to Iran Nuclear Agreement: Frequently Asked Questions, Congressional Research Service, January 2021, pp.4-5.

غضون فترة قصيرة من انتخاب الرئيس الإيراني الجديد حسن روحاني. إذ مثَّل انتخاب روحاني وتعيينه جواد ظريف وزيرًا للخارجية، وعلي أكبر صالحي نائبًا للرئيس، عاملًا رئيسًا في تسهيل التفاوض؛ حيث أظهرت تلك الإدارة براجماتية في السياسة الخارجية، بما في ذلك ما يتعلق بالملف النووي. وعلى الجانب الأمريكي، فإن قيام الرئيس أوباما بتعديل وزاري في إدارته مع دخوله فترة ولايته الثانية كان له دور كبير في إنجاز المفاوضات، خصوصًا من خلال الجمع بين جون كيري وزيرًا للخارجية، وإرنست مونيز وزيرًا للطاقة، وروبرت مالي مساعدًا خاصًا للرئيس ومنسق البيت الأبيض للشرق الأوسط[٢]. بالإضافة إلى التغير الجوهري الذي طرأ في سياسة أوباما في التعامل مع الملف النووي الإيراني، فبدلًا من التمسك بسياسة أسلافه برفض مبدأ تخصيب إيران لليورانيوم، اشترطت إدارته عدم وجود قنبلة نووية مع التأكيد على حق إيران في التخصيب[٣].

وبجانب عوامل إقليمية وأوروبية أخرى، يمكن القول إن الظروف كانت مهيئة بالنسبة لإيران والولايات المتحدة لتغيير سياساتهما من دون حدوث تحول كبير في أهدافهما الكلية. إذ ظلت تسود حالة من عدم الثقة الأمريكية تجاه إيران، تجلت في سلوك البنوك الدولية الكبرى في الاتفاقيات التجارية مع إيران، والعديد من تشريعات الكونجرس التي تؤدي لفرض عقوبات جديدة على إيران[٤].

- **إدارة ترامب وتغير السياسات الأمريكية تجاه إيران**

على غير المتوقع، فاز المرشح الجمهوري دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية الأمريكية ٢٠١٧، وهو ما مثل تحولا جذريًا في "سياسات" الولايات المتحدة الأمريكية إزاء إيران عمومًا، والملف النووي خصوصًا. فبعد انتهاج سلفه باراك أوباما سياسة احتواء للنظام الإيراني بهدف دمجه في النظام الدولي، انتهى الأمر بترامب بفرض سياسة «الضغوط القصوى» عليها. حيث أعلنت الإدارة الجديدة في البيت الأبيض خروج الولايات المتحدة من خطة العمل الشاملة المشتركة في مايو ٢٠١٨، في حين أعادت فرض جميع العقوبات الأمريكية التي تم تخفيفها بموجب الاتفاق في نوفمبر ٢٠١٨، تحقيقًا لرؤية ترامب في ممارسة "أقصى ضغط" على الاقتصاد الإيراني[٥]، من خلال إعادة فرض العقوبات الاقتصادية على إيران، وحظر التعامل معها، كما حاول عزلها دوليًا من خلال فرض عقوبات على الشركات والمؤسسات التي تتعامل مع إيران.

ومن أجل تبرير تلك الخطوة، تحجج ترامب بما يُعانيه الاتفاق من انتقادات من شأنها ألا تُطمئن الولايات المتحدة وحلفاءها في الشرق الأوسط إزاء سلوك إيران. تمثلت أهم تلك الانتقادات في أن الاتفاق النووي في أفضل الأحوال إطار عمل مؤقت حتى خمسة عشر عامًا على الأفضل، إلى جانب عدم احتوائه بنودًا لمنع إيران من تطوير قدراتها الباليستية، ومنح تخفيف العقوبات إيران مهلة مالية إضافية لتمويل سياسة نفوذها[٦].

لم يكن انسحاب ترامب من الاتفاق النووي احتجاجًا منه على عدم التزام إيران ببنوده، والتي كانت انتهاكات طفيفة يمكن —بشيء من الصعوبة– الاستدلال عليها[٧]، وهو ما يعني أن قرار الانسحاب من الاتفاق النووي كان نية مبيتة عند ترامب، وقد أعلن عنه صراحةً خلال حملته الانتخابية عام ٢٠١٦، بل إنه أظهر نيته

(2) Seyed Hossein Mousavian & Mohammad Mehdi Mousavian, Building on the Iran Nuclear Deal for International Peace and Security, Op. cit., pp. 178-179.

(3)Ibid.

(4) Ibid, pp. 181-182.

(5) Kenneth Katzman and Others, Possible U.S. Return to Iran Nuclear Agreement, Op. cit., p. 6.

(6) Riccardo Alcaro, Europe's Defence of the Iran Nuclear Deal: Less than a Success, More than a Failure, The International Spectator, Vol, 56, No. 1, 2021, pp. 59-60.

(7) Matthew Kroenig, The Return to the Pressure Track: The Trump Administration and the Iran Nuclear Deal, Diplomacy & Statecraft, January 2018, Vol. 29, No. 1, pp. 5-6.

حول إيران عمومًا خلال حملته الانتخابية، وترجم ذلك قرارات فور وصوله البيت الأبيض.

ويمكن تبرير سلوك إدارة ترامب في تعاملها مع إيران من منظورين: **أولهما** رؤية ترامب ذاته لإيران، وإدراكه لطبيعة سياسة "الجمهورية الإسلامية" ونظامها "المارق"، فترامب الرجل الأمريكي الأبيض الذي يسعى لـ"جعل أمريكا عظيمة مرة أخرى" يسعى للتضييق على كل ما يمثل تهديدًا لتلك الرؤية، كما أن خلفيته غير السياسية لم تعطه فرصة لمحاولة احتواء إيران بدلا من فرض الضغوط القصوى عليها. **وثانيهما** هو استجابة الإدراة الأمريكية لضغوط "الحلفاء الأقرب للإدارة الجديدة"، ممثلين في إسرائيل ودول الخليج، الذين يرفضون الاتفاق النووي الإيراني، واتخذوا منه موقفًا سلبيًا عند توقيعه عام ٢٠١٥.

انتهجت إدارة ترامب هذا النهج الشديد بهدف إعادة إيران للتفاوض حول المطالب الـ١٢ التي أعلن عنها وزير الخارجية مايك بومبيو لرفع العقوبات عن إيران، والتي تدور حول: علاج الخلل في الاتفاق النووي، والقدرات الصاروخية الإيرانية، وسلوك إيران المزعزع لاستقرار الشرق الأوسط[٨]. إن استقراء تلك المطالب يوضح أهداف إدارة ترامب في "حصر إيران داخل حدودها"، وعدم منحها الفرصة للعب دور إقليمي يهدد الاستراتيجية الأمريكية ومصالحها العليا أو مصالح حلفائها، وقطع الطريق أمام إيران لتحقيق مشروعها الاستراتيجي/الآيديولوجي الذي قد يؤدي لعرقلة ما يريده ترامب بشأن الشرق الأوسط[٩].

لكن، وبعد كل شيء، فإن إعادة فرض العقوبات على إيران وانتهاج سياسة الضغط القصوى لم يحققا شيءً من أهدافهما، فلم يقل نفوذ حكومة إيران الإقليمي، فضلا عن عدم تغير النظام ذاته، ولم تؤدِ العقوبات الجديدة على النظام المصرفي الإيراني إلا لجعل حياة الشعب الإيراني أكثر صعوبة من دون التأثير على القيادات الحكومية[١٠]. وهو ما دفع البعض لوسم سياسة ترامب في الشرق الأوسط بالفشل على المستوى الاستراتيجي؛ إذ ركزت على الأدوات والوسائل والأهداف الآنية بدلا من الأهداف طويلة الأجل، تجلى ذلك في فرض ترامب سياسة الضغوط القصوى على الاقتصاد الإيراني، بدلا من وضع استراتيجية أمريكية فعالة للتعامل معها[١١].

وردًا على الانسحاب الأمريكي من الاتفاق، أعلنت إيران في ٨ مايو ٢٠١٩ (أي بعد مرور عام من الانسحاب الأمريكي) توقفها التدريجي عن الامتثال للقيود الرئيسة المفروضة عليها بموجب الاتفاق، معلنةً نيتها تجاوز حدود اليورانيوم المخصب ومخزونات الماء الثقيل ما لم تجد أطراف الاتفاق النووي المتبقية، وخاصة الأوروبية منها، طريقة لحماية إيران من العقوبات النفطية والمصرفية الأمريكية في غضون ٦٠ يومًا من تاريخ هذا الإعلان. ومنذ ذلك الوقت، تعمدت إيران ارتكاب "سلسلة من الانتهاكات الجسيمة"[١٢] لالتزاماتها النووية كل٦٠ يومًا[١٣]. هذا في محاولة منها للتعبير عن تحدي حملة الضغط الأقصى الأمريكية من جهة، والضغط على الاتحاد الأوروبي لمساعدتها في الالتفاف على العقوبات الأمريكية من جهةٍ أخرى.

---

(٨) طالب رجا المساعيد، موقف الولايات المتحدة من إيران بعد الاتفاق النووي "٢٠١٥-٢٠١٩"، رسالة ماجيستير، معهد بيت الحكمة، جامعة آل البيت (الأردن)، ٢٠٢٠، ص ١٤٨.

(٩) مصطفى جابر العلواني، العقوبات الأمريكية وأثرها على فاعلية الدور الإيراني في المنطقة وفي مستقبل النظام الدولي، رؤيا للبحوث والدراسات، تاريخ النشر: ٢٠ سبتمبر ٢٠١٨، تاريخ الاطلاع: ١٩ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3xzGK0A

(10) Muqtedar Khan, Biden's Plan To Revive Iran Talks Could Calm The Middle East - But On Israel He And Trump Largely Agree, The Conversation U.S, Boston, Boston, 19 Oct 2020.

(11) Anthony H. Cordesman, The Biden Administration's Security Challenges in the Gulf, Center for Strategic and International Studies, Jan 2021, p. 3.

(١٢) للاطلاع على تلك الانتهاكات، انظر:

Peter Brookes and Others, Iran Nuclear Deal: Next Steps, ISSUE BRIEF, The Heritage Foundation, No. 5030, Jan 2021, pp. 2-3.

(13) Ibid, p. 2.

وعلى الرغم من الانحياز الغربي الرسمي للموقف الإيراني، إلا أن تصرفات إيران "الاستفزازية" أعادت بث المخاوف الغربية حول طموحات إيران النووية، وما إذا كانت تنتوي إعادة إنشاء برنامج أسلحتها النووية، خصوصًا بسبب ما أقدمت عليه طهران من رفع مستويات تخصيب اليورانيوم، وزيادة مخزونها من اليورانيوم المخصب وأجهزة الطرد المركزي العاملة(١٤).

على جانب آخر، حاولت إيران التأقلم على الوضع ما بعد الانسحاب الأمريكي، من خلال تعزيز علاقاتها مع دول الشرق، والضغط على أوروبا لتعويضها عن الخروج الأمريكي، ورفع حدة سلوكها مع الولايات المتحدة، مع الالتزام بالحفاظ على الحد الأدنى من شروط الاتفاق النووي بما يؤكد تمسكها به والرغبة في استعادته كاملا مرة أخرى، بعودة الولايات المتحدة للاتفاق ورفع العقوبات المفروضة على إيران.

حيث قررت القيادة الإيرانية أن تصعيد التوترات في الخليج سيُظهر للولايات المتحدة وحلفائها في الخليج العربي أن الضغط الأقصى سيكلفهم هم أيضًا، وهو ما تمثل في سلسلة طويلة من الحوادث التصعيدية، مثل: الهجمات على ناقلات النفط التي تمر في خليج عمان، وتبادل إيران والولايات المتحدة إسقاط الطائرات دون طيار، والاستيلاء المتبادل على السفن من قبل المملكة المتحدة وإيران، والهجوم الصاروخي الإيراني المزعوم ضد حقول النفط السعودية، والاشتباكات بين القوات الأمريكية ووكلاء إيران في العراق، ورد إيران على اغتيال سليماني بوابل من الصواريخ ضد قاعدة أمريكية في العراق. غير أن تلك التوترات لم تجر طرفي الصراع لمواجهة عسكرية شاملة، وهو ما يتضح من قرار ترامب إلغاء غارة جوية كانت تستهدف الأراضي الإيرانية قبل ساعات من تنفيذها ردًا على إسقاط طائرة أمريكية دون طيار(١٥)، فضلًا عن قرار اغتيال سليماني في الأراضي العراقية وليس في الأراضي الإيرانية. كما أن الرد الإيراني على اغتيال سليماني جاء دون التوقعات التي رسمتها تصريحات القادة الإيرانيين حول حجم الانتقام الذي تعتزمه بلادهم.

أما **أوروبا**، فقد سعت للحيلولة دون انهيار الاتفاق النووي، وظلت متمسكة به وداعية واشنطن للعودة للالتزام به، وهو ما يمكن إرجاعه لعدد من الأسباب السياسية والاستراتيجية والأمنية، وكذلك لأسباب اقتصادية تمثلت في رغبة أوروبا في التوسع في السوق الإيراني.

إيرانيًا، فإن الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي قد أكد شعور عدم الثقة في السياسة الأمريكية، وهو الشعور الذي ظهر لدى المؤسسات السياسية والأمنية والشعب في إيران منذ التوقيع على الاتفاق عام ٢٠١٥. حيث إن التزام إيران ببنوده لم يؤدِ إلا إلى رفع العقوبات المتعلقة بالمجال النووي، في حين أن الاقتصاد الإيراني لم ينتعش بعد. وهو الشعور ذاته الذي استدعاه الشعب من تجربة الحرب العراقية الإيرانية، حيث أكدت تلك الحرب عدم الوثوق بالولايات المتحدة، وأهمية اعتماد إيران على نفسها حتى تقف على قدميها(١٦).

ثانيًا– إدارة بايدن وإعلان العودة للاتفاق النووي:

حاولت إيران كتم أنفاسها خلال المدة المتبقية على انتهاء ولاية ترامب الرئاسية الأولى، وهي تراهن ألا يفوز في الولاية الثانية في انتخابات عام ٢٠٢٠، وهو ما تحقق فعلا بانتخاب المرشح الديمقراطي جو بايدين رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية. وبجانب كون بايدن نائب الرئيس أوباما الذي وقع الاتفاق النووي ٢٠١٥، فقد أعلن بايدن خلال حملته الانتخابية عزم إدارته حال فوزه العودة للاتفاق النووي، وهو ما يمثل تحولا جديدًا في السياسات الأمريكية تجاه إيران.

(14) Ibid, p. 3.

(15) Riccardo Alcaro, Europe's Defence of the Iran Nuclear Deal, Op. cit., p.64.

(16) Ariane M. Tabatabai and Annie Tracy Samuel, What the Iran-Iraq War Tells Us about the Future of the Iran Nuclear Deal, International Security, Vol. 42, No. 1, Summer 2017, p. 183.

نحاول في هذا الجزء التعرف على أسباب رغبة بايدن في العودة للاتفاق النووي، وكيفية التعاطي الإيراني مع تلك الرغبة، وما قدمه كل منهما لتحقيق ذلك.

- **لماذا يريد بايدن العودة للاتفاق النووي؟**

في البداية، لا بد من تأكيد أن سياسة الضغط الأقصى التي انتهجها ترامب (سواء بالعقوبات أو الاغتيالات) لم تنجح في ثني إيران عن برنامجها النووي، كما أنها فشلت في كبح جماح التوسع الإيراني في الشرق الأوسط من خلال عملائها، وهو ما يعني بصورة مؤكدة أن الاستمرار في هذا السلوك أفقد الولايات المتحدة قناة اتصال مباشرة مع طهران من دون تحقيق أي من الأهداف الاستراتيجية الأمريكية، والتي هي محل اتفاق بين إدارتي ترامب وبايدن. ومن ثم، فإن الباب مفتوح أمام جو بايدن للعودة للمفاوضات مرة أخرى، وإعادة بلاده للاتفاق النووي، وهو ما يؤدي لتحقيق مجموعة من الأهداف بالنسبة لبايدن وإدارته.

أجمل بادين نفسه تلك الأهداف في مقال رأي لشبكة CNN، عندما قال إنه يعتزم العودة للاتفاق النووي لاعتقاده أنه يمكن تهدئة واحتواء إيران من خلال تعاون أكبر وتواصل مباشر معها. كما أن من شأن تلك الخطوة أن تحسن التعاون الأمريكي المتعثر مع باقي أطراف الاتفاقية، خصوصًا الأوروبيين[١٧].

على الرغم من وجود الكثير من القضايا التي تحتاج للتفاوض بين واشنطن وطهران، إلا إن إدارة بايدن أظهرت خلال الحملة الانتخابية انتهاجها نفس نهج أوباما، حيث تُركز إدارة بايدن على الحد من القدرات النووية الإيرانية باعتبارها الأولوية القصوى من جهة، وأنه يمكن الاعتماد على تلك المحادثات في التخفيف من سلوك إيران "المرفوض" فيما بعد. ولهذا، تعتزم إدارة بايدن البدء في مشاورات حول الملف النووي بشكل حصري للعودة للاتفاق النووي الإيراني. ومن ثم، تبدأ في مفاوضات "المتابعة" بشأن قضايا خارج البرنامج النووي، وذلك في استجابة منها لضغوط الداخل الأمريكي التي ترى أن الاتفاق النووي ليس كافيًا للحد من سلوك إيران المعادي لمصالح الولايات المتحدة في المنطقة. ويمكن فهم تصريح مستشار الأمن القومي لإدارة بايدن جيك سوليفان بأن مفاوضات المتابعة قد تؤدي لفرض قيود ملزمة على تطوير إيران للصواريخ الباليستية كتهدئة لتلك الضغوط[١٨].

إن الإدارة الأمريكية الجديدة ترى في التفاوض مع إيران وتأمين صفقة جديدة للحد من برنامجها النووي، وما يمكن أن يتبعها من مفاوضات تبحث قضايا أخرى، أمرًا مفيدًا لإعادة التوازن الحقيقي تجاه آسيا من جهة، ولتعزيز التحالف عبر الأطلسي بعد سنوات من الإهمال من جهةٍ أخرى[١٩]، وهو ما أكده لاحقًا البيان الختامي لقمة السبعة الكبار في يونيو ٢٠٢١ من دعمها لاستئناف العمل بالاتفاق النووي، وترحيبها بـ"المشاورات الجوهرية" الجارية في فيينا[٢٠].

وبالمقارنة مع إدارة سلفه ترامب، فإن مقاربة بايدن في التعامل مع إيران هي مقاربة مؤسسية ليبرالية، من خلال التعاون متعدد الأطراف والحشد الدولي في سبيل وضع قيود استراتيجية على إيران لتحقيق ما تريده واشنطن، بدلا من التغريد وحيدًا خارج السرب (الغربي/العالمي) كما فعل ترامب[٢١].

(17) Muqtedar Khan, Biden's Plan To Revive Iran Talks Could Calm The Middle East, Op. cit.

(18) Kenneth Katzman and Others, Possible U.S. Return to Iran Nuclear Agreement, Op. cit., pp. 3-4.

(19) Pat Shilo and Todd Rosenblum, President Biden Has Five Options for Future Negotiations with Iran, Third Way, 15 March, 2021, accessed: 7 July 2021: https://cutt.us/WoV7D

(٢٠) G7 تدعم استئناف الاتفاق النووي وتدعو طهران لوقف تطوير برنامجها الصاروخي، روسيا اليوم، تاريخ النشر: ١٣ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3w8nHcA

(٢١)إبراهيم المفتي، المستقبل الصعب للعلاقات الإيرانية–الأميركية في عهد بايدن، مركز الجزيرة للدراسات، تاريخ النشر: ٢٤ فبراير ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٤ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://cutt.us/bxLDq

وعلى الرغم من حماسته للبدء في المفاوضات والعودة للاتفاق النووي، وضع بايدن شروطًا للعودة لهذا الاتفاق، وهي[٢٢]:

١. إطالة أمد القيود النووية المفروضة على إيران لأكثر من ١٥ عامًا.

٢. وقف الأنشطة الإيرانية الإقليمية الخبيثة، في لبنان والعراق وسوريا واليمن، ومعالجة البرنامج الصاروخي الدقيق الذي قد يهدد إسرائيل.

٣. إعادة التزام إيران بتعهداتها المنصوص عليها في الاتفاق النووي الإيراني.

غير أن الإدراة الأمريكية تتعرض لضغوط داخلية وخارجية تصعب عودتها للاتفاق النووي، أهمها هو ضغط دول المنطقة على الإدارة الأمريكية بأن التهديدات غير النووية في الواقع هي أكثر أهمية بالنسبة لها، مثل "الصواريخ والوكلاء والتدخل في الشئون الداخلية للدول"، على الأقل في المدى القصير. كما أن مسئولي الأمن القومي في إدارة بايدن يرون أن الاتفاقات النووية مع إيران قد لا تضمن بالضرورة التوصل لاتفاقات معها في القضايا غير النووية[٢٣]، وهو عكس الرؤية الأمريكية. وعلى جانب آخر، فإن زيادة التواصل مع إيران من شأنه أن يضر بالعلاقات الأمريكية مع كل من إسرائيل والسعودية على السواء، وهما الحلفاء التقليديون للولايات المتحدة في الشرق الأسط، وقد تعززت علاقاتهما مع واشنطن بشكلٍ خاص إبان إدارة ترامب السابقة.

بشكل عام، فإن فشل ضغوطات ترامب من جهة، ورغبة بايدن في العودة للحلول الدبلوماسية وتعزيز دور التفاوض في تحقيق أهداف الولايات المتحدة من جهةٍ أخرى قد دفع إدارته للإعلان عن نيتها بدء مشاورات مع إيران للعودة للاتفاق النووي، وهو ما حدث فعلًا في إبريل ٢٠٢١ في مدينة فيينا النمساوية.

- **رد فعل إيران على نية بايدن العودة للاتفاق النووي**

استجابت طهران لرغبة الولايات المتحدة العودة للاتفاق النووي وكأنها تتحرك من موقع قوة، الأمر الذي اتضح من خلال تأكيد وزير خارجيتها عدم قبول إيران أي شروط مسبقة للعودة للاتفاق النووي[٢٤]، كما أكدت إيران أن أي عملية تفاوضية لن تتضمن أي نقاش حول برنامجها للصواريخ الباليستية[٢٥]، فضلا عن إجراء المشاورات في فيينا بشكلٍ غير مباشر بين إيران والولايات المتحدة.

لم يكن أدل على ذلك من تصريحات المرشد الإيراني آية الله على خامنئي بأن المطلوب والمنتظر هو عودة الولايات المتحدة للالتزام بالاتفاق الإيراني كاملا أولا؛ فهي من خرجت منه وبدأت بخرق قواعده، مؤكدًا أن بلاده "لن تعود للامتثال للاتفاق النووي قبل رفع العقوبات الاقتصادية عنها بالكامل، وأن الولايات المتحدة يجب أن ترفع جميع العقوبات إذا كانت تريد من طهران العدول عن خطواتها النووية"[٢٦].

من جهةٍ أخرى، فقد أبقت إيران على مراقبة الوكالة الدولية للطاقة الذرية للأنشطة النووية الإيرانية وزيارة مفاعلاتها النووية. فعلى الرغم من تمرير البرلمان الإيراني لقانون في ديسمبر ٢٠٢٠ بتعليق تنفيذ البروتوكول الإضافي لاتفاقية الضمانات الشاملة[٢٧] وأنشطة

---

(٢٢) مايسة مرزوق، سيناريوهات مستقبل الاتفاق النووي الإيراني مع إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية ٢٠٢٠ ج.٢، البيان، المنتدى الإسلامي، العدد ٤٠٧، مارس ٢٠٢١، ص ص ٥٦-٥٧.

(23) Kenneth Katzman and Others, Possible U.S. Return to Iran Nuclear Agreement, Op. cit., p. 16.

(٢٤) مايسة مرزوق، سيناريوهات مستقبل الاتفاق النووي الإيراني مع إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية ٢٠٢٠ ج.٢، مرجع سابق، ص ٥٤.

(25) Pat Shilo and Todd Rosenblum, President Biden Has Five Options for Future Negotiations with Iran, Op. cit., p. 6.

(٢٦) فاطمة الصمادي، تبادل الشروط بين طهران وواشنطن: تأجيل الحل والمواجهة معًا، مركز الجزيرة للدراسات، تاريخ النشر: ١١ فبراير ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://cutt.us/rqVJq

(٢٧) ترتيب طوعي يسمح لمفتشي الوكالة الدولية بزيادة الوصول إلى المواقع والمعلومات المتعلقة بالبرنامج النووي للتحقق من أن المواد النووية لا يتم تحويلها لأغراض خبيثة، بينما تواصل الوكالة مراقبة بعض الأنشطة النووية بموجب اتفاقية الضمانات الشاملة الإيرانية.

المراقبة الأخرى المطلوبة بموجب الاتفاق النووي، فقد توصلت الحكومة الإيرانية والوكالة الدولية لترتيبات مراقبة خاصة مؤقتة في ٢١ فبراير ٢٠٢١، وتستمر لمدة ثلاثة أشهر تنتهي في مايو. غير أن إيران والوكالة الدولية اختارتا تمديد الاتفاقية لشهر إضافي، وهو ما يمكن فهمه كإشارة إيرانية لدعم مفاوضات فيينا التي بدأت قبل شهر من التمديد، من خلال تقديم بوادر حسن النية[٢٨].

- **اللعبة الأمريكية الإيرانية في الخليج: "سياسة العصا والجزرة"**

عادة ما تتحرك الدول في سياستها الخارجية في خطٍ ناظم يحدد معالمها ويؤشر على مآلاتها. وعليه، فإنه يمكن رصد مواقف كل من الولايات المتحدة وإيران في عدد من قضايا المنطقة، والنظر إليها كأجزاء من صورة كلية تحدد طبيعة العلاقات فيما بينهما، وهو ما ينعكس بطبيعة الحال على الملف النووي الإيراني. فمع قدوم إدارة بايدن الجديدة إلى البيت الأبيض في يناير ٢٠٢١، اتخذت عددًا من المواقف والقرارات في قضايا تمس منطقة الشرق الأوسط، بما يتماس مباشرة مع إيران ودوائر نفوذها.

بدأت أول تلك الخطوات في رفع حركة أنصار الله (الحوثيين) من قائمة الإرهاب بصورة رسمية، اعتبارًا من ١٦ فبراير ٢٠٢١، وهو ما يعني رفع كافة القيود التي كانت مفروضة على الحركة[٢٩]، وهو ما يمكن النظر إليه باعتباره رسالة تقارب من الإدارة الأمريكية الجديدة للحكومة الإيرانية، وهي المتهمة دائمًا بتمويل حركة الحوثي بالسلاح والمال والدعم العسكري.

وبعد عشرة أيام، قصفت طائرات أميركية مواقع إيرانية في سوريا بهدف حماية الأكراد أولًا، وإرسال إشارة غضب أمريكية من سياسات إيران في سوريا ثانيًا[٣٠]، والذي مثل العصا في سياسة الجزر والعصا التي سوف يبدأ بايدن انتهاجها في المنطقة تجاه إيران.

من جهتها، حاولت طهران أيضًا الرد بأدواتها في المنطقة لإرسال رسائل لواشنطن، مفادها أن العصا الأمريكية تقابلها عصا إيرانية. حيث كثّف الحوثيون من هجماتهم على السعودية منذ تولّي بايدن، كما استهدفت مليشياتها في العراق قواعد وقوات أمريكية أدت لمقتل مدني أمريكي، فضلا عن زيادة المناورات والتحركات العسكرية الإيرانية في مياه الخليج العربي[٣١].

ومنذ بداية العام الحالي ٢٠٢١، وتزامنًا مع رئاسة بايدن، تعرضت المصالح الأمريكية في العراق لـ٣٩ هجومًا صاروخيًا أو بطائرات دون طيار، استهدفت السفارة الأمريكية في بغداد، وقواعد عسكرية عراقية تضم أمريكيين، ومطاري بغداد وأربيل، ومواكب لوجستية للتحالف الدولي لمكافحة داعش بقيادة الولايات المتحدة، أسفرت –بجانب الخسائر المادية– عن مقتل متعاقدين أجنبيين مع التحالف وآخر عراقي. وقد تبنت بعض تلك الهجمات فصائل موالية لإيران، بينما نسبت واشنطن هجمات أخرى إليها. كان آخر تلك الهجمات هو محاولة طائرتين مسيرتين استهداف قاعدة عين الأسد الجوية التي تضم أمريكيين، قبل أن ينجح الجيش العراقي في إسقاطهما في ٦ يونيو ٢٠٢١[٣٢].

لتشن أخيرًا الولايات المتحدة غارات جوية استهدفت ٣ منشآت عسكرية اعتبرها البنتاجون منشآت تستخدمها ميليشيات مدعومة من إيران في مناطق حدودية بين سوريا والعراق، أدت لمقتل

(28) Kelsey Davenport and Others, Iran Nuclear Talks Head to Sixth Round, 7 June 2021, Accessed: 19 June 2021: https://bit.ly/3zHqMDA

(٢٩) الولايات المتحدة ترفع رسميا حركة "أنصار الله" الحوثية من قائمة الإرهاب، موقع روسيا اليوم، تاريخ النشر: ١٦ فبراير ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3Alasst

(٣٠) عبد المنعم سعيد، إعادة تشغيل العلاقات الإيرانية . الأميركية!، وكالة الشرق الأوسط، تاريخ النشر: ٣ مارس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٧ يوليو ٢٠٢١: https://cutt.us/v15aL

(٣١) محمود حمدي أبو القاسم وعبد الرؤوف مصطفى الغنيمي، معضلة سلوك إيران الإقليمي: أيّ تداعيات مُحتمَلة لدبلوماسية بايدن؟، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، تاريخ النشر: ١٤ مارس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3jG0qfC

(٣٢) الجيش العراقي يسقط طائرتين مسيرتين حاولتا استهداف قاعدة عين الأسد الجوية التي تضم أمريكيين، موقع فرانس ٢٤، تاريخ النشر: ٦ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3hz2UJQ

خمسة من مقاتلي الحشد الشعبي العراقي المدعوم من إيران. وقد جاءت هذه الضربات تنفيذًا لأوامر الرئيس جو بايدن ردًا على استهداف جماعات مدعومة من إيران لمصالح أمريكية في العراق(٣٣).

وهكذا مثلت العراق، وبنسبة أقل سوريا، "ساحة التفاوض المباشرة" بين واشنطن وطهران، حيث تسعى كل منهما "لتعزيز موقعها التفاوضي"(٣٤)، سواء قبل بدء محادثات فيينا أو خلالها.

إن سياسة العصا والجزرة التي ينتهجها بايدن تجاه إيران هي عبارة عن بلورة لنية بايدن **"العودة المتوازنة"** فيما يتعلق بالعلاقات مع إيران، سواء فيما يتعلق بالتوازن بين الترهيب والترغيب، أو بين المصالح والمبادئ، أو حتى التوازن بين علاقات واشنطن مع إيران من جهة، وبين علاقاتها مع إسرائيل ودول الخليج العربي من جهة أخرى؛ إذ "إن أي تحرك دبلوماسي يقوم به جوزيف بايدن تجاه إيران سيؤثر بشكل مؤكد على ميزان القوى في المنطقة وسلوك الفاعلين في السياسة الدولية"(٣٥). في ذلك الوقت، فقد تمسكت إيران بموقفها المبدأي والمعلن حول رفض إجراء أي تعديل في الاتفاق النووي أو توسعته ليشمل موضوعات أخرى، وبالتحديد برنامج الصواريخ الباليستية ونفوذ إيران في الإقليم، فضلا عن التمسك بمبدأ **"من خرج أولًا يعد أولا"**.

- **محادثات فيينا بين الوعد الانتخابي ومصالح "الأصدقاء"**

في هذه الأثناء، ومن أجل إفساح مجال للدبلوماسية، بدأت أخيرًا مباحثات في فيينا النمساوية في إبريل ٢٠٢١ لمحاولة إحياء الاتفاق النووي مرة أخرى بعد الانسحاب الأمريكي، من خلال البحث عن طريقة لرفع العقوبات الأمريكية التي فرضها الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب من جهة، وإقناع إيران بالعودة إلى القيود الواردة في الاتفاق على برنامجها النووي من جهةٍ أخرى. وتحقيقًا لرغبة إيران في عدم الاجتماع مع الأمريكيين وجهًا لوجه بسبب الخروج من الاتفاق، تتوسط الدول الأوروبية الثلاث (بريطانيا وفرنسا وألمانيا) بين الوفدين الأمريكي والإيراني في مشاورات غير مباشرة، متنقلين بين فندقين مختلفين، بجانب حضور دبلوماسيين من الصين وروسيا بصفتهما أطراف في الاتفاق النووي(٣٦).

ومنذ إبريل وحتى يونيو ٢٠٢١، عقد ممثلو الدول الستة الأطراف في الاتفاق النووي ست جولات تفاوضية تتخللها عودة للعواصم من أجل التشاور، من دون التوصل لاتفاق حتى ذلك الوقت، على الرغم من التصريحات المتفائلة حول "اقتراب" الوصول لاتفاق يضمن إعادة إحياء الاتفاق النووي من جديد، حيث ظلت عدة ملفات عالقة لم تتوصل الأطراف لاتفاق حولها بعد.

حيث تشير التقارير الإعلامية إلى أن المفاوضات أنجزت تقدمًا كبيرًا فيما يتعلق بالمسائل الفنية من ناحية، ورفع العقوبات الأمريكية المفروضة على قطاعات النفط والبنوك والسيارات والتأمين من ناحية أخرى. في حين أن عددًا من القضايا لم يتم حسمها، خصوصًا مسألتي العقوبات الأمريكية، ومسألة الضمانات. إذ تفرض الولايات المتحدة عقوبات على نحو ١٢٨ شخصية إيرانية مهمة، من بينها المرشد الإيراني، والرئيس الإيراني المنتخب نفسه إبراهيم رئيسي، بالإضافة إلى العقوبات المفروضة على هيئات وكيانات أساسية. حيث ترى الولايات المتحدة أن تلك العقوبات لا ترتبط بالملف النووي، وإنما هي عقوبات مفروضة لأسباب مرتبطة بالاتهامات لإيران بالإرهاب وانتهاك حقوق الإنسان وأنشطة إيران الإقليمية، بينما تتمسك إيران برفع تلك العقوبات لإنجاز الاتفاق. أما مسألة الضمانات فهي أيضًا مطلب إيراني بوضع ضمانات لالتزام الولايات المتحدة بالاتفاق، وعدم تكرار ما حدث في

(٣٣) ضربات جوية أمريكية على "منشآت تستخدمها ميليشيات موالية لإيران" على الحدود السورية العراقية، موقع فرانس ٢٤، تاريخ النشر: ٢٨ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3dGY3VN

(٣٤) رسائل طهران التصعيدية تُعقد خيارات واشنطن التفاوضية، الجزيرة.نت، تاريخ النشر: ٤ مارس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3qI2rco

(٣٥) إبراهيم المفتي، المستقبل الصعب للعلاقات الإيرانية–الأميركية في عهد بايدن، مرجع سابق

(٣٦) الاتفاق النووي الإيراني: الولايات المتحدة تشارك في محادثات في فيينا، موقع بي بي سي، تاريخ النشر: ٦ إبريل ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bbc.in/3yfxPl2

٢٠١٨ بالانسحاب الأمريكي من الاتفاق[٣٧]. وهو ما يمكن تلمسه من تصريحات عباس عراقجي، كبير المفاوضين الإيرانيين، بقوله: "الخلافات ليست حول قضايا جديدة، في الواقع الخلافات حول القضايا الرئيسية المتعلقة بـ"كيفية" عودة الأطراف إلى الاتفاق النووي"[٣٨]، أي أن المتبقي فقط هو الإجراءات التي سوف تتخذها الأطراف من أجل إعادة الالتزام بالاتفاق النووي وحدوده.

وفي محاولة منها للضغط على أطراف الاتفاق النووي، لم تتخذ إيران موقفًا نهائيًا بتمديد اتفاق المراقبة مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، والذي قد انتهى في يونيو ٢٠٢١، حيث نقلت وكالة الأنباء الإيرانية عن المتحدث باسم وزارة الخارجية قوله إن "قانون البرلمان الإيراني واضح في هذا الصدد، وإبرام اتفاق من عدمه مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية وكيفية مواصلة التعاون أو عدم استمراره هو أمر خطير لم يتم البت فيه بعد"[٣٩]. وهو الاتفاق الذي مدته إيران في آواخر مايو في محاولة منها لدعم مفاوضات فيينا.

خاتمة: سيناريوهات اللعبة الأمريكية الإيرانية ومآلاتها:

على الرغم من صعود التيار المتشدد في إيران ووصوله أخيرًا إلى سدة الحكم، ممثلا في الرئيس المنتخب إبراهيم رئيسي، إلا أن طهران قد اتخذت قرارها بالتعاطي الإيجابي مع رغبة بايدن العودة للاتفاق النووي، والامتثال بقيوده وحدوده شريطة حصولها على الفوائد الاقتصادية الموعودة فيها[٤٠]. وهو ما أكدته التصريحات الرسمية الإيرانية من أن الملف النووي يمثل سياسة الدولة وليس سياسة الرئيس، خصوصًا وأن القضايا المرتبطة بالأمن القومي الإيراني من هذا النوع هي في يد المرشد الأعلى للثورة الإيرانية ومجلس الأمن القومي الإيراني.

إذ ترغب إيران في إنهاء عزلتها الدولية وتطبيع علاقاتها الخارجية، مع الحفاظ على حقوقها في تخصيب اليورانيوم وامتلاك صواريخ باليستية، مع إمكانية التفاوض حول الحدود المسموح بها في مقابل رفع العقوبات وجني مكاسب اقتصادية من وراء هكذا اتفاق. ولكنها في الوقت نفسه تتمسك بمواقف تقف فيها على طرف نقيض مع الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، مثل قضية الصواريخ الباليستية وسلوك إيران الإقليمي، وهو السبب وراء تعثر المفاوضات في فيينا إلى الآن.

ويمكن التنبؤ بعدة سيناريوهات قد تفضي إليها محادثات فيينا، وهي:

١. عودة الولايات المتحدة للاتفاق النووي بصيغته القديمة ٢٠١٥:

ويقوم هذا السيناريو على عودة الولايات المتحدة الأميركية للاتفاق النووي وإزالة العقوبات المفروضة على إيران، في مقابل تراجع إيران عن خفض التزاماتها والعودة إلى الالتزام الكامل ببنود وحدود الاتفاق النووي[٤١].

يُمثل هذا السيناريو ضغطًا شديدًا على واشنطن، سواء من إسرائيل والمملكة العربية السعودية اللتين تتخذان موقفًا سلبيًا من الاتفاق أساسًا، بالإضافة إلى مطالبة مجلس التعاون الخليجي إشراك دوله في المفاوضات مع إيران، وهو ما ترفضه إيران شكلا وموضوعًا[٤٢]. بينما أكد وزير الخارجية الإسرائيلي الجديد تحفظ بلاده الجدي على الاتفاق النووي الذي "يجري إتمامه مع إيران في

(٣٧) محادثات فيينا.. قريبون من الاتفاق ولكن!، الجزيرة.نت، تاريخ النشر: ٢٢ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3wgigYY

(٣٨) عراقجي: الخلافات في محادثات فيينا حول الاتفاق النووي مرتبطة بالقضايا الرئيسية، سبوتنيك.كوم، تاريخ النشر: ٩ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3hxWivl

(٣٩) بعد رفضها تسليم بيانات مواقعها النووية.. إيران: لم نحسم قرارنا بشأن تمديد مراقبة وكالة الطاقة الذرية، سي إن إن عربي، تاريخ النشر: ٢٨ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://cnn.it/3AzJXzF

(40) Sina Azodi, Iran elections and the nuclear deal: Why Biden can't lose, no matter who wins, Bulletin of The Atomic Scientists, 7 June 2021, Accessed: 19 June 2021, https://bit.ly/3wGn7Uh

(٤١) فاطمة الصمادي، تبادل الشروط بين طهران وواشنطن: تأجيل الحل والمواجهة معًا، مرجع سابق

(٤٢) لماذا يطالب مجلس التعاون الخليجي بتضمين دوله في الاتفاق النووي؟، سبوتنيك.كوم، تاريخ النشر: ٢٥ مارس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/2UoVPn7

فيينا" في أول لقاء له مع نظيره الأمريكي[٤٣]. وأيًا كان مستوى الدفء في العلاقة بين واشنطن وطهران في حال تحقق هذا السيناريو، فإن إيران لن تستطيع تعويض واشنطن عن إسرائيل والسعودية.

كما يجد هذا السيناريو مقاومة أمريكية داخلية، تمثلت في موقف بعض الساسة الأمريكان الذين يطالبون بالتطرق إلى برنامج إيران النووي، وأنشطتها الصاروخية الباليستية، ودعمها الإرهاب منذ البداية، وهو مضمون خطاب مُوقع من ١٤٠ عضوًا في مجلس النواب الأمريكي من الحزبين الديمقراطي والجمهوري[٤٤].

غير أن هذا السيناريو سيمثل انتصارًا عظيمًا لإيران، خصوصًا مع تأكيدها عدم حق الولايات المتحدة في إجراء تعديلات على بنود الاتفاق، أو إضافة أي قيود ذات مغزى على جهودها الصاروخية، خصوصًا وأن إيران تواجه تفوقًا متزايدًا للولايات المتحدة وأوروبا ودول الخليج العربي في القوة الجوية، وهي أطراف تراها طهران أعداء محتملين[٤٥].

٢. تعديل الاتفاق النووي بما يضمن مصالح الولايات المتحدة ويحد من تخوفات حلفائها:

في ظل رغبة إيران الشديدة على تحسين وضع الاقتصاد الوطني ورفع العقوبات عنه، فإنها قد تقبل بشروط جديدة تفرض قيودًا إضافية على برنامجها النووي، في مقابل ضمان إزالة العقوبات عن اقتصادها، وفي الوقت نفسه الحفاظ على الحد الأدنى مما تعتبره طهران أمرًا غير قابل للتفاوض.

يعد هذا السيناريو هو الأكثر عملية بالنسبة للولايات المتحدة، إذ إنه يحد من تخوفات حلفائها من جهة، ويضمن احتواء إيران أيضًا من جهة أخرى، فضلا عن كونه حلا واقعيًا أكثر من العودة للاتفاق القديم بسبب تجاوزات إيران التزاماتها المفروضة عليها بموجبه.

إذ إن تراجع إيران عن انتهاكاتها لقيود الاتفاق النووي قد يتطلب أربعة أشهر. فضلا عن عدم وجود آلية للتعامل مع أجهزة الطرد المركزي المتقدمة الجديدة التي قامت إيران بتركيبها خلال العام الماضي من دون موافقة اللجنة المشتركة التي تشرف على تنفيذ خطة العمل الشاملة المشتركة[٤٦].

كما أن سياسة "الانتظار والترقب" التي تتبعها إدارة بايدن تصب في هذا السيناريو، إذ إنها تخلق فائضًا استراتيجيًّا أكبر يتيح لها فرض تصورها عن كيفية عودتها للاتفاق النووي، مستغلة الضغوط الاقتصادية الناجمة عن استمرار العقوبات. ومن ثم، تراهن الولايات المتحدة على "أن أية سياسة دبلوماسية لولبية لاستمرار العقوبات والحوافز الدبلوماسية ستكون مثمرة للغاية"[٤٧].

٣. فشل المفاوضات وانهيار الاتفاق النووي:

وهو ما يعني استمرار إيران في توسيع قدراتها النووية واقترابها من عتبة الاختراق الإيراني، ما يتطلب –بالضرورة– عودة العقوبات الأممية على إيران، بالإجماع هذه المرة وليس فقط الطرف الأمريكي، ونزع الشرعية الدولية عن برنامج إيران النووي وحقها في تخصيب اليورانيوم، وعلى جانب آخر فشل الولايات المتحدة في مراقبة أنشطة إيران النووية، ما يعني تعزيز عزلة إيران الدولية وسوء وضعها الاقتصادي. بالإضافة إلى زيادة الخطر والتهديد الإيرانيين على حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة، ما يدفع المنطقة لتصعيد غير

(٤٣) بايدن والرئيس الإسرائيلي يبحثان الملف النووي الإيراني، إندبنت العربية، تاريخ النشر: ٢٨ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3xg9taJ

(44) Kelsey Davenport, Efforts to Restore Iran Deal Remain Stalled, Arms Control Association, April 2021, Accessed: 19 June 2021, https://bit.ly/3xzguDC

(45) Anthony H. Cordesman, The Biden Administration's Security Challenges in the Gulf, Op. cit., p. 9.

(46) Kelsey Davenport, Biden Victory May Save Iran Nuclear Deal, Arms Control Association, December 2020, Accessed: 19 June 2021: https://bit.ly/2S9AVru

(٤٧) إبراهيم المفتي، المستقبل الصعب للعلاقات الإيرانية–الأميركية في عهد بايدن، مرجع سابق

محمود العواقب؛ أي أن هذا السيناريو لا يحقق أية مكاسب لأي من الأطراف المعنية بالملف النووي الإيراني.

٤. تفاهم والتزام إيراني أمريكي تدريجيًّا وجزئيًّا[٤٨]:

يعد تجاوز إدارة بايدن للعقوبات الأمريكية التي فرضها ترامب على كيانات وشخصيات إيرانية أمرًا شديد التعقيد بسبب طبيعة هيكل تلك العقوبات. ومن ناحية أخرى، تؤكد إيران عدم تفاوضها مجددًا على ملفها النووي، ورفضها التفاوض بشأن ملفات أخرى محل خلاف مع واشنطن.

وفي ظل هكذا وضع متأزم تصعب معه العودة للاتفاق النووي، فإنه يمكن اللجوء للالتزام الجزئي القائم على العودة المتدرجة للاتفاق النووي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والبدء بإزالة بعض العقوبات، تقابلها عودة إيرانية متدرجة في الالتزام ببنود الاتفاق والتراجع عن خطوات خفض الالتزام، مثل التراجع عن تخصيب اليورانيوم بنسبة ٢٠%. وهو ما يعني "اتخاذ واشنطن وطهران خطوات صغيرة دون الالتزام الكامل بالاتفاق".

ويعد هذا السيناريو أحد السيناريوهات المطروحة من أجل كسب الوقت، والإبقاء على قناة اتصال بين واشنطن وطهران.

وأيًّا كان السيناريو المحتمل، فمن خلال متابعة التصريحات الرسمية من أطراف التفاوض، يمكن تلمس تفاؤل حكومي إيراني بالتوصل لاتفاق قبل نهاية فترة ولاية حكومة الرئيس حسن روحاني منتصف أغسطس المقبل من جهة، ورغبة أمريكية في إبرام صفقة العودة قبل تولي الرئيس الإيراني الجديد مهامه[٤٩]، وهو أمر مفيد لكل الأطراف على السواء:

– بالنسبة للولايات المتحدة، فإن التفاوض مع الحكومة الإصلاحية قد يكون أكثر فعالية وسهولة وليونة من حكومة برئاسة أحد رموز التيار المتشدد.

– بالنسبة لحكومة روحاني، فإن ذلك سوف يعزز من شعبيتها وقدرتها على رفع العقوبات الأمريكية مرتين وليس مرة واحدة، والخروج من السلطة بانتصار سياسي كبير.

– بالنسبة لحكومة رئيسي، فإن ذلك يجعل من السهل تحميل حكومة سلفه (حسن روحاني) أي تنازلات قد تضطر إيران لقبولها، وهو ما يجنبها أي تعارض مع التوجهات المتشددة لقاعدتها الجماهيرية.

*****

(٤٨) فاطمة الصمادي، تبادل الشروط بين طهران وواشنطن: تأجيل الحل والمواجهة معًا، مرجع سابق

(٤٩) تحدث عن تقدم بمفاوضات فيينا.. ظريف: مستعدون لإرسال سفيرنا إلى السعودية غدا، الجزيرة.نت، تاريخ النشر: ١٩ يونيو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3gJks5z

التسوية الأذرية - الأرمينية: تنافس النفوذ الروسي - التركي

أحمد طارق البوهي*

مقدمة

جدد اندلاع الحرب الأخيرة التي شهدتها منطقة ناغورنو كاراباخ في شهر سبتمبر من عام ٢٠٢٠م[١]، بين أذربيجان وأرمينيا، الاهتمام العالمي بمنطقة جنوب القوقاز الواقعة في مفترق طرق استراتيجي يتلاقى فيه نفوذ ثلاث قوى إقليمية متنافسة هي؛ روسيا وتركيا وإيران. وبعد ستة أسابيع من القتال الضاري بين الجانبين، تم التوصل إلى اتفاق سلام بوساطة روسية منفردة، وقد استبعدت كل من فرنسا والولايات المتحدة اللتان كانتا من المزمع مشاركتهما فيها بوصفهما يترأسان مع روسيا مجموعة مينسك (المجموعة التي تقود جهود منظمة الأمن والتعاون الأوروبي OSCE لحل أزمة ناغورنو كاراباخ)[٢]. وبدا أن أهم بنود هذا الاتفاق هو احتفاظ أذربيجان بما استعادته من أراضي الإقليم المتنازع عليه خلال الاشتباكات، والأهم من ذلك، نشر قوات روسية لحفظ السلام في المنطقة بمشاركة تركية[٣].

لا شك أن أذربيجان قد خرجت رابحة من هذه الجولة الأخيرة، فقد نجحت في استعادة جزء كبير من الأراضي الآذرية التي فقدتها عام ١٩٩٤م لصالح أرمينيا، وثبتت أقدامها هناك باتفاقية وقف إطلاق نار ترعاها كل من روسيا وتركيا. أما تركيا، فقد أثبتت أهميتها كقوة إقليمية لا يُستهان بها، حيث أظهرت الحرب أهمية الدعم التركي لأذربيجان، خاصةً على المستويين العسكري والسياسي. من ناحيةٍ أخرى، حققت روسيا بعض المكاسب أيضًا، فقد استطاعت حماية حليفتها أرمينيا من مصير أسوأ بكثير، وقامت بالتوسط منفردة في التوصل إلى اتفاق سلام بين البلدين، كما عززت تواجدها العسكري المباشر من خلال قوة حفظ السلام الروسية التي وافقت جميع الأطراف على نشرها في الإقليم، هذا بخلاف توفير الظروف الملائمة للتخلص من القيادة الأرمينية ذات التوجهات الغربية[٤].

من الواضح أن انتهاء هذه الجولة لا يعني توقف النزاع القائم بين أذربيجان وأرمينيا المستمر منذ انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي في تسعينيات القرن المنصرم، وهو ما يؤكده تجدد التوترات بين الجانبين بين الفينة والفينة، والتي كان آخرها أسر القوات الآذرية لستة جنود أرمنيين على الحدود في ٢٧ مايو ٢٠٢١[٥]. ويبدو أيضًا أن هذا الصراع في القوقاز الجنوبي سوف يستمر لأهمية المنطقة بالنسبة للقوى الإقليمية المتنافسة، لا سيما

---

* حاصل على الماجيستير في الشؤون الدولية من الجامعة الأمريكية في القاهرة، طالب دكتوراة في العلاقات الدولية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

(١) لورانس بورز، أرمينيا وأذربيجان: لماذا ينذر القتال في ناغورنو كاراباخ باندلاع حرب أوسع في القوقاز، بي بي سي عربي، ٢ أكتوبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٨ يونيو ٢٠٢١، الساعة ٦:٣٥، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Mpqhq

(2) OSCE Minsk Group, Organization of Security and Co-operation in Europe, accessed 22 June 2021: https://www.osce.org/mg

(٣) ناغورنو كاراباخ: اتفاق سلام بين أذربيجان وأرمينيا بوساطة روسية، بي بي سي عربي، ١٠ نوفمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٨ يونيو ٢٠٢١، الساعة ٦:٤٥، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/lLEDP

(٤) مايكل يونغ وألكساندر غابويف، اللعب بالنار في جنوب القوقاز، مركز مالكوم كير-كارنيجي للشرق الأوسط، ١٦ نوفمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٨ يونيو ٢٠٢١، الساعة ٧:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Ss2vj

(5) Azerbaijan captures six Armenian troops on border, BBC News, 27 May 2021, accessed: 8 June 2021, 8:00: https://cutt.us/e38PY

روسيا وتركيا. **وفي هذا الصدد يُطرح التساؤل التالي: ما الذي يمكن أن يُقدمه لنا هذا النزاع بين أذربيجان وأرمينيا من تفسيرات ودلالات ومآلات التنافس بين القوى الإقليمية الرئيسية على النفوذ في منطقة القوقاز الجنوبي، خاصةً التنافس الروسي التركي الممتد منذ عصر الدولة العثمانية وروسيا القيصرية، الذي كان الموقف في القوقاز الجنوبي أحد فصوله الرئيسية والذي تبين التسوية الآذرية الأرمينية الأخيرة أهم مراحل تطوره الحديث واستشراف مستقبله القريب؟**

وللإجابة ينقسم التقرير إلى ما يلي:

أولا: نظرة تاريخية لتفاعلات القوى الدولية والإقليمية في منطقة القوقاز الجنوبي.

ثانيًا: الدور الروسي والتركي في النظام العالمي والإقليمي في مرحلة تراجع القوة الأمريكية.

ثالثًا: التسوية الآذرية الأرمينية وتنافس النفوذ الروسي التركي في القوقاز الجنوبي.

خاتمة: تسوية معلقة في ظل علاقات معقدة.

أولا: نظرة تاريخية لتفاعلات القوى الدولية والإقليمية في منطقة القوقاز الجنوبي:

إن الموقع الجغرافي لمنطقة جنوب القوقاز، تلك المنطقة الواقعة في نقطة تلاقي محوري الأناضول – البحر المتوسط والسهوب – البحر الأسود، فرض عليها أن تكون ساحة تنافس دولي وإقليمي محتد عبر أغلب فترات تاريخها القديم والحديث. واختلفت طبيعة هذا التنافس ونطاقه وفقًا للتغيرات المستمرة لطبيعة النظام الدولي وتوازن القوى فيه.

وفي هذا الجزء من التقرير، سنناقش تطور هذا التنافس الدولي والإقليمي في منطقة القوقاز الجنوبي عبر التاريخ، معتمدين المدخل النظمي في تحليل تاريخ العلاقات الدولية ودراسة التغير الدولي والإقليمي، والذي ينطلق من دراسة هيكل وبنية النظام الدولي وعلاقات القوة فيه وتأثير ذلك على العلاقة بين مكوناته وفواعله المختلفة. طور هذا الاتجاه العديد من منظري العلاقات الدولية على مدار تاريخ الحقل. وقد أوجزت د.نادية مصطفى أهم مراحل تطور هذا المدخل في توظيف التاريخ لدراسة متغيرات النظام الدولي والتفاعل بين مكوناته، كما بينت أهم مدارسه التنظيرية المختلفة وخصائص كل منها، وكيفية استخدامها في دراسة التاريخ الإسلامي وعلاقات المسلمين ببعضهم البعض وبالعالم خلال فترات التاريخ المختلفة(٦).

تميزت منطقة القوقاز الجنوبي منذ زمن بعيد بتنوع إثني وعرقي وثقافي كبير، فقد كانت دائمًا عبر تاريخها مستقرًا للعديد من الهجرات المستمرة من آسيا ومنطقة السهوب الروسية باتجاه أوروبا والعكس. إلا أنها ظلت موضعًا لصراع النفوذ الفارسي والبيزنطي، ثم كان العصر الإسلامي، حتى أصبحت تحت سيطرة الدول الإسلامية المتعاقبة منذ الفتح الإسلامي لها في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان –رضي الله عنهما– واستكمال فتحها من قبل الأمويين خلال القرن الأول الهجري حتى نهاية سيطرة الدولة العباسية الفعلية عليها منذ مستهل القرن الرابع(٧).

طوال هذه الفترة، ظلت هذه المنطقة محلًا للصراع الدولي، إن جاز التعبير، بين القوتين النافذتين في هذا الجزء من العالم، أي الدولة الإسلامية (الأموية ثم العباسية) والإمبراطورية البيزنطية، وهو ما استطاعت النخبة الأرمنية المتنفذة استغلاله لصالحها حتى حصلت على وضع يشبه الاستقلال الفعلي عن كل هذه القوى المتنازعة. فقد شهدت هذه المنطقة تغيرات كبيرة في خضوعها لهذه القوة الإقليمية أو تلك، فتارة تكون تحت السيطرة البيزنطية وتارة

(٦) نادية مصطفى، التاريخ والعلاقات الدولية: منظور حضاري مقارن، (دراسة: التاريخ ودراسة النظام الدولي: رؤى نظرية ومنهاجية مقارنة)، (القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٥)، الجزء الأول، ص ص ٣٧ –١١٢.

(٧) صابر محمد دياب حسن، أرمينية من الفتح الإسلامي حتى مستهل القرن الخامس الهجري، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨).

تدخل في حكم المماليك وتقع أجزاء منها أحيانًا تحت سيطرة الصفويين، حتى دانت بالكامل للدولة العثمانية إبان عهد قوتها وازدهارها في القرن الخامس عشر الميلادي[٨]. وكما نرى، فالمنطقة ظلت دومًا شديدة الحساسية والاستجابة للتغيرات النظمية الدولية، فأينما وجد صراع قوى دولية، كانت تصبح سريعًا مقياسًا لهذا التنافس الدولي.

وحين أصبحت الدولة العثمانية أقوى قوة عالمية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلاديًا، ساد المنطقة مناخ من الاستقرار والهدوء وانصياع الجماعات العرقية والدينية المختلفة للقوة الأعظم في العالم. وكذلك، حين ضعفت الدولة العثمانية نسبيًا، وبدأ الصراع يحتدم بينها وبين الدولة الصفوية ثم روسيا القيصرية الصاعدة، التي دخلت على الخط في أربعينيات القرن التاسع عشر[٩]، سرعان ما انعكس ذلك على منطقة القوقاز الجنوبي، حيث أصبحت ساحة للصراع على السيادة استمر قرابة المائتي عام[١٠].

ويشير العديد من الباحثين كذلك إلى تأثير عامل مهم في النظام الدولي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر، ألا وهو موجة القومية التي اجتاحت أوروبا، والتي دفعت العديد من الشعوب إلى محاولة إقامة دولًا قومية نقية عرقيًا بمعنى أنها مقصورة على قومية واحدة، وهو ما دفع كل من الأرمنيين والآذريين إلى التطلع نحو وطن قومي لكل منهما في المنطقة ذاتها[١١]. وقد اجتاحت هذه الموجة من انتشار الأفكار القومية الدولة العثمانية ذاتها، لا سيما أعضاء حزب الاتحاد والترقي، الذين سيطروا على السياسة العثمانية منذ عام ١٩٠٨م. ونتيجة إيمانهم بضرورة بناء الدولة التركية الحديثة على أسس قومية تركية خالصة، بدأوا في انتهاج بعض سياسات التطهير العرقي على أسس اثنية وثقافية، بدأت في الأناضول، وبلغت أوجها في القوقاز أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث قام الجيش التركي أثناء عملياته هناك بانتهاكات واسعة ضد سكان تلك المنطقة من الأرمن[١٢]. وبغض النظر عن التقديرات المتباينة لهذه الانتهاكات العرقية التركية في حق الأرمن، فقد تركت هذه المأساة أثرًا بالغًا على كلا الطرفين وعداوة باقية لا تخمد مع مرور الأيام.

وبعد الحرب العالمية الأولى، استطاعت روسيا، في ظل حكم الاتحاد السوفيتي، بسط سيطرتها الكاملة على المنطقة، فبعد فترة من الصراعات والحروب الصغيرة بين الآذريين والأرمنيين، نتيجة الانقسامات القومية والدينية، أخمد النظام السوفيتي الصارم النزاع في الإقليم طوال فترة حكمه خاصةً بعد الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الحرب الباردة[١٣]. وقد شهدت كل من أرمينيا وأذربيجان، كشأن جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي، عمليات واسعة من سياسات الروسنة، كان أبرزها منع جميع المظاهر الدينية مثل غلق المساجد والكنائس والقبض على رجال الدين ومنع جميع الطقوس

(8) Hovannisian RG. The Armenian Question in the Ottoman Empire, East European Quarterly, 1;6 (1):1, (March 1972), P 1.

(9) Cornell SE. The Nagorno-Karabakh Conflict, (Department of East European Studies, Uppsala University, 1999), p.4.

(١٠) أحمد داود أغلو، العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثانية، ٢٠١١)، ص ١٥٠.

ولمزيد من التفاصيل حول الصراع العثماني –الروسي في القوقاز الجنوبي، انظر:

– نادية مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، نادية محمود مصطفى (إشراف): مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م)، الجزء الحادي عشر.

(11) Cornell SE. , "The Armenian-Azerbaijani Conflict and European Security", (in): Cornell SE., (ed.), "The International Politics of the Armenian-Azerbaijani Conflict", (Washington DC: Central Asia-Caucasus Institute, 2017), p. 5.

(12) Taner Akçam, From Empire to Republic: Turkish Nationalism and the Armenian Genocide, Zed Books, 2004, Pp. 158 – 175.

(13) Cornell SE، "The Armenian-Azerbaijani Conflict and European Security", Op. Cit. p.6.

الدينية، وسيطرة الحزب الشيوعي الروسي على جميع الأنشطة الفكرية والثقافية وفرض اللغة الروسية في التعليم. واستمرت هذه السياسة تخفيفًا وتشديدًا، حيث إذا ما تم تخفيفها، تأججت المشاعر القومية من جديد، فتعود الحكومة السوفيتية إلى تشديدها من جديد. وبالرغم من ذلك، ظلت الحكومة المركزية تنتهج سياسات تبقي المنتمين لقومية واحدة داخل نفس الجمهورية التي تضم هذه القومية وتشير إلى قوميتهم في جوازات سفرهم، الأمر الذي أبقى على الانتماءات القومية حية متجددة في النفوس ومنعت اندماجها في انتماء سوفيتي واحد(١٤).

أما خلال الحرب الباردة، فبعد انضمام تركيا إلى حلف شمال الأطلسي، جعلت تركيا خط القوقاز الجنوبي أحد الخطوط الفاصلة بين المعسكرين الغربي والشرقي، أو بين حلفي شمال الأطلسي ووارسو. وقد أدى ذلك إلى استقرار المنطقة على هذه الحال على مدار خمسين سنة، تماشيًا مع توازن القوى على الساحة الدولية الذي صبغ النظام الدولي لهذه المرحلة(١٥).

وبنهاية الحرب الباردة في أواخر ثمانينيات القرن العشرين، وضعف قبضة الاتحاد السوفيتي على جمهورياته، ومن ثم انهياره تمامًا في العام ١٩٩١م، بدأت التوترات العرقية والقومية بين جمهوريتي أرمينيا وأذربيجان في الظهور. وبدأت بوادر الصراع في عام ١٩٩١م، عندما أخذت أرمينيا تكوين ميليشيات مسلحة استعدادًا للاستيلاء على إقليم ناغورنو كاراباخ الذي كان ما يزال تحت السيادة الآذرية ويتجهز سكانه الأرمن للمطالبة بالاستقلال. أما أذربيجان، فقد راهنت في البداية على حماية الاتحاد السوفيتي للوضع الراهن، ولم تبدأ في تشكيل قوات مسلحة إلا في مارس عام ١٩٩٢، وبدا أن الخلافات الداخلية بين نخبها السياسية تنذر بضعفها في مواجهة حركات الاستقلال الأرمينية الصاعدة في الإقليم.

وسرعان ما أندلعت الحرب بين الجمهوريتين في ربيع عام ١٩٩٢م، واستطاعت القوات الأرمينية تحقيق انتصارات كبيرة في إقليم ناغورنو كاراباخ المتنازع عليه، واحتلته بالكامل بالإضافة إلى سبع مقاطعات آذرية محيطة به قبل إعلان وقف إطلاق النار في مايو عام ١٩٩٤م. جاءت الهزيمة نتيجة الدعم الروسي لأرمينيا وكذلك الدعم الإيراني لها، والذي جاء على خلاف الروابط الدينية والثقافية بين إيران وأذربيجان، وكان سببه تخوف إيران من اندلاع انتفاضة طائفية داخل حدودها الشمالية التي يغلب عليها العرق الآذري. بالإضافة إلى الانقسامات الداخلية الآذرية التي بلغت ذروتها بقيام القوات الآذرية بالانقلاب على الحكومة المنتخبة، إلا أن السياسي المخدرم، حيدر علييف استطاع إفشال الانقلاب والسيطرة على الموقف، ولكن بعد أن استفادت القوات الأرمينية من كل هذه الظروف(١٦).

ومرة أخرى، يجد الصراع في القوقاز الجنوبي طريقه إلى الاستقرار والجمود؛ وفقًا لتوازنات القوى الدولية والإقليمية وبنية النظام الدولي. فبعد انهيار نظام القطبين، ومعه حلف وارسو والكتلة الشرقية، هيمنت الدول الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، على الساحة الدولية كقطب أوحد وقوة عظمى لا تنافسها أخرى. وبعد أن وجدت أرمينيا أن ليس لها من نصير إلا روسيا الجريحة التي كانت ما تزال تحاول النهوض من كبوتها، لم يكن أمام أذربيجان إلا الاحتماء بحليفتها التقليدية، بحكم الانتماء العرقي والثقافي، تركيا، التي كانت بدورها تنتمي إلى المعسكر الغربي المهيمن، ولكن تحت سيطرة النفوذ الأمريكي التام.

بيد أن السؤال هنا يصبح: إذا كانت أذربيجان قد انتمت إلى المعسكر الغربي المهيمن على الساحة العالمية دون منافس في

(14) Ben Fowkes, "Stalin and After: The Interplay of Modernization and Russification", In The Disintegration of the Soviet Union, (London: Palgrave Macmillan, 1997), Pp. 62-89.

(١٥) أحمد داود أغلو، العمق الاستراتيجي، مرجع سابق، ص ١٥١.

(16) Cornell SE., "The Armenian-Azerbaijani Conflict and European Security", Op. cit. Pp 7-11.

تلك الفترة، إذًا لماذا لم تستطع استعادة ما خسرته خلال حرب عام ١٩٩٢م؟ الإجابة عن هذا السؤال في غاية الأهمية، إذ إنها تتيح لنا معرفة أسباب تجمد الصراع في القوقاز الجنوبي طوال قرابة الثلاثة عقود، بالرغم من هيمنة قطب أوحد على الساحة الدولية، وهو بذلك يفسر سبب اشتعال الصراع مرة أخرى عام ٢٠٢٠م، ويعكس التغيرات التي وقعت في بنية النظام الدولي والإقليمي في السنوات الأخيرة. **لقد ظل الصراع في القوقاز متجمدًا طوال تلك الفترة نتيجة الارتباك الذي شهدته كل من روسيا وتركيا عقب نهاية الحرب الباردة، وانشغالهما في ترتيب سياستهما الداخلية والخارجية، لكن الأهم أن القوة المهيمنة، الولايات المتحدة أرادته كذلك، ولم يكن باستطاعة أية قوة إقليمية في ذلك الوقت تحدي النفوذ الأمريكي.**

كانت تلك الرغبة الأمريكية نابعة من ثلاثة أسباب رئيسية: أولها: أن الولايات المتحدة، متبوعة بحلف شمال الأطلسي، كانت منشغلة في تلك الفترة بنزاعات دولية أكثر خطورة وأهمية بالنسبة لمصالحها الدولية. فقد اشتعلت حرب الخليج الثانية في عام ١٩٩١م، وكان لا بد للولايات المتحدة من تثبيت أقدامها في تلك المنطقة ذات الأهمية الجيوسياسية والاقتصادية البالغة. كذلك انشغلت الولايات المتحدة، وحلف شمال الأطلسي الذي تقوده، بحروب البلقان، الأقرب والأكثر خطرًا بالنسبة لدول الحلف، حيث اشتعلت النزاعات العرقية والطائفية في منطقة يوغوسلافيا السابقة وخاصة في كل من البوسنة (١٩٩٢ –١٩٩٥م) وكوسوفو (١٩٩٨ –١٩٩٩م). **ثانيًا:** كانت الولايات المتحدة، ومن ورائها حلفاؤها، قد حققت الأثر الاستراتيجي والجيوسياسي المطلوب في منطقة القوقاز الجنوبي باستقطاب أذربيجان إليها. فقد ضمنت ممرًا حيويًا للطاقة يمر من حقول النفط والغاز في باكو مرورًا ببحر قزوين ليصب في إمدادات الطاقة الغربية. كذلك ضمنت أذربيجان لأمريكا ممرًا استراتيجيًا حيويًا للنفوذ إلى آسيا الوسطى ومن ثم أفغانستان. ذلك الممر الذي أثبت أهميته وفاعليته إبان الحرب الأمريكية على الإرهاب في كل من أفغانستان والعراق عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٣م. لذلك لم يكن هناك دافع لزعزعة استقرار المنطقة. **أما السبب الثالث والأخير،** هو حرص الولايات المتحدة على عدم استفزاز روسيا في تلك المناطق شديدة القرب من مجالها الحيوي، وهو ذات السبب الذي جعلها تغض الطرف عن الانتهاكات الروسية في حرب الشيشان الأولى عام ١٩٩٤م والثانية عام ١٩٩٩م[١٧].

لهذه الأسباب الثلاثة، لم ترد الولايات المتحدة إذكاء الحروب الإقليمية في المنطقة، وكان على القوى الإقليمية التابعة، في ذلك الوقت، الالتزام بالخط الأمريكي، وهو ما أكده أحمد داود أغلو نفسه خلال تحليله للسياسة التركية في تلك الفترة[١٨]. وظل ذلك عاملًا يُضعف من ثقل تركيا الإقليمي والدولي، ولكن كان كل ذلك على وشك أن يتغير خلال العقد الثاني للقرن الحادي والعشرين، مصاحبًا للتغير الذي أصاب بنية النظام الدولي، الذي بدأ ينتقل تدريجيًا من نظام القطب الواحد والقوة العظمى المهيمنة، إلى نظام الأقطاب المتعددة وصعود القوى الإقليمية المختلفة لتلعب أدوارًا أكثر استقلالاً وتفردًا، ليست بالضرورة متماشية مع رغبات القوة الأكبر في العالم، الولايات المتحدة. وكانت روسيا وتركيا أبرز القوى الإقليمية التي بدأت تسعى إلى بسط نفوذها وسيطرتها على مناطق النزاع التاريخية، وكان القوقاز الجنوبي بطبيعة الحال، أحد تلك المناطق. **فكيف يمكننا فهم هذا التغير الذي طرأ على طبيعة النظام الدولي؟ وكيف له أن يُفسر واقع التنافس والتعاون الروسي – التركي المعقد في منطقة القوقاز الجنوبي؟ وما تجليات هذه العلاقة وتداعياتها التي ظهرت في الحرب الآذرية الأرمينية الأخيرة؟ وهل يمكننا التنبؤ بمستقبلها على المدى القريب أو البعيد؟ هذا ما سنناقشه في الجزء التالي من هذا التقرير.**

---

(17) Fred Hiatt, Pretending Chechnya Is Different, Washington post, 20 February 2000, accessed: 10 June 2021, 15:00, https://cutt.us/3s25Y

(١٨) أحمد داود أغلو، العمق الإستراتيجي، مرجع سابق، ص ٣٠٤ – ٣٠٥.

ثانيًا: الدور الروسي والتركي في النظام العالمي والإقليمي في مرحلة تراجع القوة الأمريكية:

كثيرة هي الأطروحات التي حللت بنية النظام الدولي المعاصر، وقد لا يتسع المجال لمناقشتها جميعًا، لذلك سوف نعتمد في هذا التحليل الإطار النظري الذي قدمه منظرو المدرسة الإنجليزية في العلاقات الدولية عن بنية النظام الدولي الحديث، خاصةً نظرية كل من باري بوزان وأولى ويفر. إن أطروحة المدرسة الإنجليزية الأشهر تتعلق بمفهوم المجتمع الدولي International Society، والإطار النظري الذي سوف نعتمد عليه في تحليلنا للوضع في القوقاز الجنوبي ينبع من هذا المفهوم الكبير، لكنه يتعلق بمسألة أكثر خصوصية، ألا وهي شكل هذا المجتمع الدولي، أو بنية النظام الدولي.

يقدم باري بوزان رؤيته لبنية النظام العالمي المعاصر في دراسة بعنوان "نظام عالمي دون قوى عظمى: الإقليمية اللامركزية"(١٩). وهي تلخص رؤيته لعالم ما بعد القطب الواحد والإطار النظري الذي ابتكره لتحليل النظام الدولي الحالي، الذي يتكون من قوى كثيرة كبرى، عوضًا عن قوة واحدة عظمى كما كان الحال مع الولايات المتحدة خلال الفترة التي أعقبت الحرب الباردة. وهو يفرق بوضوح بين تعريف القوة العظمى Super power وتلك الكبرى Great power، حيث الفارق الرئيس هو في تغول نفوذ القوة العظمى في كل مكان في العالم، كما كانت حالة الولايات المتحدة، بينما تستطيع القوة الكبرى بسط نفوذها فقط في منطقة واحدة أو عدد محدود من مناطق العالم. ولذلك، فهو يجادل بأن النظام العالمي سوف يكون نظامًا إقليميًا لامركزيًا، تتنازع فيه القوى الكبرى النفوذ في مناطق التماس بينها، وتختلط فيه علاقات التنافس والتعاون بين هذه القوى. وهذا هو بالضبط ما يمكن أن يفسر العلاقات الروسية التركية في العقد الأخير عامةً، وتفاعل الطرفين في منطقة القوقاز الجنوبي والصراع الآذري الأرميني خاصةً. وقد أكد أولي ويفر هذا التحليل وقدم عليه مزيد من الأدلة وناقش العديد من الأطروحات المقابلة وفندها(٢٠).

إن هذا الإطار النظري يبدو أقدر من غيره على تفسير النظام الدولي وبنيته وما يتم فيه من عمليات، حيث إنه لا يركز فقط على الجوانب المادية للتفاعلات الدولية، بل يجمع إليها العوامل الثقافية والنفسية. كذلك فهو يُعطي اعتبارًا أكثر من غيره لتفسير التفاعلات التعاونية التي تحدث جنبًا إلى جنب مع تلك التي تحمل طابعًا صراعيًا، وهي ميزة لا تتيحها الأطر النظرية التقليدية الأخرى، مثل الواقعية والليبرالية وروافدهما الحديثة(٢١). إن هذه الميزة بالتحديد هي ما تجعل هذا الإطار النظري هو الأنسب لتفسير التسوية الآذرية الأرمينية الأخيرة في ناغورنو كاراباخ، والعلاقات الروسية التركية المتشابكة في القوقاز الجنوبي وتراوحها بين التنافس والتعاون. **فكيف يمكننا تبين واقع هذا الصراع، وتفسير مفردات التسوية الأخيرة التي أعقبت حرب سبتمبر ٢٠٢٠، وما يمكن أن نستخلصه من تداعيات هذا كله على العلاقات الروسية التركية في منطقة القوقاز الجنوبي بشكلٍ خاص؟**

بدأت كل من روسيا وتركيا، منذ وقتٍ مبكر من القرن الحادي والعشرين، في اتخاذ طريق خاص بها نحو مكانة القوة الكبرى في النظام الدولي، بالمفهوم الذي تحدث عنه بوزان. فقد بدأت **روسيا** تحت قيادة الرئيس فلاديمير بوتن في التحدي الصريح للقوى الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة عام ٢٠٠٨م، عندما قامت

(19) Barry Buzan, A world Order without Superpowers: Decentred Globalism, The Inaugural Kenneth N. Waltz Annual Lecture. International Relations, Vol. 25, No. 1 (2011), pp. 3-25.

(20) Ole.Wæver, "International leadership after the Demise of the last Superpower: System Structure and Stewardship", Chinese Political Science Review, Vol. 2, No. 4, 2017, pp. 452-476.

(٢١) نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، ترجمة: ديما خضرا، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٦)، ص ص ٣٤٠ – ٣٥٥.

القوات الروسية بغزو جورجيا، دون أن تتعرض لردة فعل غربية حاسمة[٢٢].

لقد كان لهذه الخطوة الخطيرة أثر بالغ في النظام الدولي عامة، ومنطقة القوقاز بشكلٍ خاص، فقد بدا أن النظام الذي كانت تهيمن عليه الولايات المتحدة في أفول، وأن روسيا أزمعت على تحدي هذه الهيمنة الأمريكية وأنها لن تتوقف عند هذا الحد. وهو ما أكده موقف روسيا ونمط سياستها الخارجية العدائي تجاه الغرب، والذي ظهر جليًا في موقفها من الثورات المطالبة بالديمقراطية في كل من أوكرانيا وجورجيا على سبيل المثال. ويبدو أن موسكو لا تنظر إلى مثل هذه التغيرات نحو الديمقراطية إلا من حيث كونها تحركًا من الدول الغربية، لا سيما الولايات المتحدة وأوروبا، بهدف بسط نفوذها على هذه الدول على حساب النفوذ الروسي، بل تتعدى هذه النظرة العدائية إلى اعتبار هذه التحركات تهديدًا مباشرًا للأمن الروسي ذاته[٢٣]. لذلك كانت ردة الفعل الروسي شديدة الوطأة على الغرب، وأتى ضم روسيا لشبه جزيرة القرم في أوائل عام ٢٠١٤م تتويجًا لهذه السياسة الروسية الجديدة التي تلخص رغبتها في حماية أمنها القومي ضد التوغل الغربي وكذلك بسط نفوذها مجددًا في المناطق التي كان يسيطر عليها الاتحاد السوفيتي تاريخيًا[٢٤].

في هذا السياق، تتضح أهمية القوقاز الجنوبي بالنسبة للسياسة الخارجية والأمن القومي الروسي. وقد احتفظت روسيا، حتى بعد نهاية الحرب الباردة، بتواجد عسكري متقدم في أرمينيا، يحفظ مصالحها في المنطقة ويعمل كقاعدة دفاع متقدمة لمواجهة الناتو وحلفاءه، لا سيما في جورجيا القريبة. وتجسد هذا الوجود العسكري الروسي في أرمينيا بقاعدتين عسكريتين؛ بإريربوني وكيومري، وهي القاعدة الـ١٠٢ لروسيا على الحدود الأرمينية التركية. وفي شهر أغسطس من عام ٢٠١٠م، وقعت كل من يريفان وموسكو اتفاقية أمنية جديدة لتحل محل اتفاقية عام ١٩٩٥م. وبحسب الاتفاقية الجديدة، أصبحت روسيا مسؤولة عن ضمان أمن حدود أرمينيا بكاملها، لا الحدود مع تركيا فقط، وتوجب عليها إمداد أرمينيا بأنظمة تسليحية متقدمة[٢٥]. يبين ذلك اعتماد الأرمنيين الكامل على روسيا في ضمان أمنهم ضد كل من أذربيجان وتركيا، بيد أن حرب الأيام الأربعة بين أرمينيا وأذربيجان في أبريل عام ٢٠١٦م، جعلت عامة الأرمنيين يفكرون في دعم خيار التكامل مع أوروبا والتقارب مع الناتو والغرب[٢٦].

ولا شك أن ذلك سبب مزيدًا من القلق لدى موسكو، خاصة في سياق التوجس من التوغل الغربي في مناطق نفوذها. وجاءت الثورة المخملية بقيادة نيكول باشينيان، المعارض الأرميني ذا التوجهات الغربية، وصعوده إلى سدة الحكم عام ٢٠١٨م، لتؤكد بما لا يدع مجالًا للشك عند روسيا هذا التوغل الغربي في مجال نفوذها في القوقاز[٢٧]. وسوف يكون لذلك أثر بالغ على سير أحداث حرب ناغورنو كاراباخ عام ٢٠٢٠م، والموقف الروسي منها.

(22) Roy Allison, Russia Resurgent? Moscow's Campaign to "coerce Georgia to peace", International Affairs, Vol. 84, No. 6, 2008, pp. 1145-1171.

(23) Eugene Rumer, Russian Foreign Policy beyond Putin, (Routledge: 2017), pp. 25-27

(24) Daniel Treisman, Why Putin Took Crimea: The Gambler in the Kremlin, Foreign Affairs, Vol. 95, 2016, p. 47.

(25) Can Kasapoglu, Russian Forward Military Basing in Armenia and Moscow's Influence in the South Caucasus. (NATO Defense College: Research Division, 2017), p. 6.

(26) Nicholas Spina, Threats to National Security and Public Support for Integration: The case of Armenia and Nagorno-Karabakh, Caucasus Survey, Vol. 6, No. 3, 2018, pp. 230-251.

(27) Terzyan Aram, The Aftermath of the "Velvet Revolution": Armenia between Domestic Change and Foreign Policy Continuity, Eastern European Journal for Regional Studies (EEJRS), Vol. 5, No. 2, 2019, pp. 24-43.

أما تركيا، على الجانب الآخر من المعادلة الإقليمية في القوقاز الجنوبي، فقد بدأت رحلة صعودها إلى مكانة القوى الكبرى بحسب الإطار النظري لبوزان إبان اعلاء حزب العدالة والتنمية سدة الحكم عام ٢٠٠٢. وبدأت تحت قيادة الرئيس رجب طيب أردوغان منذ ٢٠١١م في لعب أدوار إقليمية خطيرة في أكثر من منطقة حيوية في العالم، خاصةً في الشرق الأوسط ووسط آسيا. فمن تدخلها في سوريا إلى ليبيا، بدا أنها لن تقبل أن تكون مجرد قوة تابعة لحلف شمال الأطلسي، بل تعتزم أن تصبح قوة إقليمية إسلامية مؤثرة[٢٨].

وانتهجت تركيا كذلك، كنظيرتها روسيا، سياسة مواجهة الغرب والولايات المتحدة، وظهر ذلك في أكثر من مناسبة، بلغت ذروتها عند إعلان تركيا اعتزامها عقد صفقة الدفاع الجوي المتقدم S400 مع روسيا، على الرغم من المعارضة الأمريكية الشديدة لهذه الصفقة[٢٩]. دل ذلك كله على أن روسيا وتركيا قد أصبحتا قوتين كبريين على الساحة الدولية، وأنهما لن تخضعا للضغوط الغربية في انتهاج سياسات خارجية تهدف إلى تعزيز مصالحهما بالطريقة التي تريانها مناسبة. وأتى ذلك تناغمًا مع التغير الحادث في بنية النظام الدولي الذي يتجه نحو الإقليمية اللامركزية، حيث تتنافس على النفوذ الإقليمي قوى كبرى **دون تدخل فعال** من القوة التي كانت مهيمنة على الشؤون العالمية عقب انتهاء الحرب الباردة، أي الولايات المتحدة.

(28) Cagaptay Soner, The rise of Turkey: The twenty-first Century's First Muslim power, (Potomac Books, Inc., 2014).

(29) Mustafa Kibaroğlu, On Turkey's Missile Defense Strategy: The Four Faces of the S-400 Deal between Turkey and Russia, (PERCEPTIONS: Journal of International Affairs), Vol. 24, No. 2, 2019, pp. 159-174.

ثالثًا: التسوية الآذرية الأرمينية وتنافس النفوذ الروسي التركي في القوقاز الجنوبي:

مما سبق، يتبين أن التغير في بنية النظام الدولي قد أنتج نمطًا معقدًا من العلاقات الروسية التركية، تمثل في العلاقات التنافسية التعاونية في آنٍ واحد، وفي أكثر من منطقة في العالم. فهي تنافسية لتضارب مصالحهما وتنافسها في جميع مناطق التماس، وتعاونية لحاجة كل طرف منهما للآخر وعدم قدرة أي منهما على حسم الصراع لصالحه. ففي سوريا على سبيل المثال، تحافظ روسيا على أمن نظام بشار الأسد وبقائه في الحكم، وبذلك تحافظ على تواجدها العسكري والسياسي في منطقة الشرق الأوسط والبحر المتوسط. أما تركيا، فهي تحمي سكان الشمال السوري من السنة وتحفظ أمن من تبقى من معارضي النظام، وتحفظ أمنها الداخلي من قوات حماية الشعب الكردية ذات الصلات بحزب العمال الكردستاني في داخل الأراضي التركية. أدى ذلك التضارب في المصالح أولًا إلى أزمة كبيرة بين البلدين، عندما اسقطت القوات الجوية التركية طائرة روسية اخترقت المجال الجوي التركي لفترة وجيزة في شهر نوفمبر ٢٠١٥م. ولكن سرعان ما أدرك الطرفان عدم جدوى استمرار هذا التوتر بينهما على كافة الأصعدة، لتبدأ مرحلة من التعاون الحثيث في الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية على حدٍ سواء[٣٠].

وتكرر هذا النمط أيضًا في ليبيا، ومن ثم في منطقة القوقاز الجنوبي والحرب الآذرية الأرمينية، لا سيما التسوية التي تم التوصل إليها في نهاية الحرب. وبالتالي، فرضت العوامل السياسية والاقتصادية طبيعة تنافسية بين القوتين الروسية والتركية على الساحة الإقليمية في القوقاز الجنوبي، فكلاهما تحت قيادة قوية تسعى لبسط نفوذها السياسي والعسكري إلى أبعد ما يمكن أن تبلغها إياه قوتها، محملة بإرث تاريخي عريق ورغبة في استعادة المكانة الإمبراطورية لكل

(30) Köstem Seçkin, Russian-Turkish Cooperation in Syria: Geopolitical Alignment with limits, Cambridge Review of International Affairs, 2020, pp. 1-23.

من الاتحاد السوفيتي، في الحالة الروسية، والإمبراطورية العثمانية، في الحالة التركية. وهذا يذكرنا دومًا بأن المصالح المتعلقة ببسط السيادة والنفوذ وحفظ الأمن القومي والرغبة في تبوؤ مكانة عالية في العالم، كانت وستظل أقوى دوافع الفاعلين الدوليين وأسبقها أولوية.

وكان ذلك واضحًا في تصريحات كل من الفريقين بشأن النزاع بين أرمينيا وأذربيجان. فلم يترك الرئيس التركي، أردوغان، مناسبة تتعلق بالقوقاز، إلا ويؤكد حق أذربيجان في استعادة كامل أراضيها المحتلة من قبل أرمينيا، وعلى دعم تركيا غير المشروط لأذربيجان لتحقيق هذا الهدف(٣١). أما روسيا، فعلى الرغم من رغبتها في الحفاظ على علاقات جيدة بكلا الطرفين، إلا أنها ما زالت عند موقفها قبل الحرب الأخيرة، أن يظل الموقف على ما هو عليه دون مزيد من التصعيد، وبالطبع دون أن تتخلى أرمينيا عن مزيد من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٩٤م(٣٢).

وعلى الرغم من هذه العلاقة التنافسية التي تسعى لتحقيق أهداف متضاربة في منطقة القوقاز، فالتعاون بين روسيا وتركيا في المنطقة في المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية يجري على قدم وساق منذ عام ٢٠٠٢م، لاسيما التعاون في مجالات الطاقة والمشروعات الكبرى المتعلقة بها. فعلى الجانب السياسي، تجمع الرئيسين أردوغان وبوتن علاقات جيدة جدًا، بدأت حتى قبل أن يصبح أردوغان، زعيم الحزب الذي تولى الحكم عام ٢٠٠٢م، ذا صفة رسمية(٣٣)، وقد تبادل الرئيسان الزيارات لأكثر من ١٢ مرة منذ ذلك الوقت. وعلى الجانب العسكري، فليس أدل على التعاون الروسي التركي فيه، من صفقة نظام الدفاع الجوي S400 التي أكدت تركيا للولايات المتحدة أن أمرها قد تم إبرامه ولن يتم التراجع فيه(٣٤).

أما أهم مجالات التعاون الروسي التركي على الإطلاق، فهو التعاون في مجال الطاقة ومشروعاتها الكبرى. وكان أبرز تلك المشروعات اتفاق الجانبين على إنشاء أول محطة تركية لتوليد الطاقة النووية في أبريل عام ٢٠١٨م(٣٥). كذلك فالبلدان لديهما علاقات حثيثة في مجال الغاز الطبيعي ومسارات نقله وتصديره، في إطار المشروع التركي الذي يهدف إلى جعل تركيا محطة إقليمية ودولية لنقل الطاقة من غرب ووسط آسيا إلى أوروبا. وفي هذا الإطار، تم الإعلان عن إطلاق مشروع "توركستريم"، لنقل الغاز الطبيعي الروسي إلى أوروبا(٣٦). **ويبدو أن هذه العلاقات المعقدة بين روسيا وتركيا، المترددة بين التنافس والتعاون، ستظل السمة الغالبة على المنطقة لفترات طويلة قادمة. فما الذي يمكن أن تقدمه هذه العلاقة من تفسير للتسوية الآذرية الأرمينية عقب الحرب الأخيرة بينهما في سبتمبر ٢٠٢٠م؟**

(31) Ayla Jean Yackley, Feted in Baku, Turkey's Erdoğan Rules out Restoring Ties with Armenia, Eurasianet, 17 September 2018, accessed: 11 June 2021, 15:30: https://cutt.us/Wj6sU

(32) Sergey Markedonov, Russia and the Nagorno-Karabakh Conflict: A Careful Balancing, ISPI, 12 March 2018, accessed: 11 June 2021, 16:00, https://cutt.us/ppWP1

(33) Robert O. Freedman, "Russian Policy Toward the Middle East Under Putin: The Impact of 9/11 and The War in Iraq", Alternatives: Turkish Journal of International Relations, Vol. 2, No. 2, Summer 2003, pp.90-91.

(34) Tuvan GumrukcuEce Toksabay, Turkey tells U.S. at NATO that Russian defense purchase is 'done deal', Reuters, 24 March 2021, accessed: 11 June 2021, 16:30, https://cutt.us/clAs1

(35) Russia starts building Turkey's first nuclear power plant, World Nuclear News, 3 April 2018, accessed: 11 June 2021, 17:00, https://cutt.us/dt3rz

(36) Olesya Astakhova, Can Sezer, Turkey, Russia launch TurkStream pipeline carrying gas to Europe, Reuters, 8 January 2020, accessed: 11 June 2021, 17:30, https://cutt.us/w4RWE

خاتمة: تسوية معلقة في ظل علاقات معقدة:

لا يمكن فصل ما وقع في القوقاز الجنوبي عن سائر العلاقات الروسية التركية المعقدة، إلا أن تلك الحرب وتلك التسوية كان لهما طابع آخر ومسار مختلف. فقد حققت تركيا وحليفتها أذربيجان مكاسب كبيرة، ربما لم تستطع تحقيقها في مناطق التماس الأخرى مع روسيا. وبالرغم من تأكيد روسيا على نفوذها في المنطقة، إلا أن حليفتها أرمينيا خرجت الخاسر الأكبر من هذه الحرب. وكان ذلك نتيجة **سببين رئيسين؛ أولهما**، رغبة روسية في تأكيد النفوذ في أرمينيا والإطاحة بحكومة باشينيان صاحب الأجندة والتوجهات الغربية. والذي كان قد صعد إلى سدة الحكم في أرمينيا عقب التظاهرات الحاشدة لعام ٢٠١٨م، المطالبة بالديمقراطية وسُميت الثورة المخملية، وهي الثورة التي نظرت إليها روسيا بوصفها توغل غربي في مناطق نفوذها الإقليمي. وقد أدت الهزيمة في الحرب الأخيرة إلى توترات في الشارع الأرميني، وخلافات بين باشينيان نفسه وقيادة جيشه التي طالبته بتقديم استقالته[٣٧]. إلا أنه دعا إلى إقامة انتخابات مبكرة، وفاز فيها بشكلٍ غير متوقع، وهو ما من شأنه أن يربك الحسابات الروسية[٣٨]. **أما السبب الثاني**، فيتعلق بالقدرات العسكرية والتقنية التركية التي دعمت بها حليفتها أذربيجان في تلك الحرب، خاصة تكنولوجيا الطائرات المسيرة "البيرقدار تي بي ٢"، والتي كان لها بالغ الأثر في تقدم القوات الآذرية وانتصارها في الحرب[٣٩].

ولكن في الوقت ذاته كان أي انتصار آذري تركي محكومًا بقبول روسيا لمداه وأثره، لذلك تم التوصل سريعًا، بعد أربعين يومًا فقط من القتال، إلى اتفاق وقف إطلاق نار بين البلدين وقع عليه كل من الرئيس الروسي بوتن والرئيس الآذري إلهام علييف ورئيس الوزراء الأرميني نيكول باشينيان. ونص الاتفاق على: بقاء قوات الفريقين في مواضعها الحالية، ونشر قوات حفظ سلام روسية في المنطقة، وانسحاب القوات الأرمينية من الأقاليم الآذرية السبعة المحيطة بإقليم ناغورنو كاراباخ التي احتلتها عام ١٩٩٤م، بالإضافة إلى السماح لكلا الطرفين ببناء خطوط مواصلات تربط كل منهما بالأقاليم ذات الحكم الذاتي التي تهمها، خاصةً ربط إقليم ناخشيفان مع الأجواء الغربية من أذربيجان[٤٠]. تركت هذه الاتفاقية الكثير من الأمور المعلقة في المنطقة، فلم يتم التحدث عن المهمة المحددة لقوات حفظ السلام الروسية، ولم تتحدث عن مسار محدد للتوصل إلى سلام دائم بين الطرفين، ولم تتطرق إلى الدور التركي في هذه العملية، الدور الذي تطالب به تركيا نظرًا للدعم الذي قدمته لأذربيجان وكان حاسمًا في تحقيق النصر[٤١].

ويبدو أن الحال في القوقاز سوف يتجمد مرة أخرى وفقًا للخطوط الراهنة، ومن المتوقع أن يظل على هذا الجمود على المدى المنظور. ويؤيد هذا الاستنتاج العلاقات الروسية التركية المعقدة، والتي تتميز بالتعاون المشوب بالتنافس. وبعد أن توازنت قوى الطرفين في سوريا وليبيا والقوقاز، وتوصلهما لصيغ تعاونية وتنسيقية متوازنة في كل من تلك النقاط، ليس من المتوقع أن يُحدث أي منهما اختراق أو تغيير

(37) Célestine Bohlen, Armenia's Postwar Crisis: What to Know, Council on Foreign Relations, 25 March 2021, accessed: 28 June 2021, 17:33, https://cutt.us/e1ARh

(38) Liz Cookman, Armenia Opts for Pashinyan, Democracy Despite Defeat in War, Foreign Policy, 21 June 2021, accessed: 28 June 2021, 17:40, https://cutt.us/IaGB2

(٣٩) بافيل أكسينوف، أرمينيا وأذربيجان: كيف تغيّر طائرات درون وجه الحرب في ناغورنو كاراباخ؟، بي بي سي، ١٠ أكتوبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ١٠ يونيو ٢٠٢١ ساعة:٨:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/YnLu4

(40) President of Russia, Statement by President of the Republic of Azerbaijan, Prime Minister of the Republic of Armenia and President of the Russian Federation, (Mosco: Kremlin, 11 November 2020) accessed: 12 June 2021, 10:00, https://cutt.us/5prur

(41) Thomas de Wall, Unfinished Business in the Armenia-Azerbaijan Conflict, Carnegie Europe, 11 February 2021, accessed: June 12 2021, 9:00, https://cutt.us/OwFFs

جذري في مسار العلاقات بينهما. **وسوف تظل العلاقات الروسية التركية، خاصة في منطقة القوقاز الجنوبي، خاضعة لبنية النظام الدولي الحالي الذي يتميز بالإقليمية اللامركزية، بحسب إطار بوزان النظري، حيث تسيطر القوى الإقليمية الكبرى على مناطق التماس بينها في ظل علاقة من التنافس والتعاون، دون أن تتغلب إحداها على الأخرى، ودون تدخل قوى عظمى أخرى في هذه العلاقة اللامركزية.**

*****

دلالات العودة الأمريكية إلى الاتفاقيات والمنظمات الدولية مع بداية إدارة بايدن

محمد كمال محمد*

مقدمة

تُعد المنظمات الدولية والاتفاقيات الدولية جزءً أساسيًا من مكونات النظام الدولي، وهي تمثل أدوات فاعلة مهمة في العلاقات الدولية وساحة تأثير وتأثر في السياسات العالمية في مجالات التعاون والصراع والتنافس الدولي، إذ تسعى من خلالها الدول الأعضاء لتحقيق مصالحها السياسة والاقتصادية والحفاظ على أمنها وتعزيز مكانتها.

وللقوى الكبرى في السياسة العالمية تأثير بارز وعميق على مسارات ومواقف المنظمات الدولية، وهي تسعى دومًا لصياغة اتفاقيات دولية تعزز مصالحها وتحقق لها ما ترجوه من مكاسب على كافة الأصعدة من خلال أدواتها الخشنة والناعمة.

وقد سعت الولايات المتحدة، منذ عام ١٩٤٥، للدفاع عن مصالحها العالمية من خلال المشاركة في تأسيس الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، بالإضافة إلى إنشاء مؤسسات اقتصادية دولية ورعايتها، وكذلك منظمات أمنية إقليمية. واقترن بذلك الدخول في اتفاقيات دولية ذات طبيعة سياسية واقتصادية وعسكرية، وبالطبع كانت مصالح الولايات المتحدة على مر السنين ومختلف الحقب من ثنائية قطبية مع الاتحاد السوفيتي أو أحادية قطبية بعد انهياره، وتعدد الأقطاب (أو القوى) في النظام الدولي بعد عودة روسيا وصعود الصين، هي المحدد الأهم في تعاملها مع هذه المنظمات والاتفاقيات.

تحقيق هذه المصالح الأمريكية هو ما يجمع الجمهوريين والديمقراطيين –بالطبع مع وجود هامش للخلاف على تحديد هذه المصالح– عبر الإدارات المتعاقبة حسب الحقب التاريخية وما تطرحه كل منها من تحديات وتهديدات وفرص. ويمكن الإشارة إلى تيارين أساسيين تأرجحت بينهما السياسة الخارجية الأمريكية: تيار العزلة وتيار الاندماج في النظام الدولي، وهذا منذ نشأتها وحتى يومنا هذا.

وقد شهد عهد الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، في الفترة من ٢٠١٦ وحتى ٢٠٢٠ انسحاب الولايات المتحدة من العديد من الاتفاقيات والمنظمات الدولية المهمة، ومع تقدم «بايدن» في الانتخابات الرئاسية الأمريكية تعالت الأصوات المنادية بعودة واشنطن لتلك المنظمات والاتفاقيات التي انسحبت منها. وبالفعل، مع بداية تولي إدارة بايدن مقاليد الأمور أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عودتها إلى عدد من المنظمات والاتفاقات التي كانت قد خرجت منها إدارة دونالد ترامب، إذ يسعى بايدن من خلال تلك العودة لترميم مكانة الولايات المتحدة الأمريكية دوليًا وصورة دبلوماسيتها.

من ثم، يناقش هذا التقرير عودة الولايات المتحدة الأمريكية إلى عدد من المنظمات والاتفاقيات الدولية منذ تولي إدارة بايدن مقاليد الحكم وحتى منتصف يونيو ٢٠٢١. ويسعى إلى معرفة دلالات هذه العودة، ويتطرق في هذا السياق بشيءٍ من التفصيل لعودة الولايات المتحدة إلى منظمة الصحة العالمية، واتفاقية باريس للمناخ، ومجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، ومعاهدة "ستارت الجديدة" النووية مع روسيا، فضلا عن العودة لتمويل الأونروا.

ثم يتطرق التقرير للعودة المحتملة للولايات المتحدة لمنظمة اليونسكو والشراكة عبر المحيط الهادئ، ومعاهدة تجارة الأسلحة، ويختتم بخلاصة عن دلالات عودة الولايات المتحدة لهذه الكيانات.

* باحث في العلوم السياسية.

علمًا أن هذا التقرير لا يتعرض للمفاوضات الجارية بشأن عودة الولايات المتحدة الأمريكية للاتفاق النووي مع إيران، حيث إن هذا العدد من فصلية (قضايا ونظرات) يفرد تقريرًا مفصلا عن هذا الموضوع.

لكن هذا عقب أن نتناول بإيجاز في هذه المقدمة أبرز ملامح السياسة الخارجية لإدارة بايدن (كما تبدو حتى الآن) مع التركيز على ما يتصل بالمشاركة في المنظمات الدولية.

ملامح السياسة الخارجية لإدارة بايدن:

تعهد الرئيس الأمريكي المنتخب جو بايدن باستعادة دور بلاده القيادي في العالم، عبر التخلي عن السياسات الأحادية التي اتبعتها إدارة الرئيس المنتهية ولايته دونالد ترامب وإعادة التركيز على التحالفات الدولية القائمة منذ مدة طويلة. ويقول بايدن إن إدارته سترتقي بأهمية الدبلوماسية، وستقود عن طريق"قوة النموذج" وليس فقط "نموذج القوة"[١].

اتخذ بايدن بالفعل خطوات لتعزيز مجال التعاون الدولي لأمريكا. فبعد تنصيبه في ٢٠ يناير ٢٠٢١، قام بإعادة الولايات المتحدة إلى اتفاقية باريس ومنظمة الصحة العالمية لمعالجة تغير المناخ بشكل أفضل فضلا عن التصدي لوباء كوفيد-١٩.

وفي خطاب مهم ألقاه يوم ٤ فبراير ٢٠٢١ حول السياسة الخارجية، قال بايدن إن الولايات المتحدة ستعمل مع المجتمع الدولي لمواجهة التحديات العالمية مثل وباء كوفيد-١٩ وتغيّر المناخ، وتعزيز الحرية والكرامة للناس في جميع أنحاء العالم. وصرح بايدن في هذا الخطاب الذي ألقاه في وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن: ''إن تحالفات أمريكا هي أعظم ثروة لدينا''. فالتحديات العالمية لن ''تحلها إلا الدول التي تعمل معًا وبصورة مشتركة''. ومن خلال تجديد الالتزام بالمشاركة مع شركائها الدوليين، قال بايدن إن الولايات المتحدة يمكنها أن تعزز المثل الديمقراطية الأساسية لأمريكا في جميع أنحاء العالم وأن تتصدى بشكل أفضل للمنافسين والخصوم .**وحدد بايدن عدة أولويات للقيادة الأمريكية في جميع أنحاء العالم:** إنهاء جائحة كوفيد-١٩، مكافحة تغيّر المناخ، الحد من الانتشار النووي، التوصل إلى حل سلمي للحرب في اليمن، الترحيب باللاجئين وتعزيز برامج المساعدات الإنسانية.

وفيما يخص المشاركة مع المنظمات الدولية، اتخذ بايدن بالفعل خطوات لتعزيز التعاون الدولي لأمريكا. فبعد تنصيبه في ٢٠ يناير، قام بإعادة الولايات المتحدة إلى اتفاقية باريس ومنظمة الصحة العالمية لمعالجة تغير المناخ بشكل أفضل والتصدي لوباء كوفيد١٩. وقد وعد بايدن بدعم السلك الدبلوماسي الأمريكي وموظفي وزارة الخارجية الآخرين؛ إذ يقومون بتعزيز العلاقات مع الشركاء والحلفاء والتعامل مع الخصوم والتصدي للتحديات العالمية. وقال بايدن لمسؤولي وزارة الخارجية "سأكون ظهيرًا لكم" وأضاف "بمساعدتكم، تقوم الولايات المتحدة بدورها القيادي مرة أخرى، ليس فقط بنموذج قوتنا بل بقوة نموذجنا"[٢].

"أمريكا عادت" هذا عنوان السياسة الخارجية الأمريكية في عهد بايدن، الذي كرر هذه العبارة في أكثر من مناسبة، وهدفها الأول والأساس -كما هي في كل الإدارات الجمهورية والديمقراطية- المصالح القومية الأمريكية، وتعبر الفقرة التالية من خطاب بايدن عن ذلك بوضحٍ تام:

"الاستثمار في دبلوماسيتنا ليس شيءً نقوم به لمجرد أنه الشيء الصحيح الذي يجب فعله للعالم. نحن نفعل ذلك من أجل العيش في سلام وأمن وازدهار. نحن نفعل ذلك لأنه في ''مصلحتنا الذاتية المجردة'' our own naked self-interest. عندما

(١) لاستعادة "زعامة أمريكا".. بايدن في مواجهة إرث ترامب الصعب، DW، ١٥ نوفمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٨ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3c3B1Yn

(٢) بايدن: سوف نحل التحديات العالمية معًا، ShareAmerica، ٥ فبراير٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١ يونيو٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3hYvbLO

نعزز تحالفاتنا، فإننا نعزز قوتنا وكذلك قدرتنا على كبح التهديدات قبل أن تصل إلى شواطئنا"[٣].

أولا: عودة من أجل المصالح وضد الخصوم:

عادت الولايات المتحدة مع بداية إدارة بايدن إلى منظمة الصحة العالمية، ومجلس حقوق الإنسان، واتفاقية باريس للمناخ ومعاهدة "ستارت الجديدة" النووية مع روسيا، كما استأنفت تمويل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا". ويعرض التقرير لتفاصيل هذه العودة فيما يلي:

١- منظمة الصحة العالمية

في ظل انتشار فيروس كورونا ازدادت انتقادات الرئيس الأمريكي ترامب لمنظمة الصحة العالمية، محملا إياها بجانب الصين مسؤولية انتشار الفيروس، واتهمها بالتأخر في التصدي له. وفي يوليو ٢٠٢٠، أعلن ترامب انسحابه من المنظمة المختصة بالرعاية الصحية على مستوى العالم. وكما هو معروف، فإن الولايات المتحدة عضو مؤسس في المنظمة الأممية التي تأسست عام ١٩٤٨، وكان من المزمع إن يستغرق القرار عامًا ليدخل حيز النفاذ.

وقد أثار قراره انتقادات واسعة، وتعهد حينها بايدن، في تغريدة له على «تويتر» بأنه سيلغي قرار ترامب من اليوم الأول لتسلمه السلطة حال فوزه في الانتخابات[٤].

فتعهدت إدارة بايدن بالعودة على الفور إلى منظمة الصحة العالمية، والسعي لقيادة الجهود التي تبذلها المنظمة لمحاربة فيروس كورونا. وقد كانت الولايات المتحدة تتمتع بنفوذ كبير في هذه الهيئة المهمة العاملة في مجال الصحة العامة، إذ كانت تساهم بنحو ١٥ بالمائة من ميزانيتها.

وبالفعل، في اليوم الأول من تولي إدارة بايدن مقاليد الحكم وقع أمرًا تنفيذيًّا بعودة الولايات المتحدة الأمريكية لعضوية منظمة الصحة العالمية. وبالإضافة إلى التراجع عن إخطار الانسحاب والاحتفاظ بعضويتها في المنظمة، أعلنت الولايات المتحدة وقف قرار سحب الموظفين الأمريكيين في المنظمة والوفاء بالتزاماتها المالية تجاهها، والتعاون المشترك لدحر جائحة كوفيد-١٩.

وشارك د.أنثوني فاوتشي، خبير الأمراض المعدية في الولايات المتحدة، الذي عينه بايدن كرئيس لوفد بلاده لدى منظمة الصحة العالمية، في الجلسة الـ ١٤٨ للمجلس التنفيذي للمنظمة عبر تقنية الفيديو، مؤكدًا أن بلاده ستعمل بشكلٍ بنّاء مع الشركاء لتقوية وإصلاح منظمة الصحة العالمية، والمساعدة في قيادة الجهود المشتركة لتقوية الاستجابة العالمية لجائحة كوفيد-١٩ ومعالجة آثارها على الناس والمجتمعات والأنظمة الصحية حول العالم.

كما أكد اعتزام بلاده استئناف التعاون التقني على جميع المستويات باعتباره جزءً أساسيًا من العلاقات مع منظمة الصحة العالمية. وقال د.فاوتشي: "يُشرفني إعلان أن الولايات المتحدة ستبقى عضوة في منظمة الصحة العالمية. وبالأمس وقع الرئيس بايدن على قرارات التراجع عن إعلان الإدارة السابقة بالانسحاب من المنظمة، وقد تم إرسال هذه الرسائل إلى الأمين العام للأمم المتحدة وإلى د. تيدروس"[٥].

وأشار بايدن لأهمية عودة الولايات المتحدة لمنظمة الصحة العالمية للمساهمة في مواجهة جائحة كورونا وغيرها من الأوبئة التي تتوقع إداراته أن تواجه العالم في المستقبل قائلا: "أعدنا أيضًا مشاركتنا مع منظمة الصحة العالمية. بهذه الطريقة، يمكننا بناء

(3) Remarks by President Biden on America's Place in the World, White House, 4 Fubraury,2021, Accessed: 26 May 2021, 11:00, https://cutt.us/CEtuF

(٤) عمر علاء، ٩ اتفاقيات ومنظمات دولية انسحبت منها الولايات المتحدة في عهد ترامب، المصرى اليوم، ١٣ نوفمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٣ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/a7fV4

(٥) بعد عودة واشنطن لمنظمة الصحة العالمية، إشادة أممية بدعمها للإتاحة العادلة للقاحات كوفيد-١٩، ٢١ يناير ٢٠٢١، أخبار الأمم المتحدة، تاريخ الاطلاع: ٢٥ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/UFuT2

استعداد عالمي أفضل لمواجهة كوفيد-١٩، وكذلك اكتشاف ومنع الأوبئة في المستقبل، لأنه سيكون هناك المزيد"[٦].

والعودة الأمريكية لمنظمة الصحة العالمية تعني أن الولايات المتحدة لا تريد أن تترك هذه الساحة المهمة والتي تزايدت أهميتها مع جائحة كورونا لخصومها ومنافسيها، وخاصة الصين، دون أن تستخدمها لمصلحتها وضدهم، خصوصًا بالنظر للظروف التي أحاطت بمنشأ فيروس كورونا.

وهو ما عملت عليه البعثة الدائمة للولايات المتحدة الأمريكية بمقر الأمم المتحدة بجنيف التي وصفت، المرحلة الأولى من الدراسة التي أعدتها منظمة الصحة العالمية حول مصدر فيروس كورونا، بأنها كانت غير كافية وغير مكتملة، وذلك بعد يوم من إعطاء الرئيس الأمريكي جو بايدن أجهزة الاستخبارات الأمريكية مهلة ٣ أشهر لمضاعفة جهودها للتوصل لمنشأ الفيروس. ودعت البعثة، في بيان للانتقال إلى المرحلة الثانية، التي يجب خلالها إجراء البحوث مرة أخرى، بما في ذلك في الصين، مؤكدة أنه من المهم للغاية أن تسمح الصين للخبراء المستقلين بإطلاع شامل على البيانات والعينات الأولية الكاملة، لفهم مصدر الفيروس والمراحل المبكرة للوباء[٧].

٢- اتفاقية باريس للمناخ

دأب بايدن -الذي لعب التعهد بمكافحة تغير المناخ دورًا في انتخابه- على القول إنه سيعود فورًا إلى اتفاقية باريس للمناخ. وكان ترامب، الذي يُنكر تغير المناخ، قد سحب الولايات المتحدة من هذه الاتفاقية في الأول من يونيو ٢٠١٧، زاعمًا أنها تصب في مصلحة الصين بصورة غير عادلة.

وتُعد الولايات المتحدة الأمريكية ثاني أكبر مصدر للتلوث في العالم بعد الصين. وفي حين تناول ترامب المسألة باعتبارها عديمة الفائدة من الناحية الاقتصادية ليختار أرباح الوقود الأحفوري على حساب حماية البيئة، وعد بايدن ببناء اقتصاد معتمد على الطاقة النظيفة، لتمويل برامج طموحة لخفض الانبعاثات[٨].

وكان الانسحاب من اتفاقية باريس للمناخ من أكثر القرارات المثيرة للجدل، وهي الاتفاقية التي وُقعت، في ديسمبر عام ٢٠١٥، ونالت دعمًا عالميًا واسعًا، وشاركت نحو ١٧١ دولة في التوقيع، وهو عدد قياسي للدول الموقعة على اتفاقية دولية، وتبلغ حاليًا الدول الموقعة ١٩٥ دولة، منها ١٨٩ دولة منضمة. وكان ترامب قد أعلن في ١ يونيو ٢٠١٧، انسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية باريس (ودخل الانسحاب حيز التنفيذ اعتبارًا من ٤ نوفمبر ٢٠٢٠)، الأمر الذي أثار سخط المجتمع الدولي، ولاقى انتقادات عدة، خاصةً أن الولايات المتحدة، كما أُشير، ثاني الدول في العالم -بعد الصين- من حيث الانبعاثات الغازية، التي تسبب الاحتباس الحراري، علمًا أن الاتفاق يهدف إلى الحد من الاحتباس الحراري لمستوى لا يزيد على درجتين، عبر تقليل الانبعاثات الغازية[٩].

٣- مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة

أعلن وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكين في ٨ فبراير ٢٠٢١، أن الولايات المتحدة ستعاود الانضمام إلى مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة الذى تأسس عام ٢٠٠٦، من أجل تعزيز ومراقبة وحماية حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم. وأصدر الرئيس جو بايدن تعليماته لوزارة الخارجية بـ "إعادة الانخراط على الفور وبقوة" مع الهيئة كجزء من التزام إدارته باتباع سياسة خارجية تركز على الديمقراطية وحقوق الإنسان والمساواة مع استخدام الأدوات متعددة الأطراف.

(6) Remarks by President Biden on America's Place in the World, Op. cit.

(٧) بعد مهلة بايدن.. واشنطن تطالب الصحة العالمية بتقرير آخر عن مصدر كورونا، الوطن، ٢٨ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/WUawJ

(٨) لاستعادة "زعامة أمريكا".. بايدن في مواجهة إرث ترامب الصعب، مرجع سابق.

(٩)عمر علاء، ٩ اتفاقيات ومنظمات دولية انسحبت منها الولايات المتحدة في عهد ترامب، مرجع سابق.

كان الرئيس السابق دونالد ترامب قد أصدر أمرًا بانسحاب الولايات المتحدة من المنظمة الدولية التي كثيرًا ما تتعرض لانتقادات في عام ٢٠١٨. ففي يونيو من ذلك العام، أعلنت سفيرة ترامب لدى الأمم المتحدة، نيكي هايلي، انسحاب الولايات المتحدة من المجلس. وجاءت هذه الخطوة متوافقة مع تهديدات الإدارة المتكررة بمغادرة الهيئة المكونة من ٤٧ عضوًا، والتي وصفتها هايلي بأنها "منظمة منافقة تخدم مصالحها الخاصة وتحول حقوق الإنسان إلى مادة للسخرية"، مشيرة إلى ما وصفته بـ "التحيز المزمن ضد إسرائيل"، كما عبرت عن معارضتها لأن تكون دول مثل الصين وكوبا وفنزويلا التي تنتهك حقوق الانسان أعضاء في المجلس. ودعت الولايات المتحدة إلى إجراء إصلاحات في المجلس، وكثيرًا ما اصطدمت بأعضاء آخرين بسبب دفاعها عن إسرائيل لأنها تغض الطرف عن الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان.

وقالت إدارة ترامب إن المجلس سارع إلى التغاضي عن الانتهاكات التي ارتكبتها الأنظمة والحكومات الاستبدادية –بل وقبولها كأعضاء. وضمت عضوية الهيئة في ذلك الوقت الصين وكوبا وإريتريا وروسيا وفنزويلا، وجميعهم متهمون بارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان. علمًا أن إعلان الانسحاب قد جاء بعد يوم من استنكار المفوض السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، زيد رعد الحسين، لإدارة ترامب لفصلها الأطفال المهاجرين عن والديهم.

ووصف وزير الخارجية بلينكين خطوة الانسحاب من مجلس حقوق الإنسان إنها "لم تفعل شيء لتشجيع التغيير الهادف، لكنها خلقت بدلا من ذلك فراغ في القيادة الأمريكية". وقال بلينكين أيضًا في تغريدة على تويتر: "عندما يعمل بشكل جيد، يُسلط مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة الضوء على البلدان التي لديها أسوأ سجلات حقوق الإنسان، ويمكن أن يكون بمثابة منارة لأولئك الذين يكافحون ضد الظلم والاستبداد، لهذا السبب عادت الولايات المتحدة إلى الطاولة".

وأضاف بلينكين أن المجلس "معيب ويحتاج إلى إصلاح، لكن الابتعاد لن يُصلح. إن أفضل طريقة لتحسين المجلس، حتى يتمكن من تحقيق إمكاناته، هي من خلال القيادة الأمريكية القوية والقائمة على المبادئ". وقال في بيانه على المدى القريب، إن الولايات المتحدة ستشارك كمراقب، مضيفًا: "نحن نؤمن بشدة أنه عندما تشارك الولايات المتحدة بشكل بناء مع المجلس، بالتنسيق مع حلفائنا وأصدقائنا، فإن التغيير الإيجابي في متناول اليد"[١٠].

ومع ذلك، أعربت الإدارات السابقة أيضًا عن مخاوفها بشأن مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، وشككت في كثير من الأحيان في رغبة المجلس في أن تكون الدول المنتهكة لحقوق الإنسان أعضاء فيه. وكان الرؤساء الديمقراطيون يميلون إلى الرغبة في الحصول على مقعد بالمنظمة بينما لا يُبالي الجمهوريون بذلك بسبب الانتقاد الدائم الذى يوجهه مجلس حقوق الانسان للانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الانسان.

لكن على جانب آخر، فإن العودة الأمريكية لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة تتيح لها استخدام المجلس في مواجهة الصين وروسيا وغيرهم من الأعداء والخصوم والمنافسين؛ بالنظر إلى سجلهم الحافل بانتهاكات حقوق الإنسان حتى وإن كان سجلها هي ذاتها لا يخلو من انتهاكات.

٤– معاهدة "ستارت الجديدة" النووية مع روسيا

مدّدت الولايات المتحدة، معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية (ستارت الجديدة) الموقعة مع روسيا لمدة خمس سنوات تبدأ اعتبارًا من الثالث من فبراير ٢٠٢١، وكانت إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن قالت في يناير ٢٠٢١ إنها ستسعى لتمديد الاتفاقية لأن الوقت لا يسمح بالتفاوض على اتفاقية جديدة.

وقال وزير الخارجية الأمريكي انتوني بلينكين، في بيان: "تعهد الرئيس بايدن بالحفاظ على الشعب الأمريكي في مأمن من

(10) Biden administration to rejoin U.N. Human Rights Council in another reversal of Trump, NBCnews, 8 February 2021, Accessed: 5 June 2021, https://cutt.us/vqjs6

التهديدات النووية من خلال استعادة القيادة الأمريكية في مجال الحد من التسلح ومنع الانتشار. وأضاف بلينكين "اليوم، اتخذت الولايات المتحدة الخطوة الأولى نحو الوفاء بهذا التعهد عندما مددت معاهدة ستارت الجديدة مع الاتحاد الروسي لمدة خمس سنوات". وكانت روسيا قد صادقت، أواخر شهر يناير ٢٠٢١، على تمديد المعاهدة التي كان مقررًا أن تنتهي بعد أيام من من ذلك التوقيت .وأكد وزير الخارجية الأمريكي: "تمديد معاهدة ستارت الجديدة يضمن أن يكون لدينا حدود يمكن التحقق منها بشأن الصواريخ البالستية الروسية العابرة للقارات والصواريخ البالستية التي تُطلق من الغواصات والقاذفات الثقيلة حتى الخامس من فبراير ٢٠٢٦"(١١).

وكانت «معاهدة ستارت الجديدة»، بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، والتي وُقعت عام ٢٠١٠، وكان من المقرر أن تنتهي مدتها في الخامس من فبراير ٢٠٢١ –وتلزم الولايات المتحدة وروسيا بخفض رؤوسهما النووية الاستراتيجية المنشورة بحيث لا تزيد عن ١٥٥٠ رأسًا لكل منهما– هي أكثر المعاهدات المهددة بالإلغاء. ولما كانت هذه الاتفاقية تُعنى بالحد من الأسلحة الاستراتيجية بين أكبر قوتين عسكريتين في العالم، وتمحور الخلاف بين موسكو وواشنطن بشأن الشروط اللازمة لتجديد الاتفاق، ولم تعرب إدارة ترامب عن نيتها تجديده، لكن «ترامب» ترك السلطة، في يناير ٢٠٢١، أي قبل انتهاء الاتفاق بأيام.

نجت معاهدة "ستارت الجديدة" من المصير الذى لقيته معاهدة "الأجواء المفتوحة"، فقد أصر الرئيس الأمريكي جو بايدن على البقاء خارج معاهدة "الأجواء المفتوحة" للمراقبة العسكرية، وذلك لإظهار حزمه في مواجهة روسيا بعد خطوات عدة تُظهر انفتاحًا. وجاء هذا القرار المخالف لإرادة الرئيس الأمريكي الجديد بالتنسيق مع موسكو في المسائل المرتبطة بالأمن الدولي، قبل أقل من ثلاثة أسابيع من قمّته الأولى مع نظيره الروسي فلاديمير بوتين التي عُقدت في ١٦ يونيو ٢٠٢١ في جنيف. وقال ناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية إن "الولايات المتحدة تشعر بالأسف لتقويض انتهاكات روسيا معاهدة الأجواء المفتوحة" .. وأضاف "في ختام مراجعتها للمعاهدة، لا تنوي الولايات المتحدة بالتالي السعي للعودة إليها، لأن روسيا لم تقم بأي خطوات لمعاودة الامتثال بها".

وبعد اتهام موسكو بانتهاكها، انسحب الرئيس السابق دونالد ترامب من معاهدة "الأجواء المفتوحة" التي دخلت حيّز التنفيذ عام ٢٠٠٢ وكان هناك في البداية ٣٥ دولة موقعة عليها تسمح بتسيير رحلات جوية لمراقبة الأنشطة العسكرية لبعضها البعض. وردًا على ذلك، تخلّت روسيا عن المعاهدة. وصوّت النوّاب الروس في ١٩ مايو ٢٠٢١ لصالح الانسحاب منها، لكن الحكومة أكدت أنها مستعدة للتراجع عن هذه الخطوة في حال اقترح الأمريكيون "حلا بناءً" ..

عند الانسحاب الأمريكي، انتقد بايدن الذي كان لا يزال مرشحًا ديموقراطيًا للانتخابات الرئاسية آنذاك، قرار الرئيس الجمهوري معتبرًا أنه ينم عن "قصر نظر"، بعدما كان ترامب سحب الولايات المتحدة من اتفاقات دولية ومنظمات كثيرة. وأقرّ بايدن بوجود "مخاوف حقيقية" حيال "انتهاكات" روسيا للمعاهدة، لكنه اعتبر في بيان صدر في مايو ٢٠٢٠، أن الحلّ ليس إدارة الظهر للنصّ "إنما السعي إلى حلّها من خلال آلية حلّ المنازعات"(١٢).

وأشار بايدن إلى أن "الشفافية التي تجلبها" المعاهدة "مهمة بشكل خاص للدول التي ليس لديها قدرات خاصة لالتقاط صور من الأقمار الصناعية"، وأن حلفاء الولايات المتحدة لا يؤيدون انسحابها. وحذّر من أن "الانسحاب سيؤجج الخلافات بين الغرب وروسيا، وسيزيد مخاطر إساءة الحسابات والنزاع". لكن بعد توليه الحكم اختلف موقف بايدن فيما يخصّ معاهدة "الأجواء المفتوحة"،

(١١) واشنطن تمدد معاهدة "ستارت الجديدة" النووية مع روسيا، الاتحاد الإماراتية، ٣ فبراير ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٧ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3zHYuc3

(١٢) بايدن ينتقد موسكو ويصرّ على الانسحاب من معاهدة "الأجواء المفتوحة"، يورونيوز، ٢٩ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٦ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/P0DxR

حيث بقيت إدارة بايدن في البدء متكتمةً، قبل إعلانها مطلع مايو ٢٠٢١ أنها بدأت مراجعة الانسحاب منها[١٣].

ورغم أن جو بايدن يُبدي حزمًا كبيرًا حيال روسيا مشددًا العقوبات والتهديدات بردود على أنشطة موسكو التي يعتبرها "مؤذية" (تدخل في الانتخابات، وهجمات إلكترونية، وانتشار عسكري على الحدود الأوكرانية، وتوقيف المعارض أليكسي نافالني)، إلا أنه يؤكد إرادته التوصل إلى أرضية تفاهم حول المسائل المرتبطة بالأمن الدولي. وقد واجه بايدن انتقادات من جانب المعارضة الجمهورية وكذلك معسكره الديموقراطي؛ لأنه تخلى عن فرض عقوبات حاسمة ضد مشروع أنبوب غاز "نورد ستريم ٢" بين روسيا وألمانيا. وعُقد اللقاء الأول بين وزيري الخارجية الأميركي أنتوني بلينكين والروسي سيرغي لافروف، في أجواء هادئة في آيسلندا[١٤].

ومن الملاحظ أن واشنطن تواصل تبديل مواقفها فيما يخصّ العلاقات الأمريكية الروسية التي تُعدّ حالياً في أدنى مستوياتها منذ الحرب الباردة، إلا أنها تبدو هذه المرة تريد توجيه رسالة حزم. وقال المتحدث باسم الخارجية الأميركية لتبرير القرار بشأن معاهدة "الأجواء المفتوحة"، إن "سلوك روسيا، بما في ذلك خطواتها الأخيرة فيما يتعلّق بأوكرانيا، لا يعد سلوك شريك ملتزم ببناء الثقة". ومع الانسحاب من معاهدة "الأجواء المفتوحة"، تصبح معاهدة ستارت الاتفاق الكبير الوحيد في مجال الأمن الذي لا يزال سارياً بين القوتين النوويتين[١٥].

(١٣) بايدن يحمل على موسكو ويُصر على الانسحاب من معاهدة "الأجواء المفتوحة"، الأهرام، ٢٩ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٦ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/D15gI

(١٤) بايدن يحمل على موسكو ويصرُّ على الانسحاب من معاهدة "الأجواء المفتوحة"، ٢٩ مايو ٢٠٢٠، swissinfo، تاريخ الاطلاع: ٢٩ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3urJOtL

(١٥) بايدن يحمل على موسكو ويصرُّ على الانسحاب من معاهدة "الأجواء المفتوحة"، فرنسا ٢٤، ٢٩ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٦ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3gFMG2k

٥- العودة لتمويل الأونروا

أعلنت الإدارة الأمريكية العودة لتمويل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا» في ٧ أبريل ٢٠٢١، على أن تبلغ جملة المساعدات الأمريكية للفلسطينيين ٢٣٥ مليون دولار، وقالت إدارة الرئيس جو بايدن إن الولايات المتحدة ستدعم مجددًا الأونروا بمساهمة قدرها ١٥٠ مليون دولار. كما ستقدم الولايات المتحدة ٧٥ مليون دولار كمساعدات اقتصادية وتنموية للضفة الغربية وقطاع غزة و١٠ ملايين دولار لجهود بناء السلام. وفي تغريدة له على تويتر قال وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكين: "يسعدنا أن نُعلن استئناف المساعدة الأمريكية للشعب الفلسطيني. سنوفر إغاثة إنسانية مهمة لنعزز الازدهار والاستقرار الإقليميين، مع تعزيز القيم والمصالح الأمريكية"[١٦].

كانت إدارة ترامب قد وقفت تمويلها للأونروا، في سياق ما عُرف بصفقة القرن، حيث أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية، في أغسطس ٢٠١٨، عن تجميد مساعدات بنحو ٦٥ مليون دولار مقدمة لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا».

والعودة لتمويل الأونروا تأتي في إطار خطوات تسعى لتعزيز الدور الأمريكي في الصراع العربي الإسرائيلي والتأكيد على دور الوسيط الفاعل الراعي لعملية السلام، ومن هذه الخطوات إعادة فتح القنصلية الأمريكية في القدس الذى رأت فيه السلطة الفلسطينية أنه يشكل أرضية صالحة لإعادة العلاقة بينها وبين

(١٦) واشنطن تستأنف مساعدتها للفلسطينيين بقيمة ٢٣٥ مليون دولار، يورونيوز، ٨ أبريل ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٧ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Ef2aS

الولايات المتحدة الأمريكية لتكون طرفًا فعالًا ومؤثرًا في إطار الرباعية الدولية للتوجه لمفاوضات تستند لقرارات الشرعية الدولية[١٧].

كما أن استئناف تمويل الأونروا يأتي لتهدئة وترضية أطراف أخرى اعترضت على قرار توقف الولابات المتحدة عن هذا التمويل، وهو القرار الذي نددت به جامعة الدول العربية، محذرةً من أنه سيُلحق أضرارًا كبيرة بنحو ٥ ملايين لاجئ فلسطيني يعتمدون في معيشتهم اليومية على ما تقدمه الوكالة من خدماتٍ، خاصة في مجالات الصحة والتعليم والتشغيل. كما أن البرلمان الأوروبي رفض في أكتوبر ٢٠١٩، قرارًا يقضي بقطع المساعدات عن الوكالة[١٨].

ثانيًا: عودة محتملة: مزيد من المصالح:

يتوقع بعض المحللين عودة الولايات المتحدة إلى الشراكة عبر المحيط الهادئ، ومنظمة اليونسكو، ومعاهدة تجارة الأسلحة[١٩]. ويعرض هذا الجزء بإيجاز لهذه العودة المحتملة.

١- الشراكة عبر المحيط الهادئ

في عام ٢٠١٧، وفي أول قراراته التنفيذية، قرر ترامب انسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية «الشراكة عبر المحيط الهادئ»، وهي اتفاقية تجارية تضم ١٢ دولة مطلة على المحيط الهادئ، ووصفها بأنها "صفقة سيئة". وهذه الشراكة اتفاقية تجارية ضخمة كانت حجر الزاوية في سياسة الرئيس السابق باراك أوباما تجاه آسيا ولكن لم يوافق عليها الكونجرس مطلقًا.

علمًا أن تلك الاتفاقية كانت مبادرة من الرئيس السابق، باراك أوباما، وتمثل الدول المنضمة لها ٤٠% من الاقتصاد العالمي، وهي الولايات المتحدة وأستراليا وكندا واليابان وماليزيا والمكسيك ونيوزيلندا والبيرو وسنغافورة وفيتنام وتشيلي وبروناي. جدير بالذكر أن ترامب أعرب فيما بعد عن استعداده للانضمام للاتفاق، قائلًا في تغريدة له على «تويتر»: «إذا كان الاتفاق أفضل بكثير مقارنةً مع ما عُرض على أوباما».

بعد مغادرة الولايات المتحدة، مضت الدول الإحدى عشرة الأخرى قدمًا في نسخة جديدة من الاتفاقية، الاتفاقية الشاملة والمتقدمة للشراكة عبر المحيط الهادئ (CPTPP) . كنائب للرئيس، دعم بايدن الشراكة عبر المحيط الهادئ، ثم في عام ٢٠١٩ أخبر مجلس العلاقات الخارجية أن "الفكرة الكامنة وراءها كانت فكرة جيدة". وخلال الانتخابات التمهيدية للديمقراطيين، قال إنه سيحاول إعادة التفاوض بشأن الشراكة عبر المحيط الهادئ ومعالجة المخاوف التي أثارها بعض الديمقراطيين، بما في ذلك عن طريق إضافة حماية للعمال والبيئة[٢٠].

٢- اليونسكو

لم تقدم الولايات المتحدة أي تمويل إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) -الوكالة التي اشتهرت بتصنيف مواقع التراث العالمي- منذ عام ٢٠١١ بسبب اعتراف الهيئة بالأراضي الفلسطينية. وقد سحب ترامب عضوية الولايات المتحدة بالكامل مشيرًا إلى مخاوف مماثلة. وسيحتاج بايدن إلى موافقة الكونجرس لاستئناف تمويل اليونسكو[٢١].

---

(١٧) إشادة فلسطينية وتنديد إسرائيلي بقرار واشنطن إعادة فتح قنصليتها بالقدس، اندبنتت عربية، ٢٦ مايو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٨ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3iVyGTC

(١٨) عمر علاء، ٩ اتفاقيات ومنظمات دولية انسحبت منها الولايات المتحدة في عهد ترامب، ١٣ نوفمبر ٢٠٢٠، مرجع سابق.

(19) Lindsay Maizland, Biden's First Foreign Policy Move: Reentering International Agreements, Council on Foreign Relations, 21 January 2021, Accessed: 3 June 2021, https://cutt.us/gubX8

(٢٠) الخطوة الأولى في السياسة الخارجية لبايدن: إعادة الدخول في الاتفاقيات الدولية، البيان، ٣١ يناير ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٦ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/CkGWv

(٢١) انظر على سبيل المثال: انسحاب الولايات المتحدة من اليونسكو لأنها "معادية لإسرائيل"، فرنسا ٢٤، ١٢ أكتوبر ٢٠١٧، تاريخ الاطلاع: ٢٦ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ksAQI

وأشارت إدارة ترامب إلى مزاعم بوجود صراعات تدور حول تسمية مواقع التراث الثقافي العالمي –التي قالت الولايات المتحدة وإسرائيل إنها تجاهلت الروابط التاريخية اليهودية عل حد وصفهم– كسبب للانسحاب من اليونسكو. كما أن تسمية المواقع تمس أيضًا قضايا أعمق تخص السيادة الدولية بإعلان مدينة الخليل القديمة والحرم الإبراهيميّ مواقع فلسطينية بحسب زعمهم.

وفي أكتوبر ٢٠١٧، رافقت الولايات المتحدة إسرائيل وأعلنتا الانسحاب من منظمة اليونسكو، بسبب انحياز المنظمة ضد إسرائيل، على حد زعمهم، وطالبت الولايات المتحدة "بإصلاح جذري" في الوكالة التي اشتهرت ببرنامج التراث العالمي لحماية المواقع والتقاليد الثقافية. ووصفت مدير عام المنظمة، الانسحاب بأنه"خسارة"، ودخل القرار حيز النفاذ في ٣١ ديسمبر من عام ٢٠١٨.

ومن الجدير بالذكر أن تلك ليست المرة الأولى التي تنسحب فيها واشنطن من المنظمة بل سبق ذلك انسحابها من اليونسكو عام١٩٨٤ في عهد الرئيس رونالد ريجان، وانضمت إليها مرة أخرى عام ٢٠٠٢ في عهد جورج دبليو بوش. وعلى الرغم من أنه تم تجميد المساهمات الأمريكية في المنظمة لمدة تسع سنوات في ظل إدارة أوباما– بايدن، إلا أن الولايات المتحدة احتفظت بعضويتها.

٣– معاهدة تجارة الأسلحة

ألغى ترامب توقيع الولايات المتحدة على معاهدة تجارة الأسلحة، وهي اتفاقية تحدد المعايير العالمية للتجارة الدولية للأسلحة التقليدية. وقد وقع أوباما على المعاهدة في عام ٢٠١٣، لكن مجلس الشيوخ لم يصوت أبدًا على الموافقة عليها، مما جعل الولايات المتحدة واحدة من الدول القليلة التي وقعت على المعاهدة ولم تصدق عليها. ويمكن أن يعيد بايدن التوقيع عليها، لكن من المرجح أن يواجه معارضة مجلس الشيوخ للتصديق[٢٢].

هذه العودة المحتملة للمنظمات الدولية –في حال تحققها– ستسعى لمزيد من مصالح الولايات المتحدة سواء كانت تجارية في حالة الشراكة عبر المحيط الهادئ، أو سياسية وثقافية لدعم الحلفاء كإسرائيل في منظمة اليونسكو، أو استراتيجية أمنية كما في حالة معاهدة تجارة الأسلحة في مواجهة الصين وروسيا.

خاتمة

من الناحية العملية، فإن عودة الولايات المتحدة للمنظمات والاتفاقيات الدولية تدل على أن المبدأ أو السياسة التي عنون بها بايدن سياسته الخارجية وهي "أمريكا عادت" هو الموجه لسياسات إدارته على الساحة العالمية، وهي عودة من أجل المصالح الأمريكية وضد الأعداء والخصوم والمنافسين، خصوصًا الصين وروسيا.

فالولايات المتحدة عادت لمنظمة الصحة العالمية بالأساس حتى لا تترك هذه الساحة المهمة، والتي تزايدت أهميتها مع جائحة كورونا، للصين دون أن تستخدمها لمصلحتها وضد بكين خصوصًا بالنظر للظروف التي أحاطت بمنشأ فيروس كورونا.

كما أن العودة الأمريكية لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة تمكنها من استغلال المجلس ضد الصين وروسيا وغيرهم بإثارة قضايا وملفات حقوق الإنسان الممتلئة بالانتهاكات من أطراف عديدة، مع الدفاع عن سجلها الذي لا يخلو من انتهاكات.

ومدّدت الولايات المتحدة، معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية (ستارت الجديدة) الموقعة مع روسيا لمدة خمس سنوات لتنجو من المصير الذى لقيته معاهدة "الأجواء المفتوحة". فقد أصر الرئيس الأمريكي جو بايدن على البقاء خارج معاهدة "الأجواء المفتوحة" للمراقبة العسكرية، وذلك لإظهار حزمه في مواجهة روسيا

(٢٢) انظر على سبيل المثال: دونالد ترامب يعلن انسحاب بلاده من المعاهدة الدولية للأسلحة، فرنسا ٢٤، ٢٧ أبريل ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ٢٦ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/aXJTJ

بعد خطوات عدة تُظهر انفتاحًا في إطار إبداء الحزم والمرونة في التعامل مع روسيا.

ومن أهم دلالات عودة الولايات المتحدة لعدد من المنظمات الدولية والاتفاقيات االدولية؛ أن هذه القوة الكبرى تسعى بكل السبل إلى أن تكون قادرة على تحقيق أهدافها سواء في مكافحة أي تهديدات عسكرية أو سياسية أو توفير بيئة صحية لها وللعالم (وفق رؤيتها وأولوياتها) أو الحصول على مكاسب تجارية.

وثمة دلالة أخرى أساسية تتمثل في أن قوة الولايات المتحدة ما زالت تمكنها من حساب يتسم بالحرص والدقة لوزن التكلفة والمنفعة من انخراطها في التعاون الجماعي الدولي، وأن تكون انتقائية فيما يخص شروط وظروف هذا الانخراط والاشتباك مع المنظمات الدولية

ومن ثم، فإن عودة الولايات المتحدة للمنظمات الدولية والاتفاقيات الدولية تحمل دلالة مهمة مفادها أنها لا تفضل أن تكون منعزلة تمامًا عن المنظمات الدولية ولا أن تقبل بالانخراط فيها دون شرط، بل هي تفضل أن تكون مواقفها تتسم بأنها داعمة أداتيًا للتعاون الدولي الجماعي Instrumental Multilateralism.

يُضاف على ذلك أن قرارات الولايات المتحدة بالتعاون في المحافل متعددة الأطراف دوليًا ترتبط بالدرجة الأولى بالمدى الذي ينظر فيه إلى هذه المنظمات من قبل الجهات الفاعلة المحلية الأمريكية المهمة على أنها وسيلة فعالة وملائمة لتعزيز أهداف أمريكا. كما أن الإدارات الأمريكية، بغض النظر عن كونها جمهورية أو ديمقراطية، تسعى دوما إلى أن تعمل المنظمات الدولية والاتفاقيات الدولية التى تعد الولايات المتحدة طرفًا فيها في إطار القيود والشروط المباشرة وغير المباشرة التي تفرضها الانتقائية والذرائعية الأمريكية.

وهذه العودة تشير إلى أن إدارة بايدن ترى كلفة العزلة عن مؤسسات التعاون الدولي ممثلا في المنظمات والاتفاقيات الدولية أعلى بكثير من أعباء المشاركة فيها، وأن العائد الذي تناله من المشاركة في تلك المنظمات والاتفاقيات يفوق التكاليف والجهود المستثمرة فيها.

ويمكن القول إن المحك في تفضيل الولايات المتحدة للعمل الدولي الجماعى من عدمه يتخلص في حساب التكلفة والعائد كما عبر عنه جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق: "ستكون التكاليف أكبر بكثير، وكذلك المخاطر السياسية، المحلية والدولية، إذا انتهى بنا الأمر بمفردنا"، جاء هذا قُبيل عقد التحالف الدولي لمواجهة غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠. **ومن الواضح أن تعددية بيكر هي تحليل للتكلفة والعائد، وليست التزامًا مبدئيًا بالعمل متعدد الأطراف باعتباره حجر الزاوية للنظام العالمي، فصلب حجة الأمريكين أنصار العمل الجماعي متعدد الأطراف على الساحة الدولية براجماتي فهي عمل جماعى على الطريقة الأمريكية**(٢٣).

والخلاصة أن عودة الولايات المتحدة للعديد من المنظمات والاتفاقيات الدولية مع بداية إدارة بايدن تعني فصلا جديدًا مكررًا من سعى الإدارات الأمريكية لتحقيق مصالحها من خلال المشاركة الفعالة على الساحة العالمية في مواجهة الأعداء والخصوم والمنافسين، وبصفةٍ خاصة الصين وروسيا. وهذه العودة هي نتيجة لحساب التكلفة والعائد بحسب رؤية إدارة بايدن، ويأتي بعد ذلك وفي مرتبة تالية سعي بايدن لترميم مكانة الولايات المتحدة الأمريكية دوليًا وصورة الدبلوماسية الأمريكية التي بدت أخشن من اللازم في ظل إدارة ترامب، فهي عودة بقفاز ناعم لتحقيق المصالح الأمريكية.

*****

(23) Robert Kagan ,Multilateralism, American Style, Carnegie, 13 September 2002, Accessed: 6 June 2021, https://cutt.us/DxU5P

المواقف الأوروبية الأمريكية من روسيا والصين منذ بدء إدارة بايدن وردود الأفعال

يارا عبد الجواد*

مقدمة:

يترقَّب العالم منذ انتهاء إدارة دونالد ترامب ووصول بايدن إلى البيت الأبيض تغيرات على مستويات عدة، فالكثير من الأسئلة التي تدور حول سياسة الولايات المتحدة الخارجية وموقفها من مجموعة من القضايا البارزة على الساحة العالمية، تطرح نفسها يومًا بعد يوم تنتظر إجابات حاسمة، وفي هذا السياق الضبابي يأتي السؤال الأهم والذي يتعلَّق بالريادة الأمريكية في العالم وموقع الولايات المتحدة من توازن القوى العالمي خاصة مع صعود الصين وروسيا وبعد انتهاء إدارة أمريكية اتخذت من سياسة "أمريكا أولًا" إستراتيجية لها مما كان له عظيم الأثر على سياسات وأدوات قيام الولايات المتحدة بدورها العالمي ولاتجاهها نحو الأحادية بدلًا من التعددية.

وبالنظر إلى أجندة السياسة الخارجية الأمريكية نجد أن الصين تحظى بالمركز الأول في سلم أولويات الولايات المتحدة، ثم التهديد الروسي الذي يعدُّ مصدر قلق رئيسي للولايات المتحدة وللدول عبر الأطلسي، وفي هذا السياق تعمل الإدارة الأمريكية الجديدة على توحيد الحلفاء في مقابل التهديد الصيني والروسي، إلا أن هذا المسعى الأمريكي يواجه تحديًا كبيرًا حيث تشهد العلاقات الأمريكية–الأوروبية منعطفات جديدة تأثُّرًا بسياسات ترامب غير المألوفة مع الحليف الأوروبي والتي أضرَّت بصورة الولايات المتحدة لدى أوروبا، هذا فضلًا عن ما تشهده القارة الأوروبية من انشقاقات داخلية واختلافات في التوجُّهات تجعل من إعادة إحياء العلاقات بينها وبين الولايات المتحدة أمرًا أكثر صعوبة.

في ظل هذا المشهد العالمي الذي يشهد اضطرابًا في توازنات القوى، يأتي هذا التقرير لإمعان النظر في المواقف الأوروبية–الأمريكية تجاه القوى المنافسة للهيمنة الأمريكية المتمثِّلة في الصين وروسيا، وكيف تسير العلاقة بين هذه الأقطاب وما الأسئلة التي يطرحها الواقع منذ وصول بايدن إلى سُدَّةِ الحكم وحتى وقتنا الحالي، وفي هذا السياق سوف يحاول التقرير الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي تدور حول مصادر التهديد من جانب روسيا والصين، ومناطق الاختلافات والاتفاقات بين الحليفين الغربيين (أوروبا وأمريكا) على توجُّهات وسياسات التعامل مع روسيا والصين، وأدوات وعناصر قوة كلٍّ من روسيا والصين وتأثيرها على العلاقات الأوروبية–الأمريكية، وسوف يتم الإجابة عن هذه الأسئلة في ثلاثة أجزاء، حيث يتناول الجزء الأول العلاقات الأوروبية–الأمريكية بين إدارة ترامب وإدارة بايدن، ثم الجزء الثاني الذي يتضمَّن الحديث عن القدرات الروسية–الصينية، ثم يأتي الجزء الثالث والأخير ليتناول العلاقات الأوروبية–الأمريكية حول روسيا والصين.

أولًا– العلاقات الأمريكية–الأوروبية بين ترامب وبايدن

على الرغم من الترحيب الأوروبي بفوز جو بايدن برئاسة الولايات المتحدة إلا أن العلاقات الأوروبية–الأمريكية ما زالت تمرُّ بتوتُّرٍ شديد ومستقبل غامض خاصَّة بعد إدارة دونالد ترامب التي أساءت لعلاقة الولايات المتحدة بحليفها القديم والتاريخي، نظرًا لسياسته التي اتَّخذت من فكرة "أمريكا أولا" شعارًا لها، هذا إلى جانب مواقفه من بعض القضايا التي تقع ضمن الاهتمام الأوروبي كالتغيُّر المناخي والخروج من الاتفاق النووي الإيراني وغيرها، مما يجعل توقُّعات الجانب الأوروبي من الولايات المتحدة منذ وصول بايدن محاطًا بالقلق، وهذا لا يعود فقط إلى التخوُّف من الآثار التي خلَّفتها إدارة ترامب في العلاقة بين الطرفين الأمريكي والأوروبي بل في سياق أوسع يعود الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك، فالعلاقات الأوروبية–الأمريكية مرَّت بتحوُّلات عدَّة على مدار العقود الثلاثة

* باحثة في العلوم السياسية.

الماضية أي بعد انتهاء الحرب الباردة بشكل يوحي بأنها لم تكن على طريق ممهدة تمامًا قبل ترامب.

حيث واجهت العلاقات الأوروبية-الأمريكية مجموعة كبيرة من التحديات تمثَّل بعضها في أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والغزو الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ والكساد الكبير ٢٠٠٨ وملف الهجرة واللجوء، إلى غير ذلك من الصعوبات التي أثرت على العلاقة بين الحليفين سلبًا وإيجابًا.

إلا أن التحديات في السنوات الأخيرة شكَّلت نقطة تحوُّل فارقة نتيجةً لما تشهده أوروبا من انشقاقات داخلية انعكست في خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، فضلًا عن صعود الشعبوية في مجموعة من الدول الأوروبية، إلى جانب دعوة بعض الدول – كالمجر – إلى تبنِّي نماذج أخرى من الديمقراطية كالديمقراطية غير الليبرالية (Illiberal democracy)، وأتى هذا متزامنًا مع صعود ترامب وتولّيه رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ورفع شعار "أمريكا أولًا" ضمن سياسة أساءت للكثير من القيم التي تروِّج لها الولايات المتحدة، مما أفضى إلى تصدُّع في العلاقات عبر الأطلسية وصولًا إلى أن أصبح النظام الدولي الذي يُهيمن عليه النموذج الغربي الليبرالي الرأسمالي مهدَّدًا وكذلك الديمقراطية الغربية، نتيجة لتغيُّر الصورة الذهنية العالمية لهذا النموذج فضلًا عن ما يشهده العالم من صعود قوًى تقدِّم نموذجًا سياسيًّا واقتصاديًّا مختلفًا تتمثل بشكل رئيسي في الصين وروسيا[٢٤].

لقد ساهم ترامب بشكل كبير على مدار السنوات الأربع التي تولَّى فيها الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية في تدهور العلاقات مع الاتحاد الأوروبي، الحليف الأهم تاريخيًّا للولايات المتحدة، حيث لم يراعِ الرئيس ترامب المصالح الأوروبية في عدَّة ملفات من بينها الاتفاق النووي مع إيران، واتفاقية باريس للمناخ، والأزمة الليبية، بالإضافة إلى التهديد بالخروج من حلف الناتو وسحب القوات الأمريكية من القواعد الأوروبية، بالإضافة إلى اهتمامه الضئيل بالمؤسسات الدولية متعدِّدة الأطراف ضمن سياق إستراتيجية "أمريكا أولا" ممَّا شكَّل ضغطًا كبيرًا على العلاقة عبر الأطلسي (Translantic relations)[٢٥]، وكذلك دعمه للأحزاب والحكومات الشعبوية الأوروبية وكل ما هو ضد الاتحاد الأوروبي ودعمه البريكست[٢٦].

على صعيد آخر مثَّلت فترة رئاسة ترامب فرصة لأوروبا كي تتَّحد حول الدفاع عن نفسها خارج مظلَّة حلف الناتو والقواعد العسكرية الأمريكية، لكن الانقسام الأوروبي الداخلي ما زال يحول دون ذلك، فعلى الرغم من هجوم الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون على حلف الناتو ووصفه "بالميت" إلا أن دول شرق أوروبا ما زالت تريد الاكتفاء به مما يدل على وجود توجُّهات مختلفة داخل القارة الأوروبية بشأن قضايا مركزية[٢٧].

في المقابل يحاول بايدن منذ وصوله إلى سُدَّة الحكم اتخاذ خطوات سريعة في سبيل إعادة إحياء العلاقة والوحدة مع أوروبا وتضمَّن ذلك العودة إلى اتفاق باريس للمناخ وكذلك الانضمام إلى منظمة الصحة العالمية ومبادرة لقاح COVAX العالمية، وأعاد التمويل الأمريكي إلى صندوق الأمم المتحدة للسكان، ورفع العقوبات التي كانت مفروضة في عهد ترامب على مسؤولي المحكمة الجنائية الدولية، وعاد إلى ترتيبات الحدِّ من الأسلحة متعدِّدة الأطراف مع روسيا، وأعاد الانخراط في منتديات متعدِّدة الأطراف مثل G7 و G20، مع التعهُّد بانضمام الولايات المتَّحدة مرة أخرى إلى الاتفاق النووي الإيراني بالإضافة إلى تأكيده على تعددية

(24) Jackson Janes, Translantic relations under US president Joe Biden, Springer, 29 March 2021, available at: https://cutt.us/RpnEP

(٢٥) محمد منصور، مروة عبدالحليم، محمد حسن، من ترامب إلى بايدن: الطريق نحو الأمن القومي الأمريكي، المركز المصري للفكر والدراسات الإستراتيجية، ١٥ فبراير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/p0q7l

(٢٦) بهاء محمود، العلاقات الأوروبية-الأمريكية في ظل رئاسة جو بايدن، مركز الإمارات للسياسات، ٢٠ يناير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/bEr7x

(٢٧) محمد منصور، مروة عبدالحليم، محمد حسن، من ترامب إلى بايدن الطريق نحو الأمن القومى الأمريكى، مرجع سابق.

الأطـراف في العلاقـات الدوليـة (Multilaterism) وحقـوق الإنسان، وتأكيده على مبدأ الدفاع المشترك ضمن تذكيره بالمبادئ التي أُسِّسَ عليها حلف الناتو الذي هدَّد ترامب بالخروج منه.

كما شارك وزير الخارجية الأمريكية أنتوني بلينكن في اجتماع مجلـس الشـؤون الخارجيـة للاتحـاد الأوروبي في بروكسـل في فبرايـر ٢٠٢١، حيث تمَّت مناقشة مجموعة واسعة من الموضوعات، في اجتماعين وزاريَّين لحلف الناتو، وشارك أيضًا في الاجتماع الوزاري لمجموعة السبع في لندن، بالإضافة إلى مشاركته في تنسيقات ثنائية وإقليمية أصغر مع دول أوروبية فردية. وفي خطوة استثنائية، انضمَّ بايدن إلى اجتماع مجلس الاتحاد الأوروبي في مارس ٢٠٢١ وهي المرة الأولى التي يشارك فيها رئيس أمريكي في مثل هذا الاجتماع منذ جورج دبليو بوش في عام ٢٠٠١[٢٨].

ويأتي هذا في سياق رغبة بايدن في الاتحاد مع أوروبا ضدَّ روسيا والصين، حيث أكَّد بايدن في كلمته التي ألقاها في مؤتمر ميونخ للأمن على ضرورة توحيد الصف الديمقراطي الغربي في مقابل الآخر غير الديمقراطي المتمثِّل في روسيا والصين، وأن النموذج الديمقراطي الغربي لا يجب أن يكون من بقايا التاريخ[٢٩].

وفي التاسع من يونيو ٢٠٢١ توجَّه الرئيس جو بايدن لحضور قمة مجموعة السبع ولقاءات في حلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي بهدف طمأنة الحلفاء وتوجيه تحذير إلى روسيا والصين، حيث كتب بايدن "رحلتي إلى أوروبا تشكِّل مناسبة لأمريكا، لكي تحشد الديمقراطيات في كلِّ أنحاء العالم"، وطرح نفسه لاعبًا أساسيًّا فيما وصفه بأنه صراع قوة عقائدي في مواجهة "الأنظمة السلطوية"، وفي مقدِّمتها الصين، وفي هذا السياق قال رئيس المجلس الأوروبي شارل ميشيل مرحِّبًا بزيارة الرئيس الأمريكي ومشيدًا بهذه الخطوات "إن زيارة الرئيس الأميركي جو بايدن لأوروبا بمثابة مؤشِّرٍ على نجاة العمل متعدِّد الأطراف من سنوات حكم سلفه دونالد ترمب، وستُرسي أسس التعاون عبر المحيط الأطلسي، لمواجهة تحديات عديدة، بدءًا من الصين وروسيا وانتهاءً بتغير المناخ"[٣٠].

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من هذه الرسائل الإيجابية التي يُطلقها بايدن إلَّا أن الاتحاد مع أوروبا في حَدِّ ذاته لا يُعَدُّ من أولويات الولايات المتحدة الآن، حيث تشير بعض التحليلات إلى أن عودة العلاقات الأمريكية–الأوروبية بمثابة ضمان للولايات المتحدة أن أوروبا أقرب لواشنطن منها إلى الصين وذلك لأن أوروبا –وخاصة ألمانيا– اختارت استمرار دعم العلاقات مع الصين على الصعيد الاقتصادي بالرغم من أزمة العلاقات التجارية الحادَّة بين ترامب والصين –المنافس الأكبر للولايات المتحدة– والتي تمثل أولوية على أجندة السياسة الخارجية الأمريكية حاليًّا[٣١]. وفي هذا الصدد يقول بنجامين حداد "نتحدث كثيرًا عن عودة أمريكا هناك خطاب إيجابي، لكن يجب الآن الانتقال إلى الأفعال".

وينعكس هذا الملمح في عدم مبادرة إدارة بايدن إلى اعتماد مبدأ المعاملة بالمثل على إثر قرار الاتحاد الأوروبي إعادة فتح أبوابه أمام المسافرين الأمريكيِّين، بالإضافة إلى الطريقة التي أعلن فيها بايدن الانسحاب من أفغانستان من دون مشاورات فعلية مسبقة، وفي هذا الصدد يقول الباحث الفرنسي "أصبحت أوروبا أقل محورية بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية، مقارنة عما كانت عليه قبل ٢٠ أو ٣٠ عامًا"[٣٢].

(28) Eric Brattberg, Transatlantic Relations After Biden's First 100 Days, Carnegie, 6 May 2021, available at: https://cutt.us/4mpQs

(29) Michael Crowley and Steven Erlanger, Biden's Plan to Link Arms With Europe Against Russia and China Isn't So Simple, The New York Times, 18 February 2021, available at: https://cutt.us/8g1e6

(٣٠) رسائل متعددة يطلقها بايدن من أوروبا، إندبندنت عربية، ٨ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/PGj5x

(31) Biden's world: How key countries have reacted to the president's first 100 days, The Guardian, 30 April 2021, available at: https://cutt.us/oMLgj

(٣٢) رسائل متعددة يطلقها بايدن من أوروبا، إندبندنت عربية، مرجع سابق.

هذا التوجُّه الأمريكي لإعادة ترميم العلاقة مع أوروبا تقف أمامه مجموعة من العوائق يتمثل أهمها في انشقاق الصف الأوروبي الذي تغيَّرت نظرته للولايات المتحدة باعتبارها الحليف الأهم والأقوى في مقابل التوجُّه نحو الصين وروسيا، فبالرغم من ترحيب الأوروبيّين بفوز بايدن في الانتخابات الرئاسية في نوفمبر ٢٠٢٠ إلا أنهم لا يرون فيه القائد العالمي الذي سيعيد الولايات المتحدة إلى مكانتها العالمية، حيث تشير نتائج بعض استطلاعات الرأي التي أجريت في مجموعة من الدول الأوروبية أن نظرة الأوروبيّين تجاه الولايات المتحدة طرأت عليها تغيُّرات هائلة، حيث يرون أن النظام السياسي الأمريكي قد تحطَّم وأن الصين ستُصبح أكثر قوة خلال العقد القادم، وأن الولايات المتحدة لا يُعتمد عليها لحماية أوروبا(٣٣).

ثانيًا– الصين وروسيا: تهديد متصاعد وتغيُّرات في موازين القوة

تُشكل الصين التحدِّي الدولي الأكثر إرباكًا للولايات المتحدة، فعلى عكس الاتحاد السوفيتي السابق والذي كان معزولًا اقتصاديًّا ومقيَّدًا من الناحية التكنولوجية؛ فإن الوضع التنافسي الحالي مع بكين، وما تمتلكه من الموارد اللازمة لتنمو بشكل أكبر وأسرع وأقوى من واشنطن؛ يفرض على الرئيس جو بايدن وضع إستراتيجية متكاملة في مواجهة ذلك الصعود الصيني الذي قد يغير شكل النظام العالمي.

فبكين حاليًّا هي ورشة التصنيع الأولى في العالم، والشريك التجاري الأول لمعظم الدول، بما في ذلك اليابان وأستراليا وحتى ألمانيا. وقد تعمقت الصين خلال السنوات الماضية في كيفية استغلال الأدوات الجيواقتصادية وتوظيفها لصالح تحقيق الأهداف الجيوسياسية الخاصة بها. وإذا كانت الولايات المتحدة القوة العسكرية الرائدة في العالم، فإن الصين سجلت خلال العقد الماضي أقوى قوة عسكرية في آسيا، بل إن ميزانية الدفاع لبكين الآن أضحت تقترب من ستة أضعاف ميزانية طوكيو، وحوالي أربعة أضعاف ميزانية نيودلهي. وعلى عكس الولايات المتحدة التي تمتلك التزامات عسكرية عالمية، فإن جهود الصين الدفاعية تتركَّز بشكل أساسي على حدودها ومياهها الإقليمية، الأمر الذي حوَّل ميزان القوة العسكرية لصالحها، خاصة في المناطق الأكثر اشتعالًا والتي تمتلك فيها بكين ميزة نسبية، وعلى الأخص في منطقة مضيق تايوان.

كما أصبحت الصين منافسًا تقنيًّا حقيقيًّا للولايات المتحدة الأمريكية في المجال التكنولوجي، بل إن أغلب التوقُّعات أضحت تتوقَّع أن يأخذ النزاع التجاري بين الولايات المتحدة والصين منحًى آخر، بحيث ينتقل النزاع من التجارة إلى التكنولوجيا، ويعد الذكاء الاصطناعي من المجالات الأكثر احتمالًا لأن تشهد منافسة حادَّة بين الجانبين، هذا إلى جانب ما حقَّقته الصين من خطوات متقدِّمة في مجال شبكات الجيل الخامس G5، وانعكاس ذلك على تكنولوجيا الاتصالات والخدمات المالية.

إن الوضع الاقتصادي الحالي للصين يمنحها ميزة تنافسية في مواجهة الولايات المتحدة مما يجعلها قادرة على تمويل ميزانيات الدفاع والاستخبارات بشكل قد يكون أكبر مما تخصِّصه الولايات المتحدة الأمريكية في المقابل(٣٤).

على صعيد آخر تعمل الصين على مشروع توسُّعي إستراتيجي من خلال مبادرة "الحزام والطريق" وهي مبادرة صينية قامت على أنقاض طريق الحرير القديم تهدف إلى ربط الصين بالعالم عبر استثمار مليارات الدولارات في البنى التحتية على طول طريق الحرير الذي يربطها بالقارة الأوروبية ليكون أكبر مشروع بنية تحتية في تاريخ البشرية، ويشمل بناء مرافئ وطرقات وسككًا حديدية ومناطق صناعية، وتشارك في هذا المشروع العملاق ١٢٣ دولة،

(33) Ivan Krastev and Mark Leonard, The crisis of American power: How Europeans see Biden's America, European Council On Foreign Relations, 19 January 2021, available at: https://cutt.us/rw5gG

(٣٤) جراهام أليسون، عشرة تحديات تواجه إدارة الرئيس الأمريكي الجديد، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة،٢٠ يناير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ODVOM

حيث تريد الصين من خلاله تسريع وصول منتجاتها إلى الأسواق العالمية[٣٥].

وتسعى هذه المبادرة الضخمة بشكل كبير إلى تعزيز النفوذ العالمي للصين من شرق آسيا إلى أوروبا من خلال جعل الدول في جميع أنحاء العالم تعتمد بشكل متزايد على الصين، وفي هذا السياق يقول الدكتور موردخاي شازيز مؤلف كتاب "دبلوماسية الصين في الشرق الأوسط: الشراكة الإستراتيجية للحزام والطريق": إنه من الناحية الإستراتيجية، تكشف مبادرة الحزام والطريق عن سعي الصين إلى إسقاط الهيمنة الغربية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط سلميًّا، وأن العلاقة بين مبادرة الحزام والطريق والشراكات الإستراتيجية التي توجدها في المنطقة تسمح لها بالسيطرة تدريجيًّا على المنطقة دون خلق توترات مع الولايات المتحدة أو الغرب" أي إن هذه المبادرة تعد خطة صينية متطوِّرة لنقل الهيمنة من الغرب والولايات المتحدة إلى الصين دون حرب أو صراع[٣٦].

وبناء على ذلك، يتعيَّن على واشنطن اجتذاب دول أخرى ذات ثقل إلى جانبها لإحداث التوازن في ميزان القوة العالمي لصالحها. لكن هذا سيكون أكثر تحديًا مما كان عليه الأمر خلال الحرب الباردة. حيث إنه أصبح لكلِّ حليف محتمل وفقًا للوضع الحالي اهتماماته وأولوياته، والتي قد لا تكون الولايات المتحدة الأمريكية في موضع الصدارة منها، حيث تضاعفت أهمية الصين الاقتصادية خلال الآونة الأخيرة بالنسبة للأعداء والحلفاء، ومن ثم فإن الحلفاء قد يصطفون حول الولايات المتحدة ضد الصين، فيما يتعلَّق ببعض القضايا الأمنية، بينما يصبحون أكثر تشابكًا مع الصين في القضايا الاقتصادية، وليس أدلَّ على ذلك من توقيع اتفاقية الشراكة الاقتصادية الإقليمية الشاملة (R.C.E.P)، حيث يعمل هذا الاتفاق على إنشاء منطقة تجارة حرة بين (الصين، واليابان، وكوريا الجنوبية، ودول رابطة الآسيان العشرة، وأستراليا، ونيوزيلندا)، وذلك سعيًا لتقليص الحواجز التجارية بين هذه الدول، وهو ما يخلق إطارًا مشتركًا للتعاون الاقتصادي بينها. وينطبق الأمر ذاته على توقيع اتفاق التجارة والاستثمار بين الصين والاتحاد الأوروبي، وهذا ما يشكِّل تحديًا كبيرًا تواجهه الآن إدارة بايدن في محاولة تعزيز علاقتها بالاتحاد الأوروبي[٣٧].

على صعيد آخر تشكِّل روسيا تهديدًا مركزيًّا للولايات المتحدة ولحلف شمال الأطلسي بوجهٍ عام يتمثَّل بشكل رئيسي في عدم اتِّباع روسيا لقواعد النظام الدولي، وفي هذا السياق يؤكِّد بوتين منذ سنوات أنه يريد نظامًا دوليًّا مختلفًا يناسب المصالح الروسية.

وتمثِّل روسيا مصدر تهديدٍ أمنيٍّ كبير، حيث تملك كميات ضخمة من الأسلحة التقليدية ولديها قوة عسكرية احتياطية هائلة، بالإضافة إلى كونها مصدر ازعاج للمصالح الأمريكية في سوريا وليبيا وإيران[٣٨].

هذا فضلا عن التهديد والهجمات السيبرانية ونشر المعلومات المضللة واختراق العمليات الانتخابية في الولايات المتحدة وفي عدد من الدول الأوروبية، وهو ما ركَّز عليه بايدن، حيث تمَّ تأكيده من خلال ذكر كلمة "سيبراني" ٢٥ مرة في البيان النهائي الأخير لقمة حلف شمال الأطلسي التي عُقدت في الثالث عشر من يونيو ٢٠٢١، فقد وقَّعت الدول الأعضاء في الحلف على "سياسة دفاع سيبراني شاملة"، تؤكِّد على أن الهجوم السيبراني، لو كان فادحًا بما فيه الكفاية، يمكن أن يكون سببًا لتفعيل البند الخامس

(٣٥) من الصين للعالم: كل ما تود معرفته عن طريق الحرير الجديد، الجزيرة.نت، ٢٤ أبريل ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/BvyFC

(٣٦) "الحزام والطريق" إستراتيجية الصين للهيمنة على الشرق الأوسط، دويتشه فيله، ٢٨ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://p.dw.com/p/3sg9L

(٣٧) جراهام أليسون، عشرة تحديات تواجه إدارة الرئيس الأمريكي الجديد، مرجع سابق.

(38) Alexis Mrachek, Yes Russia Is a Threat to the United States, News Week, 21 April 2021, available at: https://cutt.us/KaJLy

من ميثاق الحلف، والذي يعتبر أي هجوم على عضو في الحلف بمثابة هجوم على الحلف بأكمله[٣٩].

من ناحية أخرى، تشهد العلاقات الصينية-الروسية تقاربًا بشكل كبير؛ وهو ما يزيد من نفوذهما، وفي هذا الإطار اجتمع وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف مع نظيره وانغ يي، واتفقا على الوقوف بحزم ضد العقوبات الغربية وتعزيز العلاقات بين البلدين لتقليل اعتمادهما على الدولار الأمريكي في التجارة، وفي هذا السياق أكَّد لافروف قائلا: "كلانا يعتقد أن للولايات المتحدة دور في زعزعة الاستقرار، حيث إنها تعتمد على التحالفات العسكرية للحرب الباردة وتحاول إقامة تحالفات جديدة لتقويض النظام العالمي"[٤٠].

ومما تجدر الإشارة له أن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أن العلاقات الروسية-الصينية شهدت الكثير من التعقيدات والتقلبات بين تحالف وتنافس وصولًا إلى بعض النزاعات المحدودة، إلَّا أن مؤشِّرات العلاقة الاقتصادية بين البلدين تتطوَّر بشكل إيجابي، هذا بالإضافة إلى تمكُّن الجانبين من تجاوز خلافات أساسية أبرزها نزاعهما الحدودي، كما جمعتهما أيضًا دبلوماسية التضامن على الساحة الدولية في مواجهة سياسة العقوبات الغربية، والرغبة الثنائية في الحدِّ من تأثير التفرُّد الأمريكي في قيادة العالم، إلا أن هذا لا يلغي المخاوف بين البلدين، فبالنسبة إلى روسيا، هناك مجموعة من المخاوف حول مستقبل العلاقة مع الصين. ففي آسيا الوسطى على سبيل المثال، تتمدَّد الصين في منطقة نفوذ روسية تقليدية، وعلى صعيد آخر تخشى الصين من طبيعة النخبة الروسية الحاكمة وتوجُّهاتها المستقبلية، ولا سيما ما يسمِّيه الصينيُّون "الجناح الليبرالي الغربي في أروقة صنع القرار بموسكو" إلى جانب بعض الهواجس الأخرى، الأمر الذي يشير إلى أن التقارب الروسي-الصيني تحكمه المصالح القريبة، وسياسات الضغوط والعقوبات الأمريكية تعدُّ أحد أهم العوامل التي أدَّتْ إلى دفع الجانبين إلى تعزيز علاقاتهما[٤١].

ثالثًا- المواقف الأمريكية-الأوروبية من روسيا والصين: اختلافات ومصالح مشتركة

لقد استمرَّ بايدن في الاتجاه المتعسِّف الذي تبنَّته إدارة ترامب ضد الصين، وإن كانت إدارته تدرس رفع بعض القيود التي كانت سائدة في عهد ترامب، مثل الأمر التنفيذي بمنع مشغِّلي الشبكات الأمريكية من شراء معدَّات من الصين، إلَّا أنه بشكل عام يبدو مستمرًّا على هذا النهج التعسُّفي، حيث الاستمرار في فرض العقوبات على بعض المسؤولين الصينيِّين وعلى بعض الشركات الصينية الكبرى.

لقد أيَّدت إدارة ترامب استمرار العقوبات المفروضة على روسيا وأفعالها في أوكرانيا، واتَّخذت موقفًا واضحًا ضدَّ خط أنابيب نورد ستريم ٢، وعلى هذا النهج الحازم يسير أيضًا جو بايدن تجاه موسكو، بل أصبح نهجه الآن أكثر عدائيَّةً، حيث وصف بايدن روسيا صراحة بأنها "خصم" كما أن إدارته صعَّدت من خطابها المناهض لروسيا بعد إصدار تقرير استخباراتي خصَّ موسكو بتدخُّلها في الانتخابات الأمريكية[٤٢].

لقد أكَّد الرئيس جو بايدن أن الصين منافس إستراتيجي، مشيرًا إلى أن التنافس بين الولايات المتحدة والصين هو سمة هيكلية للعلاقات الدولية في السنوات القادمة، ومن هنا تسعى الولايات المتحدة إلى إنشاء تحالفات من الديمقراطيات للردِّ على نفوذ الصين المتزايد، بما في ذلك الهند واليابان وأستراليا في المحيطين الهندي

(٣٩) قمة بايدن وبوتين.. وشبح الخطر النووي السيبراني، موقع دويتشه فيله، ١٦ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://p.dw.com/p/3v25p

(40) Tony Kevin, Russia and China are sending Biden a message: don't judge us or try to change us. Those days are over, The Conversation, 25 March 2021, available at: https://cutt.us/mhxQS

(٤١) أمين قمورية، بايدن والخطآن الإستراتيجيان القاتلان، الشروق، ٣ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/aKOWW

(42) Prince Michael, The West needs to recognize Russia's significance, Geopolitical Intelligence Services, 24 March 2021, available at: https://cutt.us/soimw

والهادي، وكذلك شركاؤها التقليديون عبر المحيط الأطلسي و أوروبا، حيث تطالب الولايات المتحدة أوروبا أن تتَّخذ موقفًا واضحًا إزاء الصين بالدفاع عن الديمقراطية ووقف التحديث العسكري الصيني من خلال فرض حظر على نقل التكنولوجيا، ومنع الصين من السيطرة على الاتصالات السلكية واللاسلكية في أوروبا والبنى التحتية الحيوية الأخرى، وعلى الصعيد الروسي لا تريد الولايات المتحدة أن تعتمد أوروبا على الغاز الروسي عبر نوردستريم ٢[٤٣].

وفي سياق تحذير بايدن من التهديد الصيني المتصاعد وتوجيه الأنظار نحوه، ذكر خلال كلمة أمام مجموعة من العسكريين بأن الصين تفكر بالسيطرة على أمريكا وامتلاكها في السنوات الـ١٥ المقبلة، وذكر خلال تصريحاته أنه يستند في كلامه هذا إلى المحادثات السابقة التي أجراها مع نظيره الصيني، شي جين بينج، حيث قال بايدن "إن الرئيس الصيني يعتقد اعتقادًا راسخًا بأن الصين قبل عام ٢٠٣٥ ستمتلك أمريكا، لأن الأنظمة الاستبدادية بوسعها قرارات سريعة، لكن أمريكا فريدة من نوعها، فنحن الأمة الوحيدة القائمة على فكرة"[٤٤].

في هذا الصدد تظهر نبرة استعلائية ولهجة حادَّة من قبل روسيا والصين نحو الولايات المتحدة والغرب بشكل عام، حيث دخل الطرفان في مشادَّات لسانية وتصريحات مباشرة غير مسبوقة في رفض صريح للوصاية الأمريكية على العالم وللنموذج الغربي الذي يروج لعالميته، حيث رَدَّ بوتين على الرئيس الأمريكي جو بايدن الذي اتهمه في مقابلة تليفزيونية على قناة إي بي سي ١٧ مارس ٢٠٢١، بأنه قاتل، بتذكير العالم بتاريخ الولايات المتحدة اللاإنساني الذي شمل الإبادة الجماعية لسكَّانها الأصليّين، والتجربة القاسية للعبودية، والقمع المستمر للأمريكيّين السود اليوم، والقصف النووي الأمريكي غير المبرَّر لهيروشيما وناجازاكي في الحرب العالمية الثانية، رافضًا محاكمة الولايات المتحدة لدولته استنادًا لمعاييرها الخاصَّة أو إقامة علاقة مع بلده بناءً على شروطها هي، معلنًا بأن لدولته ولمجتمعه قيمهما الخاصة التي لا تحتمل أحكامًا أو تقييمًا من الخارج، وتعدُّ هذه اللهجة جديدة بالنسبة لبوتين الذي طالما أكَّد طوال السنوات الماضية وبأسلوب أكثر هدوءًا أن القوى الغربية بحاجة إلى التعامل مع روسيا على أساس البروتوكولات الدبلوماسية الصحيحة والاحترام المتبادل للسيادة الوطنية، إذا كانوا يريدون تخفيف التوترات، لكنه لم يكن صريحًا بهذا الشكل من قبل، حيث يقول صراحة موجِّهًا حديثه للرئيس الأمريكي جو بايدن: "لا تجرؤ على محاولة الحكم علينا أو معاقبتنا لعدم موافقتنا للمعايير التي تدَّعي أنها معايير عالمية، لأننا مختلفون عنك، تلك الأيام قد ولت الآن".

يتشابه تصريح بوتين القوي بشكل ملحوظ مع التصريحات العلنية التي أدْلى بها دبلوماسيون صينيون لوزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن في ألاسكا في مارس ٢٠٢١، حيث افتتح بلينكن الاجتماع بانتقاد استبداد الصين المتزايد وعدوانيتها في الداخل والخارج –في التبت وشينجيانج وهونج كونج وبحر الصين الجنوبي– وادَّعى أن مثل هذا السلوك يهدد "النظام القائم على القواعد الذي يحافظ على الاستقرار العالمي".

وفي هذا الإطار ردَّ يانج جي تشي، رئيس الشؤون الخارجية للحزب الشيوعي الصيني، بإدانة النفاق الأمريكي قائلا بأن الولايات المتحدة ليس لها الحق في فرض نسختها الخاصة من الديمقراطية على الرغم من أن لديها الكثير من السخط ومشاكل حقوق الإنسان في الداخل[٤٥].

(43) Theresa Fallon, The Impossible Triangle: China, The US, And The EU, Eurasia review, 6 May 2021, available at: https://cutt.us/Vcylj

(٤٤) بايدن يتحدَّث عن خطة الصين "الخبيثة" والموعد عام ٢٠٣٥، سكاي نيوز عربية، ٣٠ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/3UeYF

(45) Tony Kevin, Russia and China are sending Biden a message, Op. cit.

ومن هنا تستمر الولايات المتحدة وحلفاؤها في العمل وفقًا لرؤيتهم، بينما تدفع روسيا والصين برؤيتهم ونموذجهم المنافس بما يشير إلى احتمالية تغيُّر ميزان القوى العالمي[٤٦].

لقد أدَّتْ جائحة كوفيد-١٩ إلى تفاقم الاتجاهات الجيوسياسية، ولا سيما التنافس بين الصين والولايات المتحدة. فلقد استمرَّ صعود الصين بثبات خلال العقدين الماضيين، ووصل إلى نقطة تتحدَّى فيها بشكل مباشر القيادة الأمريكية في العالم. ففي السنوات الخمس الماضية، زادت من سماتها الاستبدادية تحت حكم شي جين بينج. وفي مواجهة النفوذ الصيني المتزايد وتدهور العلاقات الصينية-الأمريكية، يجد الاتحاد الأوروبي صعوبة متزايدة في الحفاظ على علاقات جيدة متوازنة مع كلٍّ من بكين وواشنطن.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الإطار أن الاتحاد الأوروبي في توقُّعاته الإستراتيجية لعام ٢٠١٩ حدَّد موقفه متعدِّد الأوجه من الصين، فهو يريد الحفاظ على مصالحه التجارية والاستثمارية معها، وفي نفس الوقت الحفاظ على أمنه من خلال الناتو، وهذا ما تجلَّى من ناحية في اتفاقية الاستثمار الشامل (CIA) التي وقعها الاتحاد الأوروبي مع الصين، فقبل تنصيب الرئيس بايدن بأسابيع قليلة وقَّع الاتحاد الأوروبي اتفاقية تعاون اقتصادي مع الصين في ٣٠ ديسمبر ٢٠٢٠، والتي وصفها رئيس المفوضية ووزيرة الدفاع الألمانية السابقة أورسولا فون دير لاين بأنها "معلم هام في علاقتنا مع الصين ولأجندتنا التجارية القائمة على القيم" كما تنظر المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل إلى الاتفاقية على أنها تتويج لإستراتيجيتها في مشاركة الصين، ومن ناحية أخرى تقف أوروبا مع الولايات المتحدة جنبًا إلى جنب في قمة الناتو ١٣ يونيو ٢٠٢١ بإطلاق تصريحات تدافع عن الديمقراطية وتجعل من الصين وروسيا أنظمة سلطوية تشكِّل تهديدًا عالميًّا[٤٧].

(46) Ibid.

(47) Theresa Fallon, The Impossible Triangle, Op. cit.

إن اتفاقية الاستثمار الشامل (CIA) تعدُّ بالنسبة لأوروبا بابًا للوصول إلى الأسواق الصينية، لكن في مقابل ذلك تشير إلى التجاهل الأوروبي لانتهاكات الصين المستمرَّة لحقوق الإنسان، ممَّا يطرح الكثير من التساؤلات حول القيم الغربية والنموذج القيمي الغربي والديمقراطية الغربية. وعلى صعيد آخر تعدُّ هذه الاتفاقية بالنسبة للصين بمثابة فرصة لمزيد من التداخل بين اقتصاد الاتحاد الأوروبي والاقتصاد الصيني، كما أنها سوف تسهم في فتح هوَّة بين الولايات المتحدة وأوروبا، وهو ما تريده الصين[٤٨]، ويأتي هذا في ظل الرغبة الأوروبية في تحقيق حكم ذاتي إستراتيجي (Strategic autonomy) وتخفيف الاعتماد الأمني على الولايات المتحدة، وفي هذا السياق يرى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أنه لم يعدْ بإمكان أوروبا الاعتماد المفرط على الولايات المتحدة، وأن عليها تركيز الانتباه نحو القارَّة الآسيوية وخاصة الصين، وفي هذا الإطار أيضًا يبرز تردُّد ألمانيا بشأن الدخول في مواجهة مع الصين التي تعدُّ سوقًا ضخمة للسيارات وللكثير من المنتجات الألمانية الأخرى، هذا إلى جانب استمرارها في معركتها مع الولايات المتحدة بشأن إنشاء أنابيب الغاز الروسية نورد ستريم٢[٤٩]. حيث ردَّ السياسيون الألمان على التهديدات بالعقوبات الاقتصادية التي أطلقها أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريون الأمريكيون من خلال ادِّعاء "الابتزاز" و"الحرب الاقتصادية" و"الإمبريالية الجديدة"، وعلى الرغم من العقوبات، جدَّدت السفن الروسية مدَّ الأنابيب، وفي هذا السياق تُدافع أنجيلا ميركل عن المشروع باعتباره مشروعًا تجاريًّا، وليس جيوسياسيًّا ومن ثم يجادل الألمان بأن لوائح الاتحاد الأوروبي المتعلقة بالطاقة والتكوينات الجديدة لخطوط الأنابيب تقلل من قدرة روسيا على

(48) Ted R. Bromund, PhD, and Daniel Kochis, The Top Five U.S. Priorities for European Policy in 2021, The Heritage foundation, No. 6037, (January 2021).

(49) David E Sanger, Steven Erlanger, Roger cohen, Biden Tells Allies 'America Is Back,' but Macron and Merkel Push Back, The New york Times, 19 February 2021, available at: https://cutt.us/ERr5s

التلاعب بالإمدادات، وأن روسيا تعتمد على الدخل أكثر من اعتماد أوروبا على الغاز(٥٠).

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من قرار الاتحاد الأوروبي بالمضيّ في اتفاقية الاستثمار الشامل مع الصين رغم نداء مستشار الأمن القومي الجديد لبايدن "جيك سوليفان" للتشاور أولًا مع واشنطن، إلا أن مسؤولي بايدن تجنَّبوا إجبار أوروبا على اتخاذ خيار ثنائي. فبلينكن خلال اجتماعه مع وزراء الخارجية الأوروبيّين في بروكسل في مارس ٢٠٢١، طمأنهم أن واشنطن لن تجبر الحلفاء على اختيار "نحن" أو "هم" مع الصين، لكنه شدَّد أيضًا على الحاجة إلى صدِّ الصين معًا وإظهار القوة في الوحدة، ونتيجة لذلك يشعر الأوروبيون عمومًا بالاطمئنان بشأن النهج العام لإدارة بايدن تجاه الصين حيث يرون أوجه تشابه مع نظرة الاتحاد الأوروبي الخاصة لوصف الصين بأنها "شريك ومنافس ومنافس منهجي(٥١).

وفي إطار تحقيق إدارة بايدن لأهدافها في إحياء التحالف مع أوروبا والوقوف ضدَّ التهديد الصيني والروسي توجَّه بايدن في رحلة لأوروبا لحضور قمة الدول السبع وقمة الناتو لتنتهي جولته بلقاء الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وذلك لتحقيق هدفين أساسيَّيْن: أولا- طمأنة الحلفاء الأوروبيّين وإعلامهم بأن أمريكا قد عادت، وثانيًا- حشد الديمقراطيات للوقوف أمام الخطر الصيني والروسي(٥٢)، ففي مجموعة الدول السبع دعا البيان إلى دعم البنية التحتية للدول النامية وهي خطة عالمية واسعة النطاق للبنى التحتية طُرحت من أجل الدول الفقيرة في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، للتشجيع على نمو مراع للبيئة عبر تحفيز الاستثمارات في موارد الطاقة المتجددة والتكنولوجيا النظيفة، وأُطلق هذا المشروع بناء على مبادرة تقدَّم بها الرئيس الأمريكي جو بايدن، ويُفترض أن ينافس مشروع "طريق الحرير الجديد"، وكذلك الرد على الممارسات الاقتصادية للصين التي لا تتبع نظام السوق، كما تضمَّن البيان توبيخًا علنيًّا لانتهاكات الصين لحقوق الإنسان في مقاطعة شينجيانج وهونج كونج.

وحاول بايدن تأطير التصدِّي للهيمنة الصينية في شكل صراع بين الديمقراطيات والنظم الاستبدادية بشكل عام، حيث قال "أعتقد أننا في صراع ليس مع الصين في حَدِّ ذاتها، ولكن مع الحكَّام المستبدِّين والحكومات الاستبدادية في جميع أنحاء العالم" وذلك ضمن تكراره لشعار "عودة أمريكا".

على الصعيد الروسي استنكرت مجموعة السبع سلوك روسيا المزعزع للاستقرار بما في ذلك الهجمات السيرانية وبرامج القرصنة الأخرى(٥٣).

وفي بداية قمة الناتو، قال بايدن محدِّدًا ومبرزًا للتحديات الأكثر أهمية:" إن الناتو يواجه تحديات جديدة، لدينا روسيا التي تتصرَّف بطريقة لا تتَّفق مع ما كنَّا نأمله، ولدينا الصين". وفي هذا السياق أعلن قادة الناتو قلقهم بشأن "سياسات الصين القسرية" في إشارة واضحة إلى قمع مسلمي الأويجور في شينجيانج وتوسيع ترسانتها النووية والافتقار المتكرِّر للشفافية واستخدام المعلومات المضلِّلة(٥٤)، كما أوضح بايدن هدفه الأساسي من هذه الجولة الأوروبية حيث تعزيز التحالف مع أوروبا بحيث يتَّضح لروسيا

(50) Ibid.

(51) Eric Brattberg, Transatlantic Relations After Biden's First 100 Days, Op.cit.

(52) David Sanger and Steven Erlanger, For Biden, Europe Trip Achieved 2 Major goals. And then There is Russia, The New york Times, 17 June 2021, available at: https://cutt.us/Xy1aB

(53) Franco Ordonez and Asma Khalid, Biden Pushes G-7 Allies To Take A Tougher Stance On China, NPR, 13 June 2021, available at: https://cutt.us/QaELq

(54) Dan Sabbagh and Julian Borger, Nato summit: leaders declare China presents security risk, The Guardian, 14 June 2021, available at: https://cutt.us/QGJRD

والصين أن أوروبا والولايات المتحدة حليفان لا ينفصلان[٥٥]. ويأتي ذلك في سياق ما يشهده العالم من تنافس على الهيمنة العالمية.

وعلى الرغم من أنه لا تزال هناك مساحات واقعة ضمن التوتر الدبلوماسي بين واشنطن والعواصم الأوروبية مثل اتفاقية الاتحاد الأوروبي الشاملة بشأن الاستثمارات مع الصين، وخط أنابيب نورد ستريم ٢، والشكاوى حول قومية اللقاحات الأمريكية، والتعريفات الجمركية التي لا تزال نشطة، إلا أنه ليس هناك شك في أن حملة الإصلاح وإعادة البناء التي شنَّتها إدارة بايدن مع أوروبا قد أثبتت فعاليَّتها بالفعل. فالدبلوماسيون الأوروبيون، ومعظمهم بالفعل على دراية كبيرة ببايدن ومستشاريه، سعداء بشكل عام حتى الآن بمستوى المشاركة الدبلوماسية الأمريكية ويعتقدون أن الإدارة بدأت بداية جيدة، سواء من حيث الرسائل وخلق المناخ المناسب للعلاقة الجيدة. ومن المؤشرات الجيدة أيضًا على أن تنسيق السياسات بين الجانبين يعمل بشكل أفضل مما كان عليه في السنوات الأخيرة هو العقوبات المنسَّقة الأخيرة ضدَّ روسيا لتسميم المعارض أليكسي نافالني وضدَّ الصين لانتهاكها حقوق الإنسان في شينجيانج[٥٦].

لكن ما زالت أوروبا تقف على مفترق طرق لا يخلو أي منها من عوائق، فالانحياز نحو التكتُّل الصيني والروسي محاط بعوائق الخلافات والتناقضات بين النظم السياسية القائمة على دكتاتورية الحزب الواحد في مقابل النظم الديمقراطية الأوروبية، وعلى صعيد آخر فإن الانحياز إلى الكتلة التي تهيمن عليها الولايات المتحدة على حساب العلاقات مع الصين وروسيا لم يعد كما كان، فعلى الرغم من نقاط التشابه مع الولايات المتحدة والكثير من المصالح المشتركة إلا أن الاعتماد المطلق لم يعدْ مستساغًا تمامًا بالنسبة لأوروبا، والتي تعكسها بمزيد من المحاولات التي تقودها فرنسا وتؤيِّدها ألمانيا من أجل مزيد من الاستقلالية للاتحاد، وتدلُّ على ذلك الجهود المبذولة لتعزيز دور اليورو كعملة عالمية إلى جانب الدولار الأمريكي وإنشاء قوة عسكرية أوروبية مشتركة للدفاع عن مصالح أوروبا[٥٧].

خاتمة:

إن الصعود المتنامي للصين وروسيا مع وجود توترات في الكتلة الغربية والعلاقات الأمريكية–الأوروبية تُعَدُّ تحديات تواجه الإدارة الأمريكية الجديدة التي تحاول بشتَّى الطرق رفع شعار "عودة أمريكا"، في إشارة لعودة الدور العالمي الأمريكي، وتجعل الموقف الأمريكي–الأوروبي من الصين وروسيا غير مستقر، فبينما يسْعى بايدن لتأطير الصراع ليكون صراعًا بين الديمقراطيات والنُّظم السلطوية، لا يجد تأييدًا واضحًا موحَّدًا على ذلك من قبل الجانب الأوروبي، ففي قمَّة الدول السبع التي انعقدت في ١٣ يونيو ٢٠٢١ وعلى الرغم من محاولة دول القمة تقديم موقف موحَّد ضدَّ الصين وروسيا بإطلاق الكثير من رسائل التحذير من النفوذ الروسي والصيني ومحاولة بايدن توحيد الصف الديمقراطي وإعلان "الصين وروسيا" من النظم السلطوية، إلا أنه حتى الآن يبدو أنه لا يوجد إجماع بين هذه الدول حول ما إن كانت الصين شريكًا أم منافسًا أو أنها تشكِّل تهديدًا أمنيًّا[٥٨].

فما زالت المصالح الاقتصادية والقضايا الأمنية والسياسية يتداخلان، فبين سياسة الاحتواء التي يريد أن يتبعها بايدن مع الصين وروسيا تريد أوروبا سياسة أكثر مرونة بحيث تراعي مصالحها الاقتصادية وتحافظ على الأسواق لمنتجاتها، هذا فضلًا عن القلق الذي يحيط بأوروبا تجاه الولايات المتحدة كحليف وحام مطلق لها.

(55) Trevor Hunnicutt and Steve Holland, Biden begins European visit with a warning for Russia, Reuters, 10 June 2021, available at: https://cutt.us/iiVPk

(56) Eric Brattberg, Transatlantic Relations After Biden's First 100 Days, Op. cit.

(٥٧) إبراهيم محمد، ما خيارات أوروبا مع صعود الصين على حساب هيمنة أمريكا، موقع دويتشيه فيله، ٧ فبراير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://p.dw.com/p/3p0nY

(٥٨) الصين لمجموعة السبع: الأيام التي تقرر فيها مجموعة صغيرة من الدول مصير العالم ولَّتْ، بي بي سي عربي، ١٣ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/nUE13

في هذا السياق يرقب العالم تغيُّرات عالمية قد تغيِّر من ميزان القوى وقد تعلن موت العولمة الغربية والنظام الدولي العالمي الواقع تحت هيمنة الغرب الذي قد يشهد حربًا باردةً جديدة ليست على أسس أيديولوجية كما في السابق، ولكن بحثًا حول من سيملك الشرعية الدولية.

*****